مجالس المؤمنين

تأليف

القاضي نور الله المرعشي التستري

الشهيد سنة ١٠١٩ هـ.ق

تعريب وتحقيق

محمد شعاع فاخر

مكتبة الحيدرية

مجالس المؤمنين

تأليف

القاضي نور الله المرعشي التستري

الشهيد سنة ١٠١٩ هـ.ق

شبكة الفكر
alfeker.net

الجزء الثالث

تعريب وتحقيق

محمد شعاع فاخر

المرعشی التستری،قاضی نور الله،   ،۱۰۱۹ ق.
مجالس المؤمنین /تألیف /قاضی نورالله المرعشی التستری،تعریب و تحقیق، محمد شعاع فاخر. قم: مکتبةالحیدریة، ۱۴۳۳ق-۱۳۹۱ش
۴جلد،   ردمک الدورة   ISBN: ۹۷۸-۹۶۴-۵۰۳-۲۳۰-۰
ردمک الجزء الثالث   ISBN: ۹۷۸-۹۶۴-۵۰۳-۲۳۳-۱
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتابنامه به صورت زیر نویس.
۱- اهل البیت - فضایل ۲- احادیث.اشعار- الف. شعاع فاخر،محمد،تحقیق
ب.عنوان
۲۹۷/۹۵   ۱۳۹۱

هوية الكتاب

الكتاب: .... مجالس المؤمنين- الجزءالثالث
المؤلف: .... القاضی نورالله المرعشی التستری
الناشر:................. انتشارات المكتبه الحيدريه
الطبعة: .... الاولى ۱۳۹۱ش/۱٤۳۳ق
عدد المطبوع: ۱۰۰۰دورة
ليتوغرافى: .... آل البيت ﷺ ۰۹۱۲۱۵۳۳۰۷۷
المطبعه: .... شريعت
السعردورة الواحدة (الاربعة اجزاء): ۳۰۰/۰۰۰تومان

ردمک الجزء الثالث : ۱-۲۳۳-۵۰۳-۹٦٤-۹۷۸
ردمک دورة : ۰-۲۳۰-۵۰۳-۹٦٤-۹۷۸

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ الموحّد أوحد الدين المراغي

جاء في «تذكرة دولتشاهي»: كان عارفاً طلق المحيّا ومع كمال عرفانه وسلوكه ليس فيه نقص في الفضائل الظاهريّة، وكان مريداً لشيخ الشيوخ أوحد الدين الكرماني وهو واحد من أكابر الأولياء ومريد لشيخ الإسلام شهاب الدين السهروردي ومن تأليفاته كتاب «جام جم» ولترجيعه شهرة عظيمة بين الموحّدين، وديوانه يحتوي على عشرة آلاف بيت وحديثه يدورحول التوحيد، وكتب رسائل عشراً إلى الخواجه ضياء الدين يوسف، والخواجه أصيل الدين ابن مالك الحكماء، والخواجه نصيرالدين الطوسي عليه الرحمة غاية في الرقّة واللطف.

وكتب كتابه «جام جم» في اصفهان، واستنسخ منه خلال شهر واحد أربعمائة نسخة أهل الاستعداد والرغبة ممّن جادت بهم الأيّام، ومع صغر حجمه فقد بولغ في ثمنه، وكان هذا الكتاب موضع التقدير من الفضلاء، وفي هذه الأيّام لا اعتبار لنسخته، والحقّ أنّها نسخة في الآداب والطرائق المستطابة.

وكان نبوغ الشيخ في عهد «أرغون خان» ووفاته في اصفهان في عهد السلطان محمود غازان في شهور سنة سبع وسبعين وستّمائة، ومرقده في اصفهان يُزار ويتبرّك به في تلك الديار، إلى هنا قد تمّ كلام «دولتشاه».

قال المؤلّف: تاريخ وفاة الشيخ على الوجه الذي ذكر محلّ النظر لأنّ «جناب الشيخ» أدرك زمن الشيخ أبي سعيد الجنكيزي وحكم بعد السلطان محمّد

خدابنده وله في كتابه «جام جم» بيتان في مدحه وهما كما يلي:

در جهان تا كه سايهٔ شاهست — جور مانند سايه در چاه است
دو جهان را صلای عيد زدند — سكّه بر نام بوسعيد زدند

مادام في العالم ظلّ له — فالجور كالظلمة وسط القليب
نودي في الوجود عيد الورى — أن ضرب النقد باسم الحبيب

وكذلك ما قيل في باب مولد الشيخ ومدفنه مخالف لما أورده صاحب النفحات، قال: مولد الشيخ في اصفهان ومدفنه في مراغه، وبناءاً على ما يفهمه المرء من الشطر الشعري «والفضل ما شهدت به الأعداء» شهادة العدوّ أقوىٰ وأعظم تأكيداً وكلّما قاله صاحب النفحات في بيان أحوال الشيخ «صاحب الحال» فإنّه معذور لأنّ ما بلغنا عن الشيخ الأوحدي أنّه من أصحاب أوحد الدين الكرمانيﷺ كما تدلّ على ذلك نسبته «أوحدي»، وللشيخ ديوان شعر غاية في الجودة والعذوبة والترجيعات يشتمل على الحقائق والمعارف والمثنوي على وزن حديقة الشيخ السنائي وسبكه وأُسلوبه ويُدعى «جام جم» وقد أجاد هنا في حيازة اللطف ومن مثنويّة هذه الأبيات.

الأبيات

اوحدی شصت سال سختی دید — تا شبی روی نيک‌بختی ديد
سر گفتار ما مجازی نيست — باز كن ديده كين ببازی نيست
سالها چون فلک بسر گشتم — تا فلک‌وار ديده‌ور گشتم
بر سر پای چله داشته‌ام — چون نه از بهر ذلّه داشته‌ام
از برو در ميان بازارم — وز درون خلوتيست با يارم
كس نبيند جمال سلوت من — رو ندارد كسی بخلوت من

تا دل من بدوست پيوسته است … سورها گرد سر من بسته است

تقريب المعنى بالعربيّة:

ستّون عاماً قد قضاها الأوحدي … والليل مسودّ الأديم بلا غد
حتّى بدىٰ والصبح يرفع ذيله … متوشّح منه بحظّ مسعد
فافتح عيونك لا مجاز لسرّنا … والسرّ ليس يرىٰ بطرف أرمد
قد طفت في الأفلاك حتّى خلتني … منها أروح مع الزمان وأغتدي
ووقفت أُحصي الأربعين لعاطش … ما كان يفعل ذا لذلّ المشهد
في خارجي للسوق شغل شاغل … في باطني عند الحبيب تردّدي
ما شاهدت عين حلاوة سلوتي … أو حسن خلوتي التي لم تشهد
ما دمت متّصلاً بحبّي لم أزل … أحيا من الدنيا بعيد أسعد

وأجاب رائيّة الحكيم السنائي بقصيدة عدد أبياتها مائة وستّون بيتاً وافتتحها بهذه الأبيات:

سر پيوند ما ندارد يار … چون توان شد زبخت برخوردار
كار ما با يكى است در همه شهر … وآن يكى تن نمى‌دهد در كار
چشم دل پرزخون و مى‌گريم … همدمى نيست تا بگريم زار
در خروشم زصيت آن معشوق … در سماعم بصوت آن مزمار

سرّ المحبّة بيننا … ما ناله أحد سوانا
لو نالها لتفتّح … الحظّ السعيد له عيانا
إنّي شغلت بواحد … كان الحبيب المستعانا
إن ندعه لبّى الدعاء … ونستجيب إذا دعانا
معنا ولكن لا يرىٰ … لكنّه أبداً يرانا

أبكـــي ولا مــن مُسـعفٍ يــبكي مــعي إلّا الدنــانا
مــلأت بــيالدنــيا صــر اخاً يـصدع الصـخر الرعـانا
أصـــغي لصــوت العــود يـملأ مسـمعي عنهم بيانا

وقال مؤرّخاً إتمام كتاب «جام جم»:

چــون از تــاريخ بــر گــرفتم فــال هفتصد رفته بود و سى و سه سال
كــه مــن ايــن نــامۀ هــمايون فــر عــقد كــردم بــنام ايــن ســرور
چــون بســالى تــمام شــد بــدرش خــتم كــردم بــه ليـلة القــدرش

تقريب المعنى بالعربيّة:

تــفألت يــوماً بــالسنين فأشــرقت عــليّ ســنو تسـعد النـفس والحـالا
ســبعمائة بــعد الثــلاثين قــبلها ثــلاث فــهذا الفــال أسـعد بـه فـالا
جــرىٰباسم مــن دانت له الأرض فـاغتدت ســعادته تــعنو لهــا النـاس إجـلالا

قبره في مراغة تبريز وتاريخه سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ثمّ لا يخفى أنّ كتاب جام جم كما كان مهملاً في زمن دولتشاه كذلك كان كتاب «الرسائل العشر»، والظاهر أنّ منشأ الإهمال لهذين الكتابين عند الجمهور هو أنّ الشيخ جعل طريقته الارتباط بأولاد الخواجه نصيرالدين محمّد الطوسي عليه الرحمة وزيّن كتاب الرسائل العشر باسم الخواجه الأنور، وعداوة الجمهور للخواجه في غاية الظهور لأنّهم يطالبون بدم خليفتهم المستعصم العبّاسي الذي حكم بقتله «هلاكو خان» منه، وربّما ظهرت خصومتهم للخواجه من ملاحظة كتاب «تجريد الاعتقاد» لأنّهم طالما سعوا لحصر الخواجه في زاوية العجز والإفحام، ومن المتيقّن به أنّ شخصاً كهذا مطعون به عند الجمهور ويقلّ الإقبال على تصانيفه، ولا يستبعد هذا الأمر أن يكون هو السبب في إهمال كتاب «جام

جم» وهو يشتمل على فصل خاصّ بمناقب أهل بيت النبوّة، وفي أيّامنا هذه حيث نال الكتاب بعض الشهرة يمكن أن يكون السبب في تمادي الأيّام والليالي على كتابته وقد مرّ وقت طويل على تأليفه بحيث بَعُدَ الجمهور عن مسألة اعتقاد الشيخ وكانوا يجهلونها، وهذا الفصل الدالّ على حسن اعتقاده جرى حذفه من أكثر النسخ ولا سبب لذلك إلّا سبب واحد هو عناد المخالفين وبغضهم، وما كان جارياً من الموافقين فهو على سبيل التقيّة، وكانوا يخشون الخصوم أن يقع هذا الكتاب بأيديهم ويطّلعوا على الفصل الخاصّ بأهل البيت فيتّهمون حامله ويسعون في إيذائه، والفصل المذكور مبنيّ على هذا الأصل.

شعر

اهل بيت تو سر بسر نورند ... بر زمين حرّ و بر فلک حورند
وارثانند دين و علمت را ... حارسان گشته مر يقينت را
هركه چيزی بيافت زيشان يافت ... گم‌شد آنکس‌که روی‌از ايشان تافت
ديدم از خوان آن نفيس عرب ... متصل نفس كربلا بكرب
نشود جور بر چنان شاهی ... مگر از چون يزيد گمراهی
بخت آنكس كه سر بخواب كشيد ... تيغ بر روی آفتاب كشيد
بهر خون حسين خون يزيد ... بنمي ريختند خون نسزيد
كه كشد بهر مير مار بچه ... گر بيابند از او هزار بچه
زده بر گردن عراق به تيغ ... گر چنان كس بود عراق دريغ
چون سزد خاک بصره جا او را ... بسر عرش خاک پا او را
من بگويم نترسم از كس زود ... كاولين فتنه از معاويه بود
كين او از عداوت آباست ... زانكه فرزند وارث باباست

شاخ عربش زبيخ بيشى رست   زانكه بر وحى نيز پيشى جست
اى كه اصل على نديدى و فرع   گوش كن بر حديث صاحب شرع
لحم و دم گفته مصطفى او را   چه كنى خستهٔ جفا او را
خودگرفتم كه مال دارى و جاه   لحم و دم كى بود چوكفش وكلاه
حور بودند بر بنظاره   كه على در بكند از باره
چيست نظاركى خنك يلان   خار و خاشاك پيش كوه كلان
كوهلد روز حملهٔ غازى   مطبخى را بناوك اندازى
با دم ذوالفقار در صف جنگ   بچه ارزد كلوخ و قلما سنگ
نه ببازيست اين بلندى نام   مشنوى گفتگوى ناكس عام
كى ببيند چراغ روشن روز   آنكه از تيز روبه و پفيوز
اسد الله را چه غم زحسد   روح را كى زيانِ رسد زجسد
خود چو نقصان موسى و هارون   بزمين گر فرو رود قارون
هر چراغى كه حق برافروزد   تا ابد ريش مدّعى سوزد
گرچه بسيار داورى‌ها رفت   در خلافت سخنورى‌ها رفت
با حقيقت نشد مجاز يكى   كوس محمود و طبل باز يكى
نوش كن زهر در ميان گزند   خود بخوردند و خود زيان كردند

وقد اشار إلى حديث «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» في فصل نعت النبيّ ﷺ :

شعر

از در او توان رسيد بكام   ديگران را بِهِل در اين بر و بام

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا نبيّ الهدى وآلك نور   خلقوا كي يمزّقوا الديجورا

قد براهم في الأرض أحرار صدق وبراهم بين السماوات حورا
كلّ خير منهم أتانا ومن يتبع سواهم في الحشر يلق سعيرا
سيّد العرب كربلاء جرت فيه بكرب عن أرضها لن يحورا
ليس يؤذيه غير وغد دنيء كان في الناس فاسقاً سكّيرا
نام عنه الحظّ السعيد فأضحىٰ يترائىٰ بملكه مغرورا
ذبح الشمس في السماء فأبدت للمجرّات نحرها المنحورا
هل يقوم الدم اليزيدي في الثأر فيدعو أنصاره أن تثورا
فدم السبط فوق كلّ دماء حين سالت فضمّخت عاشورا
هل رأيت الأوزاغ تقتل بالليث مضيفاً إلى الإناث الذكورا
صار جيد العراق غمداً لسيف الرجس إذ يعدم العراق النصيرا
حين حلّت بالبصرة الأمّ في جيش وأمسى لوائها منشورا
لا عجيب أن يعتلي ترب أقدام يزيد عرش الإله مغيرا
وابن هند هو الذي أوقد النار بدين الهدى فصارت سعيرا
فتنة لا أخاف إن قلت منه فلذا كان بالجحيم جديرا
إنّه حقد من نماه على الإسلام والشرع أوّلاً وأخيرا
ورث الحقد نغل آكلة الأكباد ينحو به الدم المهدورا
فرعه يستمدّ من خبث الجذر لذا كان مجرماً شرّيرا
أيّهذا الذي جهلت عليه أو تدري فروعه والجذورا
قال عنه النبيّ لحمي علي ودمي يا له زكيّاً طهورا
أترى النعل يحتذيها ثري كدم في العروق يجري غزيرا
لست أنسى كبير قوم وقد لاقىٰ يهوداً من مرحب مستجيرا

وعـلـيّ تـنـاول الباب مـن حصن فأودى بـه قـليعاً كسيرا
ثـمّ ثـنّى بـمرحب حـين خـلّاه بـحرّ التـراب ثـاوٍ حسـيرا
إنّ أُولاء للـخوان يـصولون عـليه مـدمّراً تـدميرا
أو يـجدي قـذف الحجارة في الحرب وفـي الكـفّ ذوالفـقار مـبيرا
لم يكـن مـحض صـدفة واتـفاق كـان مـولاك فـي العلوم شهيرا
نـوره يـخطف النـواظـر لكـن عـجز المـرء أن يـراه ضـريرا
أسـد الله لم يُـضِره حسـود قـائل فـي عـلاه كـذباً وزورا
لا يـضير الأرواح جسـم طـرير كـم أبـاد التـراب جسماً طـريرا
مـا يـضرّ النـبيّ موسى وهـارون وكـانا بـقدرة الله نـورا
حـين يـغدو يـغوص في الأرض قـارون وقـد زار مـنكراً ونكـيرا
وسـراج قـد أوقـد الله فـيه شـعلة الحـقّ لن يـرى مسـتورا
كـما أطـالوا عـن الخـلافة قـولاً ثـمّ جـرّوا حـبلاً لهـا وجـريرا
لم يـصب مـنهم الحـقيقة فـرد آكـل ذا وذا يشـمّ قـتيرا
شـرب السـمّ بـعضهم وقـضى مـنه فـقد مـات وهـو يـدعو ثـبورا

* * *

قال خير الورى عليّ هو الباب وإنّـي مـدينة للـعلوم
مـن أراد العـلوم يأتـي إلى بـاب لعـلم النـبيّ غـير كـتوم

الشريف المحقّق العارف نور الدين أذري نوّر الله مرقده

اسمه الشريف حمزة، اشتهر بتخلّصه في الشعر «الآذري».

ذكر «دولتشاه السمرقندي» في تذكرته فقال: عارف مجرّد، ومحقّق عالي

الهمّة، قليل الالتفات إلى أعمال الدنيا، وكان ينزع دائماً إلى صحبة أهل الله، قضى أربعين عاماً على سجّادة الطاعة بفقر وقناعة، ولم يحمل خاطره الشريف بأُمنيّة من أماني الدنيا، وكان يتحلّىٰ بفضائل العلوم الظاهريّة والباطنيّة. وأمّا في الطريقة والمجاهدة فقد كان صادق النفس، ثابت القدم، وهو حمزة بن علي ملك الطوسي ثمّ البيهقي.

وكان أبوه من رؤساء مدينة بيهق، وقد شغف بالشعر في صباه واشتهر به فوعده السلطان شاهرخ أن يعطيه لقب «ملك الشعراء»، وفي هذه الأثناء عصفت برأسه رياح عالم التحقيق فوضع أوّل قدم في حيّ الفقراء وذرّىٰ في الريح الاسم والرسم والنفع والضرر، ونال صحبة الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي ﷺ فأخذ عليه علم الطريقة ورجع بعد وفاة الشيخ محيي الدين إلى السيّد نعمة الله ﷺ وبقي في حضرته مشغولاً بالسلوك، وعنده منه الإجازة وخرقة التبرّك، وحجّ مرّتين، وجاور البيت الحرام سنة بكاملها، ثمّ هاجر إلى الديار الهنديّة وبقي مدّة من الزمان هناك.

ويقال: إنّ ملك الهند السلطان أحمد أمر أن يعطى الشيخ خمسين ألف دينار وتعادل عندهم «لك»، وأمر الشيخ أن يضع جبهته على الأرض دليل على شكره الملك فلم يقبلها الشيخ ولم يسجد وقال في ذلك هذا البيت:

من ترك هند و جيفهٔ چيپال كردهام　　　باد و بروت جونه به يک جو نمیخرم

إنّي تركت الهند والملك الذي　　　فيها فلست لحاجة أرجوه

وتركت كنزهم ونهراً جارياً　　　بشعيرة لو أنّهم وزنوه

وبعد أن عاد من سفر الهند جرّ ثوب الهمّة على قدم القناعة، وساح من عالم الملك إلى عالم الملكوت بفكره الرفيع، وجلس ثلاثين عاماً على سجّادة الطاعة

فلم يغادرها إلى أيّ شخص من ذوي الجاه والدولة، بل على العكس من ذلك كان أصحاب الدين والدولة وذووا الملك والملّة يطلبون صحبته ويلتجئون إلى حضرته دائماً، وديوانه الشريف اشتهر في الأقاليم، وله نظم ونثير كثير سوى ديوانه.

توفّي الشيخ في قصبة اسفراين.

ولمّا كان أكثر قصائد ديوان الشيخ في مناقب أهل البيت عليهم السلام نذكر قصيدة واحدة من قصائده طلباً للاختصار بتمامها وأبياتاً من قصائد أُخرى نقتصر عليها، والقصيدة كما يلي:

منّت خداى را كه مطيع پيمبرم
فرمانبر قضاى خداوند اكبرم

حمد و سپاس كعبهٔ ذرّات را كه من
از تابعان صاحب محراب و منبرم

تا مسند شريعت غرّاست مسكنم
قاضى القضاة محكمهٔ هفت كشورم

زانها نيَم كه حسن فروشم بمال و زر
تقوى است زينت من و زهد است زيورم

بگذشته‌ام زدايرهٔ ممكن الوجود
بر صدر كاينات بواجب مصدرم

تا يافت جان من خبر از مبدأ وجود
دانم كه از قبيلهٔ اسماست مصدرم

توحید بحر و این تن من همچو کشتی است
جان ناخدای کشتی و عقلست لنگرم
تا من عزیز مصر وجود خود آمدم
آمد زروح باج و ولایت زقیصرم
آفاق را به تیغ توکّل گرفته‌ام
نی راغب سپاه و نه محتاج لشکرم
تا من به بسته‌ام کمر فقر بر میان
از تاج فقر طعنه زن تخت سنجرم
عنقای قاف قربتم از آشیان فضل
از قاف تا بقاف جهان زیر شهپرم
غوّاص عقل راه بکنهم نمی‌برد
کز قعر بحر ذات و صفاتست گوهرم
آئینهٔ خزاین غیب است خاطرم
پیداست این حدیث زسیماء جوهرم
تا از سواد وجه شدم سرخ روی فقر
روشن شد است معنی گوگرد احمرم
تا پای در طریق توکّل نهاده‌ام
گشتند سرکشان دو عالم مسخّرم
دریای معرفت زدلم موج می‌زند
بر دانشم گواست کلام معنبرم

اطراف عالم از نفس من معطّر است
زیرا پر آتش است درون همچو مجمرم
ذرّات کاینات نویسندهٔ من‌اند
اوراق آسمان و زمین جمله دفترم
صد غسل زآب چشمهٔ نوشان برآورد
ارژنگ چین زرشک کتاب مصوّرم
در کوی عهد قطبم و زآنجا نمی‌روم
گر فی المثل چو کوه نهی تیغ بر سرم
افلاک را چو نقطهٔ مرکز وسط نشین
اقطاب را به منزلهٔ خطّ محورم
یأجوج حادثات جهان را چه اعتبار
با من که در شکوه چو سدّ سکندرم
در خورد همتم بود از دخل روزگار
از باختر وظیفه بود تا به خاورم
معنی حل طلق حلول قناعتست
این نکته یادگیر که من کیمیاگرم
این طاس کعبتین فلک در بساط خاک
در مهرهای روز و شب آورد ششدرم
در بحر و بر زماهی افلاک هر شبی
بگشاد دیدهٔ یرقانی چو عبهرم

دریا میست و خم میم چرخ نیلگون
انجم چراغ مجلس و خورشید ساغرم
موسی صفت معاند گاو طبیعتم
چون سامری نه در پی گوسالهٔ زرم
خورشید اگر بنور نهد منّتی مرا
هرگز به مهر جانب خورشید ننگرم
بر آفتاب سایه نیندازم از زمین
بار غرامت ار بکشد چرخ اخضرم
من ترک هند و جیفهٔ چیپال کرده‌ام
باد و بروت جونه به یک جو نمی‌خرم
دنیا چو جیفه طالب او سگ شمرده‌اند
لیکن من این گروه بسگ نیز نشمرم
دوران چو صفر و معنی او هیچ گفته‌اند
پس به هیچ این همه منّت چرا برم
از آفتاب همّت من مهر ذرّه‌ایست
گر ذرّه‌ای ندانمش از ذرّه کمترم
آنجا که بحر همّت من موج می‌زند
پیداست تا چه قدر بود بحر را برم
همچون زمین بصورت اگر مفلسم ولی
چون آسمان بگوهر معنی توانگرم

بیت القصیدهٔ غزلم پنج کشور است
در پنج گنج تعبیهٔ هفت کشورم
انجم مثال کوی گریبانست بر تنم
افلاک همچو خرقهٔ نه توست در برم
هم بوی می‌فروشم و هم نور می‌دهم
خوشبوی و نوربخش چو شمع معنبرم
از موج حادثات جهان بادبان فضل
بیرون برد چو صاحب لطفست بندرم
از خسروان روی زمین ننگ آیدم
تا من گدای حضرت ساقی کوثرم
شاه نجف امیر ولایت علی که هست
بر سر زفخر خاک ره او چو افسرم
تا سر بر آستانهٔ جاهش نهاده‌ام
مهر است متکا و سپهر است بسترم
من خود کیم که دعوی حبّ علی کنم
من از کمینهٔ خیل غلامان قنبرم
بر رغم خارجی بکنم نکته‌ای بیان
از ننگ و نام و سکّه و صورت قلندرم
از منکر و نکیر نترسم گه سؤال
زیرا که در حمایت شبّیر و شبّرم

نسبت به خاندان علی و به آل او
زان کرده‌ام درست که پاکست مادرم

آن را که هست با علویان ارادتی
گر از نژاد ترک بود هست داورم

آن را که با ولایت او نیست نسبتی
خصم منست گر همه باشد برادرم

ای من غلام بازوی مردی که در مصاف
داده جواب خلق بیکران عنترم

نشنیده‌ای مگر که زآهن دری چنان
چون در ربود روز وغا میر خیبرم

گر همچو بوتراب کسی در کمال و فضل
گویند هست بعد نبی نیست باورم

در کام من ز مدحت حیدر حلاوتیست
کز ذوق آن حرام شده طعم شکّرم

شاها منم غلام تو آن آذری که هست
در صورت بتان سخن دست آذرم

گر آذر و بتان وی این شعر بشنوند
مؤمن شوند ز معجز طبع سخنورم

بتهای آذری که بصورت نداشت جان
گردند زنده از نفس روح پرورم

هست از بـراى خـصم تـوأم در مـحاربه
دسـتى بسـان تـيغ و زبـانى چـو خـنجرم
از تـيغ دست گـردن دشـمن بـرافكـنم
وز خـنجر زبـان جگـر خـصم بـر درم
پـاى مـلخ زمـور سـليمان قـبول كـرد
پس رد مكـن تـو هـم سـخنان مـحقّرم
بـا حبّ خـاندان چـو بـرآرم زخـاك سـر
بـر جـمله خـلق فـخر بـود روز مـحشرم
سـاقى كـوثرى تـو و مـن آذرىّ تـو
بـرسان بـه آب كـوثر و بـرهان زآذرم

تقريب المعنى بالعربيّة:

للّـه جـلّ المـهيمن العـدل	مـا لامـرئ مـنّة ولا فـضل
ومـا لفـرد سـواه يـوسعنا	بـنعمة عـيشنا بـها يـحلو
نـطيع مـبعوثه ونـعبده	وليس عـنه يـصدّنا شـغل
الحـمد للّـه إنّـني تـبع	لمـرسل شـرّفت بـه الرسـل
مـا دمت مسـتمسكاً بشـرعته	النـاس فـرع وإنّـني الأصـل
كأنّـني فـي ممـالك كـثرت	قـاضي قـضاة وحكـمه يـعلو
لست أبـيع الحـياة فـي ذهب	ولست عـن غـاية بـها أسـلو
تـقواي لي زيـنة وزهـدي مـن	حـليي كـروض أصـابه الطـلّ
مـن حـوزة المـمكنات مـنعتق	وصـرت صـدراً وغـيري السـفل
بـواجب للـوجود مـتصل	بـدء وجـودي وأحكـم الوصـل

مـن مـبدء الجـود والوجـود رأت روحـي سـرّي شـاهده النـقل
وإنّـني مـصدر ومـبدئه تـصاغ مـنه الأسـماء والفـعل
تـوحيد ربّـي يـم وفـيه جـرىٰ جسـمي سـفيناً ربّـانه العـقل
عـزيز مـصر أنـا أتـاوته لقـيصر مـن ولائـه البـذل
بشـفرة مـن تـوكّلي فـتحت آفـاقنا والجـبال والسـهل
مـا حـاجتي للجيوش أرسـلها رتـلاً يـليه مـن بـعده رتـل
لمـا بـخصري عـقدت مـبتهجاً مـحزم فـقر كأنّـه الحـبل
طـعنت بـالتاج بـله لابسـه وأشـبه التـاج عـندي النـعل
عـنقاء قـاف الوجـود قـد وصـلت قـافاً بـقاف وعشّـها الفـضل
وفـوق هـذا الوجـود مـنبسط بـرحـمة مـن جـناحي الظـلّ
لا يـصل العـقل كـنه مـعرفتي وجـوهري لا يـزيده الصـقل
لأنّ بـحر الصـفات مـوطنه والذات أنّـىٰ يـناله الفـعل
فكـري مـرايـا للـغيب تـجمعه خـزائـن مـن غـيوبه سـجل
وليس رجـماً بـالغيب أطـلقه بـل جـوهر مـن مـناقب مـملو
يـهمي شـئآبيب مـن مـنابعه لا هـو نـزر الحـيا ولا قـلّ
سـوّد بـالغار وجـه حـامله فـقر وفـي الغـار حـمرة تـعلو
فـبان مـعنى كـبريت أحـمره بـجمعنا حـيث يـجمع الشـمل
مـا دمت أمشـي عـلى التـوكّل فـي دربـي سـواء هـبطت أم أعـلو
سـخّر ربّـي فـي العـالمين لنـا كـلّ شـقيّ ومشـيه عسـل[1]

---

(١) العسل: أن تمشي مشياً سريعاً شبيهاً بالعدو وهو من مشي الذئب، يقال: عسل الذئب يعسل عسلاً وعسلاناً.

يزخر قلبي ببحر معرفة ... قد زانه بالنفائس القول
أطراف هذا الوجود عاطرة ... من نفسي بالطيوب منهلُّ
كأنّما العالم المحيط بنا ... روض بصوب الغمام مبتلُّ
مجمري الصدر فيه متّقد ... يوقد ناراً بباطني الجزل
ذرّات هذا الوجود كاتبة ... منّي علماً يمحىٰ به الجهل
إنّ السما دفتر وتربتنا ... يزينها الفصل بعده الفصل
هذا كتابي علا فدان له ... كتاب «ماني» فصعبه سهل
وإنّني القطب وسط حيّكم ... والطود أنّىٰ يخيفني القتل
يأجوج مهما غلت شقاوته ... سدّي رفيع ممنع عبل
قد ملكت همّتي وما قصرت ... شرقاً وغرباً وجمعي القلّ
لكنّني قانع بما ملكت ... كفّي ولما[1] يقعد بها البذل
قناعتي الحلّ ليس يخذلني ... لقانع طاب محتوىً جلّ
أفتح لترع الأقمار في فلك ... في الليل عيناً كأنّها فلّ
البحر خمر ودنّه فلك ... والنجم شمع وشمسنا النقل
صفات موسى لا يرتضي بقراً ... تعبد دون الإله أو تغلو
حتّى ولو كان عجلها ذهباً ... قد هزلت حين يعبد العجل
لو منّت الشمس في أشعّتها ... لما سعت نحوها لنا رجل
وما نظرنا لنور غرّتها ... عين تراها كذا لها السمل[2]
لو حمل الأفق ثقل منّتها ... لما سعى النور فيه والظلّ

---

(١) من الحروف الجازمة.

(٢) السمل: فتق العين.

تركت هنداً[١] ونتن صاحبها إذ ليس لي صاحب ولا أهل
شعيرة في يديّ تفضلهم أو حبّة قد رمى بها الرمل
كجيفة والكلاب تطلبها دنياً بها يستذلك النذل
ليسوا كلاباً حلّوا بساحتها وهم لأدنى من ذلكم أهل
الدهر صفر والصفر ليس له حلّ به يرتجى ولا بلّ[٢]
مالي أمام الفراغ منتظر يأتي ربيع ويجمع الشمل
أصغر من ذرّه أكون إذا لم تك شمس لهمّتي تجلو
حارس[٣] هذا الوجود في نظري كذرّة ما لوزنها ثقل
في حيث بحر لهمّتي اصطخبت أمواجه فهي بينها ذحل[٤]
تعرف برّي مقدار رقعته ينبيك وصل الخضم والفصل
إن كنت كالأرض مفلساً فلقد كنت سماءاً وكنزها الوبل
بيت قصيدي يشعّ في غزل عروضه من خواطري غزل
خمس بلاد بلحنه سعدت بل سبعة بالكنوز تعتلُّ
حفّ بي النجم مثل جيبي[٥] والأ فلاك من فوق منكبي تعلو

---

(١) تركت الهند وملكها.

(٢) حلّ وبل: البل الشفاء وتنسب الكلمة إلى عبدالمطّلب، فبل شفاء من قولهم بلّ فلان من مرضه.

(٣) وردت في الشعر كلمة «مهر» وهي عندهم اسم ملاك وتدبير أُمور شهر (مهر) وينسب إليه الثواب والعقاب. راجع المعجم الذهبي ص٥١٥ فرأيت أن أُترجمه بحارسي الوجود لأنّي لم أعثر على كلمة ترادفه.

(٤) كأنّ بين الأمواج ذحلاً: الذحل الحقد والعداوة، يقال طلب بذحله أي بثأره، لأنّ الأمواج يضرب بعضها البعض الآخر.

(٥) جيب القميص: طوقه.

أسطع عطراً والنور منطلق شمع مضيء معنبر جثل[1]
في مرفاي يأمن السفين وذا شراع أمني في ظلّه فضل
من كان من حيدر على صلة وهو ظمئ «وكوثر سيل»
لا مرحباً بالملوك كلّهم إلّا امرئ من صفاته العدل
إنّ أمير الولاء حيدرة فنحن وهو اليعسوب والنحل
مليك هذا الوجود سيّده في عنق كلّ امرئ له طول
تراب أقدامه أطول به على السماكين ماله مثل
به نداوي الضنا فيبرئه وهو تراب لعيننا كحل
إن صافحت جبهتي لعتبته وسادتي أعين السما النجل[2]
ذكاً وسادي ومرقدي الفلك الأعلى وحولي البروق تستلّ
فمن أنا كي أنال حبّهم يكفي بأنّي لقنبر نعل
أرغم بالقول أنف شانئه الفرض عندي الإمام والنفل
لا أختشي منكراً وصاحبه الصعب في ظلّ حيدر سهل
لطهر أُمّي حبّي لحيدرة وآله النجب شاهد عدل
من كان تهفو لهم إرادته فهو حبيبي وأهله الأهل
كذاك من يبغض الوصي فلا كان أبوه لأنّه نغل
أبغضه في الورى وألعنه له بقلبي البغضاء والغلّ
وإنّني عبد من يساعده جيش العدى هارب ومنحلّ
من لنبيّ الهدىٰ كحيدرة لا بعده مشبه ولا قبل

---

(١) الجثل والجثيل كأمير من الشجر والشعر الكثير الملتف وشبّه الشمع بالشعر الملتف.

(٢) يعني وسادته النجم.

ولست أرضى قولاً يفوه به   من قال فينا[1] لأحمد مثل
كأنّني مادحاً لحيدرة   مزجت ريقي بما جنى النحل
إنّي عبد ولست أعبده   في الله لي عن جنابه شغل
لو سمع المشركون مدحته   لآمنوا كلّهم وما ضلّوا
عندي لخصمي يوم القتال يد   كالسيف يفري ومقولي الفصل
أرمي بأعناقها وأنثرها   في الأرض نثراً كأنّها النمل
أحرق أكبادها بشقشقة   تسير في القوم حيثما حلّوا
إنّ سليمان من مضيقه   أرضته رجل الجراد لا الرتل
فلا تخيّب رجاء ملتمس   أوقفه عند بابك «العقل»
ولو علاني تراب أرجلكم   لكان لي في العوالم الفضل
يا ساقي الحوض برد كوثره   لعبدك العلّ منه والنهل
هيا اسقني شربة على ظمأ   تحلو ومن كلّ شائب تخلو

وقال من قصيدة أُخرى:

چنانكه هست فلک را دوازده تمثال
كه آفتاب بر آن دوره مى‌كند مه و سال
بر آسمان ولايت دوازده برج‌اند
چو آفتاب نبوّت همه در اوج كمال
قضا چو آينۀ روح احمدى مى‌ريخت
بريخت زآينۀ او دوازده تمثال

---

(١) أي نحن البشر.

مثل دوازده ماه و دوازده کوکب
به آفتاب نبوّت نموده استقبال
ستارگان سپهر ولایت شرف‌اند
که ایمن‌اند ز نقصان احتراق و وبال
سپهر فضل و شرف هر یکی به استغنا
جهان علم و عمل هر یکی به استقلال
مصدران ولایت که جبرئیل امین
بود بحرمتشان مفتخر بصفّ نعال
شهان بی‌سپه و خسروان بی‌شمشیر
ملوک بی‌حشم و اغنیای بی‌اموال
مجاوران صوامع‌نشین عالم قدس
مقرّبان سراپردهٔ جمال و جلال
فرشتگان زمین‌اند زانکه نگذشتست
خطا و معصیت و کفر و ظلمشان بخیال
هر آنچه حکم کنند از اوامر ملکوت
ملایک از پی آن می‌روند باستعجال
نگین دولتشان مهر دفتر ارزاق
مطیع رایتشان میر لشکر آجال
زآفتاب نبوّت صدور این انجم
مثال صورت تفصیل آمد از اجمال

ازيـــــن دوازده بـــرج و دوازده خـــورشيد
عـــليست مـــهر ســـپهر كـمال و مـطلع آل
عـــلى است آنكـــه بكـنه حـقيقتش نـرسد
بـــغير ذات خـــداونـــد ايـــزد مـــتعال
بصورت ارچه كه بحريست او بگوهر فضل
وليک هست در او بـــحرهاى مـــاالامال
فـــلک چـــو قـــدر كـمالات او بـپيمايد
فـــلک مشـابه كـيل آمـد و مـلک مكـيال
بگـــاه حكـمت و دانش هـزار چـون لقـمان
بگـــاه زور و شـــجاعت هـــزار رسـتم زال
نگـــفته سـهو نـديده خـطا نـخورده حـرام
نـــبرده دست بـــر كس نكـــرده ردّ ســـؤال
كـــند تـصوّر مـثلث خـيال و گـويد عـقل
زهـــى تـــصوّر بـــاطل زهـى خـيال مـحال
كـمال و فـضل عـلى را چـه حـاجت تـعريف
كـــه هست يـــوسف مـــا را جـمال او دلّال

تقريب المعنى بالعربيّة:

كـما حـلّ فـي الفـلك الدائـر بـــروج تــلألأ للـناظر
هـي العشـر واثـنان مـعدودة تـــدور بـها الشـمس للآخـر
تـمرّ السـنون عـلى شـمسنا لهـا البـرج كـالوكر للـطائر
سـماء الولايـة تـزهو بـها وقـد أشـرقت بـالسنا البـاهر

لشمس النبوّة في أوجها	تتمّ كبدر لها زاهر
ومرآة روح نبيّ الهدى	تشعّ بتمثالها السافر
وإن شئت تعرف كم نيّر	تجلّى على أُفقها الطاهر
فهاك اجعل اثنين مع واحد	ثلاثاً وعُدّ إلى العاشر
ستبدو البروج وأقمارها	وشمس النبوّة للناظر
وأُفق الولاية مأوىً لها	بدون محاق لها ساتر
وبالفضل زانت أديم السما	وبالنور والشرف الغامر
وما فخر جبريل إلّا بهم	وكانوا هم الفخر للفاخر
ملوك بلا فيلق تابع	كماة بلا صارم باتر
وليس لهم خدم تتّقىٰ	غنىً ليس بالذهب الساخر
صوامعهم عند عرش الإله	روى القدس من روحهاالعامر
ملائكة الأرض ما أذنبوا	ولا قارفوا زلّة العاثر
وما مارسوا الظلم في فعلهم	ولا نالهم دنس الكافر
من الملكوت جرىٰ حكمهم	أوامر للملك الحاضر
بخاتمهم طبع رزق العباد	فينزل للبعض والسائر
ولولاهم عند نزع النفوس	لم يك عزريل بالقادر
وشمس النبوّة إذ أطلعت	نجوماً بلألائها الظاهر
كمختصر النور لمّا انجلت	شموس بتفصيلها الوافر
بدىٰ في الشموس التي أشرقت	أبو حسن بالسنا الزاخر
يقود الشموس لأبراجها	من الكابرين إلى الصاغر
ولم يدن من كنهه عارف	سوى خالق عالم قاهر

هـو البحر في قاعه لؤلؤ فهل يقسم الدرّ للعابر
سوى أن يغوص بقيعانه وأنّىٰ لذي النفس القاصر
ومن ذا يعدّ كمالاته من أوّل الشوط للآخر
أتقدر تحصيه إمّا همىٰ من السحب قطر الحيا الهامر
وألف كلقمان في بابه عليه بدت دهشة الحائر
وكلّ شجاع إذا ما رآه رأى الصقر يعلو على الطائر
فلم يسهو كلّا ولا أخطأ الحقيقة في علمه الظاهر
ولا مدّكفّاً لنيل الحرام ولم يك في الفعل بالوازر
وجلّ عليّ عن المدركين فسبحان خالقه الفاطر
ولست مطيقاً لتعريفه ولو جئت بالشاعر الناثر

وفي هذه القصيدة أيضاً يمدح الإمام الرضا عليه السلام فيقول:

هر آنچه عقل كل از فهم او فرو ماند
زمشكلات ضمير تو باشدش حلّال
وبال و وزر عدوى تو حمل نتواند
اگرچه گاو زمين باشدش مثل حمّال
چو اشتران قطارى كشند در دوزخ
مخالفان تو را در سلاسل و اغلال
ترازوئى كه درو بار طاعت تو كنند
ابو قبيس نسنجد درو بيک مثقال
بتارک علمت گوئيا مشابه بود
كه در جهان علم عيد گشته است هلال

نان منوّرم از پرتو رضا که اگر
گرم زنند همه نورم آید از قیفال
حدیث معرفت او بمردم نا اهل
همان حکایت آبست و قصّهٔ غربال
بهادیان هدی اقتدا کن آذریا
مباش پیرو آنها که می‌کنند اضلال
مرو زراه یقین در قفای اهل گمان
زمام عقل دریغ است در کف جدّال
کلاغ مهره مکش در جواهر نبوی
که نیست پایهٔ اشراف در خور ارذال
طریق خاص گزین و ببر زصحبت عام
که صوم عیسی خوشتر زصحبت دجّال
چه سود با محک عقل لاف صرّافی
ترا که باز ندانی زر طلا از تال
تو دُرِ پاک زدریا طلب نه از چشمه
نسیم مشک زعطّار جو نه از بقّال
کسی بسندس و استبرق بهشت رسید
که صوف و اطلس ناجنس را شمارد شال
به اهل بیت نبی اقتدا کن ار مردی
زمفلسی مکن اندیشه و زمال و منال

که حال صاحب مال و منال مختلفست

همیشه در حرکت مختلف بود ذو مال

تقريب المعنى بالعربيّة:

كَلّ عن فهمه عقول الأنام — وبه نستجير وهو الحامي
نعرض المشكلات قد شغلتنا — عنده ناظرين حسن الختام
وإذا بالمشاكل الهوج تندكّ — كما انجاب مكفهرّ الغمام
قرّبتنا محبّة ووداد — وصلتنا من الجدود العظام
فسعدنا بها على رغم شأن — مبغض لم ينل سوى الإرغام
لو وضعنا أوزاره فوق — ثور الأرض ما كان قادراً لقيام
سوف يقتاد شانئيه عذاب — كقطار إلى الجحيم الحامي
ولو أنّ الميزان توضع فيه — طاعة منك في المقام السامي
كان فيه أبو قبيس كذرّ — رفعته الرياح بين الرغام
غرّة منك أفصحت عن هلال — سابق بالسنا لبدر التمام
ملأت فطرتي بنور إمام — حفظت فيه بيضة الإسلام
وسرى النور جارياً في عروقي — مثل نبع جرى بماء الغمام
علمه للبغيض يشبه ماءاً — في إناء به كثير مسام
أيّها السائر المغذ بدرب — ضاع فيه الورى كثير الزحام
إن أردت الهدى فسر خلف — أهل البيت مستمسكاً بهدي الإمام
ودع الكفر والضلال لأهليه — ولا تركبنّ متن الظلام
كلّ من حاد عنهم سوف يصلىٰ — يوم حشر في النار حرّ الضرام
سر بدرب اليقين ثمّ اترك الوهم — لمرءٍ غدا ألدّ الخصام

أســــفاً حـــين تســـلم العـــقل　　دجّـالاً وتـعطيه مـنك فضل الزمـام
وتســـــاوى حـــجارة بـــعقود　　زانـــــها لؤلؤ بـــحسن النـــظام
آل طـه جـواهـر فـي نـحور الحقّ　　مـــثل الســـماء والأجـــرام
فـــاتبعهم تـــفز بـــهم إنّ جـوعاً　　مـــن كـــرام يـزري بـدنيا اللـئام
لا تـــبالي إن حـــاربتك لئـــام　　إنّـــما النـــجح فـي اتّـباع الكـرام
لو يـــحكم بـالتبر شـخص جـهول　　نسب بـــينه وبـــين الرغـــام
فـــاطلب الدرّ فـــي البـــحار ودع　　مـجرىً ذمـيماً بآس المـاء طـامي
واطـــلب المسك عـند ظـبي تـجده　　مـا حـوى المسك نـاهق في السوام
يـــحقر الصـــوف والحـرير أُنـاس　　لبســـوا مـــن دمـقس دار السـلام
كـــلّ مـــن يـــقتدي بـعترة طـه　　نـــال عـــند الإله خـــير مـرام
ودع المـــال إنّ مـــن يـجمع المـال　　يـــعش دهـــره عـــلى الأوهـــام
يشـتهي الخـلد فـي الحـياة ولكـن　　مـــا الحـــياة الدنـــيا بـدار مـقام

وله قصيدة أُخرى يقول فيها:

هر ره كـه در طـريقت اهـل سـلوك نـيست
غير از طـريق مـرتضوى نـيست جـز ضـلال
آنى كه در امامت تـو شكّ و شـبهه نـيست
در عـــالم يـــقين نـــبود جـاى احـتمال
مـــدّاح اهـــل بـــيت نـــبى آذرى مـــنم
چـون طـوطى شكّـر شكـن شكّـرين مـقال
هـــركس زنـــد دست ارادت بـــدامـــنى
دست مـــنست و دامـن پـاك عـلىّ و آل

تقريب المعنى بالعربيّة:

إذا ما طريقة أهل السلوك تخطّت طريقاً فلم تمش فيه
ولم يك للمرتضى مسلكاً فدعه فذلك مسلك تيه
إمامته الحقّ ما شكّ فيها ولا مازج الريب قلب الوجيه
يقين فهل في اليقين ارتياب إلّا لفدم رقيع سفيه
وها أنا في مدحهم بلبل جرى المدح شهداً شهيّاً بفيه
إذا مدّ شخص إلى حجزة يميناً لينجو بها في المتيه
فإنّي أمدّ إلى حيدر وأولاده كفّ عبد بنيه
وأمسكت حجزتهم للنجاة بيوم يفرّ أب من بنيه

ويقول في قصيدة أُخرى مطلعها البيت التالي:

نهنگ صبح چو بر کرد سر زلجۀ نيل
کشيد دست سحر خلعت پلنگ از پيل
کراست بن عم و داماد زانبيا چو على
بعلم و فضل جليل و به اصل و نسل اصيل
اگرچه کرد خلافت بسى بقيل و بقال
ولى کمال على را نه قال بود و نه قيل

تقريب المعنى بالعربيّة:

ومن كعليّ للنبيّ محمّد هو النفس وابن العمّ والأخ والصهر
وفاز بعلم لم ينل مثله امرئ وفضل جليل خصّ في نيله الطهر
وفي نسب سام وأصل مكرّم وقد ضمّه والمصطفى الفرع والجذر
وفي حكمه أشقى الإله جماعة كما شقيت في مدية الذابح الجزر

فــإن أحــدثوا قــيلاً وقــالاً بــحكمه فــما جــهلت يــوماً مــناقبه الكـثر

ويقول في قصيدةٍ أُخرى:

مــقتدای خــلق بــعد از انــبيا پــيداست کـيست
ســرور مــردان و شــاه اوليــا پــيداست کـيست
صــاحب تــيغ و لوا و نــاصر اســلام و ديـن
خويش و پيوند و وصیّ مـصطفی پـيداست کـيست
ور بــتشريف از کــلام الله مــی آری دليــل
حــلّه‌پوش «هــل أتـی» و «إنّـما» پـيداست کـيست
رهــروان راه جــنّت را ازيــن رحــلت ســرا
کــاروان ســالار اقــليم بـقا پـيداست کـيست
ور زتــمکين و ســخا و جـود مـی‌گوئی سـخن
کــوه حــلم و مـوج دريـای عـطا پـيداست کـيست
ور زقــرب حـضرت و عـلم قـدر رانـی سـخن
وارث گــنجينهٔ ســرّ قــضا پــيداست کـيست
صاحب «لا سيف» بر اربـاب ديـن پـوشيده نـيست
قــابل تشـريف قـول «لا فـتی» پـيداست کـيست
در حــرم هــچون خـليل الله گشـته بت‌شکـن
آنکــه بــر دوش نــبی بـنهاد پـا پـيداست کـيست
در مــقامی کــانبيا و خــلق درمــانده بـخود
روز محشر حـامی جـرم و خـطا پـيداست کـيست

آنکه بعد از مصطفی کرد او خلاف اهل بیت
دشمن ذریهٔ خیر النسا پیداست کیست
روبهانند آنکه بهر جیفه حیله کرده‌اند
در میان روبهان شیر خدا پیداست کیست
شرط امّت با نبی بُد عهد کردن را وفا
بعد ازو با اهل بیتش بیوفا پیداست کیست
جمله اهل بیت در بند سرای دیگرند
آری انر بند این محنت‌سرا پیداست کیست
من محبّ آل عمرانم خلاف خارجی
واندرین دین صادقم قلب و دغا پیداست کیست
مؤمنان را غیر از این عالم سرای دیگرست
زاهل عالم بستهٔ این تنگنا پیداست کیست
کیست ممدوح تو گفتی گر نمی‌دانی بدان
آفتاب دین علیّ مرتضی پیداست کیست
صد هزاران مرشد و هادی و پیر و رهبر است
زینهمه هادی و رهبر پیر ما پیداست کیست
شهریارانند اولاد و متابع چون رئیس
در حریم شه رئیس و رهنما پیداست کیست
گر رود اینجا بسی دعوی باطل باک نیست
در شریعت قاضی روز جزا پیداست کیست

یــا امــامان، مــا شــفاعت خــواه عــزّ و ذلّــتیم
حامی مـا روز مـحشر جـز شـما پـیداست کـیست
دیگـــران مـــثل سُـــهایند و شـــما بـــدر مـــنیر
هـر کـجا بـدر مـنیر آیـد سـها پـیداست کـیست

تقریب المعنی بالعربیّة:

بـصدق لكـلّ سـئول بـدیٰ وراء الرسـول مـن المـقتدیٰ
كـذلك مَـن هـو مـولی الوریٰ وكـان المـقدم والسـیّدا
له إمـرة الحـقّ فـي الأولیـاء فـذاك أبـو الحسـن المـقتدیٰ
له ذوالفـقار وفـي كـفّه لواء النـبيّ یـغیض العـدیٰ
وصـيّ النـبيّ وذو رحـمة وفـي الحرب نـاصر دیـن الهـدیٰ
وفـي هـل أتـیٰ مـن كـلام الإله له حـلّة الحـقّ فـیها ارتـدیٰ
یـقود الأنـام إلی جـنّة ویسكـنهم عـیشها الأرغـدا
وإن كـنت تسأل عـن جـوده أو البـحر مـن مـنهما الأجـودا
لقـد سـبق البـحر فـي جـوده وأنسـیٰ بـه مـوجه المـزبدا
وتـبدو الهـضاب إلی حكـمه كـقصف الرعـود ورجع الصـدیٰ
وعـن عـلمه إن سألت الخـبیر سـینبیك إن كـنت مسـترشدا
لقـد ورث الطـهر سـرّ القـضاء وعـلم النـبیّین مـن أحـمدا
وفـاق النـبیّین فـي عـلمه الكـثیر وفـي فـضله والنـدیٰ
ولا سـیف جـبریل نـادی بـها وفـي لا فـتی صـوته ردّدا
وكسّـر فـي البـیت أصـنامه وطـهّر مـن رجسـها المسـجدا
كأنّ الخـلیل أتـیٰ ثـانیاً إلیـنا ولم یـخلف المـوعدا

ومن حوله اجتمع المخطئون ليـنقذهم من مهاوي الردىٰ
وفي الحشر يقصده الأنبياء وخلفهم الناس كي ينجدا
وإنّا لنعرف أهل الخلاف ونعرف من منهم المفسدا
وذلك بعد وفاة النبيّ إذ الناس قد قدّموا الأبعدا
فكشّر في وجه خير النساء ناباً له أهتماً أسودا
فكانوا الثعالب قد جمعت على جيفة تنتن المشهدا
ومن أسد الله يخشونهم لو لم يكونوا له حسّدا
وللمصطفى ما وفت أُمّة وظلّت تراقب فيه الردىٰ
فخانوا بأهليه من بعده وضاعت وصاياه فيهم سُدىٰ
وذاقوا المصائب من أسرهم سوى من أُصيب ومن شرّدا
ونحن عرفنا الذي خانهم ومن غضّ من قدرهم واعتدى
وإنّي غدوت محبّاً لهم وإن لام ذوالغدر أو فنّدا
وأطمع في عالم آخر أفوز به وأنال الجُدا
وإن كنت لم تدر من ذا مدحت ونلت بمدحته الأسعُدا
هو المرتضى شمس دين الإله و من ظلمة الشرك قد بدّدا
رضيناه من بين هذا الورىٰ إماماً لنا هادياً مرشدا
وفي الناس يعرف قدر الرئيس وفيهم فواضله تجتدىٰ
ومن يتسنّم مقاماً له فسوف يضيق عليه المدىٰ
ويا سادتي إنّني طالب شفاعتكم لذنوبي غدا
تعدّ غداة غد منكم لتكسو بها حقلي الأجردا
وإنكم البدر أمّا السُهىٰ يضيع بأُفق السما إن بدى

وليس السُهىٰ مثل بدر منير فهذا الضلال وذاك الهدىٰ

و يقول في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

سوراخ مى‌شود دل ما چون گل حسين هرجا كه ذكر واقعهٔ كربلا رود

گر خلق را خداى بگيرد به اوليا ترسم كه اين معامله با انبيا رود

يمزق قلبي إن ذكرت بكربلا حسيناً وقد واراه بالسيف كافر

ولو سكت الرحمن عن أوليائه لقام إلى قتل النبيّين آخر

ولا يخفى على القرّاء والناظرين بهذه الأوراق أنّ دولتشاه صاحب التذكرة المذكورة مع كونه سمرقنديّاً وإنّه من أهل ماوراء النهر وقد كتب كتاب «التذكرة» للأمير علي شير الشهير قد خصّ فصلاً من الكتاب وقد مرّ سلفاً في نعت الآذري والتنويه به وتعريفه ولكن عبدالرحمن الجامي لشدّة عصبيّته الجاهليّة وعداوته الدينيّة لحضره الشيخ واستيائه من حبّة لأهل البيت النبوي الذي يعمّر فؤاده لم يترجمه في كتاب «النفحات» المذكور وصرّح بعداوته في بهارستان وقال فيه: ومن شعراء خراسان الآذري الإسفرايني، وفي أشعاره طامّات كثيرة، وليس خافياً على من تتبّع أحوال ومقامات الشيخ العظيم ونظر في أشعاره الحاوية للحقائق والدقائق وطالع آثاره فإنّه سوف يرى أنّ رتبة فضيلة الشيخ وكرامته أسمىٰ من نسبة الطامّات إليه، أورد شعره إلى الدرجة التي توقّف كثير من الفضلاء في ترجيح شعر «أمير شاهي» عليه الرحمة الذي سلّم له أهل العالم على شعر الشيخ، و فكّروا في تعديل هذا الرأي.

وقد جرى سؤال من أحد الكبراء عن النسبة بين شعر الشيخ وشعر «أمير شاهي» ولكنّه بعد التأمّل الطويل لم يجرأ على التصريح بالنسبة ولكنّه عمد إلى شطر من شعر الشيخ لطيف سهل ممّا يدلّ على مذهبه في تفضيل الشيخ فضمّنه الشعر الذي أجاب به السائل:

ای که گفتی صفت آذری و شاهی کن — حلّ این نکته برونست زآگاهی ما
آذری مجمع اسرار کلام ازلست — در نیارد سر اندیشه بهمراهی ما
لیک خود در سر دیوان غزل می‌گوید — چرخ بر دوش کشد غاشیهٔ شاهی ما

أيّـها ذا الذي سألت عن النسبة — ما بين آذري وشاهي
إنّ هذا التمييز بين الأديبين — بعيد عن فهمي المتناهي
آذريٌ كلامه مجمع الأسرار — عقد يقاس بالأشباه
وهو في الشعر إذ تغزّل قد — قال مجيباً لمن أتى بالدواهي
حمل الدهر ثقل غاشية — جلّت على ظهره العريض لشاهي

الصدر في البيت المذكور على وجه وارد في أوّل الديوان من أوّل غزل صاحب القطعة و هو كما يلي:

گر کند بدرقه‌ای لطف تو همراهی ما — چرخ بر دوش کشد غاشیهٔ شاهی

إن كان لطفك في المسرى بصحبتنا — فرحلنا الفلك الدوّار يحمله

ثمّ إنّ المتتبّع لكلام الشيخ آذري يتّضح له أنّ منطقه نقيّ من طامّات المتصوّفة نظير عبدالقادر الگيلاني والشيخ «جادو» «السحر» و «سبع الشعوذة» النقشبند الذي أخذ بـ«الجامي»[1].

ومن طامّات الشيخ عبدالقادر المذكور الذي تقبّلها الجامي بأحسن القبول وكان شأنه شأن أتباعه ومريديه وبذل القوم في شرحها وإصلاحها تأويلات فاسدة وتوجيهات كاسدة ما نقله عنه صاحب العوارف وكان يقول في مدرسته ما يلي:

(١) الترجمة لهذه الأسماء غير دقيقة لأنّ مولانا المؤلّف لم يفصح في عبارته إن كانت هذه الأسماء هي الأعلام أم صفاتها.

كلّ ولي على قدم نبي وأنا على قدم جدّي، ما رفع المصطفى قدماً إلّا وضعت في الموضع الذي رفع منه الأقدالم من أقدام النبوّة فإنّه لا سبيل إلى أن يناله غير نبي..

وكذلك نقلوا عنه القول التالي:

أنا نار الله الموقدة، أنا سالب الأحوال، بحر لا ساحل له، أنا المحفوظ، أنا الملحوظ، يا صوّام، يا قوّام، يا أهل الجبال، دكّت جبالكم، يا أهل الصوامع هدمت صوامعكم، أقبلوا أمراً من الله، أنا أمر من الله، يا رجال، يا أوتاد، و يا أبدال، و يا أطفال، هلمّوا واحذروا عن البحر الذي لا ساحل له، أنا الناظر في اللوح المحفوظ، أنا الغايص في بحار علم الله ومشاهداته، أنا محبّه، أنا نائب رسول الله ووارثه في الأرض.

وقال أيضاً: أنا أفضل مشايخ الجنّ والإنس جميعاً، وبيني وبين الخلق بعد بعيد كما بين السماء والأرض.

وقال: سلّمت لي الأرض شرقاً وغرباً، سكنى وغير سكنى، برّاً وبحراً، سهلاً وجبلاً، كلّهم يخاطبوني بالقطبيّة.

وقال: أنا من وراء أُمور الخلق وعقولهم رجال الله إذا وصلوا إلى القدر أمسكوا فإذا وصلت إليه دخلت فيه فنازعت أقدار الحقّ بالحقّ للحقّ.

وقال: أنا سيّاف، أنا قتّال، أنا أعلم ما في بطنكم وظاهركم، وأنتم في نظري بين يديّ كالقوارير.

وقال: أُعطيت الآن سبعين باباً من العلم اللدنّي سعته ما بين السماء والأرض.

وقال: ما من وليّ إلّا ويحضر في مجلسي الأحياء بأبدانهم، والأموات بأرواحهم، سبحان الله!

مثل هذه الطامّات الظاهرة والصلف الباهر من الشيخ عبدالقادر لا تعتبر طامّات عند الجامي وأمثاله، وهو يعدّ في سلسلة أكابر أهل التصوّف. وأمّا الشيخ آذري المسكين الذي يمدح أهل البيت عليهم السلام بما يقول وكلامه في حدود بيان حقائق المعارف لا يتجاوزها وهوعارٍ من دعوى الرعونة يراه الجامي من الطاعات ويعدّه خارجاً من تلكم السلسلة، من هنا حكم على الجامي كبار أهل الإنصاف بالنصب لأنّهم استشعروا منه ذلك بناءاً على ما شاهدوه من مواقفه العدائيّة تجاههم، فأنكروا عليه ذلك باستمرار حتّى قال المير حسين اليزدي الشافعي في هجوه هذه القطعة:

آن امام بحق وليّ خدا — أسد الله غالبش نامى
دو كس او را بجان بيازردند — يكى از ابلهى يكى از خامى
هر دو را نام عبدالرحمانست — آن يك ملجم آن دگر جامى

هو الإمام بحقّ — لولاه ما كان مسلم
وليّ ربّ تعالى — عليه صلّ وسلّم
آذاه شخصان كلٌّ — من الخبيثين مجرم
فالأوّل النذل جامي — وبعده نغل ملجم
واسم الخبيثين عبد — الرحمن للقلب يؤلم

الشيخ المحقّق المرضي رضي الدين علي لالا رحمه الله

سيّد أهل الحال وعبد العترة والآل، ولمّا كان عمّه الشيخ السنائي كان قريباً غير نائي ومحبّاً فدائي، لاجرم أن يكون نقش خاتمه الثمين بل حرزه اليقين هذا البيت الذي هو للإخلاص قرين:

در بندگی تـو آنکـه یکـتاست لالاي عـــلي عـــلي لالاست

قال غوث المتأخّرين السيّد محمّد النوربخش نوّر الله مرقده ومشجّره عند ذكر الشيخ وهو عليّ بن سعيد الجويني﷬. كان أوحد الأولياء في زمانه بكثرة المجاهدة والرياضة، وترك الدنيا وزينها، سافر كثيراً راجلاً، وصحب مأة وثلاث عشر (كذا) شيخاً حتّى وصل إلى صحبة أبي الجناب نجم الدين الكبرى سيّد المرشدين، سكن «فراين» وتوفّي بها.

وذكر صاحب «النفخات» أنّه لبس الخرقة من مأة وأربعة وعشرين شيخاً كاملاً مكمّلاً، وبقي بعد وفاته مأة وثلاث عشرة خرقة. وسافر إلى الهند ونال صحبة أبي الرضا «رتن» وأخذ منه أمانة عهد بها رسول الله إليه، كما صحّح ذلك الشيخ ركن الين علاء الدولة وقال إنّه صحب الشيخ رضي الدين علي لالا صاحب رسول الله ﷺ أبا الرضا رتن بن نصر الله ﵁ فأعطاه مشطاً من أمشاط رسول الله ﷺ فعمد الشيخ ركن الدين علاء الدولة إلى ذلك المشط فطواه في خرقة ووضع تلك الخرقة في قصاصة ورق وكتب عليها بخطّه المبارك: هذا المشط من أمشاط رسول الله ﷺ وصل إلى هذا الضعيف من صاحب رسول الله ﷺ، وهذه الخرقة وصلت من أبي الرضا «رتن»[1] إلى هذا الضعيف. وكتب الشيخ ركن الدين علاء الدوله بخطّه المبارك: هكذا يقولون أنّها أمانة للشيخ رضي الدين علي لالا من حضرة رسول الله ﷺ (وهذه الرباعيّة من أنفاسه القدسيّة منقول (كذا) من خطّ يده).

(١) رتن شخص معمّر هندي زعم هو أو زعموا له أنّه عاصر رسول الله ﷺ ورآه وسمع حديثه وقد بقى حيّاً إلى القرن السابع الهجري، هكذا زعموا، وقد ردّه جلّ المسلمين.. الخ. قال ابن عبدالبر: رتن الهندي الذي ادّعى في المائة السابعة أنّه أدرك الصحبة فمقته العلماء وكذّبوه/ الاستيعاب حرف الراء..

(رباعيّة)

هم جان بهزار دل گرفتار تو است
هم دل بهزار جان خريدار تو است
اندر طلبت نه خواب بايد نه قرار
هركس كه در آرزوى ديدار تو است
هي الروح قد أسرت في هواك
وحامت قلوب بسبطحاتها
هو القلب رفّ على حيّكم
نظير الذماء بحوبائها
وكيف تذوق القلوب الرقاد
وأنت امرئ في سويدائها

توفّي قدّس الله روحه في الثالث من ربيع الأوّل سنة اثنتين وأربعين وستّمائة.

تنبيه: لا يخفى أنّ علماء السنّة والجماعة بخاصّة الحشويّة أصحاب الحديث كالذهبي النحس والمتعصّب المردود، قدحوا في أبي الرضا المذكور قدحاً زائداً حتّى أنّ الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال بذل الغاية في العصبيّة بصفة غير مستقيمة واعتبره كذّاباً دجّالاً، وباعثهم على هذا الطعن أمران:

الأوّل: أنّ أبا الرضا هذا شيعيّ العقيدة وأكثر أحاديثه المرويّة في مناقب أهل البيت عليهم السلام ومدح شيعتهم.

الثاني: أنّ معاصريه اتخذوا رواية الحديث وتدارسه وسيلة لرفع المنزلة والشأن والاعتبار، واجتماع الناس عليهم، فلمّا ظهر هذا الرجل كسد سوقهم وفسد متاعهم وخربت بضاعتهم التي كانت لهم من قبل لأنّ المحدّث إن كان من الصحابة ويروي مباشرة عن رسول الله فإنّ الناس إليه أميل، عن من يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله بوسائط متعدّدة أعزل. مِن ثَمّ مال الناس إليه وتركوا من عداه، فأثار شحنائهم وأوقد نار بغضائهم.

لعمر أبيك ما نسب المعلّى
إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكـنّ البـلاد إذا اقشـعرّت وصوّح نبتها رُعِيَ الهشـيم[1]

سلطان المتألّهين الشيخ أمير ركن الدين علاء الدولة أحمد بن محمّد البيابانكي قدّس الله سرّه العزيز

من ملوك سمنان، خدم السلطان غازان أنار الله برهانه في سنّ الخامسة عشرة، وأتته جذبة والسلطان يقاتل الأعداء في إحدىٰ معاركه، ثمّ أدرك بعد ذلك في أحد شهور سنة سبع وثمانين وستّمائة في بغداد الشيخ نور الدين عبدالرحمن الإسفراييني في «رباط السكاكيّة» وبقي معه ستّة عشر عاماً، وعمّر مائة وأربعاً وأربعين، وقيل: أضاف إليها مائة وثلاثة وأربعين أُخرى، ونال من فيض الإرشاد درجة بحيث جمع جميع سلاسل المتأخّرين وسمع من لسانه المبارك مضمون هذه الرباعيّة:

هـر رنـد كـه در مصطبه مسكن دارد بـوئى زمـن سـوخته خـرمن دارد
هرجاكه سيه گليم و آشفته دليست شاگرد من است و خرقه از من دارد
كـلّ امـرئ مـتحرّر مـن ديـنه مـنّي وفـيه مـن حـيائي رائـحه
وكـذاك كـلّ فـتىً تشـظّى قـلبه مـن خـرقتي لبس الثياب الواضحه

ولمّا بلغ السابعة والسبعين لبّى نداء ربّه ليلة الجمعة في رجب سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة في برج الأحرار في صوفي آباد، وجاور رحمة ربّه ودفن في حضرة الشيخ جمال الدين عبدالوهّاب، وكان الشيخ أيّام انتمائه إلى حاشية غازان وانتظامه في سلك أُمرائه تعرّف بفعل ضرورة المشهد على مثل الأمير چوبان سلدوز والأمير نوروز، وبما أنّ هذين الأميرين من أُمراء السلطان غازان

(١) الشعر لدعبل قاله في هجاء المعلّى ابن أيّوب. ديوان دعبل ص٢١٣.

من أهل السنّة والجماعة فقد كان الشيخ يتحاشاهما ويعزف عن الحديث معهما ولا يتقبّل ما يعرضانه عليه من الهدايا.

وذكر في كتاب النفحات أنّ الأمير «شوبان» أرسل إليه ذات يوم أرنباً ومعه سلامه الحارّ وطلب منه أن يطهوه ويأكله لأنّه صيد حلال...

فقال الشيخ: ذكّرني ذلك حكاية جرت لي مع أمير نوروز وكنت يومها في خراسان وقصدت زيارة المشهد المقدّس فعلم الأمير بذلك فقصدني ومعه خمسون راكباً وقال: أحببت أن أُقيم معك حيثما تقيم وبقينا هذه المدّة في محادثة إلى أن دخل عليّ ذات يوم ومعه أرنبان وقال لي: أنا نفسي اصطدتهما فتناولهما هنيئاً، فقلت: لحم أرنب وإنّي لا آكله ولا يهمّني من اصطادهما. فقال: ولماذا؟ فقلت: قال الإمام الصادق عليه السلام: لحم الأرنب حرام، إلى آخر القصّة.

نقل صاحب كتاب «الأحباب» مولانا نور الدين جعفر البدخشي قدّس سرّه العزيز وهو من أفاضل المريدين لسيّد المتألّهين الأمير السيّد علي الهمداني قدّس سرّه العزيز وقد حكى عنه أنّه قال: إنّ الشيخ محمّد الأذكاني وهو شيخ الحديث قال له في أثناء الدرس: إنّي منذ أتممت عند الشيخ علاء الدولة «علم السلوك» فقد أجازني بالعودة إلى أرض الوطن فامتثلت أمره العالي، وفي تلك الآونة توفّي والدي الشيخ شرف الدين محمّد بن أحمد الإسفراييني، فقال لي بعض الأصحاب والمريدين: أقم خليفة مقامه واحداً من أصحابه، وقال لي بعضهم: لقد سمعت والدك قال قبل موته: الحمد للّه الذي لم يخرجني من الدنيا حتّى رأيت ولدي وقد تأهّل للقيام مقامي بل اعتبرت مقامه أسمى من مقامي. عند ذلك قال لي ذلك البعض أنّ غرضه من ذكر الولد كبار الطائفة وليس الولد الحقيقي بل الولد المعنوي، ثمّ اتفقوا على اختيار أحدنا من أهل الصفا

خليفة لوالدنا، فتألّمت غاية التألّم بعد ذلك التصريح الواضح من أبي في حقّي، وبعد مخالفة الأصحاب لي فاخترت عندئذٍ العزلة منهم فوضعت مصلّاي على عاتقي ويمّمت شطر صوفي آباد ونويت أن أخدم الشيخ علاء الدولة.

ولمّا بلغت سدّته الرفيعة أظهر من الحفاوة بي واللطف لي ما زادني جذلاً وسروراً، وسألني عن لقائي مع أصحاب أبي، فرويت لي خلافهم عليّ وإباءهم استخلافي بعد أبي، فقال لي بعد أن أشرقت البسمة على شفتيه: إنّ أصحاب أبيك فعلوا بك ما فعله أصحاب النبيّ مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وصدور مثل هذا الكلام ابتداءاً ونقلاً عن أُولئك الأعلام الأربعة وتقريره على وجه القطع والإصرار دليل قاطع وبرهان قائم على تشيّعه كما لا يخفى.

وذكر الشيخ علاء الدولة رحمه الله في رسالته المسمّاة بموضع مقاصد المخلصين ومفضح عقائد المبدعين وهي من رسائله المشتهرة أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحقّ: وقلبه كان على قلبه، ولذلك قال أبوبكر لأبي عبيدة ابن الجرّاح حين بعثه إليه لاستحضاره: يا أبا عبيدة، إنّي أُبعثك اليوم إلى من هو في مرتبة من فقدناه بالأمس، إلى آخر مقالاته. وقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر، وكفى بتصديق ما ندّعي قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبيّ بعدي، وقوله في غدير خم على ملأ من المهاجرين والأنصار: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وهذا حديث اتفق البخاري ومسلم على صحّته.

وما عيب عليه في هذه الرسالة إنّه ذكر وفاة الإمام ابن الإمام محمّد بن الحسن العسكري وذلك من مقولات الخطأ في الكشف كما وقع في مثل ذلك الشيخ محيي الدين وجماعة نم أعلام هذه الطائفة في ادّعاء المهدويّة وخاتم الولاية،

أو أنّ الخطأ واقع في تشخيص محمّد بن العسكر كما ذكر نظير لذلك في النفحات تلويحاً، وفي الحاشية تصريحاً من وقوع الخطأ لملّا نظام الدين الهروي في باب تشخيص الخضر عليه السلام الذي عزي إلى حضرة الشيخ.

ومجمل القول أنّه لمّا اشتهر ركن الدين بصحبة الخضر وكان مولانا نظام الدين يستوضحه عن أحوال الخضر فأظهر منها ما لم يرض به مولانا المذكور، فقال له من أجل ذلك: إنّ ما تذكر هي أحوال خضر التركمان لا خضر الترجمان، يعني بخضر التركمان رجلاً منهم يسمّى بهذا الاسم لا الخضر الذي هو ترجمان وواسطة بين الحقّ والخلق، وقياساً على تخطئة ملّا نظام الدين يمكن القول بأنّ محمّد بن الحسن العسكري الذي أخبر عن وفاته الشيخ ليس محمّد بن الحسن العسكري الذي ولد في عسكر سامرّاء من بغداد بل محمّد بن حسن آخر الذي ولد في عسكر الأهواز أو عسكر مصر، ولم يعيّن عند الشيخ أحد هؤلاء على وجه ملزم قاطع للاحتمالات.

على أنّه ما نسب إليه في هذه الرسالة يعارض ما ذكره في فصل النبوّات، وما يضاف إليها من رسالة بيان الإحسان لأهل العرفان من أنّ المهدي عليه سلام الله وسلام جدّه خاتم النبيّين قد نال النصيب الأكمل والحظّ الأوفر من النطف الثلاث يعني الصلبيّة والقلبيّة والحقيّة من حيث الاعتدال لا غالباً ولا مغلوباً، ولكن كان غائباً وحيّاً فإنّ سببهما تكميل هذه الصفات لكي يبلغ بذلك الحدّ الأوسط ويأمن الإفراط والتفريط، ويثبت على الحقّ وإن لم يظهر الآن فإنّه سوف يظهر حتماً ويبلغ الكمال الذي بلغه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لكي تشمل دعوته العالم كلّه ويكون قطب دائرة زمانه، ويلي مقام السلطنة بعد أميرالمؤمنين عليه السلام، انتهى.

وجملة القول: إنّه وإن لم يستلزم صدق الشرطيّة صدق مقدّمها ولكنّ

احتمال وجود الإمام وغيبته وتقديم هذا الاحتمال على احتمال العدم ناظر إلى ترجيحه لأنّ من جزم بوفاة المهدي لم يسق الكلام على النهج الذي ساقه عليه كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام، وعلى تقدير التسليم بإنكاره لوجود المهدي فإنّ إنكار محمّد بن الحسن العسكري لا ينافي التشيّع لأنّ جماعة من الإماميّة و طوائف الشيعة لا تقول بإمامة اثني عشر إماماً الذين أحدهم محمّد بن الحسن العسكري، لأنّ مناط التشيّع في اعتقاد أنّ الخليفة الحقّ بعد رسول الله ﷺ بلا فصل هو أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما ذكر ذلك في صدر الكتاب، وما دلّ على هذا المورد من روايات صاحب «الأحباب» وعبارة رسالة الشيخ نصّ صريح فيه، ونحن في هذا الكتاب نذكر مطلق الإماميّة ولم نحصره في ذكر الإماميّة الإثني عشريّة، وعلاوة على ذلك ما أثر نصّه سابقاً عنه من أنّه قال في الفلاح: إنّ مروان الحمار أجهل من الحمار بشرايع الإيمان وقد جعل الإيمان وسيلة الوصول إلى الإمارة لا قربة إلى الله وإلى رسوله، ومن يذهب مذهبه ومذهب جحوشه ومذهب معاوية وجروه يحشرون معهم ولا نصيب لهم من شفاعة النبيّ ﷺ.

وكذلك يقول في الفلاح: إنّ معاوية الباغي ومروان الطاغي كلاهما مجبولان على خلاف رسول الله ﷺ وجحوش مروان كذلك.

ولا يخفى أنّ معنى الجرو هو ولد الكلب، ولمّا كان اسم معاوية مشتقّ من عوى الكلب وكان الشيخ يراه من كلاب جهنّم لذلك راعىٰ المناسبة بين الاسم والمسمّى، مِن ثَمّ عبّر عنه بالكلب وعن ذريّته بأولاد الكلب ومثل ذلك يقال في مروان بن محمّد وهو آخر ملوك بني أُميّة وفراعنتهم، ولقّب بالحمار بناءاً على نكتة مذكورة في التاريخ لذلك جانس بين مروان بن الحكم ومروان الحمار هذا

لاتفاق الاسم فعبّر عن أولاده بالجحوش. هذا وإن كانت فروع هذه الشجرة الملعونة من جنس الحمر والكلاب والخنازير وهم الكفرة الفجرة وهذه الحال ظاهرة للعيان من أنّه ما من كلب سنّيّ يتناول معاوية بهذه العبارات بل يرونه أميرالمؤمنين وخال المسلمين، ويرى بعضهم مروان المطرود المردود من الصحابة الكبار وتنازعوا في جواز لعنه وعدمه، وينسب هذا الرباعي التالي بعضهم للشيخ:

هركه بره على عمرانى شد　　چون خضر بسرچشمهٔ حيوانى شد

از وسوسه غارت شيطان وارست　　مانند علا دولهٔ سمنانى شد

ونسب هذه الرباعيّة بعضهم إلى خواجو الكرماني ﷺ وهو من مشاهير المؤمنين وكان من مريدي الشيخ، على أيّة حال فإنّ المطلوب حاصل.

الأمير النحرير الموحّد الربّاني السيّد علي الهمداني ﷺ

ملك همدان وصاحب العقيدة الهمدانيّة، ونعني بها العقيدة التي يعرف بها عليّ عليه السلام ويواليه جميعهم[1]، ولم يتمكّن صاحب النفحات لعلوّ شأن حضرة المير واشتهار أمره بين أفراد هذه الطائفة واستناد جميع متأخّري الصوفيّة من أهل خراسان والعراق وغيرهم إلى حضرته أن يخفي ذكره ويسكت عنه بصورة مطلقة ولكن نزولاً عند عداوته الدينيّة مع حضرته اقتصر على طائفة موجزة من شرح حاله وبيان مقاماته وقال: هو عليّ بن شهاب بن محمّد الهمداني، الجامع بين العلوم الظاهريّة والعلوم الباطنيّة، وله في علوم الباطن مصنّفات مشهورة

---

(١) استعمل سيّدنا الجناس هنا بالفارسيّة فما أمكنت مباراته بها لأنّها جاءت على النحو التالي:
يعنى از همدانند كه على را همه دانند.

مثل كتاب: «أسرار النقطة»، وشرح«الأسماء»، وشرح «فصوص الحكم» وشرح القصيدة الخمريّة الفارضيّة، وغيرها وغيرها.

وكان مريد الشيخ شرف الدين محمود بن عبدالله المزدقاني، ولكن كان يكسب من محضر صاحب السرّ بين الأقطاب تقي الدين علي الدوريستي وبعد وفاة الشيخ تقيالدين عاد ثانية إلى محضر الشيخ شرف الدين وقال: ما الأمر؟ وما الذي تأمرني به؟ فالتفت إليه وقال: آمرك بالسياحة حول العالم، فساح في الربع المسكون ثلاث مرّات وصحب ألف ولي وأربعمائة ولي، وحظي بصحبة أربعة في مجلس واحد، وتوفّي في السادس من ذي الحجّة سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائة بالقرب من ولاية «كسرو سواد» ومن هناك نقل رفاته إلى «ختلان»، انتهى.

وذكر مولانا نور الدين جعفر بدخشي وهو من أفاضل تلامذته في كتاب خلاصة المناقب نسبه الشريف على النحو التالي: عليّ بن شهاب الدين بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن محبّ بن محمّد بن جعفر بن عبدالله بن محمّد بن عليّ بن الحسن بن الحسين بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد عليهم السلام.

وكان يقول [أي الهمداني]: وأتصل بالنبيّ من جهة أُمّي بعد سبعة عشر أظهر، وكان لي خال يُدعى السيّد علاء الدولة وكان من الأولياء، تولّى أمري وأحسن تربيتي وحفّظني القرآن من عهد الطفولة فلم ألق بالاً لأُمور والدي لأنّه كان حاكم همدان وكان يعتني بالسلاطين وأعوانهم.

وكان يقول أيضاً: إنّ الله تعالى أكرمني بالتوفيق لمحبّة آل طه وياسين وأتباعهم، ولم يأذن لي بالاتفاق مع غيرهم.

قال صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ عرض حبّ عليّ وفاطمة وذريّتهما على البريّة

فمن بادر منهم بالإجابة جعل منهم الرسل، ومن أجاب بعد ذلك جعل منهم الشيعة، ومن أجاب بعد ذلك جعل منهم الأصفياء، والله جمعهم في الجنّة[١].

قال ﷺ: من أحبّ أن يحيىٰ حياتي ويموت موتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب وذريّته الطاهرين أئمّة الهدى ومصابيح الدجى من بعده فإنّهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة[٢].

قال ﷺ: لمّا عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وعليّ حبيب الله والحسن والحسين صفوة الله وفاطمة أمة الله، على محبّهم رحمة الله، وعلى مبغضهم لعنة الله»[٣].

وقال ﷺ: إنّ الله جعل لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لا تحصىٰ كثرة؛ فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها لم تزل الملائكة يستغفرون له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر[٤].

---

(١) الشيخ محمّد فاضل المسعودي: الأسرار الفاطميّة ص١٧٣ وإحقاق الحق شرح المرعشي ج٩ ص١٩١ عن خلاصة المناقب وفي الهامش عن عبدالوهّاب الشعراني في كشف الغمّة ج١ ص١١٠.

(٢) منتجب الدين بن بابويه: الأربعون حديثاً ص٣٣، مناقب ابن شهر آشوب ج١ ص٢٥١، محمّد ابن الحسن القمّي: العقد النضيد والدرّ الفريد ص٧٩، بحار الأنوار ج٢٣ ص١٤٤ وج٣٦ ص٢٦٩، خلاصة عبقات الأنوار ج٤ ص٣٤٢، الموفّق الخوارزمي: المناقب ص٧٦، كشف الغمّة ج١ ص١٠٣، ينابيع المودّة ج١ ص٣٨٣.

(٣) ابن طاووس: الطرائف ص٦٤، المحتضر ص٢٢٢، الصراط المستقيم ج١ ص٢٤٩ وج٢ ص٧٥، محمّد طاهر القمّي الشيرازي: كتاب الأربعين ص٤٧١، الجواهر السنيّة ص٢٦١، البحار ج٨ ص١٩٢ وج٢٧ ص٥١، تاريخ بغداد ج١ ص٢٧٥، تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٧١، ميزان الاعتدال ج٣ ص١١٢ وكتب أُخرى.

(٤) كشف الغطاء ج١ ص١٣، الصدوق: الأمالي ص٢٠٢، روضة الواعظين ص١١٤، بحار الأنوار ج٢٦ ص٢٢٩ وج٣٨ ص١٩٧.

وقال ﷺ: النظر إلى عليّ عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلّا بمحبّة أهل بيتي[١].

وقال ﷺ: والذي نفسي بيده لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسأله عن حبّنا أهل البيت. فقال عمر: ما آية حبّكم من بعدكم؟ فوضع يده على رأس عليّ ابن أبي طالب وهو إلى جانبه فقال: حبّي من بعد حبّ هذا[٢].

وقال ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس وهو جبل قد علا على الجنّة وفوقه عرش ربّ العالمين ومن سفحه ينفجر أنهار الجنّة ويتفرّق في الجنان وهو جالس على كرسيّ من نور يجري من بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد على الصراط إلّا معه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على أهل الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النار[٣].

وقال ﷺ: تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل[٤].

هذا جانب من الأحاديث التي أوردها بلغة الاستدلال عن العترة والآل في

(١) روضة الواعظين ص١١٥، أمالي الصدوق ص٢٠٢، من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٠٥، وسائل الشيعة ج٢٦ ص٢٠٥: النظر إلى عليّ بن أبي طالب عبادة، اقتصر على هذه الجملة مناقب أميرالمؤمنين لمحمّد بن سليمان الكوفي ص٢٤٧، أمالي الطوسي ص٤٥٥، مناقب ابن شهر آشوب ج٣ ص٦.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٦٧، بشارة المصطفى ص٢٥٣ وهناك كتب كثيرة أخرجت الحديث ببعض الاختلافات.

(٣) كشف الغمّة ج١ ص١٠١، مناقب ابن شهر آشوب ج٢ ص١٨، العقد النضيد ص٧٨، بحار الأنوار ج٢٧ ص١١٧ و ج٢٩ ص٢٣٠، كتاب الأربعين ص٩٧.

(٤) العقد النضيد والدرّ الفريد ص٧٦، أبوبكر الكاشاني ج٧ ص١٤٠ بدايع الصنايع، كفاية الأثر ص٧٦، أمالي الطوسي ص٣٥١، الطرائف ص٥٢١، الصراط المستقيم ج٢ ص٨٧، بحار الأنوار ج٢٨ ص٤٥.

«الخلاصة» وتفسيرها مع سائر المناقب العليّة والمقامات الرضيّة له مذكور في كتاب «خلاصة المناقب» وهذه الرباعيّة أيضاً من أشعاره وهي مطابقة لمضمون بعض الأحاديث التي سبق ذكرها:

«رباعيّة»

گر حبّ علی و آل بتولت نَبْوَد — امّید شفاعت از رسولت نَبْوَد
گر طاعت حق جمله بجا آری تو — بی‌مهر علی هیچ قبولت نَبْوَد
إذا كنت لا تهوىٰ عليّاً وآله — فلا ترج من طه الشفاعة في غد
وإن تأت بالطاعات من غير حبّه — فلست برضوان الإله بمسعد

وقال في شرح القصيدة الميميّة الفارضيّة المسمّاة بـ«مشارب الأذواق» عند تحقيق معنى هذا البيت للناظم ﷺ:

لها البدر كأس وهي شمس يُديرها — هلال وكم يبدو إذا مزجت شمس

ربّما أراد الناظم بهذه المعاني الأعيان الخارجيّة، وربّما أراد الحقائق النفسيّة، وعلى تقدير الأوّل يكون المراد الروح المحمّديّة التي هي مظهر الشمس الأحديّة ووعاء حقيقة المحبّة، ويكون المراد من الهلال عليّاً عليه السلام وهو ساقي شراب ذي الجلال وموصل متعطّشي فيافي الآمال بمورد زلال الوصال، وهو الوارد في حقّه: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[1]، والهلال لا يعدو البدر لأنّه جزء منه سيّد الأولياء مع سيّد الأنبياء لهما الحكم ذاته (خلقت أنا وعليّ من نور واحد)، (عليّ

(١) كشف الغطاء ج١ ص١١، أمالي الشيخ الصدوق ص٤٢٥ و ص٢١٩ وفيها: أنا مدينة الحكمة.. الخ، توحيد الصدوق ص٣٠٨، الخصال ص٥٧٤، ذخائر العقبى: «دار الحكمة» وفي طريق آخر: دار العلم ص٧٧، المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٧، الترمذي: «دار الحكمة» ج٥ ص٣٠١، مجمع الزوائد ج٩ ص١١٤، حديث خيثمة ص٢٠٠، المعجم الكبير ج١١ ص٥٥، الاستيعاب ج٣ ص١١٠٢، كنز العمّال ج١١ ص٦٠٠ وج١٣ ص١٤٧ و ص١٤٨، فيض القدير ج١ ص٤٩.

منّي وأنا منه)[١]. وظهرت نجوم مشارب أذواق الأولياء من امتزاج أحكام الشرائع المصطفويّة وأعلام الحقائق المرتضويّة، وبهذا المعنى جاء قول سيّد الأنبياء في حقّ أشرف الأصفياء «أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة»[٢] لأنّه منبع أسرار معارف التوحيد ومطلع أنوار معالم التحقيق، وكان حصول درجات أسرار جميع أهل الكشف والشهود من ينبوع هدايته، وذلك كائن ولا يزال وأساس ذلك: «أنا المنذر وعليّ الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون»[٣].

(١) الحديث الأوّل: أمالي الصدوق ص٢٠٧، الخصال ص ٣١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص ٦٤، معاني الأخبار للصدق ص٥٦، شرح الأخبار ج١ ص ٢٢٠، مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٧ وج٣ ص ٦١، العمدة ص ٩١، الرواشح السماويّة ص ٦٤.
الحديث الثاني: المناقب ج٢ ص٥٩ و ص ٢٥١ وج٣ ص ١٤، العمدة ص ١٨٣، الطرائف ص ٦٥، سعد السعود ص ٧٣، الصراط المستقيم ج٢ ص١١٨ وج٣ ص ٢٣٣، بحار الأنوار ج٣٨ ص ٧٤، مسند الإمام أحمد ج٤ ص ١٦٥، سنن ابن ماجة ج١ ص ٤٥، فضائل الصحابة ص ١٥، تحفة الأحوذي ج١٠ ص ١٥٢، المصنّف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٩٦، عمرو بن عاصم: كتاب السنّة ص٥٨٤، سنن النسائي ج٥ ص ٤٥، خصائص أمير المؤمنين ص ٨٨، مسند أبي يعلى ج١ ص ٢٩٤، المعجم الكبير ج٤ ص١٦، شواهد التنزيل ج١ ص٣١٩، تفسير الرازي ج٣٢ ص ١٤، كنز العمّال ج١١ ص ٦٣٠ الديلمي عن ابن عبّاس.

(٢) الدعوات: قطب الدين الراوندي ص ٥١، أمالي الصدوق ص٦٦ و ص ٤١١ و ص ٧٥٥، مفردات الراغب ص ٧١، تفسير الآلوسي ج٢٢ ص ٣٢، نهج الإيمان ص٦٢٥، الفصول المهمّة ج٢ ص١١٧٩، ينابيع المودّة ج١ ص ٣٧٠، السيّد علي البهبهاني، مصباح الهداية في إثبات الولاية ص١٥٨.

(٣) أنا المنذر وعليّ الهادي، الحديث. مناقب ابن شهر آشوب ج٢ ص ٢٨١، بحار الأنوار ج٢٣ ص ٢، الحديث كلّه. وفيه إضافة كلمة من «بعدي» وج٢٥ ص ٤٠٤ وفيه الجزء الأوّل من الحديث «النصّ والاجتهاد» ص٥٦٨. نجم الدين العسكري: حديث الثقلين صفحة تكملة كلمة المؤلّف ١، الشيخ آقا مجتبى العراقي ص ٩٠، نظم درر السمطين للزرندي ص ٩٠، كنز العمّال ج١١ ص ٦٣٠، الديلمي عن ابن عبّاس شواهد التنزيل ج١ ص ٣٨٣.

وإذا ما كشف لك هذا السرّ فاعلم أنّ طوالع أنوار حقائق كلّ قلب مقتبسة من مشكاة ولاية عليّ عليه السلام ومع وجود الإمام الهادي لا تجوز متابعة من عداه وفي واحد من ثلاثة مواضع متقاربة من كتاب «ذخيرة الملوك».

قد قيل: ولمّا أجلسوا أبابكر على سرير الخلافة إلى آخر الحكاية.

ويقول في آخر: ولمّا أجلسوا عمر على سرير الخلافة إلى آخر المقالة.

وفي موضع ثالث قال: ولمّا جلس عليّ على مسند الخلافة إلى آخر الرواية.

ولايخفى على صاحب الفهم وجه دلالة أُسلوب الكلام في هذه المقامات الثلاث على القصد منها وليس عليها الستر يخفيها، وذو الفهم مطلع عليها لاسيّما إذا استحال الشعر على بدنه إلى أسماع، ومن فوائد أنفاسه القدسيّة المذكورة في كتاب خلاصة المناقب أنّ أحد مريدي المير سأله عن سرّ غضبه وكان طالماً غضب على أصحابه فقال: إنّك أكمل أهل الطريقة فمالك غضوباً إلى هذا الحد؟

فتبسّم حضرته: إن كنت أغضب فإنّ غضبي رحمة على المغضوب عليه لأنّي في أوائل السلوك لي لقاء خاصّ مع المصطفى في كلّ يوم اثنين وكنت أضيق ذرعاً بغضبي، فقال لي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبتئس من غضبك فإنّه رحمة.

وذكر صاحب «خلاصة المناقب»: تحقّق عند الجميع بأنّ مصاحبته الشريفة أثبتت أنّ غضبه سبب ترقّي السالكين. وسرّ هذه السعادة أنّ حضرته مجلىٰ جمال جلال الذات[1].

وفي الحديث التالي إشارة إلى ذلك. قال صلى الله عليه وآله وسلم: خيار أُمّتي أحدّاءها إذا

---

(١) هذه الإضافات المتتابعة من مولانا المؤلّف رحمه الله.

غضبوا رجعوا»(١).

وفي كتاب «الذخيرة» وهو من مؤلّفات حضرته ذكر أنّه جاء في بعض الأخبار: كان رسول الله ﷺ يغضب حتّى تحمرّ عيناه ووجنتاه، وكان يقول: اللهمّ أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيّما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها منّي صلاة..(٢)

---

(١) مجمع الزوائد ج٨ ص٢٦ و ص٦٨ وفيه: أحدّاؤهم، المعجم الأوسط الطبراني ج٦ ص ٦١، ابن سلامة: مسند الشهاب ج٢ ص٢٤٣، السيوطي: الجامع الصغير ج١ ص٦١٥، كنز العمّال ج٣ ص١٢٩، ميزان الاعتدال ج٢ ص٤٧٣ وفيه: وقد رجعت وأنا أستغفر الله.

(٢) الحديث ذكره مولانا الأميني وعلّق عليه، وأنا ذاكر شيئاً من ذلك إن شاء الله. قال ابن حجر في الصواعق ص١٠٨: قال ابن ظفر: وكان الحكم هذا يرمىٰ بالداء العضال وكذلك أبو جهل، كذا ذكره الدميري في حياة الحيوان، ولعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرّهما لأنّه ﷺ تدارك ذلك بقوله ممّا بيّنه في الحديث الآخر أنّه بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنّه سأل ربّه أنّ من سبّه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون رحمة وزكاة وكفّارة وطهارة، وما نقله الدميري عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل فيه بخلافه في الحكم فإنّه صحابيّ وقبيح أيّ قبيح أن يرمىٰ صحابي بذلك فليحمل على أنّه إن صحّ كان ذلك يرمىٰ به قبل الإسلام اه.

(قال مولانا الأميني): أنا لا أدري أيعلم ابن حجر ماذا يلوك بين أشداقه؟ أهو مجدّ فيما يقول، أم هازئ، أمّا ما اعتذر به عن أنّ لعنته ﷺ لا تضرّ الحكم وابنه الخ، فقد أخذه ممّا أخرجه الشيخان في الصحيحين من طريق أبي هريرة غير أنّه حرّف منه كلماً وزاد فيه أُخرى وإليك لفظه قال: اللهمّ إنّما محمّد بشر يغضب كما يغضب البشر وإنّي قد اتّخذت عهداً لم تخلفنيه، فأيّما مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له كفّارة، وقربة تقربه بها إليك. هذا حطّ من مقام الرسالة لأجل أمويّ ساقط وحسبان أنّ صاحبها كإنسان عاديّ يثيره غيره فيغضب لما لا ينبغي أن يغضب له ومخالف للكتاب العزيز من قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾. نعم هو ﷺ بشر غير أنّه كما قال في الذكر الحكيم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ﴾ فإن كان في الوحي أن يلعن الطريد وما ولد فماذا ينجيه من اللعن؟ إلّا أن يحسب ابن حجر أنّ

وذكر في «الذخيرة» أيضاً أنّه قيل للإمام المحقّق السابق جعفر الصادق عليه وعلى آبائه السلام: «إنّ فيك كلّ فضيلة إلّا أنّك متكبّر قال: لست بمتكبّر ولكن كبرياء الحقّ قام منّي مقام التكبر»(١).

أي إنّ طائفة من الناس وجدوا الاختلاف النفساني في مقام الفناء، ورموا نقباء الوجود في زاوية العدم وهؤلاء بعد تجرّع مرارة الفناء شربوا على كلّ حال شربة البقاء وفي حضيرة اللقاء، لبس بعضهم لباس الحلم والحياء، وجماعة منهم ارتدّوا خلعة التعزّز والكبرياء ولمّا ظهرت آثار هذه الصفات على وجودهم العزيز. تخيّل العوام الذين هم كالأنعام أنّها منهم ترفّع وكبرياء ولكن العارفين المحقّقين علموا أنّ ذلك هو التعزّز بالحقّ وتجلّي سلطان الكبرياء المطلق، الذي ظهر على أبدائهم الزكيّة وأجسامهم الطاهرة، وليس هو اعتبار رفعة أقدارهم أو هو إيذاء الخلق من أهل جوارهم بإظهار صفات اختيارهم.

ومن أنفاس تلك الحضرة القدسيّه ننقل هذه الفقرات على سبيل المناجات مع قاضي الحاجات ونورد هنا أوّلاً رسالة «الواردات»: يا راحم جراحة كلّ قلب كسير، ومؤنس كلّ «درويش» أسير، يا من كرمه يأخذ بيد كلّ منقطع تائه، ويا من رحمته تخالط خطو كلّ شريد ضائع، ويا من شدّ إلى خواطف غيرته بصائر القدسيّين تلاحظ جماله، ويا من عواطف رأفته أوقدت آلاف الشموع من الصفا

⟵ الوحي أيضاً يتبع الشهوات، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وكيف يكون اللعن رحمة وزكاة وطهارة وكفّارة وقد أصاب موضعه بأمر من الله سبحانه؟ الخ. الغدير ج٨ ص٢٥٢، والحديث لم تروه الشيعة ومن رواه منهم فقد خدع بأهل السنّة لأنّهم أصحابه وهم الذين وضعوه من أجل اللعناء والطرداء وأصابع الاتهام تشير إلى «هريرة».

(١) تفسير ابن عربي ج١ ص٢٦٦ وفيه: كبرياء الله بدل كبرياء الحق.

في زوايا قلب كلّ مكسور، ويا من آثار نفحات لطفه رأسمال كلّ فتوح، ونسمات فضله راحة روح كلّ مرجوح، ويا من نسيم وصاله أمل المحترقين بنار الفراق، ويا من زلال بحر إفضاله حياة للمصحرين ببادية الاشتياق، ويا من سوابق ألطاف عنايته تأخذ بأيدي المنبوذين، ويا من لطائف عفوه اللّامحدود عذر مقبول لمن ليس له عذر.

وذكر صاحب خلاصة المناقب أنّ حضرة المير قال:

وحين بسط خزنة القضاء خوان العطاء، فأنالوا كلّ وارد إليه خلعة منه، فأصاب لابس الخرقة من ذلك ألماً يبقى ببقاء الربّ، ونال الهمداني من ذلك كنزاً خارجاً عن حدود الأفهام والعقول، وظهور سطوات الجلال به صار صاحب الكمال خرقانيّاً، وبروز لطائف جلال الجمال جابراً لكسر الهمداني..[1]

ويقول أيضاً: ليس الدرويش في الأرض فحسب بل كلّ من في الأرض درويش وفي السماء درويش، بل الدرويش سليم من كلّ ما يعلق به.

وقال أيضاً وهو يعاني فوران الغيرة: إنّ علاء الدين الحصاري وإن كان قد نقّى خاطره من الكدورات ولكنّه لحدّ الآن لم ينعتق من ذاته بل هو محتاج في نظرته إلى وداعة الأطفال.

وقال صاحب الخلاصة: لا ينبغي النظر إلى أنّ تقرير هذا النوع من الكلمات لأهل الله باعثة التكبّر والعجب بل الحامل عليها والداعي إليها غلبة الحال وظهور الغيرة، ورعاية المنزلة وتحدّث النعمة وتأييد العقيدة كما قال حضرة المصطفى ﷺ: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وكنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين.

---

(١) الترجمة غير دقيقة وربّما تكون غير موصلة لأنّها من شطحات الصوفيّة وأرجو من القارئ أن يكون على علم بذلك.

وقال: إنّ الله إذا أنعم على عبدٍ أحبّ أن يرىٰ آثار نعمته عليه[(١)(٢)(٣)].

مثنوي:

بـا دل خـود گـفتم اى بسيار گوى چـند گوئى تن زن و اسرار جوى
گـفت غـرق آتشـم عـيبم مكـن مـى بسـوزم گـرم نـمى‌گيرم سخن
قـلت لقـلبي أيّـها المـهذار فـانصبن لتـظهر الأسـرار
لا تـلحني غـرقت في نـار الغـضا حـتّى أنـال من أحـاديث الرضـا

قال صاحب الخلاصة: إنّ حضرته قال: كم عانينا من همّ الابتلاءات في السفر والحضر، وكان بعضها بسبب العلماء والفقهاء وبعضها بسبب الملوك والأُمراء، وبعضها ما لعلّه طارئ علينا بسبب شرور النفس، وهذه البلاءات علينا منه تعالى محض عطاء وإن كانت على شكل بلاء كما قال عليه السلام: البلاء موكّل على الأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ الأمثل فالأمثل[(٤)]، وفتنة العلماء وإن كانت كثيرة إلّا أنّ إحداها حين

---

(١) جمع عدّة أحاديث في هذه الفقرة ونحن نشير إلى الكتب التي أخرجتها متفرّقة لا مجتمعة.. رسال الطوسي العشر ص٣٠٧، المجموع لمحيي الدين النووي ج ١ ص٧٦، مغني المحتاج ج ١ ص٧، مواهب الجليل ج ١ ص ٣٠، حاشية ردّ المحتار ج ١ ص٢٦، مسند أحمد ج ٢ ص ٥٤٠، صحيح مسلم ج٧ ص٥٩.

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص١١٨، صحيح البخاري ج٧ ص١٢٣، تحفة الأحوذي ج ١٠ ص٥٧، عون المعبود ج ١٤ ص٦٣، جواهر الفقه ص٢٤٨، البهائي: مفتاح الفلاح ص ٣٠، الحاشية على أُصول الكافي ص٢٥٩، المناقب ج ١ ص ١٨٤، بحار الأنوار ج١٦ ص ٤٠٢.

(٣) المبسوط للسرخسي، عوالي اللئالي ج ١ ص ١١٤، جامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٦٧٩، الحاكم النيسابوري: معرفة علوم الحديث ص ١٦١.

(٤) عوالي اللئالي ج ١ ص ١٢٤ بصيغة مماثلة، الدعوات ص١٦٧، التحفة السنيّة مخطوط ص٨، الكافي ج ٢ ص٢٥٢ و ص٢٥٩، التمحيص ص٤، الخصال ص ٤٠٠، علل الشرايع ج ١ ص٤٤، مصباح الشريعة ص ١٨٤، أمالي الطوسي ص٤٦٦ و ص ٦٦٠، المناقب ج ١ ص ١٥٩.

سقوني السمّ حسداً من عند أنفسهم، ولكن الله سبحانه أنقذني من الموت المحتّم غير أنّ أثره ما يزال ماثلاً في جسدي وذلك بظهور ورم على بعض الأعضاء ثمّ يتلاشى الورم ويخلفه جرح تخرج منه مادّة صفراء.

وكذلك فتنة الملوك والأُمراء فهي وإن كانت عظيمة ولكنّ منها دعوة سلطان إحدى الديار التي زرتها إليه لأصحبه، وبذل غاية الإكرام والإعظام لي إن قربت من سدّته، ولكنّني أبيت ذلك وترفّعت عن الوقوف ببابه والوفود على جنابه فغضب السلطان غضباً شديداً وأمر بصنع فرس من النحاس وأن يوقد عليها بالنار حتّى استحالت إلى كتلة من اللهب وأرسل إليّ يهدّدني وقال: يجب على السيّد أن يأتي إلى صحبتنا وإلّا حمّلته على هذه الفرس، وأعاد ذلك مرّاتٍ يوقد عليها أربعين يوماً ثمّ تسخن وتبرد وهكذا، ومع وجود هذا التهديد والوعيد لم أصحبه طرفة عين ولا ذهبت إليه، وأقبل عليّ بعد أربعين يوماً يصحبني وقام بما يجب من الأدب التامّ وراح يعتذر إليّ.

وقال صاحب الخلاصة: إلّا أنّ البلاء الشديد والابتلاء المديد ما تجرّعه في ديار ماوراء النهر إلى الحدّ الذي حمله على هجر الوطن بسبب ذلك، وسحب عنان براق سيادته إلى دار المحشر، كان حضرته ابن الاثني عشرة سنة حين اتّجه إلى سلوك طريق الحقّ حتّى بلغ الثالثة والسبعين من العمر عند ذلك ودّع دار الفناء إلى دار البقاء وكانت المدّة التي قضاها بين يدي ربّ الأرباب واحداً وستّين سنة، ونقلت جنازته بناءاً على وصيّة منه إلى «ختلان» فاحتمل الناس لبعد المسافة وحرارة الجوّ أن تعلق بها رائحة غير مستطابة، ولمّا رفعوا غطاء التابوت كان المسك يسطع في أُنوف حاملي نعش السيّد المير طيّب الله مرقده.

غوث المتأخّرين وسيّد العارفين محمّد نور بخش نوّر الله مرقده

كوكب مضيء ونور مشرق في أبصار المراقبين لملهمات الغيب وأشعّة منوّرة لبصيرة الراصدين لمراصد واردات «اللّاريب»، في الثياب السوداء وهي شعار مشايخ الولاية لتلك الإدارة العائدة له، فكانت لمضمون «النور في السودا» برهاناً، وعلى ماء الحياة في ظلمات البواطن عنواناً، أنوار كمال عرفانه، وألماع همته وعلوّ شأنه من وجنات الحال والمقال غاية في الظهور كلمعات النور على شاهق الطور في غنىً عن الذكر في هذه السطور.

مصراع:

*** به ماهتاب چه حاجت شب تجلّى را ***

يصل نسبه الشريف بعد سبعة عشر ظهراً بالإمام موسى الكاظم عليه السلام. ولد أبوه محمّد بن عبدالله في القطيف وولد جدّه في الإحساء، ولذلك كان يتخلّص في بعض غزله بـ«لحسوى». واختصّ بعض من يدّعي بنوربخش أن يكون بين آبائه شخص من أهل الحال مجذوباً أو سالكاً.

هجر أبوه الوطن واختار طريق التجرّد والانقطاع وقصد زيارة إمام الإنس والجنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في خراسان، وبعد أن أدرك شرف تقبيل تلك الأعتاب، وكحل طرفه بذلك التراب، اختار أن يسكن في قصبة قائن ويتّخذها وطناً.

وولد حضرة المير (نوّر الله مرقده) في أحد شهور سنة خمس وتسعين في قائن، وحفظ القرآن وهو في سنّ السابعة، واستطاع أن يتعمّق في جميع العلوم بأدنى فرصة.

وكان المير مريداً لخواجه إسحاق الختلاني الذي كان مريداً لسيّد علي

الهمداني. ولقّب الخواجه حضرة المير بـ«نور بخش» على أساس رؤياً رآها.

وخلاصة الحديث أنّ المير طوى المراحل بأيّام قلائل بناء على القابليّة والاستعداد الذاتيين اللّذين يملكهما. وأكمل مراحله في الفقر والسلوك في خدمة الخواجه إسحاق ولبس آخر خرقة من يد السيّد علي الهمداني وألبسه إيّاها بيده وأجلسه على مسند الإرشاد، وسلّم إليه أُمور الرباط مع تفويض أُمور جميع السالكين إليه، وأرسل بين الناس هذا المثل (ما آرد بيختيم و آرد نيز آويختيم) «نحن نخلنا الدقيق وأحضرناه أيضاً». ثمّ قال: كلّ من كان داعية السلوك فليحضر إلى خدمة المير وهو وإن كان بظاهره مريداً لنا إلّا أنّه في الواقع شيخ لنا. وكان حضرة المير قد أشار إلى ذلك ببعض شعره:

پيريم و مريد خواجه إسحاق آن شيخ شهيد و قطب آفاق

أنـا شيخ مريد إسحاق وهـو شيخ وقطب آفاق

ذكر محمّد بن الحاج محمّد السمرقندي وهو من مريدي حضرة المير في تذكرته بيان أحواله ومقاماته: ولمّا ظهر خواجه إسحاق من طريق الكشف صحّة سيادته وعلوّ مرتبته مدّ يد البيعة إليه وقال: أُبايع نجل المصطفى محمّد نوربخش، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[1]. ثمّ قال لنحوّل رؤوسنا ونمل بوجوهنا والظاهر أنّه ارتجل هذا البيت في ذلك الوقت عفو الساعة ومن صفو خاطره..

غلام آنچنان عشقم كه از وى بوى خون آيد

معاذ الله كه اين سودا مرا از سر برون آيد

---

(١) الفتح/١٠.

أنـــا عــبد لحـبيبي ثـملت روحـي بـطيب
ســـاطع مــنه بــقلبي بــين أنــغام الوجـيب
عــنه لا أبــغي بــديلاً فــهو شـيخي وطـبيبي

وبايعه في ذلك اليوم اثنا عشر شخصاً من مريدي الشيخ وقالوا: نكتفي اليوم بهذا العدد. عند ذلك خرج الخواجه من الرباط وصاح ببقيّة صحابته ومريديه: نحن بايعنا فماذا صنعتم أنتم فقالوا: نصنع الذي تأمرنا به. ثمّ بايعوا كلّهم ما عدا السيّد عبدالله المشهدي وكان أحد أصحاب «الخواجه» ولم يكن يومها حاضراً، ثمّ عزموا على الخروج، فقال نوربخش: لا أجد استعداداً في الحال على هذا العمل وليس بالإمكان مقاومة ملكٍ مثل «شاهرخ» ميرزا المتسلّط عـلى ايـران وطوران والهند والعرب والعجم، ولا ينبغي أن نقاوم ونحن على غير استعداد، وعندما يتحقّق هذا الأمر ونعلم أنّه مقدّر من الله فإنّنا نخرج في الحال المناسبة.

فلم يرض ذلك الخواجه وقال: في هذا الزمان ينبغي الحديث عن خروج الأنبياء لأنّهم خرجوا ولم يأخذوا للأمر أُهـبته، و مـجمل الحـديث أنّـهم فـي الجمعة الرابعة عشرة من سنة ستّ وعشرين وثمانمائة ذهبوا إلى جبل «تيري» وهو من قلاع ختلان ودعوا الناس إلى الخروج.

ولمّا بلغت بيعة الخواجه الأمير نوربخش إلى السيّد عبدالله المشهدي أخذ يلحف في السؤال عن ذلك ويقول مراراً وتكراراً: هل بايعه الخواجه؟ فقال له القائل: أجل بايع. فقال: إن كان الخواجه قد بايعه فإنّا نرتدّ عنه، فعلم الخواجه بقوله من ساعته وهو في «ختلان» وقال: لقد ارتدّ الدراويش وهو يعدّ نـفسه للإرشاد فالبيعة من يده باطلة.

لأنّ بعض المفسدين اطّلعوا السلطان بايزيد الذي كان حاكـماً عـلى تـلك

الأصقاع من قبل شاهرخ ميرزا حاكم تلك الديار على ما دعىٰ إليه الخواجه والمير فاستعدّ لهما قبل اجتماعهما وقبل تسوية صفوفهما، فقبض عليهما مع جماعة من الأعيان وأرسلهما إلى هراة وأطلع الميرزا شاهرخ على صورة الحال، ولمّا بلغ الخبر الميرزا المذكور أسرع بالحكم على الخواجه وأخيه وجناب المير بالقتل في ذلك المكان.

يقال: إنّ الميرزا سرعان ما عورض بأوجاع البطن بحيث عجز مولانا حكيم الدين وهو من مقرّبيه ولم يكن له نظير في علم الطبّ، فقال لمولاه في تلك الحال: إنّ سيّداً كهذا الذي لا مشابه له في العالم ولا نظير له في الزهد والتقوى والعلم والرياضة والكمالات الصوريّة والمعنويّة حكمت بقتله فابتلاك الله بهذا المرض الذي لا دواء له. وشفائه لا يتمّ إلّا بتغيير الحكم، وفي الحال بعث علامة إلى مأموريه بأن يرسلوا المير نوربخش مقيّداً إلى هراة ويقضوا على الباقين هناك، عند ذلك هدأ الألم عن شاهرخ وكان إنذاراً له، ولمّا بلغ القاصد بلخاً وجد الخواجه والمير وأصحابهما قد حملوا إلى بلخ وتمّ القضاء على الخواجه وأخيه هناك.

وساقوا المير نوربخش مقيّداً إلى هراة ولمّا استنطقوه عن جليّة الحال قال: لم نقلع شعرة من جسم مسلم ولم نرم مسلماً بطلق واحد، ومع ما أظهره المير فقد قيّدوه وأرسلوه إلى حصار «اختيار الدين» وبقي ثمانية عشر يوماً في جُبّ ذلك الحصار ثمّ أخروجه بعد هذه المدّة مقيّداً وحُمِل إلى شيراز وصحبه جماعة من أهله وأصحابه ليصل إلى حدود ملكه واجتاز شيراز حتّى بلغ بهبهان وهي من مضافات خوزستان واحتفظ به هناك مخفوراً، وبعد مضيّ برهة من الزمن حكم والي شيراز بنزع القيد من رجليه وأمر بتخلية سبيله إلى حيث شاء.

فأقلع المير من هناك إلى شوشتر فالبصرة ومنها إلى الحلّة فاستقبله الناس هناك بالخدمات اللّازمة ومن تلك الديار قصد بغداد ومنها أمّ المشاهد المشرّفة لزيارتها وبعد ذلك ذهب إلى كردستان الفيليّة والبختياريّة فبذلت له تلك الجماعات المحبّة والخدمات وبايعوه وأنابوا إليه وانقاد له الأُمراء والأكابر هناك وأطاعوه حتّى ضربت السكّة باسمه وخطبوا باسمه، ثمّ رحل من تلك الديار إلى گيلان ثمّ كرّ راجعاً منها إلى كردستان.

وكان الميرزا شاهرخ يومها في أذربيجان. ولمّا بلغه وصول المير إلى كردستان كتب إلى أُمراء تلك الحدود بالقبض عليه وعلى أتباعه أينما وجدوهم وبتقييدهم وإرسالهم إلى معسكرات الميرزا فأعادوا القبض عليه وأرسلوه إلى المعسكر المذكور فطلبه الميرزا شاهرخ إلى مجلسه فعاتبه وهدّده تهديداً مبيداً.

ولمّا علم المير أنّ شاهرخ عازم على قتله (لا جرم بحكم الفرار ممّا لا يطاق من سنن المرسلين) لاذ بالفرار وبقي ثلاثة أيّام بلياليها في الجبال الثلجيّة بدون طعام يحفظ عليه تماسكه ولم يبصر مكاناً مأهولاً يستكن به، واستطاع النفوذ إلى خلخال وفيها قبض عليه الوالي وأعاده إلى معسكر شاهرخ فأمر الميرزا بإلقائه في الجُبّ ثمّ استخرجه منه بعد مرور ثلاثة وخمسين يوماً وهو ماكث فيه، وأرسله إلى هراة مثقّلاً بالحديد، ولمّا بلغها أمره «شاهرخ» أن يصعد المنبر ويتبرّأ ممّا نسب إليه من دعوى الخلافة يوم الجمعة ويبالغ في ذلك، فارتقى المنبر وهو في قيوده وقال: لقد نسبوا إلى هذا الفقير قولاً أن أكن قلته أو لم أقله، فإنّي أقول: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] ثمّ نزل من المنبر بعد أن قرأ الفاتحة، ثمّ رفعوا القيد عن رجليه في جمادى

---

(١) الأعراف/٢٣.

الأُولى سنة أربعين وثمانمائة وحكموا عليه بإلقاء الدروس الرسميّة شريطة أن لا يجتمع عليه الناس ولا يعتمر العمامة السوداء.

وبقي مدّة على هذه الحال حتّى ارتاب منه شاهرخ مرّة أُخرى فنفاه إلى تبريز في الخامس عشر من شهر رمضان ليرسله الوالي هناك إلى الروم، ولمّا بلغ تبريز بعث إليهم كتاباً وهم في هراة: لمّا وصلنا تبريز تقدّم إلينا مأة ألف شخص يطلبون الصحبة ومبادلة الحديث معنا ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] وهناك نزعوا القيد من قدميه.

ولمّا كان التوجّه إلى الروم لم يكن من الإمدادات الغيبيّة لذلك أخذوا به على طريق «شروان» ومنه إلى «جيلان» وفي هذا البلد أخلد إلى الصفا وشغل نفسه بالعبادة وكان يستمدّ وهو في ذلك البلد الإشارات من الإمدادات الغيبيّة، إلى هنا ذكرنا ما جاء ملخّصاً في تذكرة «مزيد السمرقندي».

وسمع من بعض الثقات أنّ المير بعد هلاك شاهرخ شرّف ولاية الري بقدومه المبارك عليها واختارها وطناً له وبنى بها قرية فاخرة تدعىٰ «سولغاني» وألزم نفسه فيها بالعبادة وإرشاد الناس. وفي سنة تسع وثمانين انتقل إلى روضة رضوان ودفن في الروضة التي استحدثها هناك، ونظم بعضهم تاريخ وفاته وأيّام حياته على النحو التالي:

آفتاب اوج دانش نور چشم اهل دید
نوربخش جسم و جان آن قهرمان ماء و طین
سال عمرش بود هفتاد و سه و سال وفات
هشتصد و شصت و نه و ماهش ربیع الاوّلین

---

(١) الصف: ٨.

چـــارده زانـــماه رفـته پـنجشنبه چـاشت گـه

درگـــذشت از عـــالم فـــانى هـــمام العـــالمين

شـمس سـماء العلم للعالمين	**نـور مـلا أبـصار أهـل اليـقين**
قـد أشـرقت أنـوار عـليائه	**بـالجسم والروح لمـاء وطـين**
قـد بـلغ السـبعين فـي عـمره	**ما أقصر العمر عـلى الحـاسبين**
ســنيّها فــاضرب ثـمانينها	**بـالعشر تستخرج عـدّ السنين**
سـتّون ثـمّ التسع مـن بـعدها	**وفــي ربـيع الأوّل المســتبين**
فـي أربـع والعشـر مـن بـعدها	**يـوم خـميس وهـو يـوم ثـمين**
دعــاه رضــوان إلى جــنّة	**جــاور فـيها سـيّد المـرسلين**

ولا يخفى أنّ جناب الخواجه إسحاق رحمه الله وهو فرع من الشجرة المحمّديّة وسيّد من السلالة النبويّة ما برح يروّج مذهب الشيعة بخاطره العاطر، وكان متبرّماً باستيلاء سلاطين أهل السنّة لاسيّما شاهرخ، ولمّا التقى بالسيّد نوربخش ولمح آثار النجابة والرشد وأنوار العلم والهمّة والشجاعة تتلألأ في غرّته، رأى غيرة على الدين وولاءاً لذريّة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يسير على ما سار عليه أعلام السلف الذين خرجوا على الغاصبين العبّاسيّين فيتّخذ الوسيلة لنجاة العالم من هؤلاء المتغلّبين، ويطهّر الزمان والمكان من وجودهم لذلك عمد إلى تلقيب السيّد نوربخش بالمهدي والإمام، ووقف معه في تدبير ظهوره وبروزه، ولمّا كان تقدير الله مخالفاً لتقديره فقد غلبت إرادة الله والله غالب على أمره مِن ثَمّ اتّهم المير بدعوىٰ المهدويّة وأمثالها وكان ذلك بناءاً على اقتضاء المصلحة الوقتيّة، لهذا اشتهر على لسان الخاص والعام أنّ أحد مريدي حضرة المير إذا ما دعاه بواحدة من مقولات تلك الدعوى فإنّ حضرة الشاه قاسم يعمد إلى توبيخه

أمام المير ويقول له: إنّك تسيء إلى سمعة المير وتحمل الخصوم على اتهامه بمختلف التهم.

ومجمل القول إنّ التشيّع في الخواجه والمير وأعقابهم الشرفاء إلى يومنا هذا أظهر من الشمس وأبين من الأمس، بل قد صدّرنا هذا المجلس وما بعده بأحاديث معروفة وكلمات مألوفة جدّاً واعتمدنا على تصريحاته في تزكية عقيدة جماعة من الأعلام وجعلنا ذلك سنداً على التشيّع، وسمعنا من بعض الثقات أنّ حضرة المير زار في دار المؤمنين الحلّة الشيخ الأجل أحمد بن فهد الحلّي الذي كان في زمانه من أعاظم مجتهدي الشيعة وحضر عليه في حوزة درسه دروساً في الفقه والحديث.

وقال في رسالة العقيدة المنسوبة له: الجهاد يعني الأكبر والأصغر، فلابدّ في كلّ منهما من إمام ذكر حرّ بالغ عاقل مسلم عادل عالم شجاع سخيّ تقيّ قرشيّ بل هاشميّ بل علويّ بل فاطميّ؛ فللجهاد الأصغر يكفي هذا القدر في صفات الإمام، وللجهاد الأكبر ينبغي أن يكون الإمام وليّاً كاملاً في مقامات الولاية من الأطوار السبعة القلبيّة والأنوار المتنوّعة الغيبيّة والمكاشفات والمشاهدات، إلى آخره.

وقال في مبحث النكاح الموقّت من الكتاب المذكور: وأمّا نكاح المتعة فهو النكاح الموقّت بمهر خاصّ صحيح سائغ شائع في دين الإسلام، ولاخلاف لأحد في تحقيقه في زمان رسول الله ﷺ وهو قبض ولم يغيّر ومن قال تغييره كان بالإجماع فقد أخطأ لأنّ كثيراً من أكابر الأمّة أثبتوه، والإسلام حقيقة ممّا كان بريّاً من الخلاف، فإذا حكم حاكم ذو شوكة بأمر ولم يقدر أحد على خلافه خوفاً من القتل أو العرض لم يكن إجماعاً، وأنا مأمور برفع البدع عن الشريعة المحمّديّة وإحياء ما في زمانه.

وقال في بحث الفرائض: العول لم يكن في الكتاب والسنّة بل يدخل النقص على الأُختين دون الزوج..(١)

وكتب إلى المدعو مولانا حسن في بعض كتبه معرضاً بالسيّد عبدالله المشهدي: إنّ شخصاً من أولاد عليّ وينتسب إلى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام فارق طريقة أميرالمؤمنين صراحة، وسلك طريقة أمير الفاسقين معاوية ويزيد عليهما اللعنة، والأُمور الكليّة الدنيويّة في ظرف كهذا وشخص كهذا لا تليق بأحوال الناس والعاقبة تحمد بحقّ كُمّل أوليائه من الأقطاب والأفراد، والله أعلم بالصواب.

السيّد العارف الزاهد شاه قاسم فيض بخش قدس سره

الخلف الصدق للسيّد محمّد نوربخش وخليفته العالم النجيب، وكان متحلّياً بحليةالعلم والزهد والتقوى، وكان يستمدّ من فيضه الباطن الشريف والوضيع. واشتهر في الناس أنّ السلطان حسين ميرزا والي خراسان يومئذٍ استأذن من السلطان قاسم وكان واحداً من ولاة العراق في قدوم الشاه قاسم لعلّه يشفى بقدومه وبأنفاس المرتضى التي يحملها معه من تلك الديار ووعد بتقديم قصبة سمنان وهي من نفائس قصبات خراسان للسلطان يعقوب.

ولمّا صحب «شاه قاسم» السلطان حسين ميرزا ونال الشفاء ببركة مقدمه من ذلك المرض العضال، تعلّقت إرادته وإرادة البيجوم حرمه به حتّى اقتطع له

(١) قال سيّدنا الشريف المرتضى: اعلم أنّ العول في اللغة العربيّة اسم للزيادة والنقصان وهو يجري مجرى الأضداد وإنّما دخل هذا الاسم في الفرائض ف الموضع الذي ينقص فيه المال عن السهام المفروضة فيه فيدخل هاهنا النقصان، ويمكن أن يكون دخوله لأجل الزيادة لأنّ السهام زادت على مبلغ المال وإذا أُضيف إلى المال كان نقصاناً، وإذا أُضيف إلى السهام كان زيادة.. //الانتصار ص ٥٦١.

قصبة «بيابانك رابسيورغال» وبالغ في تعظيم شاه قاسم وتكريمه إلى حدّ لا يوصف.

ولمّا شاهد مشايخ أهل السنّة وعلمائهم ومتصوّفتهم كشيخ الإسلام التفتازاني والملّا جامي هذه الأُمور هاج عرق الحسد والحميّة الجاهليّة فيهم فسعوا بسائق العداوة الدينيّة أن يصطنعوا ذريعة تؤدّي إلى إراقة ماء وجه حضرته على تراب الذلّة، وبناءاً على هذا رجوا الميرزا رجاءاً مؤكّداً أن يأمر «شاه قاسم» إذا قدم هذه الولاية بالخطبة يوم الجمعة على منبرها لكي يستفيض الخاص والعام من بركات أنفاسه القدسيّة وفيوضاته النورانيّة، يرتع الجميع بموائد فوائده. وكان الغرض من هذه المؤامرة هو إيقاع شاه قاسم في المحذور والحرج لأنّه ليس متمرّساً في أساليب الجهاز الحاكم ولا هو ممّن اعتاد على تسطير مثل هذا الكلام وتشقيقه لاسيّما وقد عزم القوم على مواجهته بالمفاجئات المحرجة من حيث الأسئلة الصعبة لعلّه يكلّ عن جوابه فيثبت لهم عجزه، ولمّا كان غرضهم خافياً على السلطان حسين ولم يسبق له علم بما يضمرونه لشاه قاسم ولا اطّلع على تدبيرهم وما يبيّتونه سارع إلى إجابة طلبهم وقبل «شاه قاسم» ذلك منه.

ومجمل القول إنّه لمّا حلّ يوم الجمعة ورقى الشاه حسب الوعد تلكم الأعواد وبعد الحمد والثناء على الله والصلاة على رسول الله ﷺ شرع في بيان فضيلة «لا إله إلّا الله» وحينئذٍ اغتنم رئيس المعاندين عبدالرحمن الجامي الفرصة السانحة وأراد أن يلقئ على الأسماء ذلك الإشكال الذي طالما عرض في كلمة التوحيد مِن ثمّ توجّه إلى ناحية الشاه وناداه: إنّ لي بحثاً حول كلمة «لا إله إلّا الله» وأُريد عرضه عليك ووضعه بين يديك، وهنا تكفّلت روحانيّة الشاه وحصل له الإمداد من الولاية فحفّزت بديهته على المسارعة إلى الجواب فقال: سمعنا

ونحن في العراق بأنّ لك حول كلمة «عليّ وليّ الله» بحثاً ونزاعاً، والآن لك أيضاً نزاع حول كلمة «لا إله إلّا الله».

فلمّا سمع الناس هذا الكلام الذي هو كالدرّ في النظام ضحكوا على الجامي وعند ذلك قرأ حضرة المير «سورةالفاتحة» وختم بها مجلس الوعظ ذاك.

وجاء في كتاب «حبيب السير» أنّ شاه قاسم قدم من العراق إلى خراسان في زمان الخاقان المغفور له السعيد السلطان حسين ميرزا فاعتنى هذا السلطان عالي الشأن به وبمرافقيه فاحترمهم غاية الاحترام وصار الميرزا «كيجبك» من أتباعه وما برح يكتسب الفيض الباطنيّ من سيادته، ولمّا ودّع الميرزا «كيجبك» الحياة وأجاب داعي الحق وتوفّي، عزم الشاه اتّباعاً للأثر المشهور: «حبّ الوطن من الإيمان» على المغادرة إلى العراق، ولكن الله مكّن له في ولاية الري فانعكست أشعّة لطفه وإحسانه على وجنات ساكني تلك الحدود.

ولمّا عزم الشاه حارس الدين وحاميه على فتح البلاد ونشر ألوية الفتح على رؤوس العباد شمل ذلك الجناب كما ينبغي بمراحمه واستثناه من سائر سادات العالم بمزيد الإكرام والإنعام وجعل له التقدّم والامتياز وقضى شاه قاسم في دولة الأبد عمره بفراغ البال واجتاز الساعات بالسعادة والهناء إلى أن لبّى نداء «يا أيّتها النفس المطمئنّة» في أحد الشهور من سنة ثمانين وتسعمائة، وسمع هذا النداء بسمع الإنس وتوجّه إلى رياض القدس.

الشيخ الفاضل الموحّد الكامل شمس الدين محمّد بن يحيى بن عليّ الجيلاني اللّاهيجي النوربخشي ﷫

أعظم خلفاء حضرة السيّد محمّد نوربخش وأفضلهم وأكملهم، ولو أنّ جميع السلسلة «النوربخشيّة» بل السلسلة «العليّة الهمدانيّة» بل كافّة السلاسل الصوفيّة فخرت به لكان جديراً بذلك.

وذكر سلسلته الشريفة في شرح بعض الأبيات من «كلشن راز» فقال: وإذا بلغت «مركز دائرة الوجود» وهو أكمل أهل زمانه وأهداهم وامتدّ السلسلة إلى ذلك إلى ذلك المقام المعظّم تحوّلت إلى سلسلة الذهب الأحمر المنقّىٰ من كلّ غشّ والخالي من كلّ زيف ولقد اعتصمت وأنا الفقير الحقير بها بمحض العناية الربّانيّة والهداية الإلهيّة فبلغت أعلى مراتب الكمال التي تناسب استعدادي، رأيت من المناسب حقّاً أنّ اتعرّض لسرد «تذكرة الأولياء»..

.. اعلم أنّ هذا الفقير محمّد بن يحيى بن علي علاء الجيلاني اللّاهيجي مريد لحضرة السيّد محمّد نوربخش، وهو مريد للشيخ علاء الدولة السمناني، وهو مريد للشيخ نورالدين عبدالرحمن الإسفراييني، وهو مريد للشيخ أحمد ذاكر الجوزقاني، وهو مريد للشيخ علي بن لالا، وهو مريد الشيخ نجم الدين كبرى، وهو مريد للشيخ عمّار بن ياسر «البدل»، وهو مريدٌ للشيخ أبي نجيب السهروردي، وهو مريد للشيخ أحمد الغزالي، وهو مريد للشيخ أبي بكر النسّاج، وهو مريد للشيخ أبي القاسم الگركاني، وهو مريد للشيخ عثمان المغربي، وهو مريد للشيخ أبي علي الكاتب، وهو مريد للشيخ أبي علي الروذباري، وهو مريد للشيخ جنيد البغدادي، وهو مريد للشيخ السري السقطي، وهو مريد للشيخ معروف الكرخي، وحضرته مريد للإمام الرضا عليه السلام، وهو مريد للإمام الكاظم عليه السلام، وهو مريد للإمام الصادق عليه السلام، وهو مريد للإمام الباقر عليه السلام، وهو مريد للإمام زين العابدين عليه السلام، وهو مريد للإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وهو مريد لإمام الأولياء عليّ المرتضى عليه السلام، وهو مريد لخاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

ووصل إلينا بالتواتر أنّ السيّد السند المير صدر الدين الشيرازي والعلّامة

الدواني كانا يمسكان للشيخ ركابه في بعض المقامات تعظيماً له.

وسمع من بعض الثقات أنّ العلّامة الدواني كان إذا قصد زيارة الشيخ ورأى حذائه على الأعتاب حمله قبل دخوله وقبل السلام ثمّ مرره على عينه واكتحل بترابه ثمّ يحييٰ الشيخ التحيّة المعتادة ويقبل بالحديث عليه.

وكتب القاضي المير حسين اليزدي في بعض كتاباته التي عرّفه بها على الوجه التالي: حضرته ملاذ الإرشاد ومرآت الصفات الإلهيّة، واسطة العقد، وكوكب برج الهداية، الواقف على حقائق الناسوت، العارف بدقائق اللّاهوت، صاحب فناء الفناء، ناصب لواء البقاء، مسافر مراحل الجبروت، مجاور منازل الملكوت..، ونظم الشيخ «ملّا بنائي» وهو عالم الشعراء وشاعر العلماء، هذه القصيدة اللطيفة وأودعها سلك النظم التالي:

القصيدة

ای بی‌گمان نهاده بر اعیان داد و دین

هر خشت آستان تو آئینهٔ یقین

بر سمت اقتدار تو اقطاب راهبر

با خیمهٔ جلال تو اوتاد همنشین

غوث زمانه شیخ محمّد که ذات او

همچون محمّد آمده بهر امان امین

تا دیده‌ام چو مردم چشمت سیاه‌پوش

النور في السواد یقین شد مرا یقین

آنکو محال داشت بشب نور آفتاب

در خلعت سیاه بیا گو تو را ببین

ندهد نشان زملک ولایت جز آنکه او
شد در ارادت تو سیه‌پوش چون نگین
خصمت چو نافه ارچه کند جامه را سفید
کامد سیاه دل زخطا همچو مشک چین
قصر جهان زحوزهٔ علم تو با صدا
گوش فلک زحلقهٔ ذکر تو پرطنین
تصدیق منطق تو بحدّی معیّن است
کز قول او حقایق اشیاست مستبین
نطقت معرفی که بود قول شارحش
قولت قضیهٔ که بود صدق او یقین
ماه مسافر از سر خوان تو توشه خواه
وز خرمن عطای تو خورشید خوشه‌چین
منکر نشد زشکر نطق تو کامجوی
تلخ است در مذاق جعل طعم انگبین
گردون برای دانهٔ تسبیحت از نجوم
در رشتهٔ شهاب کشد گوهر ثمین
پیش رخ تو سجده بوجهی بود که هست
در وی ظهور جبههٔ مجموع عابدین
سلطان تو ئیکه ملکت فقرت میسّر است
خاقان تو ئیکه ملک تو گردیده ملک دین

روز سفید چهره تو را چاکر و مطیع
شام سیاه چرده تو را هندوی کمین
بر حال دو کون زنی پشت دست را
گاهی که بر سماع برافشانی آستین
شعر تو در لباس خط آنکس که دید گفت
آب حیات بین که بظلمت شده قرین
خلد است خانقاه گر حاجتش بخلق
ان شاء ادخلوا بسلام و آمنین
شد طرفه‌تر زخلد برین خانقاه تو
وین طرفه‌تر که خلد برینست هم برین
رضوان برای روفتن خاک درگهیت
جاروب بسته است زمژگان حور عین
در بوته گداز مریدان که بوده‌اند
در آتش مجاهده ایّام اربعین
زر ساختی همی بنظر مس قلبشان
اینک دلیل روشنشان زردی جبین
دین‌پرور از شعر تو یک مصرع آورم
در حسب حال خود من غمدیدهٔ حزین
زین شعر گفتنم نبود این و آن غرض
من رند مطلقم نه مقیّد به آن و این

خواهم كه لالهوار برآيم از ين ديار
زيرا كه هست بر جگرم داغ آتشين
كار من اوفتاده بجمعى كه از خرى
شعر از شعير فهم نكردند و دين زمين
فرياد زين سبع فتان كز كمال حرص
برمى‌كنند همچو سگ از گربه پوستين
نايد بچشمشان بجز از عيب مردمان
يا رب كه كنده باد زسر چشم عيب‌بين
از كاينات هيچ ندانسته غير خود
وآنگه يسار تفرقه ناكرده از يمين
بود از دم فرشته ملولم بملك خويش
اكنون بديو و دد كه اسيرم سزاست اين
تحديد فوق تا كه كند سطح آسمان
تخفف ثقل ناشده از مركز زمين
بادا باختيار تو موقوف سرّ آن
بادا به اقتدار تو قايم ثبات اين
چندان شمار سبحهٔ عمرت كه روزگار
در رشتهٔ شهور كشد مهرهٔ سنين

تقريب المعنى بالعربيّة(١):

(١) ألفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ القصيدة العربيّة تقرب روح النصّ إلى القارئ وربّما كانت فيها أبيات ليس فيها إلّا النزر اليسير من النصّ الفارسي.

يا من أقمت على القانون والدين معالماً ترشد الضلال في الحين
الصخر منها مرايا الحقّ قد عكست نور اليقين بدفق منه موزون
من اقتدارك أقطاب الهدى رفعوا لحائر عند عصف الشكّ مرهون
أوتاد حقّ يراها في سرادقه كلّ امرئ كان صفواً للميامين
محمّد غوث هذا الدهر من وصلت بذاته ذات مبعوث ومأمون
خير الورى سيّد الرسل الذين بهم هداية الخلق من موسى لهارون
ومذ رأيت سواد العين يلبسه أيقنت أنّ يقيناً فيك يحييني
النور في حالك يمحى الظلام به وما يقيني لولاكم بمضمون
يا من ترى الليل لا تبدو الشموس به قد قال ربّك بدءاً هكذا كوني
قد ادّرعت سواد الليل تلبسه والشمس تبدو بوجه منك ميمون
لن يسعد المرء في ملك يسرّ به إلّا بثوب بلون الليل مقرون
يعطاه منك ويكساه على أمل أن يكتسي الخزّ عند الخرّد العين
إن يكس خصمك مبيضّ الثياب فقد أضحى بقلب بلون المسك معجون
من صوت علمك في الدنيا الرنين جرى كما هفى ذو الهوى يوماً لتلحين
ومسمع الفلك الأعلى يرنّ به صوت يُنيلك مجداً ليس بالهون
مصدّق في الذي أبداه .. صدّقه حقّ بكتم الليالي غير مدفون
قول هو الصدق ما مقدار شارحه حتّى وإن كان فيه خير مضمون
البدر يمتار منك الخير يطلبه والشمس ترجو عطاءاً غير ممنون
طعم الحلاوة في نطق تفوه به للشهد في فم «جعل» طعم غسلين
إنّ النجوم لحبّات بمسبحة شهابها سلكها ما قيمة الطين[1]

---

(١) الضمير الأوّل في «شهابها» يعود على النجوم، والضمير الثاني في سلكها يعود على المسبحة.

ومــن غــدا ســاجداً للّــه يـعبده ... يــعنو لوجــه بــنور الحقّ مـقرون
كأنّــما ســجّد الدنــيا غـدوا تـبعاً ... لســاجد بــجمال الحــق مــفتون
يــا مــالك الفـقر سـلطاناً نـلوذ بـه ... وأنت خــاقان لكــن مــالك الديــن
الصــبح عــبدك مــزهوّاً بــطاعته ... واللــيل مــولاك فـي كـلّ الأحـايين
خــلاصة الكـون قـد خـصّت بسـيّده ... ومــثله مــعه خــصّت بــتكوين
ومـن رأى الشعر في خطّ السواد رأى ... مــاء الحــياة قـريناً بـالتلاحين
والخــانقاه نـعيم إن أتـى نـفر ... قـال ادخـلوا بسـلام للـمساكـين
خـير مـن الجـنّة المـحسود سـاكـنها ... وأنت أفـضل مـنها فـي المـوازيـن
رضوان قد جاء هـذا الخلد يكنس في ... رمش بأجـفان حـور العـين مـقرون
ضـع فـي أتـون الهوىٰ قـوماً بكم ولهوا ... مـذ جـاهدوا النـفس قـد عـاشوا بأتّـون
صـنعت مـن مـعدن فـي قـلبهم ذهـباً ... يـقول صـفرتهم للـعين تـبديني
لأجــل ديــني شـطر الشـعر أنـظمه ... قـضىٰ يـقيني بأنّ الشـعر مـن ديـني
ولست أقـصد فـي شعري امـرءاً فأنـا ... حــرّ طـليق بآفـاق المـيادين
أُريـد أزرع قـحوانـاً[1] بـقافيتي ... لأنّ قــلبي مــلتاط بســجّين
لقــد بـليت بـقوم مـن غـباءهم ... الشـعر فـيهم شـعير غـير مـطحون
هـم السـباع ولكـن حـرصهم عـجب ... حــرص الكـلاب عـلى هـرّ ...
لا يـبصرون سـوى عـيب بـغيرهم ... يــا ربّ فــاطمس لأبـصار المـلاعين
لا يـعرفون سـواهـم فـي الوجـود وهـم ... مــا بــين مـنتفخ حـمقاً ومأفـون
لمّــا مــللت مـن الأمـلاك أصـحبهم ... جــوزيت عـنهم بأصـحاب شـياطين

---

(١) قال العلّامة ابن منظور: الأُقحوان البابونج أو القُراص واحدته أُقحوانة ويجمع على أَقاح، وقد حكى قحوان ولم يوجد إلّا في الشعر. لسان العرب مادة «قحا».

مــادام عــمق ســماء الله يــرفضهم لا زال يشــقى الثـرى مـنهم بـمطعون
وأصــبح الســرّ فـي كـفّيك مـختبئ كـما يـخبّئ بـطن الحـوت ذا النـون
لا زلت تــنعم فــي عــمر وسـبحته حــباتها الدرّ تــغني كــنز قــارون

ومن تصانيفه «شرح كتاب گلشن» وهو شاهد على علوّ شأنه وسموّ مكانه، وكان شرح الشيخ يرجّح على سائر الشروح، وذلك ظاهر و إن كان قد تصدّى لشرحه كثير من الفضلاء كالقاضي مير حسين اليزدي، والشاه تاج الدين الداعي. ولمّا أتمّ الشيخ الشرح ووفّق لتحبير سائر مقالاته أرسل نسخة منه إلى الجامي بهرات، فكتب الملّا الجامي في صدر الجواب هذه الرباعيّة وأرسلها إليه:

رباعيّة

اى فـقر تـو نـوربخش ارباب نـياز خـرّم زبـهار خـاطرت گـلشن راز
يكـره نـظرى بـر مس قـلبم انـداز شايد كه برم ره به حقيقت زمجاز
يا من غدا فقره نور المساكين وصـار ذهـنك بسـتان الريـاحين
هـيّا ألق نـظرة حبّ مـنك تـحييني إلى الحـقيقة فـي الألفـاظ تـهديني

ومن المعروف عن الشاه إسماعيل «أنار الله برهانه» أنّه لمّا فتح «ولاية فارس» و«شيراز» زار الشيخ في محلّ سكناه وبعد التحيّة وأداء آداب السلام واللقاء سأله الشاه: لماذا يا شيخ اخترت لبس السواد؟ فقال الشيخ: حداداً على الحسين عليه السلام. فقال الشاه: ثبت عندنا أنّ عزاء الإمام عشرة أيّام حسب. فقال الشيخ: لقد أخطأ الناس، إنّ عزاءه باقٍ إلى يوم القيامة.

وروي عن الشيخ أبي القاسم البصير حفيد صاحب الحضرة الشيخ أنّ الشيخ لمّا كان مرجع الأنام وبيده فضل الزمام فإذا انتسب إلى سلك طريقته من المريدين والمرتاضين أحد وهو حنفيّ قال له: يلزمك التحوّل إلى مذهب

الشافعي حتّى يفتح عليك كما تمّ الفتح على إخوانك، فإذا تحوّل إلى ذلك المذهب ورأى أنّ رياضته لا يرتجىٰ خيرها ولا ينتفع بها يأمره حينئذٍ بترك المذهب الشافعي والتحوّل إلى مذهب الشيعة ويقول له: إنّ جماعة من الدراويش الذين بلغوا الكمال هم من هذا النمط، وبناءاً على مصلحة الحال واقتضاء السلوك نطلب منك الانتقال إلى هذا المذهب.

وأقوى الأدلّة عندي على إيمان الشيخ العظيم بهذا المذهب أنّ جدّي الأكبر نوّر الله مرقده كان يحادثه في دار الملك بشيراز ويعدّه من أهل الإيمان، وتظهر حقيقة الشيخ على الوجه الأكمل من الكتابات المتبادلة بينهما.

وقال في شرح هذا البيت من ديوان «گلشن راز»:

زهر سايه كه اوّل گشت حاصل　　در آخر شد يكى ديگر مقابل

كلّ ظلّ منه يبدو الأوّل　　جاء في الآخر منه مثل

وأظهرالولاء «لسلطان الولاية» على الوجه الأتمّ الأكمل وقال: تماماً لمّا أنّ للشمس مسيرة ودورة فهكذا حقيقة الرسالة في معاقد درجات الارتفاع من جهة مشرق النبوّة فإنّ من كلّ معقد من معاقد النبوّه ظهر ظلّ تامّ وفيء كامل إلى أن بلغ عصر النبوّه المحمّديّة وهو وقت الاستواء على الخطّ الذي يقسم الدائرة نصفين وهنا يختفي الظلّ فإذا ما انحرفت هذه الشمس من خطّ الاستواء وأخذت نحو الهويّ في الغرب فإنّ مقابل كلّ شخص من أشخاص الأنبياء عليهم السلام يكون تعيّن شخص من الأولياء، ويكون في الدائرة مقابلاً لكلّ نقطة من النقاط الغربيّة، ولنأخذ على ذلك مثالاً: فإنّ زمان الرسالة المحمّديّة صلّى الله على صاحبها وآله وسلّم فإنّ درجات النبوّة وقد صوّرناها بمثابة المشرق لم يكن إلى أيّ نبيّ أقرب منه إلى المسيح عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليه السلام وقد قال: إنّي

أولى الناس بعيسى ابن مريم فإنّه ليس بيني وبينه نبيّ، ويعني بالنبي داعية الخلق للحقّ وهو عبارة عن النبيّ المرسل.

وأمّا من جهة المغرب وهو الجانب المتصوّر للولاية فإنّه مبدأ ظهور سرّ الولاية على المرتضى وقد قال فيه السيّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

١ ـ إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن.

٢ ـ وأيضاً: أنا أُقاتل على تنزيل القرآن وعليّ يقاتل على تأويل القرآن.

٣ ـ وأيضاً قال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر: كفّي وكفّ عليّ سواء في العدل.

٤ ـ وأيضاً: أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب.

٥ ـ أنا وعليّ من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّى.

٦ ـ وأيضاً: قسمت الحكمة على عشرة أجزاء فأُعطي عليّ تسعة والناس جزءاً واحداً.

٧ ـ وأيضاً: أُوصي من آمن بي وصدّقني بولاية عليّ بن أبي طالب؛ فمن تولّاه فقد تولّاني ومن تولّاني فقد تولّى الله.

٨ ـ وأيضاً: لمّا أُسري بي ليلة المعراج فاجتمع عليّ الأنبياء في السماء فأوحى الله تعالى إليّ: سلهم يا محمّد بماذا بعثتم؟ فقالوا: بُعِثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله وعلى الإقرار بنبوّتك والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

---

(١) ويلزمنا الآن أن نطلب هذه الأحاديث في المصادر التي أخرجتها جرياً مع ترتيب الأرقام التي وضعناها لها:

الحديث الأوّل: القاضي النعمان: دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٠ وفيه زيادة قوله «مؤمنة»، وفي سياق آخر اقتصر على الشطر الأوّل منه، أمالي الصدوق ص ١٥٠ واقتصر على الشطر الأوّل، الخصال: الشطر الأوّل ص٤٩٦، الخزّاز القمّي: كفاية الأثر ص ٣٢١، مناقب الإمام أميرالمؤمنين ص ٤٩١، ←

. . . .

➲ وفيه: غير هذا السياق سياقات أخر تتفق معه بالشطر الأوّل من الحديث شرح الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ٩٣ بسياقين و ج ٢ ص ٣٤٢ الشطر الأوّل فحسب، المسترشد ص ٦٢٩ سياق الشطر الأوّل، أمالي الطوسي بسياق آخر وفيه الشطر الأوّل ص ٣٣٥، المناقب ج ٢ ص ٥٩ و ص ٢٥١ و ج ٣ ص ١٤، ابن البطريق: العمدة ص ٢٠٥ و ص ٢٠٧، الطرائف: ص ٦٥ الشطر الأوّل منه، الصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٣٣، كتاب الأربعين ص ٧٧، ص ١١٣ و ص ٢٩٣، بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٧ و ج ٤٠ ص ٧٦، خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٢٦، المراجعات ص ١١٦، نجم الدين العسكري: مقام الإمام علي عليه السلام ص ٤٤ الشطر الأوّل (عليّ منّي وأنا منه)، مولانا الأميني ج ٢ ص ٢٣ و ج ٧ ص ١٧٧ و ج ١٠ ص ٢٧٨، مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١٦٥ بسياقات أُخر وفيها الشطر الأوّل منه، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٥ وفيه الشطر الأوّل، فضائل الصحابة ص ١٥، تحفة الأحوذي ج ١٠ ص ١٥٢، مصنّف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٦ الشطر الأوّل، الآحاد والمثاني للضحّاك ج ٣ ص ١٨٤ و ج ٤ ص ٢٧٩ السياق كلّه، عمرو بن عاصم: كتاب السنّة ص ٥١٤ الشطر الأوّل و ج ٥ ص ١٢٦ و ص ١٢٧ و ص ١٢٨، خصائص النسائي ص ٨٨ و ص ٩٠ الشطر الأوّل منه، مسند أبي يعلىٰ ج ١ ص ٢٩٤، المعجم الكبير ج ٤ ص ١٦ الشطر الأوّل وحده، نظم درر السمطين ص ٨٠ و ص ٩٨، خصائص الوحي المبين ص ١٤٥، شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٩، تفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٤، إيضاح الاشتباه للعلّامة الحلّي ص ١٦٧، خلاصة الأقوال ص ٣٤٢، الخطيب التبريزي: الإكمال في أسماء الرجال ص ١٥ الشطر الأوّل، نقد الرجال ج ٢ ص ١٢٧، جامع الرواة ج ١ ص ٢٦٠ الشطر الأوّل فيهما، مستدركات علم الرجال ص ٢٩٣ الشطر الأوّل و ج ٢ ص ٢٣٠، معجم رجال الحديث ج ٥ ص ١٩٤ و ج ٧ ص ١٣٤ الشطر الأوّل، قاموس الرجال ج ١٢ ص ٤١، معجم رجال الحديث ج ١ ص ١٥٨ و ج ١ ص ٣٢٥ و ج ٢ ص ١٣٢، الكامل لابن عدي ج ٢ ص ١٤٦ و ص ٤٤٢ الشطر الثاني، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٦٢ و ج ٤٢ ص ١٩٠ و ص ١٩٨ و ص ٣٤٦، المنتخب من ذيل المذيّل ص ٦٨، ذكر أخبار اصفهان ج ١ ص ٢٥٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٦٣٢ وقال: أخرجه أحمد في المسند والترمذي وحسّنه والنسائي، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٢ الشطر الأوّل و ج ٧ ص ٣٩٤، ابن عقدة الكوفي: فضائل أمير المؤمنين ص ٥٥، المحسن بن كرامة: تنبيه الغافلين ص ١٦ و ص ١٩، بشارة المصطفى ص ٤٤، إعلام الورى ج ١ ص ٣١٦، الخوارزمي ص ١٣٤ وكتب أُخرى كثيرة يصعب حصرها.

➲

. . . .

الحديث الثاني: كشف الغطاء ج ١ ص ١١: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبوبكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: لا ولكنّه خاصف النعل. الجواهري: جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٢٥ باختلاف يسير، الخصال ص ٥٥٢ بسياق آخر، وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٠٤ (آل البيت) و ج ١٨ ص ١٥١ (الإسلاميّة)، مصباح البلاغة للميرجهاني ج ٤ ص ٢٣٩، كتاب سليم بن قيس تحقيق محمّد باقر الأنصاري ص ١٦٧ و ص ٣٠٥، مناقب الإمام أميرالمؤمنين ص ١٠ و ص ٥٥٤ و ص ٥٥٣، ألقاب الرسول وعترته ص ٢٩، المسترشد ص ٤٣٢، دلائل الإمامة ص ٢٣٧، نوادر المعجزات ص ١٣٣، الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٨١، الإفصاح له ص ١٣٦، أمالي الطوسي ص ٢٥٥، الاحتجاج ج ١ ص ١١، الراوندي: النوادر ص ١٠٢، مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٤٥، العمدة ص ٢٢٥ و ص ٢٢٨ و ص ٢٨٦، شاذان بن جبريل: الفضائل ص ١٤٦، السيّد ابن طاووس: الأمان من أخطار السفر ص ٦٩، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ص ٧٠، الملاحم والفتن ص ٣٣٠، ذخائر العقبى ص ٧٦، الصراط المستقيم ج ١ ص ٣١٨ ج ٢ ص ٦٣، عوالي اللئالي ج ٤ ص ٨٨، ضامن بن شدقم المدني: الجمل ص ١١، محمّد طاهر القمّي الشيرازي: كتاب الأربعين ص ٢٤٦ و ص ٢٦٥، الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة ج ١ ص ٦٧٥، حلية الأبرار ج ٢ ص ٣١٠، بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٦٦ و ج ٢٩ ص ٤٦٢ و ج ٣٢ ص ٢٤٤ و ج ٣٢ ص ٢٩٦ و ص ٣٠٢ و ص ٣٠٨ و ص ٣٠٩ و ص ٦٠٢ و ج ٣٣ ص ٨٢ و ص ٣٥٣ و ج ٣٦ ص ٣٣ و ج ٤٠ ص ١ و ص ٩٤، و ج ٤٦ ص ٣٠٩ و ج ٦٩ ص ١٨٤ و ج ٨٩ ص ٩٦، الماحوزي: كتاب الأربعين ص ٢٤٣، مناقب أهل البيت للشيرواني ص ١٩٥ و ص ٢٥٣، الشيخ كاظم آل نوح: طرق حديث الأئمّة الاثنا عشر ص ١٧، الشيخ المظفّر: السقيفة ص ٦٣، مولانا الأميني: الغدير ج ١٠ ص ٤٨ و ص ٣٢٠، مسند أحمد ج ٣ ص ٣١، المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٣، مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٨٦ و ج ٦ ص ٢٤٤، ابن أبي شيبة الكوفي: المصنّف ج ٧ ص ٤٩٨، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٥٤، خصائص أميرالمؤمنين للنسائي ص ١٣١، مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٣٤٢، صحيح ابن حبّان ج ١٥ ص ٣٨٥، شرح ابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٧، ج ٣ ص ٢٠٧ و ج ٩ ص ٢٠٧ و ج ١٤ ص ٤٤، نظم درر السمطين ص ١١٥ و ص ١١٨، موارد الظمآن ج ٧ ص ١٤٧، كنز العمّال ج ١١ ص ٦١٣ و ج ١٣ ص ١٠٧ و ص ١٠٨، الكامل لابن عدي ج ٣ ص ٣٣٧ و ج ٧ ص ٢١٠، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٥١ و ص ٤٥٢ و ص ٤٥٣ و ص ٤٥٤ و ص ٤٥٥، أُسد الغابة ج ٣

. . . .

ص٢٨٢ و ج٤ ص٣٣، المزّي: تهذيب الكمال ج٩ ص١٦٠، الإصابة لابن حجر ج٤ ص٢٤٦، مناقب عليّ بن أبي طالب وما نزل من القرآن في عليّ ص١٦٢، الذهبي: تاريخ الإسلام ج٣ ص٦٤٢، ابن كثير: البداية والنهاية ج٦ ص٢٤٣ و ج٧ ص٣٣٨، مناقب الخوارزمي ص٨٨ و ص٢٦٠، ينابيع المودّة ج١ ص١٨٧ و ج٣ ص١٦٩ و ص٢٣٦ و ص٣٩٦، وأخرجت الحديث كتب كثيرة من كتب الفريقين وفيما قدّمناه كفاية، ومن أراد الزيادة فليرجع إليها في مظانّها.

الحديث الثالث: ينابيع المودّة ج٢ ص٢٣٦، أمالي المفيد ص٢٩٤، أمالي الطوسي ص٦٩، مناقب ابن شهر آشوب ج١ ص٢٩٦، الروضة لشاذان بن جبرئيل ص٨٥، مدينة المعجزات ج٣ ص٣٨، بحار الأنوار ج٢٨ ص٧٤ و ج٤ ص١١٩، المراجعات ص٢٤٩، النصّ والاجتهاد ص٥٦٨، نجم الدين العسكري: مقام الإمام علي عليه السلام ص١١ و ص١٠، مستدرك سفينة البحار ص١٣٧ وقال: كما عن مناقب الخوارزمي الحنفي والسيوطي في تاريخ الخلفاء والعلّامة محمّد صالح الحنفي في الكوكب الدرّي وابن عساكر في تاريخ الكبير وأمالي المفيد، كنز العمّال ج١١ ص٦٠٤، تاريخ بغداد ج٥ ص٢٤١، تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٦٩، ميزان الاعتدال ج١ ص١٤٧، لسان الميزان ج١ ص٢٨٧، أعيان الشيعة ج٣ ص١١٨، بشارة المصطفى ص٣٤١، مناقب الخوارزمي ص٢٩٧، ابن الدمشقي: جواهر المطالب ص٦٢، السيرة الحلبيّة ج٢ ص٢١١، وأعرضنا عن باقي المصادر لاتحادها في المضمون.

الحديث الرابع: كشف الغطاء ج١ ص١١ و ص١٣، جواهر الكلام ج٣٣ ص٢٣١، حصر الاجتهاد ص٥٣، أمالي الصدوق ص٤٢٥ و ص٦٥٥، التوحيد ص٣٠٧، الخصال ص٥٧٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٧٢ و ج٢ ص٢١١، تحف العقول ص٤٣٠، المجازات النبويّة ص٢٠٨، شرح أُصول الكافي ج١ ص٣٨ و ج٢ ص٢٧٩ و ج٤ ص٢٣٢ و ج٥ ص١٤١ و ص١٤٦ و ص١٧٥ و ج٦ ص١٨٨ و ص٤٢٣ و ج٧ ص١٣٥، الحاشية على أُصول الكافي ص٦٥٠، وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٣٤ و ص٧٦ (الإسلاميّة) ج١٨ ص٢٠ و ص٥٢ و ص١٥٥، مصباح البلاغة ج٣ ص١٦٩، الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي ج١ ص٣٤٠ المقدّمة، محمّد بن سليمان الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين ص٥٥٨، شرح الأخبار ج١ ص٧٢ و ص٨٩ و ص٣٤، الاختصاص للمفيد ص٢٣٨، الفصول المختارة ص١٣٥ و ص٢٢١ و ص٢٢٤، النكتب الاعتقاديّة للمفيد ص٤٣، الكراجكي: التعجّب ص٦١ و ص١٣٥، كنز الفوائد ص١٤٩، أمالي الطوسي ص٥٥٩ و

. . . .

ص٥٧٨، الاحتجاج ج ١ ص١٠٢، ابن حمزة الطوسي: الثاقب في المناقب ص ١٢١ و ص ١٣٠ و ص٢٦٦، الخرائج والجرائح ج ٢ ص٥٤٧ و ص ٥٦٥، مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص٣١٤ و ج ٢ ص ١١٢ و ج ٣ ص٤٨، العمدة ص ٢٨٥ و ص ٢٩٣ و ص ٢٩٢، محمّد بن المشهدي: المزار ص٥٧٧، الفضائل ص٩٦، ابن طاووس: إقبال الأعمال ج ١ ص٥٠٧، التحصين له ص ٥٥٢، سعد السعود ص٢٠٩، ابن ميثم البحراني: شرح مئة كلمة ص٥٧ و ص ٢٥١، ذخائر العقبى ص٧٨، محمّد بن الحسن القمّي: العقد النضيد والدرّ الفريد ص٨٩، العقد النضيد ص١٩٣، حسن بن سليمان الحلّي: المحتضر ص ١٥١ و ص٢٨ و ص١٦٦ و ص٣٠٦، الصراط المستقيم ج ١ ص ١٠٠ و ص١٤٥ و ج ٢ ص ٢٠ و ج ٣ ص ٢٣٤ وقال: أخرجه في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٢٤، الصوارم المهرقة ص ١٣٢، محمّد طاهر القمّي الشيرازي: كتاب الأربعين ص٧٩ و ص٢٩٣ و ص ٣١٠ و ص٤٣٩ و ص ٤٤٤، الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة للحرّ العاملي ج ١ ص ٥٥١ و ص٥٩٩، مدينة المعاجز ج ١ ص٥٢٩، بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٢١ و ص١٤٦ و ص١٤٥ و ج ٢٤ ص١٠٧ و ص ٢٠٤ و ج٢٨ ص ١٩٩ و ج ٢٩ ص ٦٠٢ و ج ٣١ ص٤٣٦ و ج ٣٣ ص٥٣ و ج٣٨ ص١٨٩ و ج ٣٩ ص ٢١٠ و ج ٤٠ ص٨٨ و ص ٢٠٢ و ص ٢٠٣ و ص ٢٠٥ و ص٢٠٦ و ج٦٦ ص ٨١ و ج ٩٠ ص٥٧ و ج ٩٩ ص١٠٦ و ج ١٠٩ ص٣٧، نور البراهين ج ٢ ص١٥٦، الماحوزي: كتاب الأربعين ص ٤٥١، المولى حيدر الشيرواني: ص ١٩٠، خلاصة عبقات الأنوار ج ١ ص١٩ و ص٢٦ و ص٣٣ و ج ٤ ص١١٩ و ص٢٩٨ و ص٢٩٩ و ص ٣٢٣ و ج ٩ ص٢٠٧ و ص ٢٤٢ و ص٢٤٣، المراجعات ص٢٤٣ و ص٢٩٩، النصّ والاجتهاد ص ٥٧٠، طرق حديث الأئمّة الاثني عشر ص٨٣، السقية للمظفّر ص٦٣، جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٩٠ و ص١٤٨ و ص ٢٠١، مستدرك الحاكم ج ٢ ص١٢٧ بخمسة سياقات، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤، المعجم الكبير ج ١١ ص ٥٥، الاستيعاب ج ٣ ص ١١٠٣، الفائق في غريب الحديث ج ٢ ص١٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٢٠ و ج ٩ ص ١٦٥، الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٥، كنز العمّال ج ١٣ ص١٤٨، فيض القدير ج ١ ص ٤٩ و ج ٣ ص ٦١، العجلوني: كشف الخفاء ج ١ ص ٢٠٤، عبدالله بن الصديق المغربي: ردّ اعتبار الجامع الصغير ص١٦، فتح الملك العلي ص ١١ وهذا الكتاب ألّفه صاحبه في هذا الحديث وقد أثبته بالطرق العلميّه التي لا نقاش فيها، دفع الارتياب عن حديث الباب لعليّ

. . . .

بن محمّد العلوي ص٤، تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢٣١، تفسير القمّي ج ١ ص٦٨، تفسير فرات الكوفي ص٢٦٦، الطبرسي: تفسير مجمع البيان ج٢ ص٢٨، التفسير الأصفى ج ١ ص٩٢، التفسير الصافي ج ١ ص٢٢٨، تفسير نور الثقلين ج ١ ص١٧٨ و ج٣ ص٣٩٧، تفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٤٥٠، شواهد التنزيل ج٢ ص١٠٥ و ص٤٣٥، الراغب الإصفهاني: مفردات غريب القرآن ص٦٤، تفسير ابن عربي ج ١ ص٤٢٢، تفسير القرطبي ج٩ ص٣٣٧، الإكمال في أسماء الرجال ص٣٤ و ص١٢٩، قاموس الرجال ج ١١ ص٣٧٤ و ج ١٢ ص ٥٠، ضعفاء العقيلي ج٣ ص ١٥٠، الجرح و التعديل للرازي ص٩٩، ابن حبّان: كتاب المجروحين ج ١ ص ١٣٠ و ج ٢ ص١٠٢ و ص١٥٢، الكامل لابن عي ج ١ ص ١٩٠ و ص١٩٢ و ج ٢ ص ٣٤١ و ج٣ ص٤١٢ و ج ٥ ص٦٨، تاريخ بغداد ج٣ ص ١٨١ و ج ٥ ص ١١٠ و ج٧ ص١٨٢ و ج ١١ ص٤٩ و ص٥٠ و ص٥١، تاريخ مدينة دمشق ج٩ ص ٢٠ و ج ٤٢ ص٣٧٨ و ص٣٧٩ و ص ٣٨٠ و ج ٤٥ ص ٣٢١، ابن الجوزي: الموضوعات ج ١ ص ٣٥٠ و ص٣٥١، أُسد الغابة ج ٤ ص٢٢، تهذيب الكمال للمزّي ج١٨ ص٧٧ و ص٧٩ و ج ٢٠ ص٤٨٦ و ج ٢١ ص٢٧٦ و ص٢٧٧، تذكرة الحفّاظ ج ٤ ص١٢٣٢، سير أعلام النبلاء ج ١١ ص٤٤٨، ميزان الاعتدال ج ١ ص ١١٠ و ص٢٤٧ و ص٤١٦ و ج ٢ ص١٥٣ و ص٢٥٢ و ج ٣ ص١٨٣، الكشف الحثيث ص٤٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٦ ص٢٨٦ و ج٧ ص٢٩٧، لسان الميزان ج ١ ص ١٨٠ و ص١٩٨ و ص٤٢٣ و ص٤٣٣ و ج ٢ ص١٢٣ و ج٣ ص٣٩، السعاني: الأنساب ج ٥ ص٦٣٨، البزّي: الجوهرة ص ٧١، تاريخ جرجان ص٦٥، تاريخ الإسلام ج١٨ ص٣٦٩، الصفدي: الوافي بالوفيات ج ٢١ ص١٧٩، البداية والنهاية ج٧ ص٣٩٧، مناقب الخوارزمي ص٨٣ و ص ٢٠٠، مطالب السئول ص٧٥، سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٥١٠، ابن الصبّاغ: الفصول المهمّة ج ١ ص ٢١١ و ج ٢ ص١١٦٥ و ص١١٧٩، القندوزي: ينابيع المودّة ج ١ ص٩٥ و ص٢٠٥ و ص ٢٢٠ و ج ٢ ص٧٤ و ص ٩١ و ص ١٧١ و ص٢٣٨ و ص٣٠٦ و ص٣٩٣، و ج٣ ص١٩٩ و ص٢٠٤ و ص ٢١٠ و ص٢٢٣، أعيان الشيعة ج ١ ص٣٥ و ص٩٠ و ص٢٠٥ و ص ٣٠١ و ص ٣٤١ وكتب غيرها كثيرة جدّاً.

الحديث الخامس: الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص٦٩ مع الفارق في التقديم والتأخير، كفاية الأثر ص١٥٨ واقتصر على شطر واحد من الحديث، شرح أُصول الكافي ج٧ ص١٠٢، مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) الميرجهاني ج٣ ص٢٢٨، محمّد بن سليمان الكوفي:

. . . .

مناقب الإمام أمير المؤمنين ص ٤٦١ و ص ٤٧٠ و ص ٤٧٧ و ص ٢٣٠، القاضي المغربي: شرح الأخبار ج ٢ ص ٥٧٨، أمالي الطوسي ص ٦١٠، الاحتجاج ج ١ ص ٢٠٨، منتجب الدين ابن بابويه ص ٣٦، العمدة لابن البطريق ص ٢٨٥، محمّد بن المشهدي: المزار ص ٥٧٦، الروضة لشاذان بن جبرئيل القمّي ص ١٢٣، الفضائل ص ١٣٤، إقبال الأعمال ج ١ ص ٥٠٧، العقد النضيد ص ٥٢ و ص ١٩٩، الصراط المستقيم ج ١ ص ٢٢٨ و ص ٢٥٢، بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٠ و ج ٢١ ص ٦٤ و ص ٢٨٠ و ج ٢٢ ص ٢٨٧ و ج ٢٣ ص ٢٣٠ و ج ٣١ ص ٣٤٢ و ج ٣٥ ص ٢٥ و ص ٣٥ و ج ٣٦ ص ١٨١ و ص ٣٣٧ و ج ٣٧ ص ٣٨ و ج ٣٨ ص ١٨٨ و ص ٣٠٩ و ص ٣٢٥ و ج ٤٠ ص ٧٨ و ج ٩٩ ص ١٠٦، جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٤٤٩، مولانا الأميني ج ٢ ص ٣٠٨ و ج ٣ ص ٩، مستدرك سفينة البحار ص ٣٦١ و ص ٣٨٦، أمان الأُمّة من الاختلاف للصافي ص ١٩٧، عطاردي: مسند الإمام الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣٢ و ص ١٣٦، الحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٢٤١، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٠، الطبراني: المعجم الأوسط ج ٤ ص ٢٦٤، نظم درر السمطين ص ٨٠، كنز العمّال ج ١١ ص ٦٠٩، تفسير فرات الكوفي ص ١٦٢، تفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٢ و ج ٦ ص ١١ و ج ٩ ص ٤٩، خصائص الوحي المبين ص ٢٤٢ و ص ٢٤٣ و ص ٢٤٦، التفسير الأصفى ج ١ ص ٥٩٥، التفسير الصافي ج ٣ ص ٥٨ و ج ٤ ص ٣٧٣ و ج ٦ ص ٣٦٧، الحويزي: تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٤٨٢ و ص ٥٣٥ و ج ٤ ص ٥٧٢، تفسير الميزان ج ١١ ص ٢٩٦، الشيرازي: الأمثل ج ١٥ ص ٥١٨، تفسير الثعلبي ج ٥ ص ٢٧٠، شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٦ و ص ٣٧٩ و ج ٢ ص ٢٠٤، تفسير القرطبي ج ٩ ص ٢٨٣، الدرّ المنثور ج ٤ ص ٤٤، مستدركات علم رجال الحديث ص ٣٦٠، ضعفاء العقيلي ج ٢ ص ٢١٣، تاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ٣٣٥ و ج ٤٢ ص ٦٤ و ص ٦٥ و ص ٦٦، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٠٧ و ج ٣ ص ٣٤٨، سبط ابن العجمي: الكشف الحثيث ص ١٣٦، لسان الميزان ج ٣ ص ١٨٠ و ج ٤ ص ٤٣٤، ابن مردويه: مناقب عليّ بن أبي طالب ص ٢٦٥، عليّ بن محمّد العلوي: المجدي في أنساب الطالبيين ص ٣٢٠ وفيه: «ابنا أبي طالب علي وجعفر» عليهما السلام، أعيان الشيعة ج ٤ ص ١٢٥، المحسن بن كرامة: تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص ٣٦، بشارة المصطفى ص ٧٦، إعلام الورى بأعلام الهدى ج ١ ص ٢١٧، مناقب الخوارزمي ص ١٤٤، الدرّ النظيم ص ٦٥٨، كشف الغمّة ج ١ ص ٥٢ و ص ٣٠٠ و ص ٣٢٣، كشف اليقين ص ٢٨١ و ص ٣٧١، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٩٦، ينابيع المودّة

والدليل على أنّ علياً عليه السلام مبدء سرّ الولاية أنّ سلسلة جميع الكاملين من أولياء الله تتصل بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومنه تتصل بقدسيّة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم .

شعر

داری دلا هـــــوای ســـلوک طــریق حــق

بـــــايد قـــدم نـــهی بـــره شـــاه لا فـــتی

ج ١ ص٤٦ و ج ٢ ص٧٥ و ص٢٤٢، محمّد البيّومي: فاطمة الزهراء عليها السلام ص١٠٢ و ص١٦٦، الشيعة في أحاديث الفريقين ص١٥٨ و ص١٦٨، السيّد المرتضى: الشافي ج ٢ ص٢٥٧، العلّامة الحلّي: منهاج الكرامة ص١٦، نهج الحقّ وكشف الصدق ص١٩٦، هاشم البحراني: غاية المرام ج٢ ص١٢٧ و ج٣ ص٢٤٣، السيّد البهبهاني: مصباح الهداية ص٧٧، الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة ص٤٨.

الحديث السادس: ذخائر العقبى ص٧٩ باختلاف يسير، أُسد الغابة ج ٤ ص٢٣، البداية والنهاية ج٧ ص٣٩٧، أعيان الشيعة ج ١ ص٣٦٧، ابن الدمشقي: جواهر المطالب ص١٩٥، سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص٢٨٩، ينابيع المودّة ج ٢ ص١٧٢، الميلاني: الدليل العقلي ص ٣٠، المسانيد ج ٢ ص١٩٩، محمّد حياة الأنصاري: المنتخب من الصحاح الستّة ص٢٩٢، دراسات في منهاج السنّة ص٢٢٤، نفحات الأزهار للميلاني ج ١٠ ص ١٥٠ و ص٢٨٨، البيّومي: الإمامة وأهل البيت ج ٢ ص٢٥٨.

الحديث السابع: الشيخ علي النمازي: مستدركات علم رجال الحديث ص٣٦.

الحديث الثامن: العمدة ص٣٥٣، الطرائف في معرفة مذهب الطوائف ص١٠٢، محمّد طاهر القمّي الشيرازي: الأربعين ص٤٢، بحار الأنوار ج٣٦ ص ١٥٥، مستدرك سفينة البحار ص٤٠٨، خصائص الوحي المبين ص ١٧١ و ص ٢٥١، ابن جبر: نهج الإيمان ص٥٠٦، تأويل الآيات ج ٢ ص٥٦٣، ينابيع المودّة ج ٢ ص٢٤٧، منهاج الكرامة ص ١٣١، نهج الحقّ وكشف الصدق ص١٨٤، إلزام الناصب ص١٣٩، غاية المرام ج٣ ص٥٥، مصباح الهداية ص ٢١٠، معجم المحاسن والمساوئ ص١٦٤، نفحات الأزهار ج ٥ ص ٢٦١ و ص ٢٦٠ و ج ١٦ ص٣٦٦ و ص٣٦٧ و ص ٣٧٠ و ج ٢٠ ص٣٩٣ و ص٣٩٥.

شـــاهی کـــه از بـلندی قـدرش خـبر دهـد
ایـــزد بـــه «هـل أتـی» و بـتأکـید «إنّـما»
بـر تـخت مـلک فـقر چـو او شـاه مـطلقست
شـــاهان فـــقر جـمله بـه او کـرده اقـتدا
وصـف کـمال اوست «سـلونی» و «لو کشـف»
کس را نـبوده عـرضهٔ ایـن بـعد انـبیا

إن كنت يا قلب تهوى أن تسير على طرق الهدىٰ فتمسّك بالإمام علي
ذاك الذي «هل أتىٰ» في حقّه نزلت «وإنّما» هو من بعد النبي ولي
أقام فوق سرير الفقر يحرسه به اقتدى الناس من حاف و منتعل
وعنه قول «سلوني» دلّ حين وهىٰ عن قوله غيره في الأعصر الأُوَل

إذن يكون عليّ في مقابل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ويكون مصداقاً للمعنى التالي: فإنّ الأنبياء كلّهم لم تدّع الأُلوهيّة لأحد منهم سوى المسيح عيسى ابن مريم وكذلك لم تدّع الأُلوهيّة للأولياء إلّا لعليّ عليه السلام سلطان الولاية، ومثله ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[1].

وروي عن الثقات بأنّ عليّاً المرتضى قال: لولا خوفي عليكم أن تكفروا بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم لأخبرتكم بما أكلتم وما ادّخرتم، ومن هنالك أن تقيس سائر الأولياء على سائر الأنبياء والمناسبة بينهما.

ولمّا أعطى السيّد محمّد نوربخش «الإجازة الثالثة» إلى الشيخ المعظّم وهي مشتملة على مرتبة «خلاصة أرباب الذوق والحال في الفضل والكمال، لاجرم فقد اشتغل في هذا المقام بذكره فقال: قال الشيخ في شرح الذيل من شرح

(١) آل عمران/٤٩.

«گلشن» في بيان نسبته إرادته لطريق الأكابر الذين هم المرشدون هي أنّ المريد الذي يتحلّى بالإخلاص إذا ما ربّي على «الخدمة» و«العزلة» و«الخلوة» و«الصحبة» وهي أركان «الطريقة» الأربعة وإذا ما بلغ هذا المريد الكمال اللّايق النابع من عمق استعداده الفطري ويريدون بالإشارة الإلهيّة حمله على دعوة الحقّ وإرشادهم بالطبع لابدّ من تسجيل إجازة الإرشاد اللّائقة بكماله لحضرته كي يعلم ذووا الطلب والقابليّة أنّ دعوته وإرشاده بإشارة إلهيّة وأمر تامّ كامل، وليس هو كالشيوخ المتصنّعين الذين يريدون بلوغ المشيخة بالهوى النفساني وحبّ الرفعة والجاه، وأن يكون لهم أتباع ومريدون.

وأنا أيّها المسكين المستكين أقمت على خدمته ستّة عشر عاماً واقتديت بأوامره وامتثلتها أحياناً بالخدمة وأحياناً بالخلوة والعزلة، وكتب لي «إجازة إرشاد» بحسب تفاوت الأحوال المعنويّة التي يسعفني بها الحظّ والتقدير بثلاث نوبات وهذا هو فحوى الإجازة الإرشاديّة التي كتبها لي في المرّة الأخيرة نسرد مضمونها تيمّناً وتبرّكاً في هذا الباب وهي كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، بعد السلام عليكم نحيط كمّل الأولياء وفحول العلماء ومشاهير محقّقي العرفان وأعاظم السلاطين والأُمراء والطالبين والقابلين وجمهور أُمّة سيّد الأنام ﷺ أوصلهم الله تعالى إلى سعادة معرفة المرشدين ومحبّة الكاملين علماً بأنّ الحامل لهذا الكتاب البالغ رتبة التجلّي، قدوة المكاشفين، عمدة الواصلين، زبدة المحقّقين، خلاصة العلماء الراسخين، نقاوة الأولياء المرشدين وفخر الكاملين، نجل الجاني الشيخ محمّد الكيلاني أدام الله بركات تجلّياته وكمالاته في أبّان شبابه وعنفوان جدّته بعد اكتسابه العلوم الصوريّة رغب في صحبة هذا الفقير بفعل الجاذبة الإلهيّة، ونال شرف

التوبة والإنابة، ولُقّن الذكر الخفي، ورعىٰ شرايط الخدمة والعزلة والخلوة والصحبة كما هو شأن أرباب الطريقة، وحصل على نتائج هذه المقدّمات المقبولة من الأطوار السبعة القلبيّة والأنوار المتنوّعة الغيبيّة، والمكاشفات والمشاهدات والمعاينات والتجلّيات الآثاريّة والأفعاليّة والصفاتيّة والذاتيه، والسيران والطيران في العوالم اللطيفة الملكوتيّة والجبروتيّة بسنيّ الربوبيّة والإلهيّة والسرمديّة، والسكر من شراب بحار الشراب الطهور وعالم النور والفناء في الله والبقاء باللّه، ومظهريّة المعرفة وعموميّتها، وحقائق التوحيد العلميّة والعيانيّة، والاتصاف بجوامع الأسماء والصفات الإلهيّة، وتجلّىٰ في هذا العالم المحفوف بالنورانيّات فصار من أعيان الواصلين الكُمّل، والمرشدين المكمّلين، وانتسب إلى صحبة هذا الفقير، وعمد إلى تربية السالكين، وقام بذلك خير قيام، وظهرت منه تعبيرات غريبة، واجتاز حضرته أطوارالمكاشفات والتجاليات المتصلة بالسالكين وأنوارها. ولمّا اختاره الله تعالى لهذه الدولة العظمى والسعادة الكبرىٰ لذلك أجزنا ولدنا بإلهام من الله أن يدعو عباد الله إلى الله ويدلّهم عليه، ويبارك التائبين والمستقيلين ويلقّنهم الذكر الخفي المشروط بالشرائط التي وقف عليها إبّان الصحبة وعرفها، وأدمن أدائها في أربعيناته المتعدّدة، ويقيم لهم الأربعين مع إقامته لنفسه، ويروي لهم العلوم الشرعيّة من الفقه والحديث والتفسير والتصوّف وغيره الذي أقام نسبته إلى هذا الفقير الحقير.

وعلى السالكين مسلكه الراغبين في تحرّكه اعتباره راسخاً في الكمالات المذكورة، ومتديّناً، وليغتنموا صحبته الشريفة، ويحظوا بأنفاسه الشريفة في جميع الأبواب الدينيّة، وليعدّ كلّ واحد من الطالبين والمستقيلين الذين تحفزهم داعية التوبة والبيعة أنّ يده يدي فليبايعوه، ولينوبوا إليه، وليعتبروا أنّ ملازمته

وصحبته وخدمته وقبول نصيحته هي الكبريت الأحمر والإكسير الأعظم وكذلك ليعدّوه منتج الخلاص من مهالك المعاصي، ومثمر حصول الكمالات اللّامتناهية والمقرّب إلى سرادقات الحضرة الإلهيّة.

وعلى المشار إليه أن لا يتساهل في الدعوة والتربية والشفقة والنصيحة لعباد الحقّ، وليقم دائماً على وظائف الرياضات والمجاهدات، وليشغل الأوقات كلّها بذلك، ويلزمه في جميع الأوقات أن يراعي قواعد الشريعة وآداب الطريقة كما رآها، وأن لا يهمل دقيقة واحدة من ذلك في الشيب والشباب، ونسأل الله تعالى أن يطلق أُمّة محمّد بمتابعتها كمّل الأولياء والمحقّقين العرفاء الذين هم الوارثون حقّاً للمصطفى ﷺ والمرتضى عليه السلام ومبايعتها لهم من الهواجس النفسانيّة والوساوس الشيطانيّة، ويوصلها إلى الكمالات المعنويّة، وأن يحفظ المرشدين الكاملين والمكمّلين والهادين المهديّين والهادين السبيل في جادة الشريعة وسجّادة الطريقة راسخي الأقدام على الاستقامة والإحكام بحرمة كمّل أوليائه من الأقطاب والأفراد».

وهذه هي صورة الإجازة من ابتداء «بسم الله» إلى هنا دونما زيادة أو نقص.. (والحمد للّه ربّ العالمين).

أقام حضرة الشيخ بعد وفاة السيّد نوربخش في شيراز وتخرّج به كثير من أهل الكشف ونهضوا من حجر تربيته، وأقام هناك رباطاً «خانقاه» رفيعاً يدعىٰ «خانقاه النوريّة» وفتحه للخلوة، وفي كلّ عام يقيم فيه الأربعينات ويصحبه على ذلك جماعة ممّن أعطاه يد الإنابة والإرادة، وأوقف سلاطين الزمان عليه الأوقاف والصدقات وجعلوا التولية لحضرة الشيخ ولأولاده الأمجاد من بعده مع التفويض.

وقبر الشيخ المنوّر أيضاً في تلك البقعة، وكما يفهم من قصيدة «ملّا بنائي» أنّ

الشيخ يحاول النظم أحياناً ويتخلّص بلفظ «أسيري»، وديوانه معروف مشهور، وقد جاء شطر من شعره في أثناء شرح «گلشن راز». توفّي الشيخ في...[١]

الشيخ المرشد العارف المعروف بمخدوم الأعظم
الحاج محمّد الجنوشاني

تتصل نسبة إرادته بصاحب الحضرة الأمير السيّد علي الهمداني نوّر الله مرقده بأربعة واسطة؛ لأنّ «جناب» الشيخ من خلفاء الشيخ شاه علي الإسفراييني، والشيخ علي من خلفاء الشيخ رشيد الدين محمّد، وهو من خلفاء شهاب الدين عبدالله برزش آبادي المشهدي الذي ادّعى خلافة خواجه إسحاق الختلاني، وهو خليفة السيّد علي الهمداني. في حين يعرف مريدي السيّد عبدالله في خراسان بالصوفيّة، ومريدي السيّد محمّد نوربخش الذي كان متفقاً مع الخليفة خواجه إسحاق بالنوربخشيّة. ووقعت بين مريدي الطائفتين مناقشات طويلة في إثبات خلافة سيّد عبدالله ونفيها.

وكان الجناب المخدومي في بدء حاله وقبل بلوغه درجة تكميله وكماله منشغلاً أحياناً بتحصيل العلوم في هراة، وكان ينفق الساعات في تلك الأيّام بأصناف الرياضات وأنواع العبادات إلى أن رأى الشيخ شاه علي في الواقعة بعد مضيّ سنين عدّة، وكانت الواقعة مشعرة بعنايته به وتوجّهه إليه. وبناءاً على هذا فقد ولّى وجهه شطر «إسفراين» بصدق وصفاء، ولوىٰ عنان توجّهه إلى تلك الديار باحثاً عن ملازمة الشيخ «شاه علي» فيسّر الله له تلك الملازمة، ونال الغنم وسلم من الغرم.

---

(١) إلى هنا انتهت ترجمة الشيخ دون أن يذكر سنة الوفاة وبدأت ترجمة أُخرى، ويظهر أنّ ذلك نقص طرأ على الترجمة من الناسخ.

ومجمل القول: إنّ «جناب الشيخ» من الأولياء الكبار ومحبّي أهل البيت الأطهار، وعلى هذا لمّا كان هذا الشيخ عامراً مجلسه دائماً بذكر مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ومزيّناً بزينة فضائله، وكان لا يهاب المعاندين ولا يعدّ مكرهم شيئاً ذا بال.. لا جرم فقد انبرى له جماعة من منكري النعم، والكافرين بباريُ النسم، وألصقوا به مختلف التُّهَم، وأضمروا صدور الفتوىٰ بإباحة دمه إلى أن همس أحد العوام، وهم كالأنعام بسمع أضلّ الأنام المدعوّ في هراة بشيخ الإسلام: أنّ الشيخ الحاج محمّد الجنوشاني بناءاً على مذهبه الذي عرفته، يقرأ رسالة «أعلام الهدى» في مجلسه، وهي من تأليفات الشيخ شهاب الدين السهروردي، ويحلّ بعض رموز كلماتها على أساس مقاصد الشيعة، وبهذا يضلّ الناس.

وبناءاً على هذا الهراء والافتراء حكم شيخ الإسلام على أولياء والي خراسان بحمله من جنوشان إلى هراة، ووضعوه بين يدي شيخ الإسلام، ولمّا كان هذا المدبّر غير المقبول بعداوة أهل بيت الرسول ومحبّي أولاد البتول مجبولاً بفطرته ومعجوناً بطينته، بالغ في إهانة ذلك المقام العظيم وإيذائه كثيراً، وقال: مالك ولرسالة «أعلام الهدىٰ» تقرأها في مجلسك وتترجمها لجلّاسك وتُعلّمهم خفاياها، وتشرح لهم أسرارها وزواياها؟ تُريد أن تحرفهم عن نهج أهل السنة ؟!

فأجابه الشيخ: إنّ هذا الكتاب اشتهر تاليفه عن الشيخ المذكور، ولم يطعن به رجل من أهل السنة، ولم يحكموا بإحراقه أو محوه، فلماذا توجّه هذه التُّهَم لقارئه ويؤاخذ بقرائته ؟

فقال شيخ الإسلام: إنّ الشيخ شهاب الدين كتب رسالته بالعربيّة، ولا يقدر عوام الناس على فهمها، وأمّا الخواصّ فإنّهم يؤوّلون بعض كلماتها المخالفة لمذهب أهل السنة، فلا يكون والحال هذه مفسدة في البين، ولكن المفسدة

الناشئة عن فعلك أنت كثيرة لأنّك تقرأ ترجمتها على الخاصّ والعام ويصدّق السامع بها لثقته بك وتعتبر طريقتك هذه حقّاً.

وتمام الحكاية أنّ المير محمّد يوسف الهروي الرازي ـ وهو من أكابر هراة وتلميذ شيخ الإسلام وله اعتقاد بالشيخ المعظّم ـ شفع بالشيخ واستطاع بألف حيلة أن يصدّ عنه القتل والإحراق.

شعر

قتل اين بنده به شمشير تو تقدير نبود

ورنه هيچ از دل بی‌رحم تو تقصير نبود

لم يكن قتلي بالسيف بتقدير جرىٰ لمشى القاتل بالرحمة ما بين الورىٰ

ذكروا أنّ حضرة الشيخ لمّا تكدّر خاطره من شيخ الإسلام، خرج من هراة ورأى بظاهرها أحد دراويشها فابتلى به وسأله: إلى أين انتهى حديثك مع شيخ الإسلام؟ وإلى أين أنت ذاهب؟ فأجابه الشيخ:

*** من و ساقى بهم سازيم و بنيادش براندازيم ***

أنا والساقي اتفقنا وهو لا يدري عليه

سوف تنهدّ صروح بسقت بين يديه

ويقال: إنّ غرض الشيخ من الساقي «مظهر الجلال الإلهي الشاه إسماعيل أنار الله برهانه».

وأمّا شيخ الإسلام فقد احترق بغضبه المبير، ولاقىٰ جزاء أعماله من ربّنا القدير.

وتوفّي «جناب الشيخ» في عهد عبيد خان الأُوزبك في مدينة خوارزم في سنة ثمانٍ وثلاثين وتسعمائة (٩٣٨).

الشيخ أفاضل العارف الأوحدي عماد الدين فضل الله المشهدي

الصقر المحلّق عالياً في سماء استعداد الولاية، وطير السعادة لانتماء فضاء الهداية والإرشاد. وصل إلى خدمة المخدوم الأعظم الحاج محمّد الجنوشاني في عنفوان شبابه بعد طيّ المراحل التعليميّة للعلوم الظاهريّة، وبلغ في مدّة قياسيّة إلى المرتبة العالية لكُمّل الأولياء، وبعض محقّقي هذا الوادي يرونه قريناً للشيخ مجد الدين البغدادي، وبعضهم يرونه أعلم وأكمل وأفضل.

ومن لطائف الصدف والاتفاقات أنّ بين هذين العالِمَين حصل اتفاق في الظاهر بل في الأحوال الظاهريّة، وتطابق بيّن من قبيل أنّ كلّ واحد من هذين العَلَمين حبيب شيخه، وتوفّي قبل وفاة شيخه، وكلّ واحد منهما يلبس لباس أهل الظاهر، ويصحبون الملوك والأُمراء وينصحونهما، ويبذلون الجهد في الإبلاغ، وكلّ واحد منهما شرب في أيّام شبابه وحداثته نقيع السمّ الذي هو رحيق الشهادة والسعادة الأبديّة بأمر السلطان وحكمه الجائر.

ولمّا كان رسم لوحة مجملة عن أحوال صقر أوج الشهود ومقاماته من إجازة شيخه الشيخ الحاج محمّد التي حبّرها له أحسن وأظهر، لذلك رأيت نقلها في هذا المقام أنسب، فأقول بعد تقديم حمد الله والصلاة على رسوله وسيّد خلقه، وهذه هي الإجازة:

ليس خافياً على أحد أنّ للّه سبحانه في كلّ زمان على وجه الأرض عباداً بتوفيق الله هم بمنزلة ثمرة الصفة على فرع الشجر الإنساني قد نضجوا بنور شمس المحبّة الإلهيّة وإضائة قمر المعرفة اللّامتناهية، فكانوا زينة لروض الخليقة، وقوّة لقلوب أهل العلم والحقيقة، ويضعهم الزارع الصانع بيد العناية على أطباق العزّة، ويعرضهم لعيون مشاهدي الجمال المحفوف بالكمال للملك

العلّام، والمقصود من الروض والشجر والشهود والوجود فائض الجود هم أنفسهم، ونالوا حصّة ميمونة من بركة الاقتداء المحمّدي والاتّباع النبوي، من النعت «لولاك لما خلقت الأفلاك» كما يظهر ذلك من الحديث النبوي: إنّه يبقىٰ قوام العالم ببقائهم، ولو ببقاء واحد منهم، ولو خلت الدنيا منهم لقامت القيامة.

وفي هذا العصر والزمان بتأييد الخالق المنّان يوجد عَلَم منهم وهو الولد ذو الهمّة العالية، ذو المطامح السامية، سالك مسالك الطريقة، والواقف مواقف أسرار الحقيقة، المخطوف بخواطف العناية، والمجذوب بجواذب الهداية، المؤيّد من عند الله، أبو الوقت، الشيخ عماد الدين فضل الله، متّع الله المسلمين والطالبين بإرشاده وبركات تقواه، ابن الأجل المحترم الخواجه علاء الدين علي بن الصدر المكرّم الخواجه كمال الدين نعمت الله «برزش آبادي الطوسي» الذي تحلّىٰ بحلية الكمال بمدّة تقصر عن العام الواحد، وقد طوى في مدّة الخلوة وهي اثنا عشر ليلة الأطوار السبعة بالترتيب والتفصيل، وبزغ من أُفق الولاية الكبرىٰ كأنّه البدر ليلة التمام، وتشرّف بالخاصيات والتجلّيات الآثاريّة والأفعاليّة والصفاتيّة والذاتيّة..(١)

آتش او را سوخته همرنگ خود   من چه گويم كاين ندارد حدّ و عد
أحرقته النار حتّى قد جوىٰ   لونها ماذا يقول القائل
از بس كه آن نگار همي گيردش كنار   بگرفت بوى يار و رها كرد بوى طين

ولمّا جرى بحر تجلّيات الذات في جداول النعوت والصفات، وتحقّق بالقدر الرفيع التخلّق بأخلاق الأحوال والولايات والحقائق والنهايات والمقامات

(١) تحتوي هذه الإجازة على نثر خاصّ بأهل التصوّف أمكننا ترجمته على النحو المشاهد، وورد بعضه باللغة العربيّة، وفيه اصطلاحات صوفيّة تحتاج إلى شرح لم نهتدِ إلى معناها.

العاليات، بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[١] استوعب في الزمن القليل بعون الملك الجليل الأسفار الأربعة، ومثلها من أصناف الشهوديات قد استظهرها تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٢]، وتمّ له بالتسيير تطبيق الأنفس والآفاق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٣]، ونال النصيب الأوفر من ذلك، وتغلغل في رموز الأسرار: كنت كنزاً مخفياً..[٤]

وفي تاريخ أواسط ذي القعدة الحرام سنة سبع وتسعين وثمانمائة، عندما رفع الله الدراويش وإيّاه بزيارة أعتاب القدس الملائكي حضرة سلطان الطريقة وبرهان الحقيقة قطب الأقطاب والغوث الأعظم لأُولي الألباب، الصقر الخفيف السير، السلطان أبي سعيد أبي الخير، بماهيّة مباركة جرى من عالم الغيب البريء من العيب، بالتصريح والكناية بالبشارة، والإشارة بالعبارة كتابة الإجازة[٥] لإرشاد هذا الولد النبيل صاحب التكميل على سبيل التعجيل، وكتابتها بالعجلة لمّا بلغ الكتاب أجله، إلّا أنّ بعض المخاديم ممّن هو واجب التكريم في ذلك البيت الرفيع، ذي المرتبة العالية والمنقبة السامية، الذي امتثال أمره على خادم الدراويش هذا لازم، أمرني قائلاً: لو كانت كتابتها ومضمونها بفارسيّة لكانت أصواب، والناس فيها أرغب، فامتثلت أمره مرّة بعد أُخرى، فجاء هذا المعنى في سلك التحرير، وحيّز التقرير:

---

(١) الزمر/٦٩.

(٢) الكهف/١٠٩.

(٣) فصّلت/٥٣.

(٤) حديث قدسيّ وتمامه: فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأن أُعرف. رسائل الكركي ج٣ ص١٥٩، شرح أُصول الكافي ج١ ص٢٤.

(٥) فاعل جرىٰ.

شعر

أعد ذكر نعمان لنا إنّ ذكره هو المسك ما كرّرته يتضوّع

شعر

سالها من شرح شوقش دادمى گر كسى بودى كه باور داشتى
كم مرّ عام وعام والهوى مزق ما بينا وأنا تدعوك أشواقي
لو كنت حيّاً لما كذّبتني أبداً فاذهب إلى حيث تهوى إنّني باقي

ولكن مهما تكرّرت منّا الأقوال، وأمطنا الستار عن ألفاظ تلك المعاني، فإنّ معرفته غير متأتّية لأبناء نوعه تحقيقاً للقول المأثور: «أوليائي تحبّ قبائي لا يعرفهم غيري».

وغيرة الله يأبى الكشف، بل إشارة الألف وعبارته والقرطاس والقلم لا يعدّ من المحارم:

كاندرين روزگار نافرجام جام خصم است و سايهٔ نامحرم
في زمانٍ كزماني بُليت فيه الأماني
تصبح الأكؤس خصماً وكذا ما في الدنان
وكذا ظلّ حبيبي لا يراه أو يراني

ولكن أرباب المعاني في صومعة خلوات الروح ينطقون بلسان قاصر وبسمع روحانيّ ثائر ليدركوا هذا الرمز الخفي فيقولون: أيّها الأحباب المبصرون، وأهل البصائر المميّزون، وأيّها الرفقاء الذين فاقوا جميع الأشياء، تعاهدوا باكورة هذا الروض الغيبي، واغتنموا دولته كثيرة البركة، واعتبروها غنيمة ذات قيمة، وسلّموه القلوب والأرواح بمحبّة وأفراح، وارفعوا أيديكم بالدعاء والذكر والثناء، والشكر لدوام هذه الكرامة إلى يوم القيامة.

مثنوي

طـــاير ايـــوان لاهـــوتى وى است / بـــلبل گـــلزار نـــاسوتى وى است

مـــاوراى جسـم و جـانش آشـيانست / او از آن مـــرغان بـــاغ لامكـــانست

شـــاهبازان جـهان صـيد وى‌انـد / پـــاكـــبازان جـمله در قـيد وى‌انـد

اى خـوش آن مـرغى كـه در پرواز او / فــهم كــرد از نـيكبختى راز او

تـــا شكســـته بـالكان بـر وى تـنند / قــاصد ار زيـر آيـد از چـرخ بـلند

در وى آويــزند تـــا بـــازان شـوند / گــرچـه جـغدانـند شـهبازان شـوند

يـــار را مـحرم‌تـر از وى كـو كسـى / اى دريـــغا غـــافلند از وى بسـى

وصـف آن كـردم كـه شايد پـى بـرند / پيش‌از آن‌كز فـوت آن حسـرت خـورند

تقريب المعنى:

إنّـه الطـائر الذي طـار فـي اللّاهـوت / حـــتّى تـــجاوبت أصـــداءه

وهزار قـد حـلّ فـي وارف النـاسوت / لمّـــا تـــدلّهت أفـــياءه

عشّه الكـون مـا عـدا الجسـم والروح / فـــفيه بـــهائه وروائـــه

لا مكـــان يـحويه أكـبر مـن أيّ / مكـــان تـــوسّعت أنـحاءه

لا يـصيد البـغاث بـل صـيده الصـقر / إذا مـــا جـــرىٰ رخـــاءاً هـــوائه

كـــلّ روح صـــفت أسـيرة قـيد / مـنذ يـمتدّ فـي الوجـود احـتوائه

لا يـــؤمّ العـــلوّ إلّا جـــناح / مـلعب الشـهب فـي السـما أرجائه

تســتظلّ البـغاث فـيه لتـغدو / الصـقر والبـوم يـحتويه سـماءه

مـن سـواه الحـبيب لكـن تنـاست / عـــهده بـــعد بُـــعدها أصـفياءه

ووصـــفناه كـــي يـــراه حـبيب / قـبل أن يـنقطع بـموت رجـاءه

بعد الاستخارة من الله والاستجازة من أرواح أولياء الله، وامتثال الأمر الغيبي

أجاز هذا الفقير بموافقة الأولياء ومتابعة الأصفياء ابنه النبيل المشار إليه إجازةً يقبل بها توبة الطالبين، وتلقين الذكر للراغبين، وجلوس الصادقين وإجلاسهم، وحلّ مشكلات العاشقين وتعبير واقعاتهم، وتربية المريدين والمشتاقين، وإلباس خرقة الطريقة وهو أولى الناس بها وأليقهم فيها، وأُجيز بخرقة التكميل، وله إلباس خرقة الطريقة لكلّ أحد إذا وجد فيه الأهليّة لذلك، وأعطيت له العمامة والطاقية والمسواك، وأُذن له بإمرار المقص أو المقراض[1] على فرق الأطفال القابلين للطريقة أي وضع العلامة لهم في شعرهم، وفوّض إليه جميع الأُمور المتعلّقة في طريقة مشايخ السلسلة الشريفة، من القليل والكثير، والنقير والقطمير[2]، والإجازة عامّة كاملة من غير تقييد، ومن الله التأييد.

وأوصيناه بالتعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وبكثرة الصلوات على روح صاحب الرسالة وجميع الأنبياء والأولياء عليهم السلام في جميع الأوقات، والدعاء لأرواح المشايخ والعلماء، وبخاصّة قدوة السلسلة.

وأوصيناه كذلك بتقوى الله وعبادته في السرّاء والضرّاء، ورعاية آداب المشايخ وطريقتهم، والأمل قائم بكرم الله تعالى أن يثبته في مقام القطبيّة، وأن يستفيض أبناء نوعه من فيضه العام والخاص، وأن يُديم الخصب والبركة في سلسلته بالتخليد والتأييد. اللهمّ ثبّتنا على نهج الاستقامة، وأعذنا من موجبات الندامة يوم القيامة، وصلّى الله على محمّد وآله أجمعين.

---

(١) قال في لسان العرب: والمقص: المقراض وهما مقصّان والمقصّان: ما يقص به الشعر ولا يفرد. ج٧ ص٧٤. وفي غريب اللغة لابن سلام: سمّي المقراض لأنّه يقطع، وأظنّ قرض الفأر منه لأنّه قطع. ج٤ ص١٥١.

(٢) قال ابن فارس رحمه الله: النقير نكتة في ظهر النواة/معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٤٦٩. القطمير في تاج العروس: والقطمار بكسرها شقّ النواة الخ ج٧ ص٤٠٧.

وجناب الشيخ المعظّم مع ما يمارسه من الحوار مع أبناء عصره وما يزاوله من الصيد والقنص، قد يقع في شباكه أحياناً غزال نافر من الخيال، ويقيّده بقيد الشعر، ويولي تأليف بعض الرسائل عنايته، ومن جملة تأليفاته الشريفة شرحه النفيس جدّاً والرفيع الغالي على رسالة لوايح عبدالرحمن الجامي، وفيه تعقّب المصنّف في طريقته، وكان يورد بعد الشروع بكلّ رباعيّة لوائح الرباعيّة على نفس المنوال من نتائج طبعه الوقّاد، ومنها هذه الرباعيّة التالية:

رباعيّة

بر درگه عشق تحفه چون جان نبرى — دردت چو دهند نام درمان نبرى
بى‌درد زدرد عشق نالان گشتى — خاموش كه عرض دردمندان نبرى

تقريب المعنى:

وإن لم تجأ بالروح للعشق تحفة — وخامرك الداء الذي أنت لاقيه
فإيّاك أن ترجو دواءاً لدائه — فإنّ مريض الحُبّ من ذا يداويه
بلا ألم أبكاك عشق مبرّح — ألا اسكت لقد أخزيت بالدمع أهليه

استشهد الشيخ المعظّم في أحد شهور سنة أربع عشرة وتسعمائة في المشهد المقدّس ودفن هناك، وفي أسرع وقت شاغب «شبيك خان» فقطف رأسه بسيف الشاه إسماعيل الصفوي أنار الله برهانه، وتمّ القضاء عليه.

خاتم مرشدي الطريقة الهمدانيّة: الشيخ كمال الدين الخوارزمي

كان من متأخّري السلسلة العليّة الهمدانيّة، والظاهر أنّه لم يرق بعد أحد من هذه السلسلة الكريمة إلى مقام أسمىٰ.

والده الشيخ شهاب الدين من أولاد الشيخ المعظّم برهان الدين قليچ الذي

استراح في «اندجان»[1] وذهب أبوه إلى خوارزم في عهد جوكي ميرزا، وتزوّج هناك، وولد الشيخ في تلك الديار.

وشيخ إرادته المخدوم المعظّم الشيخ الحاجي محمّد جنوشاني، وشيخ نظره الشيخ عماد الدين فضل الله المشهدي، وكلاهما من مشايخ الصوفيّة الإماميّة كما سبق بيان ذلك.

ونقل الشيخ محمود العجدواني في كتابه «مقامات الشيخ كمال الدين حسين ﷺ» أنّ الشيخ قال: كنت في عهد الصبا وغرور الحداثة وشره الشباب متّبعاً هوى النفس الجامحة، وأجول في ميدان الهوى والهوس لبلوغ مئارب النفس، وفي أيّ واد وضعت قدمي بلغت فيه إلى هدفي، وأطويه حتّى النهاية، ويتجلّى لي التزلزل وعدم الثبات والقلب، وتنعكس النتيجة عندي علماً، وقبضت عليه بكلتا يدي، وعضضت عليه بالنواجذ، حتّى بلغت إلى حضرة رجل عالم وكان يحمل في ذهنه بعض ثمار الدفاتر وأقاويلها، فأثنى علَيّ وأطراني بالقابليّة والموهبة والشرف والعلم، وصوّرني لنفسي عالماً على العالم والعالمين، وحوّلني من حقيقة ما أنا عليه إلى الوله بتحصيل العلم، وحبّب لي طلبه، وأعطاني جرعات من «قواعد القالي» ومباحثه، وجعل خاطري ملتزماً به، مشغولاً بترديده.

وأقمت زماناً على حفظه وضبطه، وبذلت الجهد المحمود، وسعيت سعياً حثيثاً في ذلك إلّا أنّني بدت لعيني منه ظاهرة منفرة؛ ذلك أنّني كلّما ازددت سعياً

---

(١) لم أعثر على الكلمة في كتب البلدان، وذكرها الشيخ الطهراني في الذريعة مرّتين فقال: «ديوان بديعي اندجاني سمرقندي» الملّا يوسف، أصله من أنديجان ج٩ ق١ ص١٣٢، وديوان ناجي اندجاني، قال: واسمه محمّد حسين بن محمّد زمان، أصله من أندجان. ج٩ ق٤ ص١١٤٥.

وتفتّحت وعياً في أحوال هذا الأُستاذ وأعمال هذا الملاذ، وأكثرت التفحّص عنه والتجسّس عليه أراه خلواً من ذلك العمل، عارياً عن الأوامر والنواهي، فاكتضّ خاطري بالنفرة من سلوكه، والبُعد عن شعاره، وأنكر قلبي شيمته إنكار عبرة، فذاكرته بالموضوع، وسائلته عمّا يدور في نفسي، وقلت له: إذا كانت خاصيّة العلم أن يكون شعارك ونتيجته أن يتحوّل فيكون دثارك فأرى التعرّي منه وهو بهذه الصفة أحلى وأحسن؛ لأنّ علماً كهذا هوالعرض المشوب بألف غرض الذي يكون مادّة لعشرات الأُلوف من المرض الذي يظهر في الباطن ويجرّ إلى الهلاك.

ولمّا ظهر لي أنّ نتيجة العلم هي الأعمال، ونتيجة الأعمال هو القرب والوصال من حضرة ذي الجلال، فلماذا لا أسلك طريق العباد، وأقتدي بهدي الرواد، وحرفة المطهّرين، وأمضي على سنن المحلّقين؟ ولماذا لا أُهاجر إلى الله ورسوله، وأطوي المنازل والمفاوز في طلب الحقّ، وأجوب الفدافد والتنائف، واستمدّ استفاضة العلم اللدنّي من طلب الرياضات، لأنّ حوت العشق إذا بلغت لي قعره «ثمّ يدركه الموت» أصل إلى «فقد وقع أجره على الله» وأنال تلك الحظوة منه سبحانه، وإذا لفظني موج اللطف إلى الساحل «فقد فاز فوزاً عظيماً» ويكون ذلك هدفاً وقصداً مستهدفاً.

وإذا اتقدت في سرّي شعلة المحبّة، وتدافع شررها، وتلألأ في باطني نور من حقائق الطلب، عندئذٍ يكون هادي الطريق في رفيق، فأدوس على هام الميول، وأسحق خيل الخيال بقدم الهمّة والكمال، فأدير أوراق «دفاتر قال» بنور بصيرة الصفات عدداً من الأوقات حول قلبي، وأصغي بسمعي للإلهامات غير المسموعة، وأرى مئات الغرائب غير المرئيّة بإشارة النظر إلى آثار رحمة الله، وأتنسّم بمشام الروح نفحات الرياض من «فروح وريحان وجنّة نعيم» ويكون

أُستاذ «علم قال» من لذّات هذه الحال بلا علم ولا خبر، ويخلو من أثر صفاء الباطن، وفي كلّ لحظة يطلق لسان الشفقة بكلام النصح كما يظنّ، وبدلائل الترغيب في المعقول والمنقول يحملني بدمدمة الساحر ووسوسة الماهر على نقد العلوم العقليّة والنقليّة. ولمّا كان القلب مولعاً بشأن آخر فلا يترك فيه وسواس الجنّ والناس أثراً.

شعر

دلی کو مایل دلدار باشد غریق لجّهٔ دیدار باشد
چنین از غیر او قطع نظر کرد که خود هم در میان اغیار باشد
نصیحت را در این عاشق چه تأثیر که مجنون در خیال یار باشد

تقريب المعنى:

فأين هو القلب الذي في محبّه يهيم وفي موج اللقاء غريق
ويغرف عن كلّ الوجود زهادة وعن نفسه والزهد فيه حقيق
وما ينفع النصح البليغ بعاشق غدا من جنون العشق ليس يفيق

ومجمل القول: إنّ همّ الطلب في قلبي الهائم قد تزايد وتضاعف، وكان مقبلاً على أداء الفرائض والنوافل، معتزلاً في زاوية من مسجد «زماني»، إلّا أنّ غلبة الضعف البشري يحملني أحياناً على الالتحاق بأصحاب الأمس والأُنس بمجالسهم ومنادمتهم إلى أن حدث يوم أنّ فتىً قدم علينا من «ولاية خراسان» وكان محدّثاً لبقاً يجول في الحديث يميناً وشمالاً، ويطعّم حديثه بألماس الفصاحة والبلاغة، إلى أن ألهمه الله ربّ العباد سبحانه أن يقصّ الحكاية التالية، فقال:

اجتزت من «أبيورد» فرأيت فتىً أقبل عليه الحظّ، قد ناسب الملاك في

شعاره، ولاحت عليه علائم الولاية، وسطعت من جبينه أنوار الهداية، وهو قائم قيام الملوك على رعاياهم في عالم الأرواح، ومتسلّط على الجمع تسلّط الجنّ على الإنسان، يتصرّف فيهم تصرّف المالك بملكه، ولئن كان يافعاً بالسنّ فإنّه رفيع بعلوّ الشأن، ويدعونه بالشيخ عماد الدين فضل الله، وفي رأي شيخه ومرشده أنّ دولة ولايته وإرشاده قد تيسّرت له في حقبة من الزمن لم تتجاوز الاثني عشر يوماً.

يقول الشيخ: فكأنّ هذا الحديث هادٍ هداني من الغيب وهاتف هتف بي بلاريب، واستحضرني إليه من بين ركام الحوادث، ووضعني بعد الضياع على جادّة الطريق، فكأنّ روائح أنفاسه نسيم عالق بالروح، وقد هبّ على جمري الخفي فألهب نار المحبّة، ورمى إليها في ألسنة اللهب حطب العلايق والعوائق حتّى احترق.

آمد از سويش نسيمى آتش دل برفروخت
برقى از كويش بجست و عالم جان را بسوخت

أتت من حيّهم ريح فأذكت لنار الروح تحرق من أتاها
ولاح البرق وضّاءاً فلمّا أصاب الروح أحرقه سناها

ومن هذه الحكايات تصاعدت الصيحات من فطرتي، وهبّت الآهات منطلقة من لهيب روحي، وقفز على لساني شوقاً إلى الحبيب من قلب حريق، وجفن غريق، فقلت:

رباعيّة

جانا زغم تو ترک سر خواهم کرد وز بودِ وجودِ خود گذر خواهم کرد
از هستى خود قطع نظر خواهم كرد آنگه سوى نيستى سفر خواهم كرد

حـبيبي سأتـرك سـرّ الهـوىٰ وأجـتاز مـن مـوجبات الوجـود
وأقـلو وجـودي فـلا أولـه اهـتماماً وأدخـل دنـيا الخـمود

وبقيت تلك الليلة أُدغدغ صدري المليء بالألم بأصابع الحسرة وأحثو على رأسي تراب الخسران، وحطمت معالم الاسم والرسم، ودكدكت التعلّقات الصوريّة حتّى ساويتها بالتراب، ووجّهت وجهي شطر الحبيب الحقيقي، وخطوت بقدم الهمّة في وادي الطلب والرياضة، وأغمضت عيون الحيرة عن مرائي أحباب الظاهر وأصحابه، ونفضت يدي من كلّ ما يرىٰ أو يقال في العالم وبين أبنائه، وألجمت النفس المتوحّشة الهائجة بلجام الرياضة في ميدان المجاهدة، ومثّلت بيني وبين نفسي كلّ ما كنت أسمعه ويعيه ذهني أو ينقل في الطروس من القواعد والدروس في فكري، وحثثت مراكب الهمّة في الميادين، ورأيت أنّ الفتح حليفي إذا ما وافقت رياضات أُولئك المطهّرين والمشايخ المتقدّمين، وأوقدت على وجودي المشوب في بوتقة المجاهدة بنار المخالفين، واتّخذت من صدر الألم المتواصل هدفاً لسهام المحنة والبلاء..:

رباعيّة

آنها كـه بـه مـيدان طـلب تـاختهانـد سـينه هـدف تـير بـلا سـاختهانـد
هـر لحظه هـزار بـار از آتش شـوق در بـوتهٔ عشـق يـاربگـداختهانـد

ولمّا أعرض قلبي عن كلّ ما سوى المطلوب جميعاً وولّى وجهه شطر الحقّ، فإنّ لطف الله أعانني حين عطف باطني إلى جهته، وستر ظاهري أيضاً عن النظر إلى الغير، وحجبني عن أعين القاصرين تماماً، لا جرم فقد غدوت باحثاً عن وجود الشيخ المرشد، وفتّشت الأماكن والمساكن والأطراف والنواحي، وأسأل من الديار عن وجود المشايخ الكبار حتّى وصلتني الأخبار من «ولاية بخارا»

عن شيخ يدعىٰ جمال الدين، العزيز الذي تعلّق همّه بإرشاد الناس.

فأقلعت من خوارزم دونما توقّف، وعقدت العزم الصحيح، وإن كنت بلا زاد ولا راحلة، وقصدت قصد بخارا، وطالما توسّل بي متوسّل من الإخوان والأصدقاء المؤمنين الذين صحبوني في هذا السفر أن أئمّ بيته لتناول ما يسدّ الرمق من طعامه، حتّى إذا بلغت بخارىٰ ودخلت ديارها وشممت نسيم أقطارها، أسرعت للقاء الشيخ المذكور، وسلّمته زمامي، وأعطيته قيادي، وذبت في ذاته ومحوت ذاتي تحت سلطان إرادته، فلم أتنسّم من وجوده رائحة الروح، ولا شممت ريحان العشق، وبقيت في ديار ماوراء النهر أعدو خلف كلّ شيخ، وأطرق الزوايا بحثاً عن الصالحين بدون تمهّل أو توقّف، فأصحبه وأُماشيه، وأصبت من كلّ فريق في كلّ طريق بغيةً أبتغيها فأُداريه صراحة وسرّاً وخفاءاً وجهراً، فأراهم وإن ازدانوا بزينة الله وأرى نفسي وإن كنت من المقرّبين وأهل الحقيقة أو هكذا يُظنّ بي، وهم يبدون بظاهر مقبول لمن يخدع بالظاهر إلّا أنّني عندما أُدقّق في أحوالهم بنور البصيرة أبصر باطنه عارياً من ثياب الطريقة والحقيقة، وكلّ واحد داخله الغرور بنفسه، ووقع الهجر عليه من مسالك الطريقة وحالات الحقيقة، وهذه الأسرار الخفيّة من مكاشفات الأسرار و«الورود والإرادات[1]»، ومن فضل الله وهباته.

ولابدّ من اتضاح ذلك أنّي كلّما اطلعت من هذا المضيق على حقيقة أحوالهم أسرعت في الفرار من ساحاتهم، وهربت من صحبتهم بسرعة فائقة.

وبعد ملازمة مشايخ ماوراء النهر والتعرّف على خفيّ أحوالهم ودقيق

---

(١) كتبتها كما وردت عند سيّدنا المؤلّف لأنّها من المصطلحات الصوفيّة ولم أعثر على مرادفها في العربيّة.

أسرارهم، ولمّا بقيت المشاكل حيث هي لم تنكشف غمّتها بهم ولم تضمحلّ ظلمتها بواسطتهم، رجعت القهقري إلى خوارزم عودي على بدئي، وظللت مرابطاً في زوايا المساجد والجوامع والتكايا والصوامع، وانزويت في مراقد المشايخ أنتظر البشائر الغيبيّة، واتّجهت ذات ليلة إلى عالم المعنى ومسحت جبين الحاجة على بوغاء الثرى[1]، وإذا برجل مقبل عليّ كأنّه قاصد، فقال لي: إنّهم يطلبونك وأنا فعلاً اخترت أمره فاتّبعته وإذا بنا أمام رجل يصلّي، إنّ هذا الرجل الذي جاء إلي «سالت» اعتقلني عنده حتّى فرغ من الصلاة فأخذني إليه وقال: إنّ هذا هو الذي طلبك، وجئت بك إليه. فعلمت بعد برهة قصيرة من الزمن أنّه إمام المتقين وقدوة الأئمّة المعصومين أميرالمؤمنين عليه السلام، وسأل الإمام عليه السلام من هذا الحقير: هل تقبل أن تكون مريدي؟ فأجبته بمضمون هذا الشعر:

مريد توأم زانكه جان را مريدى عليك اعتمادي عليك استنادي

ثمّ قبض الإمام على يدي وأخذ منّي البيعة وقبل إنابتي، ولمّا أفقت وعُدت إلى نفسي رأيت قد مازجني نور وحضور ووجد وسرور، ورأيت حرقة الاشتياق وألم الفراق في وجداني قد فاق الحدّ وتعدّى العدّ، فانطويت على الرياضات والمجاهدات أُمارسها أكبر من ذي قبل، فركنت إلى زاوية متألّماً فقيراً سائلاً، وجلست جلسة المتفكّر، وقعدت قعدة المتوجّه، حتّى إذا ما دنى السحر ومال القمر رأيت شخصين أحدهما شابّ طرير والآخر شيخ كبير، فتناولا يدي فعصراها بشدّة حتّى أُبت إلى نفسي من إحساسي بها، وقالا لي: قُم الآن وجدّد وضوءك، فقمت مع أنّي على وضوء فجدّدت وضوئي بأمرهما وعُدت إلى الزاوية وجلست حيث كنت جالساً، فجاء الإثنان كرّة أُخرى وأجلساني القرفصاء

---

(١) البوغاء: التراب عامّة.

ولقّناني ذكر «لا إله إلّا الله» على ضروب أربعة وقالا لي: حاول أن تعجّل في اللحاق بنا ولكنّهما لم يفصحا عن شخصيهما ولم يدلّاني على الموضع الذي آتيه ولا قال لي أين أجدهما، ولمّا أفقت من غشوتي تجدّدت أحزاني وحيرتي وقلّة صبري أضعاف ما كنت عليه، وصرت باحثاً عن تلك الإشارة المبهمة.

وذات ليلة وأنا في زاوية المزار غارقاً في الانتظار لتلك السعادة، جالساً في حيرتي إذ غبت عن الوجود فرأيت نفسي كأنّي في سفرٍ بوادٍ من الوديان وإذا بي أرى وأنا في هذه الحال مناراً غاية في العلو، ورأيت في أعلاه رجلين قائمين يناديانى أن هلمّ إلينا، وأنا متردّد لأنّي لا أرىٰ منفذاً في هذا المنار يبلّغني إيّاهما، ولمّا دنوت من النار مدّ الرجلان أيديهما ومالا علَيّ والمنار فعل فعلهما، فتناولا يدي ورفعاني إليهما، ولكن المنار ظلّ يدور في حركة دائبة لا يستقرّ على حالة، فسألتهما: ما بال هذا المنار لا يهدأ؟ وكيف يمكن تسكينه؟ فقالا: «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب»، ردّد ذكر «اللّه» أربع مرّات بشكل محكم ومضبوط كي يسكن هذا المنار في موضعه.

وعلمت بعد ذلك أنّ هذين الشخصين أحدهما الخضر عليه السلام، والثاني مخدومنا الأعظم قدّس سرّه العزيز، ولقّنني الخضر ذكر «لا إله إلّا الله» أربع مرّات بضروب أربعة وقال لي: ردّد هذا الذكر بقوّة ليسكن المنار، وأخذت أفعل وأُعيد الذكر بالشدّ والمدّ حتّى استقرّ المنار في مكانه.

وبعد الذي شاهدته من هذه الواقعة وهذه الحال طلعت في ضميري هذه الدغدغة أنّي أذهب للطواف بذلك المرقد والمشهد المعظّم والروضة المكرّمة لسلطان الأئمّة عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. ورافقني في هذا السفر شخص مجذوب مبتلىٰ، وفي الوقت الذي كنّا نجتاز بحر جيحون كان الناس يخافون

غرق المركب وقال الملّاحون لنا: من كان معه متاع فليقذف به في الماء ليخفّ المركب، وأنا كلّما حقّقت في أمري ودقّقت فكري وبصري لم أجد بحوزتي شيئاً يعادل ديناراً أو درهماً خلا سكّيناً تعدل درهماً أو درهمين، فعزلتها من نفسي وقذفتها في النهر، وصرّفت روحي نقداً وحملتها على كفّي وهيّأتها لتجعل نثاراً في طريق الطلب.

ولمّا رأيت نفسي مخفّاً من علائق الدنيا، هبّت الريح رخاءاً وساقت سفينتنا إلى ساحل النجاة، وحين استقبلت اليابسة بل البادية طويل المراحل حافياً حاسراً وفجئة إذ نظرت إلى قدميّ وجدتهما قد تورّمتا وجرت منهما الدماء، وجئت إلى المجرىٰ من أجل الوضوء، وكانت الدماء تجري من قدميّ بغزارة حتّى صبغت الماء بلونها لكثرتها، وبعد انقطاع الدم أسبغت الوضوء وقُمت إلى الصلاة وأخيراً بلغت بي آلام القدمين وجراحتهما حدّاً إنّي أينما وضعت قدمي ترتسم صوره قدم من الدماء على المكان، وكنت أسير في فلات المشرقيين، نظرت نظرة إلى الوراء فرأيت أقدام الدم التي تركتها على الأرض مرتسمةً تشاهد حيث يصل البصر، فقلت لرفيقي: قف هنيئة وانظر حديقة ورد العشق ساعة من الزمان، وافتح قلبك المهموم في روض الشقايق هذا كما يتفتّح البرعم من نسيم الشوق فإنّ زهرة الروض في مطلع الأزهار يشتدّ عليها الطلب، وشوك محنته من حسك ذلّ الشوق والمحبّة لكلّ معجب يتطلّع في بطحاء مشرقين العشق مغذّاً في سيره[1]. وجاء مضمون قول الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير مطابقاً لمقتضى حاله.

---

(١) الترجمة هنا غير دقيقة وربّما تكون خطأ لأنّ العبارة مغلقة جدّاً ومرموزة إلى حدّ يصعب فهمها على من لم يأنس بتعابير أهل التصوّف.

شعر

اندر همه دشت خاوران سنگی نیست كز خون دل و ديده درو رنگی نیست
در هيچ زمين و هيچ فرسنگی نیست كز دست غمش نشسته دلتنگی نیست

لم يبق في هذه الصحراء من حجر إلّا عليه دم من قلبي الدامي
وليس من بقعة إلّا وقام بها معذّب يصطلي من جمرها الحامي

وقال: وما فتئت على هذا المنوال أتنقّل بروحي القلقة ما وسعني ذلك على أطراف قدمي وأطوي البادية طيّاً. ولمّا دنوت من روضة الإمام عليه السلام ولم يبق عن بلوغها إلّا أربعة فراسخ تقرّحت أيضاً أطراف قدمي، ولم يبق من أيّام عرفة وعيد الأضحى إلّا ثلاثة أيّام وأنا حائر مهيض الجناح فقدت الرأس والقدم مضطرب، مهمل مسكين مستكين في تلك المفازة يستبدّ بي شوق الطواف بروضة إمام الهدى وبدرالدجى ونجل المصطفى والمرتضى الإمام عليّ بن موسى الرضا العليّة الوارد فيها الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّها تقارن بسبعين حجّة مقبولة.

شعر

يک طواف درش از قول رسول قرشی تا بهفتاد حج نافله يكسان آمد

جاء الحديث عن النبيّ المصطفى إنّ الوقوف بباب مولانا الرضا
سبعين يعدل حجّة مقبولة بنوافل لا الفرض فيه ولا الأدى

وحضرت في تلك الآونة في نفسي بعد إجهاد الفكر تداعيات رابعة العدوية[1]

(١) أُمّ الخير بنت إسماعيل البصريّة مولاة آل عتيك الصالحة المستورة من أعيان عصرها، فضلها مشهور، ماتت سنة خمس وثلاثين ومائة، ودفنت بظاهرة القدس من شرقيّه على رأس جبل يسمّى جبل الطور../طبقات الأولياء ج١ ص٦٨.

وهي امرأة «عورة» قطعت الطريق إلى الكعبة على أطراف قدميها بهمّة الرجال، وليس عجيباً أن يكون لامرأة همّة الذكور، ووعي السائرين الهداة وإن كانت أقدامنا قد بليت إلّا أنّ أرواحنا تعوم في بيت الحزن والجسم العاجز ما زال لم يغتمض بنوم الأجل، ولا موضع للحال والمحلّ وإنّما الخلل في القصد.

مصراع

*** چه مردی بود کز زنی کم بود ***

إذ كيف يدعىٰ في الورىٰ رجلاً يقلّ عن النساء

وما هي هذه الهمّة حين أظلّ حبيساً في الطريق وأتشبّث بالمعاذير لأحرم من هذه الدولة، إنّي أحرمت إحراماً حقّاً وعاهدت نفسي أن أقطع ما تبقّىٰ من الطريق حبواً على الركب ولو أنّ ركبتيَّ تمزّقتا فإنّي أتمرّغ على جانبي حتّى أحسب في زائري ذلك الضراح المقدّس وأعدّ في سلك قاصدي تلك البقعة المباركة وحجّاج تلك العتبة الطاهرة.

پس ازين بديده خواهم بطواف كويَت آمد

كه بسود تا بزانو قدمم بجستجويت

وبهذا العهد الذي تلقّيته وبتوفيق من الله زحفت على ركبتيَّ حتّى التحقت بيوم الوقفة بزائري الروضة، وبعد أن تلقّيت شرف الزيارة وفرغت من أداء مناسكها وقفت ليلاً مؤدّياً مراسم الوقفة في تلك الروضة واشتغلت بوردي ولهجت بالذكر وإذا برسول طلع عليَّ من الغيب وهو يحمل رسالة الإمام ويقول: إنّ الإمام يستدعيك وأخذني معه حتّى بلغنا مجلساً قد اجتمع فيه جماعة، ورأيت ذا بأس بينهم كان قادة العالم وشجعانه عنده بمثابة القطرة بإزاء المحيط، ولمّا وصلت إلى ذلك الجمع ورأيت ذلك البطل وما له من البأس

والعظمة سرقتني هيبته واستغلني بطلعته، وذهب الذي جاء بي إلى الإمام، فسأله الإمام: ما فعل الذي أوفدتك إليه؟ فقال: حضر عند السدّة العليّة والحضرة الزكيّة. فقال: هلمَّ به إليّ. ولمّا حملني ذلك الرجل إلى إمام الهُدىٰ فكرّمني الإمام كما يكرِّم الرجل غلامه، ورفع رأس عالياً أمام ذلك الجمع، وكان بين يديه طبق مليء بالنور، فدفعه إلى هذا التراب الهابط وحلّ حمائل السيف من وسطه ومنطقني به، وهمس بسمع سرّي بإشارة السعادات وبالعناية التي ليس ورائها غايات، وبشّرني بالبشارات، ولمّا أفقت من تلك الحال ورجعت إلى نفسي فوجدتها قد شحنت بالقوّة ومُلئت بالهمّة، ورأيتُني ثملاً بكأس الجذبات، وبعالم تجلّيات العشق إلى درجة كنت معها خالي البال فارغ الوفاض[1] من الهمّ في الدنيا والخوف في العقبى تماماً.

وقال: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله..».

وصار هذا العقد من القول مصداقاً لقبي القلق، وخاطري التعب، حتّى أصبحت منجذباً بحيث أردت أن أنطح العالم برأسي في كلّ زفير أو شهيق، بل أردت أن أُقوّض العالم بهذه الروح، وبقيت في المشهد المقدّس مقيماً زماناً وأحيي كلّ ليلة في الروضة، وأستقي القوّة والفتح والفوائد من روح الإمام عليه السلام، ومن الصدف التي عرضت لي.

وأنا أحيي الليل ذات ليلة حيث كنت غارقاً في الإحياء والعبادات المتواصلة وإذا بنور يخترق الحضور من فيوض ذلك الإمام للإنس والجنّ الموفور بحيط هذا المهجور إلى درجة قطع بها الصلة بين طائر الروح وقفص البدن، وعدمت

---

(١) الوفضة: شيء كالجعبة من أدم، ليس فيها خشب، والجمع الوفاض.

العلائق بينهما، وفي كلّ نفس تحلّق عالياً وما مثّلت الفيض من المبدأ الفيّاض الذي غمر روح قدوة العالمين، وفاض على الوجود كلّه إلّا ببحر لجّيّ يجري نحو روض أريض فيغمره ويفيض حتّى يعب منه الخاصّ والعام، ما اتسعت لذلك القابليّات والمناسبات، وغمر هذا «القليل الترابي» طغيان أمواجه بحيث لم يمهلني حتّى مطلع الفجر أن أئوب إلى نفسي وأرجع ثانية لذاتي، وقبعت في أحد الأركان من الروضة، وبلغت حالي من الكيفيّة أن لو امتدّت نحوي يد فإنّ روحي ترفرف من بدني طائرة، واستطعت الحضور في وقت الصلاة فأقمتها جماعة عند الفجر وقُمت من بين الجموع على أمل الاعتزال، وذهبت بأقصى سرعة إلى مسجد الجمعه وما زال سلطان الغلبة لذلك الفيض مهيمناً عليّ، فتحاملت على نفسي وخرجت من ذلك العالم المهيب إلى المسجد الجامع وبقيت في تقصيري وسوء أدبي، وكان ذلك عذري، وقبلت الروح المقدّسة لذلك القدوة عذري، فصانني من شمس الخلل وهاجرتها الشاوية وتعرّضي للخلق الظاهر.

وهنا عاودني مجداً بالألطاف اللّانهائية وبالعناية السرمديّة ذلك الإمام مقتدى الإنس والجان، وقذف في قلبي الشوق الجديد والسرور العتيد، فانقلب العالم بعيني إلى عالم متدفّق بالشوق، متفجّر بالمحبّة، ورأيت العالم وسكّانه والوجود وأبنائه قد تقلّب على النار، ونظرت إليه بعين اليقين، وعلمت كلّ ذلك منه بنور اليقين أنّ أرض وجود أيّ موجود هي تراب التسليم والرضا، ومبذورة ببذور المحنة والبلاء، والقائم على تعاهد ذلك منها وتربيته إنّما هو الصدق والصفاء، وشجرته العشق والمشقّة، وثمرته الألم والمحنة، ولذّته منفصله عنه، وورقه الفقر والعوز، وبقاء الجميع في دائرة الفتاء، ولكلّ ألم يكون لآلام العشق مئات

الأدوية والعلاج، وأنّ هذا الجهاد الممتدّ حكمه حكم السلطان لا يُلام على فعل ولا يحاسب على ترك، ولا يرد له أمر.

رباعيّة

معشوق چو پادشاست فرمانش رواست
بر كردهٔ او چون و چرا زهره كِراست
گر بپذيرد خوى پسنديدهٔ اوست
ور نپذيرد زبخت شوريدهٔ ماست

إنّ الحبيب كسلطان أوامره مطاعة لم تجد ولا قيلا ولا قالا
فإن تقبّل منّا ذاك من كرم بطبعه حاز تكريماً وتفضيلا
أو ردّنا فلسوء في طبائعنا وحظّنا لم يكن في الخير مقبولا

ولمّا بدّدت دوامة عاصفة العشق بنات وجودنا الجاف ودعته يدور حائراً، ودماغنا المطعم بالحبّ يعوم في الجزع وفقدان الصبر والهدف، وقلبنا المترع بالملال حيران من إغراء دعاء العشق على أيّة حال لا هجوع لي ولا قرار في وطني ولا متاع أو اختيار في سفري.

رباعيّة

در وادى عشق دلبر جانانه سرگشته و بى‌قرارم و ديوانه
از شيفتگى و بيخوديهاى غمش مجنون صفتم ميان خلق افسانه

أهيم بوادي الحبّ حيران تائهاً أضعت قراري والهجوع ولذّتي
وأصبحت مجنوناً بفتنته فما يراني امرئٌ إلّا صريع محبّتي

وفي هذه الحيرة وفقدان الجهاز والمسرّة أعدو في كلّ جانب وأركض في كلّ جهة إذ لاح لي في حيّ الملامة وحارة البلاء مكتب عتيد، ويبدو لعينيّ

بمظهر عجيب، وفجئة وقع القلب منّي في فخّ أساره بمعزل عن الفعل الذي لا يفقه ما جرى من حيرة رؤياه.

مثنوى

بيخبر افتاد دلم در بلا	برد دل شيفته را دلربا
نی سر و سامان نه آرام ماند	از من و مانی اثر و نام ماند
حاصل عمرم همه بر باد رفت	غير خيالش همه از ياد رفت
وقعنا بأسر الحُبّ من غير علمنا	وقد أخذ القلب الحبيب إليه
ولم يبق لي زهو ولا فضل عيشة	وكلّ الذي أرجوه حلّ لديه
ولم يبق إلّا الاسم والأثر الذي	يضيء بدربي إذ أسير عليه
وما نلته في العمر طار بعاصف	سوى طيفه في الجفن يشرق فيه

ولمّا عُدت من بحر الغرور إلى ساحل الشعور رأيت جاذباً للقلوب آخر قد شدّ على سرج الأسرار آلافاً من طيور قلوب أهل الحاجة، وفاتناً لم يتخلّص صيد من مخالف صقر تصرّفه يصيد أهل النظر بنظرة صيد واحدة، يأسر أحرار الزمان بقيود جدائله، ويترك العقل ذا الفنون بواحدة من أساطيره هائماً مجذوباً، ويرد أهل الجاه والثروة بحركة من دلاله بلا ثروة ولا جاه، إنسان عينيه خنجر الغنج مسلّط على ذبح ذوي الحاجات، وروض حسنه ما عرف دخان آثار آهات العنادل الناريّة. واستقبلتني هذه الفتنة وغشّتني هذه الحادثة فاصطاد شاهين محبّته طائر القلب من عشّه عشّ الصبر كأنّما لم يكن شيئاً مذكوراً، وكأنّه لم يبق للقلب محلٌّ للقرار، ولا للجسد ديار للفار.

وتمام الحكاية أنّ أُستاذ حبّي في تلك المدرسة لقّنني أبجد العشق، واستمرّ على طول المدّة يضع حطب البُعد الجزل على نار الصبر، وبقيت زماناً كالأطفال

الذين لا يعقلون في تلك الأعتاب أتهجّى لوح المحبّة وأحدو في طريق الاستقامة ووادي الملامة ناقة العشق الثملة، واتفق لقائي لأُستاذ القرآن ومعلّم الصبيان ذاك، وتحدّثت إليه عن المدقعين في ذلك الممرّ، والمتمذهبين بذلك الرتاج، وبلغت بنسبة السبق في المحبّة والاختصاص بالوفاء إلى درجة أن أصبحت مع آسر الروح بتفرقة النفاق شريكاً، وفتح لي بقلبي باباً للقاء والوصال من ذلك الممرّ لذلك البدر المنير بمفتاح الألطاف بدون حساب، وبقي أنيس خواطر الفقراء وساقي مجلس الوالهين المدلهين إلى آخر الأمر، وآلت حالي إلى لون من التغيير بحيث كلّما رمقني آسر الروح ذاك بنظر اللطف وألقىٰ عليّ نظرة من بعيد، خرج زمام الاختيار من يدي، وأُغمي عليّ.

وذات يوم وأنا في السبق أشار إليّ إشارة واحدة، فانتهب ملكي ومتاعي، واستلب عقلي وإحساسي، وفقدت الثبات بغمرة واحدة، وثملت من جرعة بكأس لطفه، وأصبحتُ لا أعي، وأخرسني فماذا أدّعي، وترنّمت بشعر موزون يحتوي على هذا المضمون يطابق مقتضى حالي:

به يک کرشمه که بجان زدی زدست شدم
دگر شراب مده ساقيا که مست شدم

بغمزة منك أصبتني حلاوتها فالروح غارقة في بحر أشواقي
فأبعد الكأس عنّي إنّني ثمل فلست في حاجة للخمر والساقي

ولمّا عُدت إلى الوعي بعد تلكم الغيبوبة تذكّرت الحبيب بفحوىٰ هذا المضمون، وتغنّيت مترنّماً هذا اللحن:

شعر

يک نظر در رخ آن ماه منوّر ديدم خويش را از غم او واله و ابتر ديدم

گرچه خوبان جهان فتنهٔ اهل نظرند　　من از آن فتنهٔ جان آفت جان گرديدم

رمقت جمال البدر منّي بنظرة　　فأصبحت في وجه الحبيب متيّما

إذا كان أهل الحسن للناس فتنة　　فذي فتنة صارت لروحي سُلّما

وفي قمّة هذه المحنة التي ابعدتني عن ذاتي، وأيقظتني حيّاً، وصحوت من نوم الغفلة، وهتف بي هاتف اللطف والجمال بعناية ربّي ذي الجلال، وضجّ به ضميري، ودار بخَلَدي مقدّمات هذه الفكرة إنّ رؤساء الدين قد قالوا: إنّ أصحاب الزهد أحياناً يقف عائقاً في طريقهم ومسلكهم العقبات الشيطانيّة والنفسانيّة، وإنّ السالكين يحجبهم الحجاب النوراني والظلماني من القرب عن حظيرة القدس، المخلقون في كلّ طرف يعانون من أُلوف الأمراض، وفي كلّ سير تعترضهم آلاف الأعراض، ويجري عليهم ألف ألف حريق، وألف ألف صهر، وألف ألف عروج وهبوط، وتلك مواقف المهالك للسائرين، ولو أن طالبي طريق الحقّ تقيّدهم هذه الورطات والعقبات النفسانيّة والحيل الشيطانيّة وتعطّل مسيرتهم فإنّ ردّهم عن الحضرة مسبَّب عن هذا، وهلاكهم ونكبتهم فيه، ولا يقدرون على اجتياز المهالك إلّا بجناح الهمّة السامية، وتهوّر القوّه العظمى، وما اعترضني من الورطات ومن مستنقع العشق، وحال بيني وبين الاجتياز إنّما كان نسيجاً من تلك المهالك.

وقد قال المحقّقون: وإن كان القصد من هذا المظهر نظري إلى حقيقة أُخرى وفي كلّ لحظةٍ تريد تحويلي عن تلك الحال وتفتح بقلبي مجدّداً باب القبض والبسط ظلمة الضلالة الشيطانيّة وذلّة الحجب النفسانيّة وهي محلّ ومدخل الغوايات الشيطانيّة، وهذه الشيمة في النفس الإنسانيّة مظهر من مظاهر الشرك الخفي، ومجلىً من مجاليه. ولمّا كانت هذه الفكرة قد طرقت الخاطر منذ وقت

طويل فقد شاء مفتّح الأبواب أن يفتح القفل الشديد الذي وضع على قلبي من هذه الفتنة وينقذني من هذا الأسار وينوّر سرّي بنور بصيرتي، ويستخرج صمام الغفلة من سمعي، ويهتف هاتف الغيب بأُذني هذا النداء:

شعر

هر صورت دلكش كه ترا روى نمود	خواهد فلك از ديدهٔ تو باز نمود
رو دل به كسى ده كه در اطوار وجود	بودست هميشه با تو و خواهد بود
ما تراه العين من صور	تجذب الألباب بالحسن
تحجز الأفلاك عن بصر	إنّ هذا منتهى الغبن
فتوجّه لواحد أحد	هو محيي الوجود والمفني
لم يفارقك لحظة أبداً	مغتنٍ من وجوده المغني

ولمّا حالفني التوفيق الربّاني طلبت التوبة والأوبة والاستغفار، فقصدت قصد تلك الديار، فطويت المنازل والمراحل، وقطعت الصحاري والبوادي حتّى عُدت إلى وطني الأوّل قبّة الإسلام خوارزم، وطهّرت لوح ضميري بماء الشئون الذي ذرفته من أثر الندامة، وأصقل مرآت قلبي من صدأ كدر الأغيار بمصقل الاستغفار، وعُدت إلى الزوايا بروح هدّها الخراب، وقلب أنضجه المصاب، أغسل جبين الغرامة على خال الندامة، وأرفع يد الحاجة إلى سدّة العلي الغني، وأطلب منه العفو. ولمّا قبل المعبود بفضل الوجود دعوة العبد الجحود، وقبل عذري وقضى حاجتي برحمته وكرمه، ومرّة أُخرى صاحبني التوفيق فكان خير رفيق، وجدّد لي العزيمة بالعودة إلى ولاية خراسان، وعاودتني فكرة السفر في رأسي «وجدّدت إحساسي وضاعفت وسواسي»[1] وتفجّر الشرر في روحي من

(١) الجملتان المحصورتان من المترجم لمجرّد التحلية.

نار الشوق لرؤية ذلك الشيخ المرشد، وتجاوز الاشتياق إلى صحبة ذلك العارف الواعي، طائر السعادة لقمّة قاف معرفة الله، الشيخ عماد الدين فضل الله، وشرف ملازمته بي الحدّ، فقضى في أحد الأيّام أن تمرّ بي قافلة متوجّهة إلى أبيورد، فعقدت إحرامي مع أُولئك المسافرين، واتّجهت نحو الطواف بعتبات ذلك الصقر المحلّق، وبعد أن طويت المنازل والمراحل أوصلت نفسي إلى شرف ملازمته.

وحين حظيت بصحبة ذلك العظيم ثانية، وحضرت بمجلسه فاستقبلني ببشاشته المعهودة، وبهجته المنشودة، ونهض في وجهي، وربت على متني بإشفاق ومحبّة وقال: لقد أقدمناك إلى هنا، وكُنتُ في مجلسه كلّما سُئلت عن شخص فأجبت يرفع الشيخ عقيرته فيقول: إنّ هذا الشابّ دخل علينا من الباب ولذلك أخذ مكانه في القلب، وأجبته بدون اختياري.

وبما أنّ نار الشوق قد أحالت ظاهري إلى رماد، وشمع الإرادة أضاء باطني وقد رأى ذلك، وكان ذلك المقام المعظّم يراقبني في المجلس ذاته ليتفحّص أوضاعي المضطربة، وانتزع منّي أمواج المكاشفة ووضعها في حيّز المراقبة، فرأيت في ذلك الوقت عالماً غاية في الإضائة كأنّه الشمس في رابعة النهار تغمر الوجود بالنور، وأنا محيط بالعالم والعالمين بحيث لم يخف عليّ شيء منه، ولم يغب عنّي ذرّة منه، ولا أصغر من ذرّة، فرأيت في ذلك العالم كأنّهم أوقدوا قنديلاً على ركبتي، ولكنّه يضيء بخفاء كالقنديل الذي اختفى أكثر فتيله في داخله، والشيخ يكلّمني في أمر القنديل فيقول: أوقد قنديلك أكثر من هذا، ويجيبه هذا المضطرب: إنّ الغاية من القنديل الاستضائة به والعالم كلّه يستضيء بنور الشمس الطالعة فما هي الحاجة إلى القنديل حتّى أوقده؟ فتبسّم الشيخ بعد تمام الحوار فأخرج رأسه من فلك أسرار مراقبته وقال: لقد أوكل إليّ العهد إلى

الشيخ بتربيتك و تعاهدك ثمّ عمد إلى كتاب العهد فكتبه واستهلّه بهذه الرباعيّة:

بی خندهٔ صبح و گریهٔ شام مباش بی معنی خاص و صورت عام مباش
گر عاشق صادقی تو در دام مباش نیکو نامی بجوی و بد نام مباش

كُن ضاحكاً كالصبح عند شروقه لا باكياً كالليل في الإظلام
في باطن يختصّ بالمعنى وفي وجه تجلّىٰ بالسياق العام
لا تدنو من فخّ لكونك عاشقاً ما بعده إلّا الأتون الحامي
واسعد بذكر طيّب بين الورىٰ فالخبث يوبق للمقام السامي

ثمّ كتب بعد ذلك أنّ من واجب الطالب أن يكون بلبّ باطن ضاحك وطرف ظاهر دامع، وأن يصحب الدراويش وهو مضطرب حيران، فإذا حظي بقبول حضراتهم ونعم بحسن نظراتهم وكان مستعدّاً لذلك أرسل إلى تلك العتبة الحقّة العالية، فإذا وقع محلّاً للنظر وتشرّف بحسن القبول فالأمل قائم والرجاء حائم أنّ الهمّة العليا تشمل أحواله الكسيرة، سلام الله عليكم أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ولمّا خرجت بأمر الشيخ إلى جهة نيل السعادة بالحضور بين يدي الشيخ لأداء الخدمة المطلوبة، قصدت المشهد المقدّس لزيارة الروضة المباركة لإمام الإنس والجان عليه السلام، فقال لي الناس: إنّ صاحب الجناب الشيخ خرج في هذين اليومين إلى «جنوشان»، فأسرعت بالذهاب إلى جنوشان ونلت شرف ملازمة ذلك المقتدىٰ، ذي القدر الرفيع والشأن المنيع، فرأيت قد حدث في قلبي الحضور والسرور والاطمئنان، وأمنت من الغموم السابقة والهموم المتقدّمة، وردت شكر فارج الغمّ على نهج كلامه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾[1] لأنّني رأيت المقتدى الذي أنفقت عمري في طلابه وإرادة ملازمته، وتشرّفت

---

(١) فاطر/٣٤.

بتوجّه خاطره وهداية مآثره ومن ساعتئذٍ بدأت بتعلّم «لا إله إلّا الله» وتلقينها، وبرياضة قليلة بلغت «سعادة الأمانة» فاقتطفت من أزهار حدائقها ما اقتطفت، وجنيت من وردها ما جنيت[١].

وذكر صاحب كتاب مقامات الشيخ أنّ مجالسه الشريفة ما فتأت مأوى العلماء والفضلاء، ومرتاد الأولياء والأتقياء، وكان تارة يفيض عليهم بالمباحث العلميّة، وأُخرى بالأسرار التوحيديّة، ويذكر نكات دقيقة من ذلك، وكان الملّا أحمد الجندي وهو من فضلاء أهل السنة والجماعة قد انقاد له كما ينقاد العبد لمولاه، وكان يلازم ركانه بالركض حافياً ورائه.

مصراع

*** والفضل ما شهدت به الأعداء ***

وذكر أيضاً في المجلس الأوّل من كتاب المقامات تأليف مريد صاحب الجناب الشيخﷺ أنّ الشيخ مدّ ظلّه العالي نزل بالبلدة المحفوظة «سمرقند» فاستأثرت تأثيرات حالاته وكيفيّاته وتصرّفاته على الخاص والعام، فاستأصل الحسد والغيرة من هذا الوضع بأهل تلك الديار لاسيّما سلاسلها فانجحروا جميعاً في زواياهم، وراحوا يراقبون الشيخ لعلّهم يعثرون على زلّة يؤاخذونه عليها، وكان في السلسلة النقشبنديّة «درويش» لم يكن خالياً من صفاء الباطن فرجع جميعهم إليه، فوقف الدرويش قائماً فأمعن النظر وإذا به يرىٰ أميرالمؤمنين وإمام المتّقين أسد الله الغالب عليّاً بن أبي طالب واقفاً على جهات

(١) أقول: لا ردّاً على مولاي ولكن من باب «الناس أعداء ما يجهلون» هذا النثر الطويل العليل بالكنايات والاستعارات والمبالغات وقد ترجمتها وأنا غير واثق من دقّة الترجمة وجريانها على طبق الأصل ما جدواها وما محصّلها ومحتواها، اللهمّ إلّا لأهل التصوّف لموافقتها لشطحاتهم..

«سمرقند» الأربع وبيده علامة وهو يقول: إنّ مضمون هذه العلامة أنّه إلى هذه الغاية يكون الخليفة منصوباً في هذه الولاية أبو بكر، وفي هذا الزمان بحكم هذا المنشور ينصب لنا خليفة ويقول: لينادي المنادي في هذه الولاية طبقاً لهذه العلامة ليسمع الجميع وليعلموا ثمّ توجّه بعد ذلك إلى أشراف سمرقند وأعزّتهم وحدّثهم بما رأى وألفت الجميع إلى ذلك قائلاً: إنّ هذا الشيخ ليس من قوم تؤثّر فيهم المراقبة، أو تؤلم خاطره فلا تؤذوا أنفسكم فإنّ هذا الرجل عالم بالأسرار الربّانيّة، مطّلع على الدقائق الإلهيّة، ولذلك نصب لإرشاد العالم.

وأراد صاحب الكتاب المذكور لمّا كانت بعض الأُمور السابقة تدلّ على تشيّعه دلالة أكيدة بناءاً على ما اشتهر عنه غاية الاشتهار، أراد انطلاقاً من العصبيّة المذهبيّة أراد أن يتلافىٰ ذلك الموقف بذكر نقائص تلك الأُمور، ولا بدع أن تكون بعض الأحاديث سواءاً فهمت بفهم سقيم أومستقيم تحمل على الظنّ أو أنّه اعتبرها موافقة لمذهب أهل السنة والجماعة فنسبها إلى الشيخ ولكنّها بأدنى تأمّل يظهر عوار مثل تلك الأحاديث وضعفها، وإنّها بعيدة بُعد المشرقين عن ساحة ذلك الشيخ المعظّم بل لا يصحّ صدورها من الأوساط الدينيّة لأهل ذلك الزمان.

الأوّل: أنّه في المقولة السابع عشرة في مقام تعبير الرؤيا نقل عن الشيخ ﷺ أنّه قال: الاعتقاد بولاية الأئمّة الاثني عشر اعتقاد فاسد.

بينما هذا القول ينافي ذلك الخبر الذي نقل سابقاً عن صاحب الحضرة الشيخ المعظّم سعد الدين الحموي ﷺ أنّه قال في الكتاب المحبوب: لا يصحّ إطلاق لفظ «الولي» بعد النبي مطلقاً ومقيّداً إلّا على أميرالمؤمنين عليه‌السلام وأولاده المعصومين عليهم أفضل صلاة المصلّين.

ثمّ إنّه ذكر في المقالة الثلاثين أنّ فاضلاً سأل من صاحب الحضرة «الشيخ» عن القرآن، فأجابه الشيخ: إنّ القرآن قديم، وما ذكره من الحكايات والقصص فحادث، وما هو متعلّق بعلم الله فأزليّ وقديم. وقالا عن القرآن من حيث إنّ له ثبوتاً أزليّاً في علم الله قديمٌ لا من حيث تغيّر الألفاظ والعبارات، انتهى.

ولا يخفى على العاقل اللبيب الخبير أنّ ما قاله الشيخ في الجواب وما أفاده من تحرير هذا الخطاب إنّما يرجع إلى رأي الشيعة أيّدهم الله تعالى فإنّهم قالوا: إنّ الكلام اللفظي حادث بالضرورة والكلام النفسي يعود إلى العلم ولا يكون صفة مستقلّة مذكورة على حدّة، ولا يعقل إرادة معنى غير معنى العلم، والقول بغير ذلك مردّة إلى توتّرات نفسانيّة وعصبيّات جاهليّة.

ثمّ قال في المقالة الحادية والثلاثين: إنّ الشيخ مدّ ظلّه العالي كان قد قال: إنّي عندما كنت في عالم السير والسلوك بلغت في المشهد المقدّس إلى روضة إمام الهدى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فصلّيت في المسجد الواقع عند الرأس، رأيت شخصاً قد وجّه وجهه إلى الزاوية التي تقع بين المغرب والجنوب وهو جالس، ولمّا فرغت من الصلاة استدناني، فدنوت منه، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من خوارزم، ثم سألني: على أيّ المذاهب أنت؟ فقلت: على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي. فقال: لماذا لم تذهب إلى مذهب إمام الهدىٰ هذا، فإنّي اخترت هذا المذهب؟ فقلت له: وما هو مذهب هذا الإمام؟! فقال: مذهبه التشيّع. فقلت له: أخطأت، إنّما مذهبه هو المذهب الذي أنا عليه.

وقلت له أيضاً: وبقطع النظر عن الدلائل والإسناد أعطيك الآن دليلاً واضحاً بيّناً لعلّه ينبّهك إلى الحقّ: إنّه من يوم حملوا الإمام إلى هنا إلى هذا الزمان لم تتغيّر القبلة عمّا هي عليه ولم يختلف فيها اثنان وأنت تدّعي كونك الآن على

مذهب الإمام وأنت تعرض بوجهك عن قبلته، فلو كان الإمام على المذهب الذي أنت الآن عليه لكانت قبلة مسجده على النحو الذي تتوجّه إليه أنت الساعة أي تكون مستقيمة كما تذهب إليه، ومن هذه الحقيقة عليك أن تعلم أنّك لست على مذهبه.

ولمّا دخل قلبه كلامي، ومازج لبّه أصغىٰ إليّ فواصلت حديثي معه وقلت: هل تعتقد أنت بأنّ الكعبة بيت الله وأنّ قبلة المسلمين إليها؟ فقال: وأيّ مسلم يتوقّف في اعتقاد ذلك فإنّي مسلم ولكنّي متشيّع لأنّ البعض صوّر لي أنّ الحقّ هو هذا الذي أذهب إليه، فاخترته على المذاهب الأُخرى.

ثمّ قلت له: إنّ الكعبة بيت الله وهي قبلة أهل الإسلام وفي هذا المكان المقدّس توجد قبلة للحنفي ومقام للشافعي ومقام لمالك ومقام لأحمد بن حنبل فهل سمعت بأنّ مقاماً للشيعة أو محراباً يسمّى باسمهم؟ ومن هذا لك أن تستدلّ على بطلان هذا المذهب، فلو كان حقّاً لكان له في بيت الحقّ مكان.

فتأثّر ذلك الشيعي بكلامي وعدل عن مذهب التشيّع واختار مذهب أهل السنة والجماعة، انتهى.

قال المؤلّف: إنّ غاية هذا الكلام وتأليفه الذي ليس له انتظام وهو منتج للملام ومضحكة للعوام وسبيل إلى الضلال، ويدلّ على أنّه أُلصق بالشيخ إلصاقاً من أجل ترويج مرامهم، وهو غاية في الحماقة وقصور الفهم وفساد العقل، ولم يتوجّه صانعه وواضعه إلى فساده.

أمّا فساده أوّلاً فمن وجوه عدّة:

الأوّل: أنّ نسبة الحنفيّة إلى الشيخ وادّعاء كونه من الأحناف خلاف للواقع ومضادّ لواقع سائر مشايخ الصوفيّة لاسيّما السلسلة الهمدانيّة العليّة.

ثمّ إنّ مسألة القبلة من المسائل الاجتهاديّة كما بان ذلك في موقعه، وبناءاً على أنّ المسامحة جرت في بعض العلامات لرفع الحرج كما جرى ذلك من صاحب الشريعة الغرّاء لأنّ دلائل الرصد كالدائرة الهنديّة لا تتحقّق بالدقّة وعلى الوجه المطلوب، ويقع التفاوت بكثرة بين طول بعض البلدان وعرضها، لا جرم كان هناك تفاوت بيّن في استنباط كلّ مجتهد في علامات تعيين القبلة يميناً وشمالاً لاسيّما في المذهب الحنفي، ففيه التوسّع في المسامحة حتّى قيل «ما بين المشرق والمغرب قبلة»[1] فكيف يقال عن الشيخ بأنّه حنفيّ وهو لا يغادر موضع القبلة أو يقال: إنّ التياسر عن قبلة مسجد الإمام إلى الجنوب عمل باطل على الإطلاق، وكيف يحمل ذلك الشخص بناءاً على هذا القول الذي قاله على الفضل والاعتبار بحيث يعيي الشيخ عن الجواب ويسكت، فكيف يقول الشيخ وهو حنفيّ المذهب كما يُدّعىٰ أن لا اختلاف في القبلة أو يقول التياسر من قبلة الإمام إلى الجنوب باطل على الإطلاق ويسكت الشيخ عنه دفعة واحدة.

ثمّ إنّه جاء في التواريخ مسطوراً وظهر على الألسنة والأفواه مذكوراً من قبل الجمهور لاسيّما أهل خراسان إنّه إلى أربعمائة عام قبلاً لم تكن على قبر الإمام عمارة تليق بمقامه الشريف، وما كان عليه من التحف والأثاث البسيط إنّما كان من فعل حميد بن قحطبة الطائي الذي كان حاكماً على طوس في عهد هارون الرشيد لأنّه دفن عند موته في بيت حميد بن قحطبة، ثمّ دفنوا الإمام في نفس الموضع بعد شهادته عليه السلام وما يعلوا الضريح الآن من عمارة سامية وبناء رفيع إنّما كان أثراً من آثار شرف الدين أبي طاهر القمّي وكان وزير السلطان سنجر وقد بناه بعد أن

---

(١) رفعه الترمذي وأخرجه في كتاب الصلاة باب ما جاء أنّ بين المشرق والمغرب قبلة رقم ٣٤٢ و٣٤٤ وقال: حسن صحيح/ راجع كنز العمّال ج٧ ص٣٣٨ الهامش.

صدرت إليه إشارة غيبيّة كانت جارية على ألسن الناس يوم ذاك ولم يكن تعيين القبلة وإقامة المحراب عند رأس الروضة بإشارة من الإمام ولا بتعليم من علماء الشيعة أو بتحقيق دقيق منهم، وقد تغيّر مكان الصندوق المعطّر وصورة القبر المطهّر مرّات عديدة، وسقط من صلاحيّة المحاريب والقبلة في ذلك العهد فكيف يعدّ «جناب الشيخ» محراب المسجد المذكور من مقرّرات ذلك الجناب المستطاب، ويعدّ سند صحّة القبلة والمحراب لذلك المسجد؟ وكيف يجهل ذلك الشيخ الشيعي المجاور للمشهد المقدّس حال العمارة فلا تخطر له على بال حتّى يفحمه ذلك الكلام الخام[1] الممتزج بجهل النظام إلى حدّ الالتزام والإفحام.

ثمّ بعد إعلان ذلك الشخص خلافه في القبلة وفي التياسر من محراب الروضة المباركة إلى الجنوب فكيف يخاطبه الشيخ بقوله: إنّ هذه القبلة ليس فيها اختلاف. وجملة القول: هل إنّ ذلك الشخص مجتهد أو مقلّد؟ فإذا كان مجتهداً فعليه عرض الدلائل الدالّة على القبلة بمقدّمة أو مقدّمتين على أقلّ تقدير على الشيخ عند ذلك يخضع له الشيخ إذا كان قد غلبه، أو كان مقلّداً فلابدّ من ردّه على الشيخ إن عدم الاختلاف في القبلة ليس أمراً مسلّماً بل الشيعة هم الذين أحدثوا الخلاف، وقد نقل عنه أنّه قال: إنّ بعضهم أخبرني بأنّ مذهب الشيعة هو مذهب الحقّ.

وثانياً: وأمّا ما افتروه على الشيخ من فساد القول فإنّه باطل من وجوه عدّة:

الأوّل: أنّ ذكر هذه المقدّمة من أنّ القبلة جهة الكعبة لا يظهر له وجه في هذا

(١) وردت الكلمة في تاج العروس على لسان ابن الأعرابي. وقال أبو سعيد الضرير: إن كانت محفوظة فليست من كلام العرب. قال الأزهري: وابن الأعرابي أعرف بكلام العرب من أبي سعيد.

المقام لأنّ عدم ارتباطه بالمقدّمات الآتية غاية في الظهور، وعدم تأييده بالمقدّمات السابقة غير خفيّ على ذي الفطنة الذكي؛ لأنّ هذه المقدّمة لا تختصّ ببطلان انحراف ذلك الشخص عن قبلة المسجد المذكور، فإنّها لو تمّت تجري على تقدير كون القبلة عين الكعبة أيضاً وإذن يكون ذكر المقدّمة المذكورة لغواً صرفاً ومستدركاً محضاً.

ثمّ إنّ هذا الشخص السائل لو كان عاميّاً مقلّداً فكيف صحّ منه القول أنّه لا تردّد في كون الجهة هي القبلة بينما وقع الاختلاف والتردّد بين فقهاء السنّة والشيعة في هذه المسألة وقد ذهب قوم من القبيلين أنّ القبلة هي «عين الكعبة» ولو كان الرجل فاضلاً ومجتهداً في مسألة القبلة فعليه الاعتماد على الوجه الذي حمله على رفع التردّد عن كون الجهة هي القبلة بالأدلّة القويّة فكيف خنع بهذه المقدّمات الواهية وأُسكت وأُفحم.

ثمّ إنّ تعليله عدم تردّده من كون الجهة هي القبلة لأنّه على ملّة الإسلام مشعر بأنّ التردّد في هذا المعنى موجب للكفر وهذا يؤدّي إلى تكفير بعض الفقهاء الكبار وهو باطل، بل ظاهر البطلان.

ثمّ إنّ فرق الشيعة لا يخصّصون توجّههم في الصلاة إلى ركن من الأركان الأربعة فلا يرون ذلك واجباً ولا مستحبّاً وبناءاً على هذا يتّجهون إلى أيّ ركن اتفق لهم ولا يزيدون فى عبادتهم على الاقتداء بالمصطفى والمرتضى، وكيف يخصّصون صلاتهم بركن من أركان الكعبة بينما ولادة إمامهم ومقتداهم في وسطها أضفى الشرف على كلّ أركانها، وشعّ نور وجوده ذي الجود على بابها وجدرانها، وبسط الشرف عليها كلّها.

ثمّ إنّ تقسيم الأركان الأربعة على الأئمّة الأربعة لم يكن من جانب النبيّ ﷺ

ولا من جانب الخلفاء الثلاثة ولا أميرالمؤمنين عليه السلام أو أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولا حدث ذلك في عهد طغاة بني أُميّة بل كان ذلك بعد مرور ثلاثمائة سنة من الخلافة العبّاسيّة لأنّهم تعهّدوا بترويج مذاهب الأئمّة الأربعة رغماً على أهل البيت وشيعتهم فوقع هذا التقسيم السقيم من يومئذٍ، ومع ذلك فإنّ أهل السنة والجماعة في عهد الخلفاء الفاطميّين الإسماعيليّين..(١) الذين استولوا على المغرب ومصر والشام وحلب والحجاز وغيرهما من الولايات العبّاسيّة والأقاليم المنضوية تحت حكمهم لم يجرؤوا على قصد الحجّ جهاراً ولا الذهاب إلى مكّة المعظّمة والمدينة المشرّفة علناً، فما بالك بحيازة مقام هناك إلى أنفسهم أو أداء الصلوات على مقتضي مذهبهم، وما من أحد ذي مسكة يعتريه الشكّ أو التردّد في هذا الأمر مِن أنّ الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً إذا شاء الله وعادا إلى حكم أولياء الدولة العليّة الشاهية الصفويّة الموسويّة وطهرت ساحة تلك الديار المتفجّرة بالأنوار من خبث الوجود غير المحمود للمتغلّبين سلاطين الروميّة العثمانيّة فإنّ الأركان الأربعة سوف تدخل تحت تصرّف الشيعة المكرّمين وتطهر الكعبة من رجس أهل السنة والجماعة(٢) وحينئذٍ ينقطع أيّ أثر لأهل السنة والجماعة ولا تظهر لهم علامة.

وتمام الحكاية أنّ هذه المقدّمات الواهية التي نسبها صاحب المقامات إلى مقام الشيخ العالي هي حديث خرافة يا أُمّ عمرو(٣) ليس له أصل ولا له محتوىٰ،

---

(١) لعلّ مولانا الشهيد يشير بالإسماعيليّين إلى نسبهم لا إلى مذهبهم لأنّ الفاطميّين لم يكونوا جميعاً على هذا المذهب إنّما بدأت أعراضه تظهر عليهم في عهد الحاكم..

(٢) لم يحقّق الله هذا الحلم لسيّدنا الشهيد وظلّت الكعبة وإلى اليوم تجأر تحت حكم هؤلاء الأوغاد فكّ الله أسرها وأنقذها منهم.

(٣) خرافة اسم رجل استهوته الجنّ فكان يحدّث بما رأى فكذّبوه فقالوا: «حديث خرافة يا أُمّ عمرو» مجمع البحرين ج١ ص٦٣٨.

وإنّ قائله كان قد نسجه برأس إصبعه وما درى أنّ الصقيع الكثير تذيبه قطرات من المطر، ويصبح أثراً بعد عين، والشبهة إنّما تحدث حيث لا حجّة، والخلّ يؤذي بحموضته عند فقد الماء.

ومن جملة أشعار الشيخ المعظّم قصيدة طنّانة بليغة في مدح الأئمّة الأطهار وهي ذات دلالة واضحة على تشيّعه بل يقدح كلّ حرف منها بالنور الغامر والضياء الزاخر، وقد جعلها الخواجه عبداللطيف النقشبندي وسيلة للقدح بالشيخ وما فتئ ينسبه بذلك إلى الرفض بل إنّ بعض الحكّام في ما وراء النهر أنار الله برهانه الذي له تعلّق خاصّ بالشيخ المعظّم كتب على صفحة ضميره بخلاف مقتضى ذلك الماء والهواء من تلك الأصقاع والبقاع فانتقم للشيخ منه فقطع لسانه وحلق جُمّته[1].

والقصيدة هذه

امير جملهٔ مردان و صاحب ناموس
ولیّ شير خدا، كارسازِ روز عبوس

شهی كه در نظر همّتش حقير بود
هزار ملک سليمان و گنج دقيانوس

چو ذوالفقار گرفتی بكف بروز مصاف
بخاک تيره فكندی هزار تن زرؤوس

---

(١) الجمّة: الشعر. وفي جمهرة اللغة: الشعر الكثير. وقال: الجمّة الشعر وهو أكثر من اللمّة. وفي الصحاح: والجمّة ـ بالضمّ ـ مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة. المخصّص: الجمّة ما طال من الشعر. وفي تاج العروس عن ابن الأثير: الجمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين، وفي المهذّب ما جاوز الأُذنين، وفي مقدّمة الزمخشري: إلى شحمة الأُذن.

چنان بستارک هشام تیغ قهر براند
که شد زفرق سر او دو نیم تا قربوس
نماز و روزه و حجّ و زکات بی مهرش
بروز حشر همه زرق باشد و سالوس
کمال جلوهٔ طاووس را از آن چه زیان
که ابلهی بگزیند غراب بر طاووس
اگر بغیر علی التجا بری دانم
که روز حشر نیابی امان زضرب دبوس
رسول در شب اسری برون زکون و مکان
طلوع نور علی دید در مکان جلوس
ثنا و مدحت او گفت در همه قرآن
هزار جای فزونتر مهیمن قدّوس
کسی که مهر علی را بجان و دل نخرید
یقین که نسل یزید است و نطفهٔ جاموس
هزار لعنت حق بر یزید و قوم یزید
که دین زدست بدادند از برای فلوس
برای منصب دنیا بر اهل بیت رسول
کشید تیغ یزید لیعن و شمر نحوس
بهشت و حور برای موالیان علی است
حرام باد بر اعداش مال و عمر و عروس

مرا رسد که بتیغ محبّت حیدر
برآورم همگی مغز دشمنان چو سبوس
میان جمله محبّان آل پیغمبر
بمدحت اسد الله می‌نوازم کوس
مراست دین‌درست و تراست جهل و نفاق
که عود را نه بدانسته‌ای زهیمهٔ سوس
زبعد احمد و حیدر امام دانی کیست؟
حسن بود بحقیقت حسین شاه فروس
ثنا و مدحت زین عباد بجان گویم
نه از برای زر و سیم این سرای فسوس
مکان علم و هنر باقر آنکه در ره دین
ضمیر روشن او بود شرع را فانوس
امام جملهٔ آفاق جعفر صادق
که گشته‌اند همه دشمنان او مأیوس
ثنا و مدحت کاظم بجان و دل گویم
نه مدح شاه و سلاطین زراه زرق مجوس
دلا خرام بدان سرو بوستان رضا
شهید دانهٔ انگور در منازل طوس
حدیث آن تقی متّقی شنیدستی
که او بچنگ حوادث چگونه بُد محبوس

زبعد او به نقی التجاکن از دل و جان
که روز حشر نگردی ذلیل و بی‌ناموس
قرین روضهٔ پر نور عسکری باشد
هر آن دعاکه برآید به صبحدم زنفوس
شوند غاشیه‌کش پیش مهدی هادی
هزار شاه جهاندار چون جم وکاوس
تو را زدوستی آل مرتضی پرسند
بروز حشر،نه از عمرو وبکر وحزب بسوس
جوی محبّت اولاد مصطفی در دل
بنزد عقل به از تخت و تاج کیکاوس
ثنای آل علی از (حسین خوارزمی) بگوش
جان شنو و یادگیر و دستش بوس
مهیمنا ملکا هم بحقّ آل علی
بروز حشر مکن از علی مرا مأیوس
تمام دفتر دیوان من به مدح علی
مزیّن است نه از مدح هر حرون شموس

تقريب المعنى باللغة العربيّة:

إمام على الناس وهو الأمير ولِيّ المهيمن ليث هصور
حوى عزمه الأرض بعد السما فملك سليمان ملك حقير
إذا سلّ في كفّه ذا الفقار فمنه رؤوس الأعادي تطير
وزفّ إلى مجرم ضربة فها هو نصفان هاوٍ عفير
وإنّ عباداتنا كلّها بدون ولاء الهُدىٰ لا تجير

وما ضرّ طاووس روض الجنان ... إذا لم يراه غراب نفور
ومن يستجير بغير الوصيّ ... تلقّاه يوم النشور النكير
ومذ عرج المصطفى قد رآه ... له في السماوات والعرش نور
وقد جاء مدح له في الكتاب ... ومدح المهيمن مدح خطير
ومن حاد عن حبّه قلبه ... فحائط دار أبيه قصير
ألا لعن الله أعدائه ... فكلّهم مارق أو كفور..
يزيد وأبناء حرب ومن ... تولّاهم خاسئ أو حسير
عليهم لعائن ربّ العباد ... بدنيا وأُخرى عليهم تدور
كما ضيّعوا الدين في عاجل ... وصاروا إلى النار بئس المصير
وأغرىٰ يزيد بهم حزبه ... كشمر الخنا وهو كلب عقور
وقد خصّ شيعتهم بالجنان ... وأقصى منها عدوّ حقير
ولو مكّن الله من خصمهم ... لأنصف منهم حسام مبير
وصارِ لها ما بهم في الثرىٰ ... بفعل الصوارم مخٌّ نثير
ونهزج بالحرب في حبّهم ... كما للطيور تجلّت زهور
وإنّي أمام محبّيهم ... بدىٰ فوق ثغري لحن جهير
شدوت به كي أنال الهنا ... ويخفق من فوق رأسي السرور
وبعد الوصيّ أتى المجتبى ... إماماً وركناه فضل وخير
وجاء الحسين له تالياً ... كروض ويتلوه روض نضير
وزين العباد عليه السلام ... إمام الهدى والسراج المنير
ومن بعده باقر العلم إذ ... جرىٰ منه علم وفضل غزير
بذلك سمّاه خير الورى ... كما قد دعاه اللطيف الخبير
وقد ضاء منه سماء الهدىٰ ... ألم يكُ شمساً وفيه تدور

ومن بعده الصادق المرتجىٰ سحاب همىٰ منه علم كثير
فأمرع كلّ يباب به كما أمرع الفكر ثمّ الضمير
وقد يئست منه أعداءه كما أيأس الظامئين البحور
وفي كاظم الغيظ طاب الثنا كما سطعت في النوادي العطور
ولا أرتجي في مديحي له سوى الله وهو الإله القدير
ومدح الملوك بلا عائد ومدح الأئمّة خير وفير
وأرعيت قلبي روض الهنا وما التبست فيه يوماً أمور
وكان التقيّ أتىٰ بعده كبير الجناب وعمر قصير
أحاطت به حادثات الزمان فهل مال من عاصفات ثبير
ويا للنقيّ فداه الورىٰ أبت أن تصافيه دنيا نزور
وصافت علوجاً وراقت لهم كما راق للشاربين الخمور
نواليه نرجو شفيعاً به فيطرد عنّا عذاب عسير
وللعسكريّ ابنه منزل هوت أن تدانيه شعرى عبور
إذا ما توسّلت يوماً به إلى الله جلّ الإله الغفور
أعيش بدنياي في جنّة فعيش رغيد وطرف قرير
وكلّ الملوك لمهديهم عبيد وذاك مقام خطير
فوال الهداة تفز بالرضا ويأتك بالنصر مولىً نصير
ولا يؤيسنّك كلب يهر وهل صفة الكلب إلّا الهرير
وضع حبّهم في الفؤاد الطهور فما فاز إلّا الفؤاد الطهور
ويا سادتي من خوارزمكم أتاكم مديح امرئٍ لا يحور
ليسمعه أولياء لكم ويشدو الإناث به والذكور
وضعني إلهي على دربهم إلى الحشر نحو الجنان أسير

المجلس السابع
في ذكر مشاهير حكماء الإسلام والمتكلّمين الأعلام

وأكثرهم عالم بفروع الشريعة وأُصولها، محيط بما بيّنه رسول الله ﷺ، ولكنّهم عرفوا بعناوين الحكماء والمتكلّمين لكثرة ممارستهم للمطالب الحكميّة والدقائق العلميّة، وهؤلاء وإن كانوا من أهل الظاهر إلّا أنّهم انعتقوا من ربقة التقليد وتقدّموا في طريق الفكر والنظر حتّى بلغوا الغاية من التحقيق، ووصلوا إلى حدود اليقين، وهكذا طبيعة سائحي العالم يحلون في كلّ لحظة وهم يجوبون المفاوز والمعامل والحصون بحثاً عن المعنى على نوالٍ ذي كمال ليس حكراً على قلاع تلك الصور ومثله يقال في خائضي بحار التحقيق فإنّهم يرتوون في كلّ لحظة من فيوض الجمال، وكذاك هم قارعوا كؤوس جرعات جوامع التقليد فإنّهم طالما ثملوا أيضاً من رشحات كأس الكمالات.

شعر

اى تو را با هر دلى كارى دگر　　　بر سر هر كوى بازارى دگر

أنت يا فاتح القلوب ألا تدري　　　بكلّ الأحياء سوق جديد

لأنّ كلّ مخلوق ينال بقدر استعداده الفطري وموهبته الذاتيّة من خوان هباته العام نوالاً ومن رحمته التي لا يمنّ عليهم فيها نصيباً تامّاً.

اگر جامى بدست آرى　　　زخم جامي برى پر مى

وگر پيمانه‌اى دارى　　　بتو پيمانه پيمايند

الحكيم الربّاني والمعلّم الثاني أبو نصر محمّد بن طرخان الفارابي

معلم مقالات أهل اليونان، ومتمّم كمالات نوع الإنسان، الطائر المحلّق في عالم النفوس والعقول، الصاعد إلى سائر منازل العروج ومراحل الوصول، فيّاض المعارف والعلوم، موضع ثقة فارس والروم، مزيّن صحائف الليل والنهار، مباين للحقائق السبع والأربع، منكر آثار التكلّف والتصلّف، مظهر أنوار الإشراق والتصوّف، وهو الحكيم الأوّل من فلاسفة الإسلام الذي افترع قمّة الترجمة فنقل علم الحكمة والفلسفة من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ولُقِّب بـ: المعلّم الثاني.

قال صاحب تاريخ الحكماء: كان أبوه ذا ثروة عنده الصافنات الجياد والماشية الكثيرة، وأصله من فارس.

وقال ابن خلّكان: هو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه. والرئيس أبو علي ابن سينا (ـ المقدّم ذكره ـ ابن خلّكان) [مع جلالة قدره وانشراح صدره ـ المؤلّف] بكتبه تخرّج وبكلامه انتفع في تصانيفه[١].

مولده في فارياب[٢] من أرض تركستان ومنها دخل الأراضي الإيرانيّة، وبعد طيّه المنازل وقطعه المراحل وصل إلى دار السلام بغداد وكانت مجمع الفضلاء الأمجاد، وأتقن فيها اللغة العربيّة إتقاناً تامّاً، واشتغل بتحصيل علم الحكمة أو الفلسفة، ثمّ سار بعد مدّة إلى مدينة حرّان وحضر عند «يوحنّا بن خيلان» وهو من فلاسفة النصارى طرفاً من علم المنطق، وأفاد منه فائدة جليلة، ثمّ عاد إلى بغداد واشتغل بدراسة كتب الحكمة والفلسفة، وكان فيها أعلم أهل زمانه، ثمّ

(١) وفيات الأعيان ج٥ ص١٥٣.

(٢) فارياب بكسر الراء مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان.

انتقل منها إلى مصر ومنها سار إلى دمشق، واختار صحبة واليها السلطان سيف الدولة بن حمدان وهو من سلاطين الشيعة الإماميّة وقضىٰ بقيّة عمره في خدمته.

وذكر أيضاً عن ابن خلّكان أنّه قال عنه: وكان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس وكان مدّة مقامه بدمشق لا يكون غالباً إلّا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض، ويؤلّف هناك كتبه، وينتابه المشتغلون عليه، وكان أكثر تصانيفه في الرقاع، ولم يصنّف في الكراريس إلّا القليل فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولاً وتعاليق، ويوجد بعضها ناقصاً مبتوراً.

وقال أيضاً: وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن، وأجرى عليه سيف الدولة كلّ يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته. ولم يزل على ذلك إلى أن توفّي في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق، وصلّى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصّه وقد ناهز ثمانين سنة، ودفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير، رحمه الله تعالى.

ولا يخفى بأنّ علماء أهل السنّة والجماعة حتّى حجّة الإسلام الغزالي قبل انتقاله إلى المذهب الإمامي الحقّ كانوا جميعاً يكفّرون أبا نصر، والظاهر أنّ سبب ذلك يعود إلى ما كان ينقله في تراجمه لكتب حكماء اليونان من قدم العالم وإنكار المعاد الجسماني ونظير ذلك، ورأوا ذلك منه ونسبوه إليه، ولم يعرفوا غرضه من ذكر ذلك وظنّوا بأنّه ذكرها معتقداً بها، وأتى بها على نحو الجزم بمحتواها، مع أنّ رسالة «الفصوص» المنسوبة إليه ظاهرها خلاف ذلك.

ومجمل القول إنّه وإن كانت الكتب التي تركها هذا الحكيم العظيم نادرة وليس بأيدينا من تصانيفه ما يمكن استخراج مذهبه من خباياه، والحكم بتشيّعه من زواياه إلّا أنّ انقطاعه إلى ذلك السلطان المذكور من بين جميع الخلفاء

وسلاطين زمانه، وقبول ذلك السلطان فلسفته وتفهّمها دليل على أنّه متشيّع لأهل البيت عليهم السلام ثمّ إنّه ليظهر بقليل من التأمّل أنّ سلطان ولاية مثل ولاية الشام يحضر للصلاة على جنازة فيلسوف هو بالفضل الذي ذكره ابن خلّكان، وبالمحلّ المعلوم من الفلسفة والحكمة، ثمّ لا يحضر للصلاة عليه إلّا أربعة أنفس، إنّ أمراً كهذا يبدو بعيداً، اللهمّ إلّا للعالم العارف بمواضع التقيّة، والمُلمّ بتعصّب أهل الشام من أتباع بني أُميّة فإنّه يستنبط من ذلك أنّ سيف الدولة لم يرد أن يعلم الناس أو العامّة بموت الحكيم لئلّا يحضروه فيضطرّون للصلاة عليه تقيّةً على مذهب أهل السنة والجماعة فلا بدع إن اقتصر على هذه الأنفس القليلة من خواصّه للصلاة عليه، وهم الذين عرفوا باعتناق مذهب أهل البيت وصلّوا عليه بما يفرضه مذهب الإماميّة، بل الظاهر أنّ أبانصر الفارابي أوصاه بذلك، والله أعلم بسرائر الأُمور.

الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا رحمه الله

إنّه طور سينا الحكمة والعرفان، ونور باصرة الحكماء في العالم، الذي خضعت روح أفلاطون لثقل منّته، وروح أرسطو من مشّائي ركاب حكمته، وهو من أكابر علماء الإسلام، وأعاظم الفلاسفة الأعلام.

وأمّا تفاصيل جذره ونسبه، وبيان طرف من كمالات حسبه فإنّنا نذكره على الوجه الذي ذكرها به تلميذه «عبدالله الجوزاني» في رسالة مستقلّة وهو كالتالي: كان أبوه رجلاً فاضلاً حكيماً من أهل بلخ، وهو من أعلام الإسماعيليّة، وقصد بخارا في عهد الأمير نوح بن منصور الساماني ولازم فيها ركابه، وولد أبو علي في تلك الديار وحفظ القرآن في العاشرة من عمره كما ضبط كثيراً من العلوم الدينيّة والفنون الأدبيّة في تلك السنّ ثمّ قرأ على أبي عبدالله الناتلي ـ وكان من

فضلاء تلك الفترة ـ علوم المنطق واستغنى عن مجالسته في زمن قصير، وحضر على نفسه كتب المنطق والحكمة وأدمن قراءتها. وبلغ في الثامنة عشرة من عمره الغاية من تحصيل العلوم حيث أتمّها على أحسن وجه.

وجاء في كتاب «تذكرة دولتشاهي»: إنّه كان يناظر علماء بخارا وهو في سنّ الثانية عشرة، ويفلجهم.

وجاء في كتاب «تاريخ الوزراء» وغيره: إنّ الأمير نوح أُصيب في ذلك الوقت ـ والشيخ في بخارا مقيم على مطالعة الكتب ـ بمرض عضال أعجز الأطبّاء بأجمعهم عن مداواته، ولمّا طلبوا من الشيخ أن يتولّى علاجه بنفسه فقد عوفي على يديه بزمن قصير؛ فلازمه أبو علي.

وفي الأيّام التي لازمه فيها أذن له من جانب الملك بدخول مكتبة بخارا التي جمعت فيها كتب الأوّلين والآخرين، واستظهر تلك الكتب العربيّة النفيسة على خاطره، واستوعب حقائقها ودقائقها.

ومن غرائب الصدف يومئذٍ أنّ حريقاً هائلاً نشب بها فاتّهمه خصومه بأنّه هو الذي أحرقها لكيما ينسب علوماً كتبها إليه، وشغل أبو عليّ نفسه بعد ذلك بالتأليف.

ولمّا بلغ الثانية والعشرين توفّي والده فأُصيبت مرافق الدولة بالشلل واستولى عليها الارتباك، فخرج أبو عليّ من الدولة السامانيّة إلى خوارزم، وطارده السلطان محمود الغزنوي لما نمي إليه أنّ الشيخ أبا عليّ شيعيّ المذهب، فكان مجدّاً في طلبه تعصّباً منه لمذهبه.

وخرج الشيخ من خوارزم فارّاً من بطش هذا السلطان وبقي تائهاً في الفلوات الواقعة بين خوارزم و«أبيورد»، وتحمّل المشقّات الصعبة، وبعد ذلك تمكّن من

الخروج وحلّ ضيفاً على الأمير قابوس بن وشمگير وهو من سلاطين الشيعة وكان والياً على «جرجان» وأطرافها، واقام عنده.

ولمّا بلغ حضرته وقف السلطان إجلالاً له، وأجلسه معه على مقعد واحد، ولم يغفل عنه آناً واحداً، وظهر من الشيخ هناك بعض المعالجات الغريبة للأمراض الصعبة، ولكن لم يهنأه العيش هناك، فقد طرأت على قابوس مشاكل ونزلت به نوازل بعد مدّة من نزول الشيخ عليه، لذلك آثر الهجرة إلى دار المؤمنين «الري» ووصل إلى ساحة ملكة الزمان السيّدة زوجة فخر الدولة بن بويه وولده مجدالدولة وهو شيعيّ صاغراً عن كابر، وأباً عن جدّ، ولكن ظهرت عليه ـ والشيخ عنده ـ أعراض مرض «الماليخوليا» فكان للشيخ يد بيضاء عليه في علاجه والعناية به فعوفي من الله على يده، خلا أنّ تلك الديار بان فيها الضعف لما بلغها توجّه محمود إليها، وظهر على ملك مجد الدولة الفتور والانحلال، وكان الشيخ خائفاً من السلطان محمود، فخرج منها إلى قزوين وتوصّل من هناك إلى خدمة شمس الدولة أخي مجد الدولة وكان والياً على همدان ومضافاتها، فأسند إليه أمر وزارته. وعانى الشيخ من أذى الجند معاناة شديدة لخلوّ خزائنه من المال، فألجأته الحال إلى الاستقالة، فاستقال.

وقام بعد شمس الدولة ولده تاج الدولة، وأسند إلى الشيخ وزارته ثانية، فلم يلق استجابة منه. ولمّا كان للشيخ حسّاد ومبغضون، فقد أنهوا إلى السلطان أموراً عنه أدّت إلى فتوره وظهور الملال عليه، فكتب سرّاً إلى الأمير علاء الدولة وإلى اصفهان وكان من آل كاكويه وابن خالة السيّدة والدة مجد الدولة، وأظهر الشوق إليه والعزم على المصير إليه.

وبناءاً على هذا عمد إلى الاستخفاء في منزل أحد أعيان همدان، وشغل نفسه

بإتمام كتاب الشفاء، وكان يكتب في كلّ يوم خمسين ورقة منه دونما رجوع إلى أصل أو كتاب حتّى أتمّ الطبيعيّات والإلهيّات كلّها.

ولمّا علم تاج الدولة بخبر مكاتبة علاء الدولة تألّم ألماً شديداً وثقل خاطره عليه، وسعى في القبض عليه إلى أن دلّ عليه واحد من أعداء الشيخ وأرشده إلى محلّ استخفائه فاعتقله السلطان وسجنه في إحدى قلاع همدان، ونظم الشيخ في سجنه قصيدة منها هذا البيت:

شعر

دخولي في اليقين كما تراه وكلّ الشكّ في أمر الخروج

وبقي مسجوناً في تلك القلعة أربعة أشهر، فتمّ له هناك كتابة كتاب «الهداية» ورسالة «حيّ بن يقظان» وكتاب «القولنج» إلى أن قصد علاء الدولة همدان وهزم تاج الدولة فتحصّن في القلعة ذاتها التي حبس فيها الشيخ.

ولمّا عاد علاء الدولة إلى اصفهان عاد تاج الدولة إلى همدان وحمل الشيخ معه فنزل في بيت أحد السادة العلويّين واشتغل بتصنيف منطق الشفاء، ثمّ عزم على التوجّه إلى اصفهان فتنكّر بزيّ أهل التصوّف، وخرج إلى اصفهان مع أخيه محمود وطائفة من تلامذته. ولمّا ورد تلك المدينة فاستقبله أصحابه وأركان دولة علاء الدولة وحملوا إليه الخلع الفاخرة وحملوه على مركب يليق بحضرته وأنزلوه في بيت أحد أعيان البلد وحملوا إلى مسكنه هناك جميع ما يحتاجه المنزل الجديد.

ولمّا ورد على علاء الدولة مجلسه بالغ في إحترامه وإجلال مقامه على الوجه الذي يناسب مكانته، وتقرّر عند السلطان حضوره وجماعة من العلماء في اصفهان في مجلس خاصّ وطرح المباحث العلميّة هناك.

واشتغل الشيخ في إقامته هناك بإتمام كتاب الشفاء وكتب في أثناء ذلك الحكمة العلائيّة باسم الأمير علاء الدولة، واختصّ بالأمير المشار إليه اختصاصاً زائداً وكان الأمير يبالغ في إجلاله ورعاية حاله.

ذكروا أنّ الشيخ كان يحضر في ليالي الجمع مجلس علاء الدولة والمجلس غاصّ بعلماء تلك الفترة، فإذا تكلّم الشيخ انتفع الجميع بكلامه وأفادوا من دُرّ نظامه.

وتمّ له إكمال كتاب الشفا في تلك البرهة من الزمن.

وفي سنة عشرين بعد الأربعمائة عزم السلطان محمود الغزنوي وابنه السلطان مسعود على موافاة بلاد العراق وكان الشيخ أبو علي يومها قائماً على وزارة علاء الدولة فخشي الملك ووزيره من هجوم السلطان عليهم واقتحامه بلادهم، مِن ثمّ ارتفعوا إلى شاپور.

ولمّا عاد السلطان محمود إلى تلك الديار فوّض ولاية البلاد إلى السلطان مسعود فأرسل علاء الدولة ولده ومعه التحف والهدايا إلى السلطان مسعود فوقعت من نفسه موقع القبول والرضا فعهد إليه بحكومة اصفهان، نائباً عن السلطان مسعود فاستبدّ برأسه هوس الاستقلال فأخذ يتلكّأ في تنفيذ أوامر السلطان وإهمال فرامينه.

ولمّا علم السلطان مسعود بذلك، حمل على اصفهان بجيش لجب فاختار علاء الدولة الفرار على القرار وأسر السلطان مسعود أُخته، ولكن الشيخ رأى الحفاظ على عرض علاء الدولة لازماً، فعرض على السلطان مسعود الاقتران بها وقال: إنّها كفؤ من أكفّاءك، فرضي السلطان بعرض الشيخ ذلك عليه وعقد عليها رضاً منه واقتناعاً بقول الشيخ ثمّ وردته الأنباء أنّ علاء الدولة يعدّ العدّة للقائه،

فاستولى عليه الغضب الشديد، واشتعلت في نفسه نار الغيرة على الملك فأرسل إلى علاء الدولة بأنّي سوف أبيح عرض أُختك للجند وأحملهم على ارتكاب الخنا منها.

فأمر علاء الدولة الشيخ أن يجيبه فكتب إليه: إنّ هذه المرأة هي في المقام الأوّل زوجتك وعرسك، ولو أنّك طلّقتها فسوف تدعىٰ مطلقتك، وغيرة الناس عادة تكون على زوجاتهم أكثر من أخواتهم.

فأعاده هذا الجواب إلى الصواب وحمله على احترام المرأة فجهّزها بجهاز حسن وبعث بها إلى أخيها باحترام وتقدير.

ولمّا هلك السلطان محمود، عاد السلطان مسعود إلى خراسان وأمر أبا سهل الحمدوني بضبط عراق العجم، فوقع بينه وبين علاء الدولة حرب ضروس فهزم علاء الدولة هزيمة منكرة، وانحاز عن اصفهان فدخلها أبو سهل. وحينئذٍ انصبّ البلاء على كتب الشيخ وأمتعته، فانتهبت. ولكن علاء الدولة أعاد الكرّة على اصفهان فملكها مرّة أُخرى.

ولمّا كان الشيخ يكثر من المباضعة ويعتقد أنّ ذلك حاصل لقوّة مزاجه وصحّة بدنه، مِن ثَمّ حصل عنده اعتلال وفتور واسترخاء، وعرض له القولنج، وعلاء الدولة منشغل بخارج خرج عليه فهو دائب على قتاله والتصدّي له. فرأى علاء الدولة مراعاة لصحّته المسارعة في إنهاء الحرب وإلحاق الهزيمة بالعدو، وكان الشيخ قد حقن نفسه في يوم واحد ثماني مرّات، فنالت بعض أمعائه جراحة وناله سجح ...[1] فبادر علاء الدولة من أجل ذلك إلى العودة وفي هذه

---

(١) في الأصل «سحج» ولم أعثر عليها في القواميس الفارسيّة، وجاء معناها في العربيّة هكذا: سحج الشيء يسحجه أي يقشر منه قليلاً كما يصيب الحافر من قبل الحفا عن العين.

الأثناء عرض للشيخ مرض الصرع الذي يحصل عادة على أثر القولنج وبينما هو يعالج هذا المرض ويعاني منه إذ تمكّن بعض مماليكه الذين يسرقون من خزانة نقوده الكثير إلى طرح مادّة الأفيون في شرابه، فضاعف ذلك من شدّة المرض على الشيخ ممّا حمله على العودة إلى اصفهان، وأخذ الشيخ هناك في مداراة نفسه ولكنّه بلغ به الضعف إلى العجزعن القيام، وما زال يعالج نفسه حتّى أمكنه العلاج من المشي، فأقبل على مجلس الأمير علاء الدولة ولكنّه لم يشف من المرض تماماً.

وصادف في تلك الأيّام أنّ علاء الدولة كان عازماً على قصد همدان فحمل الشيخ على مصاحبته فعاوده المرض فحيث أيس من العلاج لسقوط قوّته فتركه وبقي أيّاماً على قيد الحياة ثمّ غادر إلى رحمة الله ودفن في همدان.

ولا يخفى أنّ أكثر فقهاء أهل السنة يكفّرون الشيخ ولقد قال الشيخ في هذا المعنى:

کفر چو منی گزاف آسان نبود ... محکم‌تر از ایمان من ایمان نبود
در دهر چو من یکی و آن هم کافر ... پس در همه دهر یک مسلمان نبود

ليس سهلاً تكفير من هو مثلي ... ما كايمان قلبه إيمان
أنا فرد فإن أكفر فلا يوجد ... في الناس مسلّماً إنسان

والظاهر انّ سبب تكفيره هو ما جاء في كتاب الشفا من عبارات توهم ذلك من قبيل «قدم العالم» ونفي «المعاد الجسماني» وغير ذلك، وهذا التكفير لا يتناول الشيخ وإنّما يتناول كما أوضح ذلك بعض أساتذته ﵀ وأفادوه وكشف عنه في كتاب الشفا وأمثاله كلام الحكماء المتقدّمين وكان قصد الشيخ من تحريره هو بيان مذاهبهم والإعراب عن مقاصدهم من دون ذهاب منه إلى هذا

المذهب، في حين نجد محلّ اجتهاداته وتلخيص اعتقاداته وإشاراته وغيرها من رسائله تخلو تماماً من هذه الكلمات بل صريح أقواله يضادّها ويباينها مباينة واضحة، فإتّهامه بالتكفير لا وجه له أصلاً، وهذا التوجيه نظير ما قاله تلميذ الطيبي في حاشية الكشّاف أنّ الاختلاف الواقع في مسائل النحو في كتاب الكشّاف بناء على أنّ الشيخ الزمخشري كتب كتابه «المفصّل» مختصراً به كتاب سيبويه، والكشّاف هو موضع اجتهاداته في مسائل النحو.

ومجمل القول: إنّ ولادة الشيخ على فطرة التشيّع وانقطاعه ورجوعه من بين سلاطين الدنيا إلى سلاطين الشيعة واحداً بعد الآخر، واشتراطه الأفضليّة والنصّ والإجماع على صحّة الخلافة بعد النبيّ كما جاء في مبحث الإمامة من إلهيّات «الشفا» وصرّح هو بذلك دليل ناصع قوي على أنّه من أهل الإيمان.

ثمّ إنّه قال في هذا المبحث: «ومن اجتمعت له الحكمة النظريّة وقد فاز مع ذلك بالخواص النبويّة كان أن يصير ربّاً إنسانياً فكاد أن يحلّ عبادته بعد الله وهو سلطان العالم الأرضي خليفة الله..».

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الأوصاف لا تصدق إلّا على أميرالمؤمنين عليه السلام الذي حصل الإجماع على كونه جامعاً لجميع أقسام الحكمة النظريّة والعمليّة كشفاً وشهوداً، وتواتر ظهور معاجزه الظاهرة وكراماته الباهرة، واشتهرت عنه بين الناس.

وما قاله في المبحث الأخير للكتاب أنّ الخليفة يصحّ أن يكون جاهلاً ويرجع في أحكام الشريعة إلى العالم كما كانت عليه الحال في زمن عليّ وعمر.. إنّما كان غرضه في الخلافة المجازيّة، وهي التي ينتظم بها النظام الظاهري لا الخلافة الحقيقيّة التي سبقت إلى وهم بعض القاصرين من فهم

عبارته لأنّه وإن كان سياق الكلام موهماً لإرادة الخلافة الحقيقيّة إلّا أنّ التأمّل في أطراف الكلام يظهر أنّ الشيخ عند تحرير هذا المقام قصد التمويه على الحكّام الذين بأيديهم زمام الأُمور وهم من أهل السنة والجماعة، وكان شأنه شأن أيّ مؤلّف آخر في استعمال اللفظ على الحقيقة تارة، وعلى المجاز تارة أُخرىٰ.

والذي يؤيّد ما ذهبنا إليه من أنّ غرضه من استعمال لفظ الخليفة هو المعنى المجازي إذ لو لم يكن كذلك لكان الأوّل به التمثيل بأبي بكر لا عمر لأنّه عند أهل السنة أوّل الخلفاء وأفضلهم وأكبرهم، ويفزع إلى الاستعانة بعمر وزيره أو الصحابة الأُخر، ويرجو منهم أن يقوّموه: إذا اعوججت فقوّموني، ولكنّه لم يشبّه بأبي بكر لأنّ الانتظام العرفي الظاهري الذي أراد الشيخ التمثيل به لم يتحقّق في زمن أبي بكر لأنّ جماعة كثيرة تخلّفت عن بيعته وارتدّ أكثر قبائل العرب في عهده ووقعت فتن عظيمة مع قصر مدّة خلافته، ومثل ذلك يقال في عهد عثمان، فقد تسافل وضع الخلافة في عهده، وانتقض انتظام الأُمور، وضاق المسلمون ذرعاً بسلوكه وسلوك قومه حتّى خرجوا عليه وقتلوه، وهذا بخلاف عهد عمر الذي كانت الأُمور فيه منتظمة.

ولا يخفى أنّ نزاعنا لم يكن في يوم من الأيّام حول حصول الأمن والانتظام الظاهري المشتمل على ردع الهرج والمرج ورفع تطاول بعض الآحاد من الناس على بعضهم الآخر في وجود الخلفاء المجازيّين والملوك هل هو حاصل أو لا، حتّى أنّ زين المجتهدين ﷺ قد قال في رسالته «صلاة الجمعة»: ربّما حدث بكثرة عدم انتظام الأُمور واتساق الأوضاع بوجود الخليفة الحقيقي على حين ربّما انتظمت على وجه مرضٍ بوجود ملوك الجور لأنّ هؤلاء جرياً على اقتضاء السياسة العرفيّة ربّما أخذوا الحاضر بالغائب والبريء بالمذنب وعاقبوا المائة

بذنب الواحد، وأمثال ذلك من قوانين الجور، فانتظم لهم الناس واستقاموا وساروا على نهجهم في الاستقرار والقبول. أمّا هم فإنّ للناس منهم يوماً أحمر من الظلم والجور والعدوان عليهم ذلك حين يتوجّه منهم خطر على دنياهم، أمّا الدين فلا يهتمّون به ولا يقيمون أوده ولا يسوون اعوجاجه بل يذرونه على ما هو عليه من خلاف واختلاف دونما اهتمام به، أو إصلاح له كما قال عبدالله بن هجر في هذه الأبيات الثلاثة:

تبيت النشاوىٰ من أُميّة نوّماً وبالطفّ قتلىٰ ما ينام حميمها

وما ضيّع الإسلام إلّا قبيلة تأمّر نوكاها ودام نعيمها

وأضحت قناة الدين في كفّ ظالم إذا أعوج منها جانب لا يقيمها

فكيف يعتبر الشيخ خلافة عمر الجاهل خلافة حقيقيّة في حين أنّ كلامه لا يدلّ على هذا المعنى من وجهين:

الأوّل: أنّه اشترط في صحّة الخلافة أن تكون منصوصة من جهة النبيّ ﷺ أو بإجماع أهل الحلّ والعقد جميعهم على الخليفة وهو يرجّح في آخر كلامه القول الأوّل كما يتفق ذلك مع ما يقوله الإماميّة ويذهبون إليه حيث يقول: والاستحقاق بالنصّ أصوب فإنّ ذلك لا يؤدّي إلّا إلى الشغب والتشعّب والاختلاف. وعلى كلّ حال إنّ الظاهر من أمر المحقّقين من أهل السنة والجماعة بأنّهم لا يصحّحون وقوع أيّ أمر من هذين الأمرين بحقّ أيّ واحد من الخلفاء ولهذا تهافت رئيس المعاندين العضد الإيجي بالالتزام في صحّة الخلافة أن تكون ببيعة رجل واحد وذلك كافٍ في تحقّقها كما جرى لأبي بكر حيث ثبتت خلافته ببيعة عمر له.

وبعد هذا كلّه كيف يظنّ بحكيم في وزن ابن سينا أن يعدّ خلافة عمر خلافة

حقيقيّة إلّا أن يقال «لا مناقشة في الأمثال» مع أنّ الشيخ حسين بن عبدالصمد رحمه الله ذكر في رسالته «الشوارق» عنه أنّه قال: لو لم يكن نصّ في البين يعني الخلافة لعليّ لكان تقديمه لازماً لوجود مزاياه وثبوتها وحصول فضائله النادرة.

ثمّ شرط شرطاً آخر وهو كون الخليفة رجلاً عاقلاً وعارفاً بالشريعة بحيث لا يوجد في المسلمين من هو أعرف منه ولا أعلم، وكونه ذا أخلاق شريفة تحتوي على الشجاعة والفقه وحسن التدبير، وعمر بإجماع كتب السيرة كان فظّاً غليظاً، خبيث الطبع، أسود القلب، حقوداً حسوداً جاهلاً جباناً، اختار الفرار والهزيمة على الثبات في كلّ الغزوات ومنها غزوة بدر وخيبر.. ولقد نطق في سبعين مسألة بقوله: «لولا عليّ لهلك عمر»[1].

فلو قال قائل: إنّ الشيخ قال في هذا المبحث: إنّ المعقول الأعظم: هو العقل وحسن السياسة، ولمّا كان عمر متّصفاً بهما فلا يقدح فيه عدم اتصافه بالعلم والشجاعة ونظائرهما، ولا يعيب ذلك خلافته.

ونقول في جوابه: إنّ الشيخ وصل كلامه هذا بما يضادّ مضمونه حيث قال: يكون المعقول أحياناً كمال العقل وحسن الإدارة شريطة أن لا يكون صاحبه بعيداً عن باقي الفضائل، غريباً عليها أي إنّ العارف بحسن الإدارة وكمال السياسة لو كان غريباً عن العلم قريباً من الجهل لا يليق للخلافة وإن كان متّصفاً بحسن الإدارة ومتحلّياً بقانون العدالة، وإنّما يكون العارف بالسياسة أولى بها من الأعلم فإنّ ذلك مشروط بأن لا يكون الأعلم مثله في العدل والإدارة، وعلى هذا

(١) الاستيعاب ج٣ ص١١٠٣، شرح نهج البلاغة ج١ ص١٩ وص١٤١ وج١٢ ص١٨ وص٢٠٥، نظم درر السمطين ص١٣٠ وص١٣٢، المواقف للإيجي ج٣ ص٦٣٧، فتح الملك العلي ص٧٢، تفسير الرازي ج٢١ ص٣٢ وغيرها.

التقدير لا يكون عمر وإن عرف بحسن الإدارة والسياسة أولى من عليّ عليه السلام لأنّه صاحب المرتبة العليا في العدالة وحسن السياسة كما اعترف الخصم بذلك وتواتر عنه خبطه وخلطه في كثير من المسائل واراق ماء وجهه فلذلك تداركه بقوله: لولا عليّ لهلك عمر، وقوله: كلّ الناس أفقه من عمر حتّى المخدّرات في الحجال. وكذلك فراره من الزحف كما تفعل الأُنثى من الثعالب، وهذا من الجلاء بمكان مكين أنّ إنساناً كهذا غاية في البُعد من العلم ومن الشجاعة مع أنّ اتصافه بالعقل موضع تأمّل. أجل إنّه معروف بالدهاء والمكر والاحتيال، وهذا الأمر من المسلّمات، وما جرى في عهده من التدبير في فتح الممالك إنّما كان بإشارة وتدبير من أميرالمؤمنين عليه السلام كما ذكر ذلك في كتب السير.

وأيضاً: على تقدير التسليم بهذا الكلام فإنّه معارض بما أجاب به الشيخ مسائل أبيالحسن العامري في نيسابور وصرّح به هناك لأنّه قال بعد ذكر الدليل على وجوب نصب الخليفة: وأمّا الشروط المختصّة بها فهو أن يعلم أنّه ما لم (كذا) يصلح أن يكون سائس البهائم واحداً من البهائم بل وجب أن يكون أعقل من الصبية ولم يجز أن يكون سائس الفسّاق واحداً من الفسّاق فكذا لا يجوز أن يكون سائس الدهماء واحداً من عرض الدهماء، ثمّ القول واحد لهذه الرتبة السنيّة أمر قد أكثر المتكلّمون، والله الموفّق للرشاد[1].

وكذلك قال الشيخ: إنّ عليّاً بن أبي طالب في الخلائق بمنزلة المعقول بين المحسوس يعني كما أنّ المعقول بناءاً على تجرّد المادّة أشرف من المحسوس المقارن لكثافة المادّة، فإنّ عليّاً عليه السلام أفضل الناس وأشرفهم، ويمكن أن يكون هذا غرضه من مذهبه القائل بأنّ الحكماء والعقلاء دائبون في البحث عنه. وأمّا

(١) النصّ فيه سقط وهكذا وجدناه في الكتاب ولم نعثر عليه في موضع آخر.

ما عداه فإنّهم بمثابة المحسوسات الجزئيّة الخارجة عن المبحث.

ولمّا قال الحكماء معلّلين سبب عنايتهم بالبحث عن المعقولات هو أنّ الغرض من العلوم الحكميّة هو حصول الكمال للنفس الإنسانيّة لكي يخلد بخلود النفس ولكن الجزئيّات المحسوسة ليست بهذه المثابة بناءاً على ما يعتريها من التغيير والتبديل.

إذن تبيّن لنا أنّ كلمة الشيخ الجامعة هذه إشارة منه إلى أنّ مجرّد معرفة أميرالمؤمنين عليه السلام باعثة على حصول الأماني والآمال.

وهذه الرباعية المسكيّة التي تنفح بالرائحة الزكيّة في قلوب الأحباب هي أثر من آثار طباعه اللطيفة وقريحته الشريفة وقطرة من خضمّ أشعاره:

رباعيّة

بر صفحهٔ چهرهها خط لم يزلى | معكوس نوشتهاند نام دو على
يک لام و دو عين با دو ياء معكوس | از حاجب و عين وأنف با خطّ جلى
في صفحة الخدّ خطّ اسم الإمام علىٰ | عكس اسمه حين يمليه المداد علي
فلامه ثمّ عين بعد ذاك أتت | ياءآن معكوس اسم كالوجود جلي
فإنّه حاجب والعين بعدهما | أنف يلوح بخطّ في الجمال ملي

أُخرى

تا بادهٔ عشق در گلو ريختهاند | واندر پى عشق عاشق انگيختهاند
در جان و روان بو على مهر على | چون شير و شكر بهم درآميختهاند
سقوه رحيق الحبّ صفواً معتّقاً | وقالوا له هيّا إلى الحبّ فاطلب
أما علموا أنّ ابن سينا وروحه | لقد مزجت في حبّ مولىً مطيّب
كما لبن بالسكّر العذب مزجه | صريحاً وهاك الضرع ما شئت فاحلب

[ولكنّ القاضي نور الله التستري قال في كتاب مجالس المؤمنين[١]:]

«إنّ تكفيره غير موجّه عليه أصلاً، ثمّ قال: إنّ توجيهه على الوجه الذي استفدت من الأسانيد هو أنّ المقصد الأصلي له إنّما هو ذكر كلمات الحكماء المتقدّمين في كتاب الشفاء ونظائره، وأمّا محلّ اجتهاداته وملخص اعتقاداته إنّما هو في الإشارات وغيرها من الرسائل وهي خالية من هذه الكلمات بل هي صريحة في خلافها فلا وجه لتكفيره.

وبالجملة معاشرته لسلاطين الشيعة واحداً بعد واحد وانقطاعه عن غيرهم واشتراطه أفضليّة الخليفة والنصّ والإجماع على خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما صرّح في مبحث من إلهيّات الشفاء دليل على أنّه من أهل الإيمان.

وأيضاً قال في ذلك المبحث: ومن اجتمعت له الحكمة النظريّة وقد فاز مع ذلك بالخواصّ النبويّة كاد أن يكون ربّاً إنسانيّاً فكان أن يحلّ عبادته بعد الله، وهو سلطان العالم الأرضي خليفة الله.

ولا شكّ أنّ هذه الأوصاف لا تصدق إلّا على أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه بالاتفاق جامع لجميع الحكم النظريّة والعمليّة كشفاً وشهوداً، وقد صدر منه المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة بالأخبار المتواترة بين الفرق الإسلاميّة. نعم قد ذكر في آخر هذا المبحث من الكتاب المذكور أنّه من الممكن أن يكون الخليفة جاهلاً، ويلزم الرجوع إلى العالم في الأحكام كما في زمن عمر وعليّ عليه السلام.

وأجاب القاضي عن ذلك بأنّ المراد هي الخلافة المجازيّة التي ينتظم النظام

---

(١) بعد ترجمة النصّ السالف عثرت على ترجمة له في كتاب طرائف المقال للسيّد علي البروجردي ج٢ ص ٥٠٠ فآثرت نقلها لأنّها أكثر ضبطاً للمعنى وأرجو القارئ أن يكون اعتماده عليها لا على ما ترجمناه.

بسببها لا الخلافة الحقيقيّة كما توهّما بعض القاصرين ويوهمه سياق الكلام، ولكن التأمّل في أطراف المقام يدفعه ويظهر أنّ الشيخ ما أراد من هذا الكلام إلّا التمويه وتغرير أهل السنة، وممّا يؤيّد ذلك أنّه لو لم يرد من الخلافة هي المجازيّه لكان التمثيل بأبي بكر وعليّ عليه السلام أتمّ وأقرب لكونه باعتقاد أهل السنة هو أوّل الخلفاء وأكبرهم وأفضلهم ومع ذلك يستعين برأي وزيره عمر وسائر صحابته يلتمس بـ«إن عوّجت فاستقيموني»، فجرى التمثيل بعمر لأجل أنّ الانتظام الظاهري العرفي بيده لما فيه من فنون التزوير والتدبير، ولهذا قد اختلّ أمر الشريعة في زمان خلافة عثمان بل ارتدّ من قبائل العرب في هذا الزمان، وكذا في زمان خلافة عثمان فإنّه من سوء تدبيره وفقد كفايته واعوجاج سليقته وتعدّيه وتخطّيه عن جادة الانصاف وسلوك بنية الاعتساف اضطرّ أمر دنياه فضاق على الناس حتّى اضطرّوا إلى قتله.

وأمّا زمان خلافة عمر فلم يقع فيه ما وقع في زمان صاحبيه بل لا نزاع في أنّ الانتظام الظاهري المشتمل على دفع الهرج والمرج ورفع تطاول بعض الناس على البعض إنّما هو بوجود الخلفاء الجائرين والجبابرة كما هو المحسوس في هذه الأزمنة فحينئذٍ كيف يعتقد الشيخ خلافة مثل عمر الجاهل ويزعم خلافته الحقيقيّة. وسياق كلامه يأباه من وجهين:

الأوّل: أنّه شرط كون الخليفة بالنصّ أو بإجماع جميع أهل الحلّ والعقد، ومن البيّن أنّ محقّقي أهل السنة لم يدّعوا وقوع أحدهما في حقّ الثلاثة ولهذا اضطرب رئيس المعاندين القاضي العضد الإيجي فصحّح اختيار الخلافة من شخص كاف واف كما في خلافة أبي بكر إذ قد ثبتت بيعة عمر.

والحاصل كيف يعتقد الشيخ مع كونه حكيماً فريداً في فنّه خلافة عمر حقيقة

مع الشرط المذكور بل هو في دعواه الخلافة أقرب من دعواه الخلافة لمثله.

وقد نقل والد الشيخ البهائي عن كتاب الشوارق بأنّه صرّح في حقّ مولانا ومولى الثقلين أميرالمؤمنين عليه‌السلام بأنه لولا النصّ الصريح على خلافته بعد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لكان تقديمه بسبب المزايا والفضائل واجباً.

والثاني: أنّه شرط في الخليفة أن يكون عاقلاً عارفاً بالشريعة بحيث لم يكن مثله أحد في الخلق بل يكون أعرف من جميع البريّة ومتّصفاً بالأوصاف والأخلاق الشريفة، مثل الشجاعة والعفاف وحسن السيرة والتدبير.

وقد نقل أنّ عمر كان فظّاً غليظاً جبوناً جاهلاً وقد فرّ من غزوات خاتم الأنبياء كرّاراً كغزوة بدر وخيبر، والفرار من الزحف من سجيّته المستمرّة، وقد قال بنفسه في سبعين موضعاً: لولا عليّ لهلك عمر.

فإن قلت: إنّ الشيخ الرئيس قال: إنّ المعقول أعظم وحسن الأيالة وهما في عمر موجودان وإن لم يكن متّصفاً بالعلم والشجاعة ونحوهما فلا يقدح فقدها بخلافته.

قلت: إنّه قال متّصلاً بهذا الكلام: إنّ المعقول هو كمال العقل وحسن الأيالة إن لم يكن صاحبه غريباً عن الفضائل الباقية وقريباً بالجهل ومن كان أعرف بالسياسة ربّما يقدّم على الأعلم إذا لم يكن جامعاً للوصفين بناءاً على ذلك فلا يكون عمر أولى من أمير البررة عليه‌السلام إن قلنا بكونه عارفاً بالسياسة وقد عرفت اعتراف الخصم بأنّه لولا عليّ لهلك عمر، وقد نقل: إنّ كلّ الناس أفقه منه حتّى المخدّرات في الحجرات مع أنّ اتصافه بالعقل محلّ للكلام. نعم، كان منافقاً مكّاراً إذ الحيلة والنكرىٰ كان دأبه، وما وقع في عهده من فتح البلاد وأخذ الأمصار فهو أيضاً بإشارة المولى أميرالمؤمنين عليه‌السلام كما هو المعروف بين أرباب

السير والتواريخ. هذا وقد دريت أنّة في آخر عمره استغفر وأناب وندم وتاب من التقصيرات، وهذا أيضاً يدلّ على اعترافه بفروع الشريعة»[١].

ذكر في مكاتيب مولانا قطب الدين الشيرازي أنّ الخواجه عين القضاة الهمداني بالغ كثيراً في مدح الشيخ أبي علي مستطرداً ذلك.

وجاء في فصل الخطاب أنّ الشيخ أظهر التوبة في آخر عمره فتصدّق على الفقراء بمال كثير وشرع بردّ المظالم على أهلها، وكان يختم القرآن في كلّ ثلاثة أيّام مرّة، وتوفّي يوم الجمعة غرّة شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، ودفن في همدان.

وفي الفصل الأخير من فصول مكاتيب الشيخ أبي سعيد ابن أبي الخير أنّ للشيخ كلاماً يدلّ دلالة تامّة على اعتراف الشيخ بفروع الشريعة وكان يظهر التوبة والاستغفار من تقصيراته، والكلام هو الآتي، قال:

وليعلم أنّ أفضل الحركات الصلاة، وأفضل السكنات الصوم، وأفضل البرّ العطاء، وأزكىٰ السير الاحتمال، وأفضل السعي المرايات، وخير العمل ما صدر عن خالص النيّة، وخير النيّة من فرح عن جناب علم، والحكمة أُمّ الفضائل، ومعرفة الله تعالى أوّل الأوائل، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٢]، أقول هذا وأستغفر الله وأستهديه، وأتوب إليه وأستكفيه، وأسأله أن يقرّبني إليه إنّه سميع مجيب، والحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله أجمعين، انتهى كلامه.

---

(١) طرائف المقال ج٢ ص٥٠٠ وهذه الترجمة تعتبر مفصوله عن الفصل كلّه فهي وإن مازجته إلّا أنّه ألحقت به بعنوان الزيادة والكلام بعدها يلتحق بالسياق الخاصّ بترجمة المترجم نفسه.

(٢) فاطر/١٠.

وجائت حسن خاتمة الشيخ مذكورة في تاريخ اليافعي أيضاً حيث قال: وذكر أنّه تاب واشتغل بالتنسّك [فإن صحّ ذلك] فقد أدركه الله تعالى لسابق عنايته وواسع رحمته [حتّى أحدث فيه لاحق توبته والله أعلم بحقيقة ذلك وصحّته][١].

وتاريخ وفاة الشيخ على الوجه الذي ذكر في كتاب فصل الخطاب ونقلناه سابقاً، وكانت ولادته في سنة سبعين بعد الثلثمائة ومجموع عمره ثمان وخمسون سنة.

الحكيم أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب ابن مسكويه الخازن الرازي

من الحكماء النوادر في عصره، ولقد حاز قصب السبق من أقرانه في تحلّيه بالأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة. ترعرع في عهد حداثته تحت ظلّ أبي محمّد المهلّبي وزير الملك معزّ الدولة، ونشأ في نظام تربيته حتّى نشر راية العلم والحكمة، ثمّ خدم من بعده عضد الدولة وكان من مقرّبيه، ثمّ من بعده تحوّل إلى الصاحب الأعظم وابن الأعظم ابنه أبي‌الفتح الملك صمصام الدولة، وكان هؤلاء ملوكاً ووزراء شيعة فاختصّ بهم وحصل منهم على الرعاية القصوىٰ، وإنّ كتاب «الأخلاق الناصريّة»[٢] وهو من مصنّفات سلطان الحكماء والمتكلّمين الخواجه نصير الدين محمّد الطوسي، كان ترجمة لكتاب الأخلاق لأبي علي المشار إليه آنفاً كما يُشعر بذلك قول الخواجه في فواتح الكتاب، وفي أثنائه نوّه بحكمة أبي عليّ وفضله وقال:

---

(١) اليافعي: مرآة الجنان ج١ ص٤٢٠ آلي، وما بين المركنتين من مرآة اليافعي.

(٢) «اخلاق ناصري» فارسي لسلطان المحقّقين خواجه نصير الملّة والدين محمّد بن محمّد ابن الحسن الطوسي المتوفّىٰ سنة ٦٧٢ هو كترجمة وشرح لأخلاق ابن مسكويه الرازي الموسوم بطهارة الأعراق... الخ الذريعة ج١ ص٢٨.

ذكر عند حاكم «قهستان»[١] كتاب «طهارة الأعراق» الذي وضعه الأُستاذ الفاضل والحكيم الكامل أبو علي بن محمّد بن يعقوب بن مسكويه الخازن الرازي رحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه في كتاب «تهذيب الأخلاق» وذكروا بليغ إشاراته وفصيح عباراته كما تدلّ عليه هذه القطعة ذات الأبيات الأربعة وتنطق بوصف ذلك الكتاب وفضله.

شعر

بنفسي كتاب حاز كلّ فضيلة ... وصار لتكميل البريّة ضامنا
مؤلّفه قد أبرز الحقّ خالصاً ... بتأليفه من بعد أن كان كامنا
ووسّمه باسم الطهارة قاضياً ... به حقّ معناه ولم يكن مباينا
لقد بذل المجهود للّه درّه ... فما كان في نصح الخلائق خائنا[٢]

وذكر شمس الدين الشهرزوري في تاريخ الحكماء أنّ أبا علي المذكور كان غاية في الفصاحة والبلاغة، وله خطّ جيّد، وله تصانيف عدّة في فنون العلم والحكمة، ومن تصانيفه كتاب «جاودان» وله شهرة.

وروى أيضاً أنّ الشيخ أبا عليّ بن سينا حضر إحدى حلقات الدرس لأبي علي ابن مسكويه، وجلس إلى جانبه، وما أن رأى تلامذته يتحلّقون حوله حتّى شبّت في نفسه نار الحسد، وكان من عادته امتحان الفضلاء وإظهار مزيّته على الأكابر من العلماء لذلك رمىٰ إلى أبي عليّ بجوزة وقال له: استخرج مساحتها

---

(١) قهستان: ناحية بخراسان بين هراة ونيسابور، ومعنى قوهستان يعني مواضع الجبل، فعرّبت وقيل: قهستان.. ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب ج٢ ص٦٦.

(٢) ذكر الياس سركيس في معجم المطبوعات العربيّة ج١ ص١٠٠٠ الأبيات إلّا البيت الثالث منها ولكنّه زعم أنّ مؤلّف كتاب شرح الأسماء المعروفة بالجوشن الكبير كتبها عند ذكر اسم الكتاب أي: الخالدون.

بالشعيرة، ولكنّ ابن مسكويه استخرج له جزءاً من كتاب في علم الأخلاق وقال له: أصلح أخلاقك أوّلاً كي أستخرج لك مساحة الجوزة.

وذكر في كتاب طبقات الأطبّاء: «كان أبو عليّ مسكويه فاضلاً في العلوم الحكميّة، متميّزاً فيها، خبيراً بصناعة الطبّ، جيّداً في أُصولها وفروعها [ولمسكويه] وله من الكتب كتاب الأشربة وكتاب الطبيخ وكتاب تهذيب الأخلاق[1].

بقراط الدهر، جالينوس العصر، أبوالحسن أحمد بن محمّد الطبرسي

فيلسوف شاعر، وطبيب ماهر، تلميذ أبي ماهر موسى بن سيّار، وطبيب الملك ركن الدولة الديلمي وأخيه الملك معزّ الدولة، كما أشار إلى ذلك في الباب الواحد والثلاثين من المقالة الثالثة من كتاب المعالجات البقراطيّة. والحقّ أنّ مقدّمات الكتاب المذكور أوصلت صيت تبحّره في الحكمة الطبيعيّة والإلهيّة إلى مسامع طبع الواقفين مواقف الشفاء والنجات، وقاست مقاصده نبض حركات أنظاره في الحكمة الطبيّة بمقادير الاستقامة.

وذكر في كتاب «طبقات الأطبّاء»: أبوالحسن أحمد بن محمّد الطبرسي، من أهل طبرستان، فاضل عالم بصناعة الطبّ، وكان طبيب الأمير ركن الدولة [ولأحمد بن محمّد الطبرسي] و(له) من الكتب الكتاب المعروف بـ«المعالجات البقراطيّة» وهو من أجلّ الكتب وأنفعها، وقد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أتمّ ما يكون، وهو يحتوي على مقالات كثيرة، انتهى[2].

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء ص ٣٣١.

(٢) ابن أبي أُصيبعة: طبقات الأطبّاء ص٤٢٧.

أبو المحارب حنين بن سهل بن محارب القمّي رحمه الله

من أعاظم حكماء الشيعة الإماميّة، وفي أيّام الديالمة نشأ ونما، وأشرقت عليه أنوار الحكمة.

جاء في تاريخ الحكماء أنّ الصاحب الأعظم السعيد بن العميد وهو أُستاذ الفضلاء وعميد الوزراء يومئذٍ كان يفتخر بوجوده فيقول: لو لم يخرج من بلادنا سواه ولم ينبغ إلّاه لكفانا.

وجاء في الكتاب المذكور أيضاً: إنّه عالم بقوانين السياسة، وكان العفاف والمروّة غالبين عليه، وقد حفظ الكثير من حكمة أهل اليونان وسيرهم وقضاياهم، ويقول عنها: إنّها قطع من الذهب، كذلك يحفظ جميع الفقرات التي كتبها أرسطو للاسكندر أو شافهه بها، ويقول: لقد أدّت أعمال أهل هذا الزمان إلى قوانين وقواعد أخرجتهم عمّا رسمه ذلك الحكيم إلى ذلك الملك، وبناءً على هذا فقد خلع الناس ربقة الدين وقطع حبال الحياء المانعة من الضلال والمسارعة إلى الخبال، وهذا أمر ظاهر إذا انسلخ الناس من شعار الدين وحلية العقل وعلاقة الحياء فإنّهم يهوون فوراً في بؤرة الخنا وحينئذٍ لا يمكن إصلاحهم إلّا بشفرة الحسام الحادّة.

وكان حنين هذا محبّاً للحكمة وأهل الحكمة، وكثير الفضائل، لا يكاد يفارق أهل الفضل والحكمة، وكان يحسن إليهم غاية الإحسان، وهو من ذوي الأخلاق الشريفة والهمم العالية.

حجّة الإسلام محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي

كنيته «أبو حامد». ولد في طوس سنة خمسين وأربعمائة. اشتغل في بداية أمره في طوس ونيشابور على أبي المعالي الجويني المعروف بـ«إمام الحرمين»،

واجتمع بعد ذلك بنظام الملك الوزير، فنال رضاه وعنايته، وحظي برعايته، واستطاع أن يحاور جماعة من الأفاضل الذين كانوا يرتادون حضرة نظام الملك ويكثر مباحثتهم ويظهر عليهم، ففوّضوا إليه التدريس في نظاميّة بغداد، فخرج إلى بغداد في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، فمال إليه أهل العراق وأُعجبوا به، فأقام بينهم قرابة العشر سنوات ثمّ عاد إلى أرض الوطن ولهىٰ عن الاجتماع بالناس بنفسه، فكتب الكتب القيّمة منها كتاب «إحياء العلوم» وغيره، ثمّ أقام بعد ذلك في نيسابور ودرّس في نظاميّتها ثمّ ترك ذلك وعاد إلى الوطن وبنى هناك «رباطاً» لأهل التصوّف ومدرسة لطالبي العلم، وشغل أوقاته بالخير العام من ختم القرآن وصحبة أهل القلوب وتدريس العلوم وقسمها على ذلك.

وفي أثناء ذلك أفتى الأحناف بإباحة دمه لأنّه شديد التعصّب على أبي حنيفة، مُجدّ في تخطئته وتجهيله، ممّا حمل المفتين الأحناف على استصدار فتوىً بقتله، وكان ذلك في عهد السلطان محمود، غير أنّه لم يضرّه ذلك بأدنىٰ ضرر إلى أن لبّى نداء ربّه صباح يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الأُخرى سنة خمسين وخمسمائة، وانتهى إلى جوار ربّه سبحانه.

وقد أتى في التواريخ أنّ مؤيّد الملك الوزير في أيّام عزلة الإمام محمّد الغزالي استدعىٰ منه اللقاء والوصول إلى حضرته لأجل التدريس في بغداد، فكتب في الجواب:

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله أجمعين.

أمّا بعد، فقال بعد الثناء عليه: أيّها الخواجه (إنّك دعوتني للخروج من خرابات طوس إلى أوج دار السلام بغداد عمرها الله وتفضّلت على هذا الحقير..) أيّها الخواجه يجب علَيّ دعوتك من حضيض المراتب البشريّة إلى أوج مدارج الملكوتيّة.

أيّها العزيز، الطريق إلى الله من طوس وبغداد سيّان، وأمّا بين حضيض الحيوانيّة إلى أوج الإنسانيّة فالمسافة خطيرة، والتماس الحضور عندك فهذا يوم الفراق وليس وقت السفر إلى العراق.

أيّها العزيز، فهب أنّي وصلت إلى بغداد فعقبه رقم الأجل من جانب ربّ العزّة فلابدّ لك من فكر مدرّس، فافترض اليوم هو اليوم فخلّ يدك عن الفقير، والسلام على من اتّبع الهدى[١].

وهذا شطر من لئالئ فضائل ومعالي محمّد الغزالي ومجمل عقيدته كما يأتي في هذا التفصيل الذي نسرده.

[وفي السير أيضاً] أنّه في مبادي الحال بواسطه مصاحبة رؤساء أهل الضلال كان غريباً عن نور الهداية ثمّ تبصّر فصار موالياً مؤمناً بل من الشيعة، وقد أدرج السائل الهمداني في بعض رسائله[٢] فقال: إنّ مشايخ الشيعة يقولون: الغزاليّ منّا، ولعلّ توهّم التشيّع هو ما رأوه في وسيطه في الفقه الشافعيّ من استشمام رائحة الطعن على عمر. وذكر في مسألة العول أيضاً عن ابن عبّاس بأنّه قال: من نازل في العول فأُباهله. فقيل له: لم لم تقل في زمان خلافة عمر؟ فقال: رجل غيور خفته.

وقد نقل عن محمّد بن أبي القاسم الذي هو من تلامذة الغزالي، في الرسالة الموسومة بالمحاكمات أنّه وصل إلى خدمة الشريف المرتضى في طريق الحجّ وأظهر الغزالي بعض الإشكالات في المذهب فشرع السيّد الشريف في إثبات

---

(١) طرائف المقال ج٢ ص٤٥٩.

(٢) كتبها في بيان أحوال أهل السلوك ومقالاتهم وفي أثناء ذكر أحمد الغزالي قال: لا مطعن عند المحقّقين من أهل الإيمان في مذهب أخيه واعتقاده، وغلبة محبّة أهل البيت عليه الخ. من المؤلّف وكان مدرجاً في المتن فجعلناه في الهامش لنقلنا النصّ الذي يحتويه من كتاب آخر ليس فيه هذه الفقرة.

عقائد الإماميّة بالأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة وإتمامها، فعاد إلى الصواب واستبصر، ولمّا رجع الغزالي من مكّة المعظّمة لاقاه أحمد المتصوّف، فقال له: سمعت أنّك باحثت مع الشريف المرتضى وجرت (كذا) إلى مذهب الشيعة الاثني عشريّة واخترته وهذا منك غريب وعجيب في الغاية. فأجابه بأنّ التعجّب في اختياري المذهب الآخر في هذه المدّة، ثمّ أنشد هذا الشعر:

دوست با ما عرض ايمان كرد و رفت　　پير گبرى را مسلمان كرد و رفت

نضا عن جمال الحقّ ستر غشائه　　حبيب وخلّانا إلى حيث يقصد

فما هي إلّا لفتة الخير فاغتدى　　شقيّ سعيداً مسلماً يتعبّد

فامتدّ المباحثة بينهما إلى يومين ففاجأ أخاه الموت في اليوم الثالث.

وعن الشيخ المحقّق الشهيد أبي عبدالله بن مكّي ﷺ وهو من أعاظم المجتهدين الإماميّة من المتأخّرين أنّ هذه الحكاية كذب فإنّ السيّد المرتضى لم يلاق الغزالي أصلاً على ما في كتب التواريخ فإنّ وفاة السيّد في سنة الثلاثين بعد الأربعمائة وتولّد الغزالي في سنة خمسين بعدها.

قال المؤلّف: يمكن أن يكون لقاء حجّة الإسلام مع الشريف أبي محمّد بن المير رضي الين الذي تولّىٰ نقابة العلويّين بعد وفاة عمّه المير مرتضى قدّس سرّه الشريف، والاشتباه وقع في تسمية أعلام هذه السلسلة بالشريف والنقيب، ومع هذا فعهد الشريف المرتضى غير بعيد، وقد خلط صاحب رسالة المحاكمات في السماع بعض ألقاب العم بألقاب ابن الأخ فوقع الاشتباه، والله تعالى أعلم.

والذي يؤيّد رواية الرجوع إلى مذهب الحقّ وانتقال أبي حامد إليه هو ما ذكره أُستاذ البشر الأمير غياث الدين منصور الشيرازي ﷺ في الجزء التاسع من كتاب «حجّة الكلام» من قوله: قال حجّة الإسلام في بعض رسائله: إنّي كنت

مدّة على أقوال السوفسطائيّة، وبرهة على أقوال المتكلّمين والفلاسفة متمسّكاً بالدلائل، ثمّ ظهر لي أنّه لا يفيد شيئاً من هذه، فقذف الله في قلبي نوراً وصرت به مطئناً في العقائد الإسلاميّة من غير شكّ، انتهى.

وهذه العبارة مقتبسة من كلام الإمام الهمام جعفر ابن محمّد الصادق عليه‌السلام في جواب سؤال عنوان البصري حيث قال: العلم النافع ليس بكسب ولا بجدّ بل هو نور يقذفه الله في قلوب أوليائه إذا أراد بهم خيراً، وسوف ننقل قولاً قريباً من هذا عن مولانا الفاضل المدقّق نصير الملّة والدين القاشي.

وحمل النور في كلام الغزالي على نور شهود الحقّ الذي هو مقام أهل الكشف كماهومفهوم البعض من كلامه، واحتمل كون حجّة الإسلام من الواصلين إلى هذا المقام إلّا أنّ سيّد الموحّدين حيدر بن علي الآملي في كتاب جامع الأسرار قد صرّح بخلافه وجعله من أهل التوحيد القولي لا العقلي....

وأيضاً يؤيّد صحّة اعتقاده ما قاله في مسألة الإمامة من كتاب الاقتصاد: إنّي لا أقوىٰ على إظهار منهج الحقّ والصواب في هذا الباب، ولا أقدر على الخروج عن مسلك الجمهور المعتاد، حيث قال: إنّ هذه المسألة منشأ للتعصّبات والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها وإن أصاب فكيف إذا أخطأ، لكن إذا جرىٰ الرسم باختتام المعتقدات به أردنا أن نسلك المنهج المعتاد فإنّ القلب عن المنهج المخالف شديد النفار، انتهى.

ويؤيّد موافقته لأُصول أهل الحقّ ما حكم فيه ببطلان القياس في كتاب القسطاس المستقيم، وسمّاه ميزان الشيطان، حيث قال: أمّا ميزان الرأي والقياس فحاش للّه أن أعتصم به فذلك ميزان الشيطان، ومن زعم من أصحابي أنّ ذلك ميزان المعرفة فأسأل الله أن يكفيني شرّه عن الدين فإنّه صديق جاهل، وهو شرّ من عدوّ قاتل، انتهى.

وفي كتاب «منهاج العابدين» أبطل مسألة «الاختيار والتفويض» وعليها المدار عند أهل السنّة في إثبات خلافة أبي بكر فقال:

«وأمّا التفويض فتأمّل فيه أصلين: أحدهما أنّك تعلم أنّ الاختيار لا يصلح إلّا لمن كان عالماً بالأُمور بجميع جهاتها؛ باطنها وظاهرها، حالها وعاقبتها، وإلّا فلا يأمن أن يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح. ألا ترى أنّك لو قلت لبدويّ أو قرويّ انتقد لي هذه الدراهم وميّز بين جيّدها ورديئها فإنّه لا يهتدي لذلك، ولو قلت لسوقيّ غير صيرفيّ فربّما يفتر أيضاً، فلا تأمن إلّا بأن تعرضها على الصيرفي الخبير بالذهب والفضّة وما فيها من الخواصّ والأسرار، وهذا العلم المحيط بجميع الأُمور من جميع الوجوه لا يصلح إلّا للّه ربّ العالمين وحده لا شريك له، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[١]..».

هذا كلام الغزالي وهو موافق لمذهب الإماميّة حيث يقول: اختيار الأئمّة والخلفاء موكول إلى الله تعالى.

ومجمل القول فإنّ مذهب أهل السنة على أنّ رسول الله ﷺ ترك الوصيّة ولم يعيّن أحداً بين الأُمّة ليخلفه في منصب الإمامة إلى صلحاء الأُمّة ليختاروا شخصاً كهذا.

ولكن الشيعة يرون عكس ذلك تماماً ويقولون: كيف يكون اختيار آحاد الأُمّة في باب الإمامة معتبراً وكيف يصحّ تجويز ذلك مع أنّ الكتاب والسنّة ناطقان بخلافه كما هو الحال في جماعة من الأنبياء مع كونهم ناظرين بنور النبوّة وبصيرة الرسالة ومؤيّدين بالمكاشفة الإلهيّة وبمخالطة الملائكة لهم،

---

(١) القصص/٦٨.

فقد اختاروا جماعة من قومهم بعد الاختبار والتجربة وطول الصحبة، ثمّ بان ضرر ذلك الاختيار وظهر لهم أنّ الحقّ خلاف ما اختاروه والصواب جار على ضدّ ما أرادوه، منهم نبيّ الله يعقوب حيث اختار أولاده لحفظ ولده يوسف فكان ما كان منهم في حقّه وما ارتكبوه معه ممّا هو معلوم وارد في الكتاب، ويقال مثل ذلك في نبيّ الله موسى فقد اختار من قومه وهم يعدّون بالأُلوف سبعين شخصاً لميقات ربّه ولمّا حضروا معه في ذلك المقام قالوا: ﴿**أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾[(١)] وبلغ بهم سوء عملهم أن ظهر لنبيّ الله موسى أنّهم من السفهاء، فقال موسى: ﴿**أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾[(٢)].

وجاء في كتب أهل السنة بأنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم اختار خالد بن الوليد لإصلاح حال بني خزيمة فبعثه إليهم ولكنّه قتل جماعة كثيرة منهم لما في نفسه من البغضاء لهم والحقد عليهم، ثمّ أسر من تبقّى منهم إلى أن بعث المصطفى أميرالمؤمنين ورائه ليتلافىٰ ما فرط منه في حقّ بني خزيمة، ويعتذر إليهم ويسلّيهم، وقال النبيّ في هذا المقام: «اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا فعله خالد».

وفي كتاب الجمع بين الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خالداً بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كلّ رجل منّا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتّى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذكرناه له، فرفع يديه فقال: اللهمّ إنّي «أبرأ إليك ممّا فعله خالد» (ممّا صنع خالد مرّتين)[(٣)].

---

(١) النساء/١٥٣.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) الجمع بين الصحيحين للحميدي ج٢ ص ٢٠٠.

ولو كان خالد معذوراً عمّا فعله لم يظهر النبيّ البرائة منه ومن صنعه، ولم يُشعر الناس بأنّ الصواب في ترك ولايته.

وكذلك جاء في كتب القوم بأنّ النبيّ ﷺ اختار أبابكر في خيبر ولكنّه فرّ من الميدان وأخزىٰ نفسه وقومه. وفي رواية أُخرى: إنّه اختار بعده عمر ففعل فعل صاحبه من الهزيمة والفرار ولم يقع فتح خيبر على أيديهما إلى أن فتحها على يدي أميرالمؤمنين عليه السلام.

آنكه بعد از دگران پاى به خيبر چو نهاد

آسمان طبل برافروخت كه «النصرة لك»

من جاء بعدهما صاح السماء به   النصر في جبهة الكرّار معقود

ولا يخفى على العاقل المنصف أنّه إذا كان الأنبياء مع ما لهم من العصمة والفضل والتأييد الربّاني لا يسلم اختيارهم للرجال من الضرر والخطل فكيف يعتمد على ما يختاره الصحابة وقد مال إلى ذلك من أهل السنة القاضي العضد بعد عجزه عن إثبات الإجماع. وربّما جاز أن يكونوا في باطنهم غير صالحين عند اختيارهم، ولا يؤتمنون على ذلك، وكيف يفضل اختيار بعض الصحابة غير المعصومين على اختيار الأنبياء المعصومين صلوات الله عليهم، ويرضى الله عن العبد إذا كان مميّزاً بين الخير والشرّ والحقّ والباطل، ولم يخلط الحابل بالنابل، ويردّ الأُمور إلى أُصولها والفروع إلى جذورها، ويضعها مواضعها، ولا يدع للتعصّب طريقاً إليه، ويتخلّق بالأخلاق الفاضلة التي تعطي لكلّ ذي فضل فضله، ويعرف بقوّة الإيمان كلّ إنسان بما حباه الله من الفضل والمزايا، ولا يصنع من خصل الحور حبالاً يربط بها البغال، ولا يسمّي ظلام الليل المعتكر بالنور المتدفّق. بلى، هذه ميّزات أهل الابتكار لا كلّ مقلّد مهذار.

شعر

سلوك عشق را راهى برون از كفر و دين بايد
دلى بس روشن و چشمى بغايت دوربين بايد
بعجب و نازكى زنهار تا خود رانرنجانيد
كه اين ره را دل سنگين و جان آهنين بايد

يريد سلوك العشق دربا معبّداً فما هو إيماناً وما هو بالكفر
يريد فؤاداً مشرقاً بسنى الضحى وعيناً ترى ما لا ترىٰ مقلة الصقر
فإيّاك والعجب ابتعد عن أثامه لتنجو من الآلام في العسر واليسر
يريد سلوك العشق قلباً يطيقه وروحاً قوياً كالحديد أو الصخر

وفي كتاب «سرّ العالمين» ويقال له (السرّ المكنون) وهو من الكتب التي حبّرتها يراعة الغزالي في آخر عمره فقد أفشى سرّه وصرّح بارتداد الخلفاء الثلاثة وتابعيهم، وفي بعض مقالات ذلك الكتاب يقول بعد ذكر أمر الخلافة والاختلاف فيها:

لكن أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقال عمر: بخ بخ [لك] يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة، وهذا تسليم ورضاً وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهواء لحبّ الرياسة وحمل عمود الخلافة وعقود (النور) [البنود] وخفقان الهواء في قعقعة الرايات واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار، سقاهم كأس الهوىٰ فعادوا إلى الخلاف، فنبذوا وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون[1].

---

(١) راجع النصّ في طرائف المقال ج٢ ص٤٦٢.

وحاصل كلامه أنّ الأصحاب اعترفوا بإمامة الأمير في يوم الغدير بأمر الربّ القدير وحكم الرسول البشير النذير، ولمّا فارق الوجود الفاني إلى الوجود الباقي ارتدّ جلّهم بحكم الآية الشريفة: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ الآية[2] ورجعوا القهقرىٰ إلى كفرهم الأصلي، ولمّا أظهروا الوفاق على وتيرة النفاق ولم يأنسوا بالتوحيد تقدّموا الإمام وهو منصوب من قبل الله ورسوله، ومعصوم من الخطأ. ومجمل القول إنّ الشيطان أغواهم وخدعهم وأغراهم حتّى خذلوا الإمام وقهروه، وعن منصوب الخلافة عزلوه وأبعدوه، وبذروا في أذهان العامّة الذين خرجوا توّاً من معابد اللّات والعزّى وبقيّة الأصنام، ولم يحملوا معهم ملكة دفع الشبهات، وجمعوا الناس حولهم بالمكر والدهاء، وساقوهم إلى ما يرون سوقاً، وحملوهم على ما يعتقدون قهراً، وافتروا على رسول الله أحاديث لم يقلها وضعوها على لسانه، وكذبوا بها عليه، وبناءاً على هذا البرهان أقسموا قسماً شديداً ويميناً غموساً كما فعل أخوهم مع حوّاء حين أقسم أمامها إنّه لها من الناصحين ، ولا يريد إلّا الخير لها، فلو أنّها أكلت من هذه الحنطة فسوف تخلد في الجنّة ولن تخرج منها.

وخدعت الجماعة بحسن ظنّهم بهم وغرر بهم أُولئك المتغلّبون ولم يتبعوا أهل البيت حتّى إذا انقضت حقبة من الزمن ندم جماعة من يقلّدهم وكان بعضهم يتّقي منهم تقاة فعاش متكتّماً ليس على مذهبهم وإن قضى عمره معهم، ولذلك كتموا الحقّ وهم يعلمون، وحزب معاوية وبنو أُميّة وبنو العبّاس

---

(١) آل عمران/١٤٤.

(٢) المائدة/٥٤.

وأتباعهم على تعهّد تلك الضلالة ورعايتها إلى أن انقضت على هـذا الوضـع ستّمائة عام فبلغت الحال بالقضيّة أنّ الشبهة لكثرة الاستعمال صارت حـجّة، وصار الحجّة لإخفائها من ذويها خوفاً من أهل زمانهم بمثابة الشبهة، كما صار لفظ «الغاية» الحقيقي نظراً لكثرة استعماله في وضعه الثاني المجاز، مجازاً فلا يطلق على أحد إلّا بقرينة، ولكنّ هذا الدين لمّا أوجب الله على نفسه إظهاره على سائر الأديان بقوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾(١).

فإنّ الأحاديث التي وضعوها لتأييد مقاصدهم لم يمض طويل وقت حـتّى بدىٰ عوارها وبان كذبها، وصرحت عن محضها، وظهر فسادها في فترة وجيزة.

ومن جملة الأستار المكشوفة والعيوب المسكوكة والجيوب المهتوكة ما قالوه من أنّ عائشة رأت يوماً أبا هريرة يمشي على بغل فاره وهي مطلّة من كوّتها وقد اجتاز بها، فقالت: مَن أبو هريرة هذا حتّى يـمشي مـتخايلاً! فـلمّا سـمع كلامها استقبلها وقال: اسكتي أيّتها المرأة، فما نلت هذا المركب ولا مشيت هذه المشية حتّى وضعت في أبيك أربعمائة حديث موضوع لا أصل له. فلمّا سمعت عائشة ذلك منه صمتت فما أعادت عليه كلمة.

وقيل أيضاً بأنّ عمر قال لأبي بكر يوماً: لقد أخرسنا العامّة عنّا بحسن تدبيرنا وأجعلنا بني هاشم بأخذ فدك منهم فصاروا يحتاجون لقوت يومهم وما كنّا نعتقد أنّ عليّاً يسكت عنّا هكذا، فلا يكاد ينطق كلمة واحدة ويبقىٰ محجوباً في بيته واليوم تأتينا الخلائق من شتّى بقاع المعمورة ليشـاهدونا ويـتلقّوا مـنّا مسـائل العبادات ويلقنوا الاعتقادات، فلو أنّنا قلنا ما يقوله ورددنا للناس ما يحكيه لظنّ الناس أنّه هو الذي يعلّمنا لأنّه أعلم منّا ونحن أتباعه، فمن الصالح لنا أن نجري

(١) التوبة/٣٣.

على خلافه في العبادات وأركان الدين وبناءاً على هذا فقد تمّ لهم ما أرادوا من محو الواجبات والسنن وآثار السيّد المختار، وأخذ كلّ ذلك عنهم أهل الأمصار بالنهج الذي ابتدعوه، وسلكوا المسلك الذي اختاروه.

حتّى مضى على ذلك برهة من الزمن، وتمكّن الصحابة على ملاحظة حالهم والنظر في مئآلهم، فشعروا بالندم ممّا اجترحوا، وتملّكهم الأسف من الذنب الذي ارتكبوا،وأخذوا يتحوّلون نحو الإمام يوماً بعد آخر، ويعتذرون إليه ويستغفرونه، ويحذّرون الأُمّة من المصير المجهول بفعل الرؤية التي ابتدعوها وراحوا يشرحون لهم سوء حالهم فيما مضى وكيف وقعوا في الفخّ إلى أن صدق فيهم قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾[١]، فأقبلوا يدخلون في الدين مرّة أُخرى زرافات ووحدانا، ويلقون عصى الطاعة لأهل البيت، ويسلّمون زمام القيادة بأيديهم وبحكم قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٢]، فصار الصحابة الذين لم يكونوا ليتجاوز سبعة عشر نفساً سبعين ألفاً، ووصلت الخلافة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

وما قاله بعض البؤساء من أهل السنة والجماعة من أنّ كتاب السرّ المكنون والكتب المظنون بها على غير أهله ليست من تأليفات الغزالي ولكنّ الناس ألصقوه به إلصاقاً فإنّه من المحالات العادية، ولو أنّنا سلّمنا بهذا لهم فإنّ من بين علماء أهل السنة من عزاها إليه وهم ممّن يوثق بهم ويعوّل عليهم من أمثال: إمام الحرمين، والقاضي أبوبكر الباقلاني، وابن الحاجب، والفخر الرازي، وأبو حنيفة، والشافعي ونحوهم فإنّهم اختاروا الغزالي ونسبوا تلك الكتب إليه وبناءاً على

(١) النصر/٢.

(٢) التوبة/٣٣.

هذا فإنّ المادّة التي أشرنا إليها من كتبه مقبولة ويكفينا هذا العدد من العلماء.

لا يقال لنا: بما أنّكم حكمتم بتشيّع الغزالي وأضرابه ممّن هم على شاكلته فليس لكم أن تحتجّوا بآرائه الموافقة لأهل السنّة عليهم لأنّه من جماعتكم وإليكم يُعزىٰ فلا يؤاخذ بها أهل السنة.

فإنّنا نقول: إنّما حكمنا بتشيّعهم نظراً لبواطنهم ولا شكّ بموافقة ظاهر حالهم لأهل السنة وقد وضعوا تصانيفهم الموافقة لأهل السنة بناءاً على ظاهر الحال هذه فرجع إليها أهل السنة والجماعة وحكموا بصحّتها وموافقتها لما يرونه ويعتقدونه من آرائهم الكلاميّة فلم يحكم واحد منهم بردّها أو بمخالفتها للمألوف من عقائدهم التي درجوا عليها ويكون عندئذٍ احتجاجنا على أهل السنة إنّما هو احتجاج بالكتب التي تلقّوها بالقبول وحكموا عليها بالصحّة والشمول، بل أكثر من ذلك فإنّهم يفتخرون بها ويرونها من أمجادهم بغضّ النظر عن المؤلّف من كونه شيعيّاً ظاهراً أو باطناً.

ومن لطايف هذا المقام ما ذكره عبدالرحمن الجامي في كتابه «النفحات»(١) أنّ أحد أهل السنة والجماعة ذكر في باب كرامات «حجّة الإسلام» أنّه رأى النبيّ في المنام ﷺ والفقهاء الأربعة يعرضون مذاهبهم عليه والنبيّ ﷺ يصغي لهم وهو ساكت لا يكلّمهم حتّى جاء رجل من الروافض ومعه أجزاء تشتمل على عقائدهم وأراد أن يظهرها في ذلك المسجد ويقرأها على سمع النبيّ ﷺ فزجره أحدهم وكان أقربهم إلى النبيّ ﷺ وأخذ الأجزاء من يده ورمى بها بعيداً وأقصاه عن المجلس، وعرضت أنا قواعد الغزالي التي تتضمّن عقائد أهل السنة على جنابه وأخذت في قرائتها إلى أن بلغت قول الغزالي: «والله تعالى بعث النبيّ

---

(١) نفحات الأُنس من حضرات القدس.

الأُمّي القرشي محمّداً ﷺ إلى كافّة العرب والعجم..» ولمّا وصلت إلى هذه الجملة رأيت البشاشة والحبور بادياً على وجه المصطفى.. الخ».

يقول المؤلّف: إنّ مطلق الرؤيا عند المتكلّمين من أهل السنة تعتبر خيالاً باطلاً كما صرّح بذلك قاضيهم العضد في كتاب «المواقف» وقال: وأمّا الرؤيا فخيال باطل عند المتكلّمين(١). وبعد هذا التصريح أخذ يروّج للتصحيح فإذا كانوا أنفسهم يرون الرؤيا خيالاً باطلاً فكيف يتّخذون منه حجّة على خصومهم الشيعة وعلى تقدير حجّتها فإنّ لخصمهم أن يقول: وأنا رأيت في اليقظة وسمعت من هاتف الغيب أنّ الحلم المذكور ما هو إلّا أضغاث أحلام منبعث عن سوء المزاج في الدماغ وشغل النفس بعداوة الشيعة وبغض أهل البيت الطاهرين والافتراء على سيّد الأنام.

والظاهر أنّ غرض الحالم من ادّعاءه رؤية المصطفى في المنام أنّه قرأ في مجاميع أهل نحلته رواية عنه ﷺ أنّه قال: «من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي..» وسمع بتلك المقدّمة القائلة بأنّ الرؤيا لا تنقسم إلى ماهو حقّ وما هو باطل فأراد بجمع المقدّمتين إلى بعضهما الإشعار بصحّة رؤياه ولم يعلم أنّ التكذيب واقع على أصل الرؤيا أو إنّ سامعها يأخذها مأخذ الهزل لا مأخذ الجدّ، وأنّ هذا المعنى لا تتصوّر رؤياه إلّا بحلم كما قال الشاعر:

بخواب دوش چنان ديدمى كه صدر جهان
مرا بخواندى و تشريف داد و زر بخشيد
شدم بنزد معبّر بگفتم اين معنى
جواب داد كه اين جز بخواب نتوان ديد

---

(١) المواقف، للإيجي ج٢ ص١٤٦ وص١٤٣.

رأيت فـــي اللـــيل رؤيـــا كـلّها عـجب

مــن حـضرة الصدر غـطّىٰ حـجري الذهب

قـــال المـــعبّر لي لمّـــا حكـــيت له

إنّ الصـــدور بـــغير الحـــلم لا تـــهب

مع أنّ معنى الحديث المذكور كما جاء في شرح الديوان المرتضوي على النحو التالي: من رأى النبي على الصورة التي كان فيها في الدنيا فقد رآه والشيطان لا يتمثّل به. وهذا لا يمنع أن يتلبّس الشيطان بحيله المعتادة في تلك الساعة بصورة أبي بكر وعمر لذلك الرجل السنّي ويلقي ظلالهم في خياله لإضلاله وللتلبيس عليه، وحاشا النبي أن يكون علىٰ تلك الصورة التي رآها، ولا بدع أن تتجسّد هذه الخزعبلات في أخيلتهم الفاسدة.

وعلى تقدير تسليم هذا الطيف السخيف والحلم السقيم فإنّ سكوت النبي عن الأئمّة الأربعة دليل على إنكاره عليه خلا أنّه تمهّل قليلاً حتّى يتمّوا تلكم الطامّات ليردّهم ردّاً واحداً ويحكم عليهم بالمؤاخذة والردع، ويفصح عن حال هؤلاء الغدرة الأربعة.

وأمّا الرافضي فلم يصل إليهم الجزاء المقصود منه بسببه. وأمّا الذي غار على الأوراق التي بيد ذلك الرافضي ورمىٰ بها بعيداً فالظاهر أنّه ذلك الشخص الذي منع من كتابة الكتاب والنبي في السياق ونهىٰ عن إحضار الدواة والكتب وهو نفس الرجل الذي مزّق الصكّ الذي كتبه أبوبكر للصدّيقة عليها السلام حين نهبه من يدها عليها السلام وخرّقه تخريقاً ومزّقه تمزيقاً، وردّ العدوّ قرينة على قبول الولي. وليحقّق هذا الحالم في معرفة الأشخاص جيّداً عندما يأتيه حلم جديد.

فلو قال قائل منهم: إنّ من أخذ تلكم الأوراق كان عليّاً نفسه.

فإنّنا نقول في جوابهم: إنّما فعله عليّ حينئذٍ من أخذ الأوراق ورميها كان من قبيل ما فعله نبيّ الله موسى من الغضب عندما ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه، فهو في الحقيقة غضب على المخالفين وليس على أخيه هارون لأنّه كان عضده وشقيقه وشريكه في دعوته. وإذا ما التمسنا السبب لغضب الإمام على ذلك الشيعي فإنّه يكمن في حيلولته بين النبي وبين مؤاخذة أُولئك الفجّار الأربعة.

وقرائة قواعد العقائد التي سرّ النبيّ منها وبان عليه الجذل والاستبشار فهي عبارة عن كتاب «سرّ العالمين» للغزالي لأنّه أودعها العقائد الحقّة، هذا وإن لم يكن اسمها «قواعد العقائد»، والمناقشة في اللفظ سهلة ويعفى عن خلط مثل هذا في المنام.

والانصاف يستدعي من الشيعة على سبيل الشكر أن يتصدّقوا على الفقراء، لأنّ صاحب الحلم لم يخطأ في رواية حلمه بقوله: إنّ النبيّ كان صامتاً والفقهاء الأربعة يلقون عليه مسائل فقههم ولم ينسب إليه كلاماً قاله لهم يدلّ على الرضا أو القبول.

وكذلك هو موضع للشكر أنّه لم يقل: ولمّا بلغت قولي: «والإمام الحقّ بعد رسول الله ﷺ أبوبكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ علي» ظهر السرور على وجه النبيّ ﷺ وإلّا لكان إلزاماً للشيعة يؤبه له، والظاهر أنّ هذا الحالم عرف من سكوت النبيّ آيات غضبه فأفاق من النوم فوراً عندما لاحظ ذلك، وإلّا لو بقي حالماً لرأى أئمّته الأربعة كيف يحملون على خشبة غضب النبيّ للصلب، وكيف استبدّ بهم الذلّ والخنوع أمامه.

أجل، وما يزال إشكال يعاودنا ويرنّ في أسماعنا من هذا الحلم السخيف وذلك هو وصف أوراق المذهب الشيعي بالأوراق «النابية» فإنّ ذلك لا يخلو من

الاستخفاف. ويحتمل أن يكون هذا القيد من إضافات صاحب «النفحات» ومن آيات فصاحته وهو بعيد عن الدين إلّا أن يكون صاحب «النفحات» شريكاً في هذا النقص والتوفيق من الصمد المعبود.

وكأنّ هذا المسكين الجامي الذي اضطرب هذا الاضطراب من مشاهدة الحلم لم يبلغه هذا المضمون عن الأيقاظ من الناس أنّ من رأى في حلمه ماءاً فإنّ ذلك قرينة على تلويث ثيابه ورأسه وعثنونه. والمطلوب من أتباعه التمييز عمّا هو خير هل هو ذلك الحلم أو هذه اليقظة.. والتوفيق من الباري..

سلطان الحكماء والمتكلّمين، الحكيم النحرير، نصير الملّة والدين
محمّد بن محمّد الطوسي طيّب الله مشهده

حكيمٌ رأيه القويم لصورة الشريعة بمثابة الهيولىٰ، عليمٌ يؤلّف رأيه الصائب في جميع الأحوال العلّة الأُولى، إمامٌ اعترف أئمّة الدين بفضله وتقديمه، همامٌ يغترف أهل اليقين من بحر علمه، نحريرٌ قيّد الأحرار ببنود تحريره، وصهر نقود العلماء الكبار في بوتقة اعتباره، فيلسوفٌ تباهت روح أفلاطون وروح أرسطو بوجوده وافتخرتا، ولسان حال أبي علي بن سينا يثني على مساعيه الجميلة، عقل الإشراق الفعّال طفل في طريقه، ومشكلات ذوي الكمال موقوفة على إحدى نظراته.

شعر

آنكه دشواری نيفتد در طريق جسم و جـان
كـــز بــيان او از آن دشـــوار آســـان آمـــده

در مـــصابيح بـــيانش در شـــبستان عـلوم

صـد هـزاران شـمع كـافوريست تـابان آمـده

تـا طـلسم سـحرهاى شـبهه را بـاطل كـند

از عـــصاى كـــلك او آثـــار ثـعبان آمـده

ولمّا آلت إلى المحو والاندراس معالم تحقيقات أبي عليّ بمقارعة شبهات أبي البركات اليهودي، وتشكيك فخر الدين الرازي، فاستدركها بغاية من علوّ الحكمة وكمال الإدراك، وكشف إيرادات ذهنهما التي بنيت على فهم الظواهر وحبّ الظهور لكلّ قاصر للبادي والحاضر، ولو أنّ أبا البركات اليهودي شاهد إعجاز الحكمة لسارع إلى الإيمان، أو أعطى الجزية عن يدٍ وهو صاغر. ولو أنّ الفخر الرازي وصلت يده إلى تلك الموائد الدقيقة ومواهب الحكمة العميقة، لطبع نقود كنز الحكمة الإمكانيّة، بل حكمة الإمكان على أرخص الأثمان.

وكتب الحكيم الفاضل المهندس مولانا غياث الدين جمشيد الكاشي الرصدي صاحب «الزيج الجديد» الذي هو من مآثر طبعه الجديد، في خطبة الزيج الخاقاني وهو من مبتكراته ووضعه باسم الميرزا «الغ بيگ» عدّة أسطر تشتمل على مدح الخواجه، ويظهر كمال فضله من خلال ذلك، وهي كالتالي:

ولمّا كان الخسوف والكسوف لا يوافق ما يجري عمله في الزيجات وكذلك عرفنا في مقارنات بعض الكواكب من التقديم والتأخير، ورصدنا بقدر الوسع بعض الخسوفات، وصحّحنا تعديلات القمر من تلك الأوساط وأوساط باقي الكواكب من الرصد الذي أجراه حضرة الفيلسوف بحقّ والحكيم المطلق المولى الأعظم والحبر الأعلم، مظهر الحقائق، مبدع الدقائق، أُستاد البشر، أعلم أهل البدو والحضر، متمّم علوم الأوائل والأواخر، كاشف معضلات المسائل

بالمآثر، سيّد الحكماء، أفضل العلماء، سلطان المحقّقين وبرهان المدقّقين، ينبوع الحكمة، نصير الملّة والدين محمّد بن محمّد الطوسي قدّس الله نفسه وزاد في حظائر القدس أُنسه، فوضعنا ذلك بحسبه. وأمّا التعديلات فقد استخرجناها بنوع من الاستخراج بتدقيق واستقصاء بحسب ذلك الرصد. هذا وإن كان استعلام مقادير الكواكب وأوساطها وتعديلاتها وعروضها وكذلك غيرها من الأُمور السماويّة حسب التحقيق لجنس البشر غير ممكن ومتعذّر، ولكن استقصاء العمل من جهتها فإنّه جائز ولا يحدث في التساهل بالحساب تفاوت آخر فوق ما لا يدرك، وإهمال كسور الحساب في بعض المواقع موجب لحدوث تفاوت عظيم. وغرضنا من ذكر هذا ليس التعريض بالخواجه لأنّه أتقن جميع العلوم وتخصّص بالرياضيّات بل هو متمّم لهذا الفنّ ومكمّل له.

شعر

بلكه گر از سر انصاف نظر فرمايند　　جاى آنست كه خلّاق علومش خوانند

ولو أنصفوه بأقوالهم　　عن العلم سمّوه خلّاقه

ومن مصنّفات حضرته في هذا الفن الشريف أحدها تحرير المحيط وقد أدرج في كلّ فصل منه أضعاف أمثال مشكلات الزيج وغوامضه كما قيل «كلّ الصيد فى جوف الفرا»[1]. ومن المحقّق أنّ مثل هذه المسائل لا تخفىٰ عليه[2].

او آفتاب كمال هنروريست　　ما ذره‌ايم الغلط از ذرّه كمتريم

---

(١) أي كلّه دونه لا يصل إلى مرتبته ولا يحصل به مثل ما بالفرا من كثرة اللحم/تاج العروس ج ١ ص ٢١٠.

(٢) وخفيت على المترجم فترجمها وهو غير واثق من صحّتها لأنّها اصطلاحات يعرفها المتخصّص بعلم الزيج فإذا رأى القارئ الترجمة تخالف المتن فالسبب الأوّل والأخير هو الجهل بالاصطلاحات ولعلّها ليست كذلك.

هو شمس الكمال في الأُفق لاحت نـحن ذرّ لا بـل مـن الذرّ أصغر

أصل سلالة الخواجه من موضع من بلدة ساوه يقال له «جهرود»، وولد في طوس. وانعكست على ذاته الأنوار المباركة من أشعّة الكمال في تلك البقعة المطيّبة لذلك يُدعىٰ بـ«الطوسي».

وفي «المعارف العقليّة» إنّه تلميذ فريد الدين الداماد، وهو تلميذ السيّد صدرالدين السرخسي، وهو تلميذ أفضل الدين الغيلاني، وهو تلميذ أبي العبّاس اللوكري، وهو تلميذ بهمنيار، وبهمنيار تلميذ الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا.

وفي «الشرعيّات» على الوجه الذي يستفاد من رسالة الشيخ الشهيد عليه الرحمة إنّه تلميذ أبيه المعظَّم، وهو تلميذ الإمام فضل الله الراوندي، وهو تلميذ المير مرتضى علم الهدى.

وفي أوائل أمره وقع في نفسه أن يكون داعية لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ولمّا رأى مؤيّد الدين ابن العلقمي وزيراً مستقلاً للمعتصم الخليفة العبّاسي، وهو من أعلام الشيعة وفضلائها، أُلقي في روعه أنّ من الأليق به والمناسب لحاله أن يؤمّ مدينة السلام ويقصد تلك الديار لعلّه يستطيع التأثير على الخليفة فيهديه الله بيُمن مؤيّد الدين وترتفع يومئذٍ رايات مذهب الحقّ إلى أوج قباب السماء ومدارج القمر. مِن ثَمّ عمد إلى تحرير كتاب إلى حضرة مؤيّد الدين وأرفقه بقصيدة عربيّة نظمها في مدح الخليفة، ولكن مؤيّد الدين لم ير وجود الخواجه إلى جانبه صالحاً مع ما له من صيت ذائع في الفضائل والكمالات النفسيّة والمآثر والرشد والمعرفة التامّة بالعمل، وعرف أنّ قربه منه مدعاة إلى إثارة الهواجس والشكوك، لذلك لم يولِ كتابه اهتماماً.

ولمّا عصفت بالخواجه رياح اليأس رأى أنّ التوقّف في بلاد العراق

وخراسان حيث تعصّب أهل السنة ومهبّ أهوائهم وفتنة التتار ومسيل دمائهم متعسّر بل متعذّر فأعمل الفكر وطفق يرتئي بين البقاء حيث هو أو المصير إلى ركن ركين وحصن أمين، إلى أن يسّر الله له الرئيس ناصر الدين المحتشم وهو من أفاضل الزمان، وأسخياء الأُمراء الأعيان لعلاء الدين محمّد بن جلال الدين حسن ملك الإسماعيليّين في قلعة ألموت وقهستان، فاستدعى الخواجه بلطايف الحيل إليه وعدّ صحبته غنيمة تغتنم، وفرصة تقتنص، فاستدناه وبذل جهده في إرضاء خاطره ورعايته حتّى بلغ من ذلك أقصى المراتب وتحلّى من فرائد إفادات «الخواجه» بحلية العلم والحكمة، وجزّاه حضرة الخواجه بأحسن الجزاء حين كتب له كتابه «أخلاق ناصري» وجعله منتظماً باسمه ومؤلَّفاً من أجله.

ولمّا ورد خبر وصول الخواجه إلى قلعة رودبار، واقتبس حاكم تلك الديار من سنا تلكم الأنوار، وطرقت سمع علاء الدين محمّد تلك الأُخبار، لابسه الحسد فاستدعى الخواجه إليه، وطلب موافاته إيّاه إن طوعاً او كرهاً، ورأى قدومه إليه المصحوب بالفيوضات القدسيّة والأشعّة الإلهيّة موجباً لتحلّيه بحلية عظمى، وزينة كبرى، وعلم أنّ اسمه سوف يقترن بالاعتزاز والإكرام والفضل والاحترام، فبالغ في إعزازه واحترامه وتجليله وإكرامه.

ولمّا رأى أنّ فضاء ايران السمح قد امتلأ بالقتام من فتنة الأتراك حتّى الجمام، ومع هذا فإنّ الإسماعيليّة يلتقون معه على طريق التشيّع ويشاركونه في هذا الأصل الأصيل، ووجد عندهم فرصة فراغ البال سانحة، وكذلك المطالعة بأحسن وجه مهيّأة، لذلك أنفق شطراً من عمره في عذاب صحبتهم حتّى دنا من قلاعهم الإيلخان يعني هلاكوخان، ولازم الشاه بن علاء الدين بمشورة من الخواجه ركاب هلاكوخان فرآها الرجل خدمة عظمى منه، ومنّةً كبرى عليه،

فبالغ في إكرامه وتعظيمه، وفوّض إليه جميع أُموره، وحوّل إليه «رصد مراغة تبريز» بعد احتلاله العراق، وأعطاه الميزانيّة لاستعمار مصالحها، واستجماع أسبابها على وجه يفي بمتطلّباتها من خزانة العمّال. وأصدر «فرماناً» بإحضار مؤيّد الدين ونجم الدين الكاتبي من قزوين، وفخر الدين المراغي من الموصل، ومحيي الدين الأخلاطي من تفليس ليكونوا تحت يده وفي خدمة الخواجه ليعملوا له الجداول في بعض الحسابات الدقيقة وغير ذلك.

وكان مولانا قطب الدين العلّامة الشيرازي وهو من أخصّ تلامذة الخواجه وأعظمهم مشاركاً لتلك الجماعة وإن لم يذكره الخواجه في خطبة الزيج رعاية لما بينهما من علاقة المعلّم والمتعلّم.

ولمّا حان موعد لقائه مع ربّه عهد اليهم بإصلاح الخلل الذي لم يتمّ إصلاحه في «الزيج»[1] وكانوا قاصرين عن ذلك ممّا جرّ إلى تكدّر خاطر الملّا قطب الدين، وكان قادراً على إصلاحه ولكنّه أعرض عن الجماعة وأوكل الأمر إليهم.

وجاء في كتاب حبيب السير: كيفيّة وصول الخواجه إلى قلاع الإسماعيليّة ومنها إلى المثول في حضرة هلاكوخان على الوجه التالي، قال: أقام حضرة الخواجه في عهد المعتصم الخليفة أيّاماً في ولاية «قهستان» فسلك حاكم تلك الخطّة «ناصرالدين المحتشم» معه سلوكاً محترماً، وفتح أبواب الكرم على مصاريعها في وجهه، فكتب حضرته في تلك الأيّام كتاباً سمّاه «أخلاق ناصري» من أجله، وجعله باسمه، ونظم قصيدة عربيّة في مدح الخليفة المستعصم،

---

(١) الزيج: كتاب يحسب فيه سير الكواكب وتستخرج التقويمات أعني حساب الكواكب سنة سنة وهو في الفارسيّة «زه» أي الوتر، ثمّ عرب فقيل: زيج، وجمعوه على زيجه كقرده/تاج العروس ج٢ ص٣٩٦.

وأرسلها إليه ببغداد، فلم تقع موقع القبول من مزاج ابن العلقمي الرقيق. وكتب في ظهرها: إلى ناصر الدن المحتشم بأنّ مولانا نصيرالدين يكاتب خليفة الله على الأرض ويراسله ولاينبغي علينا أن نغفل عن هذه البادرة ولانستصغر هذه الفاغرة.

ولمّا وصلت الكتابة إلى ناصر الدين أمر بحبس الخواجه في الوقت الذي كان يقيم في قلعة «ألموت» أو «ميمون دز» عند علاء الدين محمّد، بعد أخذ محتشم إيّاه إلى علاء الدين وإيداعه عنده. وبقي مدّة محتجزاً عند ملاحدة الزمان بحسب الضرورة، ولمّا تضعضع أساس تلك الدولة تحت وقع ضربات العسكر المغولي، أُطلق الخواجه من «ميمون دز» فالتحق بحضرة الإيلخان فاختصّه بصنوف الألطاف ونظمه في سلك الخواصّ والمقرّبين. ولمّا أحرز الخواجه مبالغة المستعصم في التعصّب حمل هلاكو على قصد بغداد حتّى تمّاحتلالها والقضاء على الخلافة فيها، وقد مرّ شطر من ذلك آنفاً.

وبلغني عن بعض الفضلاء أنّ الخواجه بصحبة هلاكو خان لمّا فرغوا من بغداد واستأصلوا بؤرة الخلافة العبّاسيّة وسائر أعداء أهل البيت كافّة، قصدوا زيارة عتبات الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وبعد أداء تلك الشعائر المقدّسة توجّهوا إلى زيارة عمدة المجتهدين، وارث علوم سيّد المرسلين وخير الوصيّين عليهم أفضل صلوات المصلّين يعني شيخ المحقّقين نجم الدين أبوالقاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلّي الذي هو في ذلك العهد أفضل مجتهدي الشيعة الإماميّة وأعدلهم وأكملهم، مقيمٌ في دار المؤمنين الحلّة، وهي موئل فقهاء مذهب الإماميّة وصانها الله من هجمة المغول واعتساف عسكر التتار، وبقيت محفوظة مصونة.

ولمّا وصل إلى الشيخ المعظّم وإخوانه المجتهدين قدوم القوم عليهم، رأوا

من اللّائق بهم واللّازم عليهم تفادياً لما يزمعونه من الإيقاع بهم أن يستقبلوهم بمفردهم، فبلغ الخواجه ما ينويه الشيخ من استقباله فأرسله إليه معظّماً ومجلّا لمقامه رسولاً عجلاً ومعه رسالة وفيها: إنّي لا أرى لنفسي من المقام ما يحمل الشيخ على استقبالي فأرجو أن يظلّ مكانه حتّى أُوافيه أنا بنفسي وأتشرّف بزيارة مجلسه الرفيع ومحلّه المنيع.

فتريّث الشيخ في مكانه منتظراً قدوم الخواجة السار عليه وإذا به يحلّ عليه ضيفاً فجئة، والشيخ قائم على تدريس كتاب الشرايع، وهو من مؤلّفات الشيخ. ولمّا فرغ الاثنان من حرارة اللقاء وإظهار الشوق والمحبّة، التمس الخواجه من الشيخ أن يواصل درسه بين يديه ويفيد الفوائد التي كان يلقيها على تلاميذه. فاستعدّ الشيخ لمواصلة الدرس استجابة لما طلب، وكان من الصدف الحسنة أنّ البحث يختصّ بالقبلة، وكان التالي يتلو هذه العبارة في القبلة المختصّة بقبلة أهل العراق: «ويستحبّ لهم التياسر».

فابتدره الخواجه على البديهة، فقال،: التياسر عن القبلة أو إليها؟ فالأوّل حرام، والثاني واجب، فما معنى الاستحباب؟

فأجابه الشيخ فوراً جواباً استحسنه الخواجه.

ولمّا عاد الخواجه إلى بغداد وضع الشيخ رسالة في المعنى تشتمل على الأجوبة المتعدّدة وأرسلها إلى الخواجه، وهي مشهورة بين فضلاء هذه الطائفة، وتوجد ضمن «حاشية الإرشاد» لصفوة الفقهاء المتأخّرين الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي رحمه الله تعالى.

وذكر الشيخ العلّامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي أحلّه الله دار المقامة في أثناء إجازته للسيّد الأجل ابن زهره الحلبي وأولاده، فقال: في

ذلك اليوم الذي زار به الخواجه مجلس الشيخ نجم الدين أبي القاسم، كان يحضر المجلس جمّ غفير من علماء الإماميّة المجتهين يستمعون إلى درس الشيخ، فسأل الخواجه من حضرة الشيخ: هذه النخبة العالمة من هو الأفضل منهم؟ ولمّا علم الشيخ أنّ تفضيل بعضهم على البعض الآخر موجباً لإيذائهم ووحشتهم، فقال في جوابه: لئن فاق بعضهم غيره في علم فإنّ البعض الآخر يفوقه في علم آخر فليس فيهم من يفضّل في العلوم كلّها بل بكلّ علم من العلوم متفوّق.

فسأله الخواجه: فمَن من هؤلاء متفوّق في علم أُصول الفقه والكلام؟ فأشار الشيخ إليّ أنا سديد الدين الحسن بن يوسف، وإلى الشيخ مفيد الدين ميثم البحراني الذي كان من فلاسفة الشيعة وفقهائها.

وروى الرواة أنّ الشيخ لمّا قصد بغداد في آخر مرّة عرض له عارض الموت فأوصى بتجهيزه إلى فضلاء المؤمنين، فقال أحد الحاضرين: نرىٰ من المناسب أن نحمل جنازة الخواجه إلى مشهد الإمام أميرالمؤمنين المقدّس عليه السلام. فقال الخواجه عن إخلاص ويقين: إنّي لأستحي وأنا في جوار مفيض الأنوار الإمام الهمام موسى الكاظم أقضي نحبي ثمّ أُحمل إلى مشهد آخر وإن كان أفضل من مشهده وأعلى منزلة، ثمّ دفن في الحضرة العليّة الكاظميّة على صاحبها آلاف السلام والتحيّة. وفي قائمة تلك الروضة المباركة كتب على لوح مزاره هذه الآية الشريفة: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[1].

ويكون انتقال الشيخ الخواجه إلى فراديس الجنان من تاريخ هذه القطعة..

نصير ملّت و دين پادشاه كشور فضل

يگانه كه چو او مار زمانه نزاد

---

(١) الكهف/١٨.

بسال ششصد و هفتاد و دو به ذى الحجّه

بروز هيجدهم اندر گذشت در بغداد

نصير لدين الله والملّة الذي | له الفضل عند الله في بلد الفضل
توفّي في ستّمائة من مهاجر | النبيّ مع السبعين تحسب بالعدل
ولا تنس عطف اثنين من بعدها أتت | به ثمّ فصل العلم للّه من فصل
بذي حجّة في ثامن بعد عشرة | فكانت ديار العلم كالأرض في المحل

وجاء في جامع التواريخ: إنّه بناءاً على وصيّة الخواجه المذكور أرادوا إقباره في المشهد المعلّى والمزكّى للإمام الكاظم عليه السلام وشرعوا يحفرون قبره في أرض اختاروها له من تلك الأرض المقدّسة، وإذا بهم يقعون على كهف مزيّن بالكاشي قد بان لأعينهم، ولمّا دقّقوا في المكان النظر علموا أنّ الناصر العبّاسي احتفر له ليكون فيه مضجعه ولكنّه لم يفز بتلك السعادة فدفن في الرصافة. ولمّا كان العلّامة السعيد حارساً للسدّة العليّة لآل العبا، ما برح يشير إلى ذلك الضراح الرفيع بإصبعه لهذا بمقتضى الآية ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ دفن في ذلك المكان المنوّر المفيض للأنوار.

ومن القرائن الدالّة على قبوله أنّ تشييد هذا الكهف المذكور كان في يوم السبت الخامس عشر من جماى الأُولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو يوم ولادة الخواجه قدومه إلى عالم الشهادة لأنّ عمره الشريف خمس وسبعون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيّام.

وله هذه القطعة الآخذة بمجامع القلوب الصادرة من محقّق نحرير في بيان منقبه الأمير عليه السلام:

شعر

لو أنّ عبداً أتىٰ بالصالحات غداً وودّ كلّ نبيٍّ مرسل وولي
وصام ما صام صوّاماً بلا ملل وقام ما قام قوّاماً بلا كسل
وحجّ كم حجّة للّه واجبة وطاف بالبيت حافٍ غير منتعل
وطار في الجوّ لا يأوي إلى أحد وغاص في البحر مأموناً من البلل
كسَى اليتامىٰ من الديباج كلّهم وأطعمهم[1] من لذيذ البرّ بالعسل
وعاش في الناس آلافاً مؤلّفة عارٍ من الذنب معصوماً من الزلل
فليس في الحشر يوم البعث ينفعه إلّا بحبّ أميرالمؤمنين علي

له تصانيف كثيرة على مذهب الشيعة الإماميّة في العلوم الحكميّة والكلاميّة والفقهيّة، منها:

كتاب التحرير في الكلام، كتاب التجريد في المنطق، كتاب أساس الاقتباس في المنطق، وشرح الإشارات، وتحرير اقليدس، وتحرير المجسطي، وتحرير المتوسّطات، وكتاب الزيج الإيلخاني، ورسالة التذكرة في الهيئة، والرسالة المعينيّة في الهيئة أيضاً، ورسالة في ثلاثين فصلاً في النجوم، ورسالة العشرين باباً في الأُسطرلاب، والكتاب الجامع بالبخت والتراب، وكتاب قواعد العقائد، وشرح المحصّل، ورسالة في الجبر والقدر، ورسالة أجوبة الشيخ صدر الدين القونوي، ورسالة الردّ على إيراد الكاتبي على دليل الحكماء في إثبات الواجب، ورسالة البحث في الإمامة، وترجمة كتاب زبدة الحقائق لعين القضاة الهمداني، وشرح المواضع المشكلة منه برجاء وتكليف من الأمير ناصر الدين المحتشم وهو من دُعاة الطائفة الإسماعيليّة، وكتاب «أخلاق ناصري» باسم ناصر الدين

---

(١) كذا.

المذكور، وشرح كتاب ثمرة بطليموس بالتماس الخواجه بهاء الدين محمّد بن الخواجه شمس الدين محمّد صاحب الديوان، ورسالة في فقه المواريث، ورسالة في تحقيق نفس الأمر، ورسالة في تحقيق ماهيّة العلم، ورسالة الفصول في الكلام، ورسالة أوصاف الأشراف، ويظهر من هذه الرسالة ومن مواضع في رسالة الفصول، وشرح قصّة «سلامان وأبسال»[1] المذكورة في خاتمة كتاب الإشارات أنّ حضرة الخواجه من المتألّهين أرباب التصوّف والإشراق، ونفسه القدسيّة انعتقت من اللذّات الدنيويّة، وكان صاحب «إطلاق» كما تدلّ عليه آثاره كهذه القطعة البديعة من شعره:

لذّات دنيوى همه هيچ است نزد من ... در خاطر از تغيير آن هيچ ترس نيست
روز تنعّم و شب عيش و طرب مرا ... غير از شب مطالعه و روز درس نيست

لا تعدل اللذّات شيئاً عندي ... وجودها في حوزتي لا يجدي
ليس يحد فقدها من همّتي ... وليس يؤذى خاطري بالفقد
لذائذي الدرس وإنّي فاتح ... مغالق العلم وكتبي جندي
أسعد ليلة كتاب جامع ... أقضي عليه ليلتي بالسهد

ومن جملة تأليفاته رسالة مختصرة كثيرة الفوائد كتبها مجملاً بيانها في العقائد برجاء من أحد كبار عصره وأنا الفقير ـ المؤلّف ـ رأيت من اللّائق أن

(١) «سلامان وأبسال» هي من القصص اليونانيّة ذكرها الشيخ أبو علي ابن سينا في الإشارات وفصّله الخواجه في شرحه (النمط التاسع) وقال: إنّها اثنتان إحداهما من تأليفات أرسطو، وترجمها من اليونانيّة بالعربيّة حنين بن إسحاق، والثانية ألّفها الشيخ ابن سينا نفسه ثمّ ذكر فهرساً عن كلتا القصّتين. أقول: وللجامي عبدالرحمن المتوفّى (سنة ٨٩٨هـ) منظومة سلامان وأبسال وهي تنطبق على التي ترجمها حنين لا التي ألّفها الشيخ أبو علي. هذا وقد ترجمها (بالتركية ظاهراً) محمود بن عثمان الألمعي المتوفّى (٩٣٨هـ) كما في كشف الظنون/ الذريعة ج٨ ص٣٣.

أُزيّن كتابي بها وصورتها كما يلي:

اعلم [ـ أيّدك الله ـ] أيّها الأخ الصالح العزيز أنّ أقلّ ما يجب اعتقاده هو ما ترجمته [قول] لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، ثمّ إذا صدّق الرسول فينبغي أن يصدّقه في صفات الله واليوم الآخر وتعيين الإمام المعصوم، فكلّ ذلك ممّا يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان.

أمّا في الآخرة فبالإيمان بالجنّة والنار والحساب وغيره [والشفاعة وغيرها].

وأمّا في صفات الله تعالى فإنّه حيّ قادر [فبأنّه] عالم مُريد كاره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس [ولا يجب] عليه بحث [أن يبحث] عن حقيقة هذه الصفات، وأنّ الكلام والعلم وغيرهما [حادث] قديم أو حادث، بل لو لم يخطر بباله حقيقة هذه المسألة حتّى مات، مات مؤمناً.

وليس عليه بحث عن [ولا يجب عليه] تعلّم الأدلّة التي حرّرها المتكلّمون، بل متى [مهما] خطر في قلبه التصديق بالحق [تصديق الحقّ] بمجرّد الإيمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن، ولم يكلّف الرسول [رسول الله ﷺ] العرب أكثر من ذلك [بأكثر] وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرار العرب و[أكثر] عوام الخلق إلّا من وقع في بلدة [يقرع] سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه، ومعنى الاستواء [الاستقرار] والنزول وغيره، فإن لم يأخذ ذلك بقلبه وبقي [مشغولاً] بعبادته وعمله فلا حرج عليه، وإن أخذ ذلك بقلبه [فإنّما] فأقلّ الواجب عليه ما اعتقده السلف يعتقد في القرآن الحدوث [أنّه كلام الله مخلوق] كما قال السلف القرآن كلام الله مخلوق، ويعتقد أنّ الاستواء [الإسراء] حقّ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه مع الاستغناء عنه بدعة، والكيفيّة فيه مجهولة.

ويؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيماناً مجملاً من غير بحث عن الحقيقة والكيفيّة، و [وإنّ] فإن لم يعتقد ذلك وغلب على قلبه [الإشكال] الشكّ والإشكال فإن أمكن إزالة [الشكّ والإشكال] شكّه وإشكاله بكلام قريب من الأفهام أُزيل وإن لم يكن قويّاً عند المتكلّمين ولا مرضيّاً فذلك كافٍ.

ولا حاجة إلى تحقيق الدليل فإنّ الدليل لا يتمّ إلّا بذكر الشبهة والجواب، ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن تثبت بالخاطر والقلب فيضلّ فهمه عن ذكر جواب الشبهة إذ الشبهة قد تكون جليّة والجواب عنها دقيقاً [لا يحمله] لا يحتمله عقله. ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش وعن الكلام فيه، وإنّما زجروا عنه ضعفاء العوام وأمّا أئمّة الدين فلهم الخوض في غمرة الإشكالات. ومنع العوام عن الكلام يجري مجرىٰ منع الصبيان عن شاطئ الدجلة، خوفاً من الغرق، ورخصة الأقوياء فيه يضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة إلّا أنّ هنا [هاهنا] موضع غرور ومزلّة القدم [قدم] وهو أنّ كلّ ضعيف في عقله راجٍ من الله في كمال عقله [يظنّ أنّه يقدر على إدراك الحقائق كلّها وأنّه من جملة الأقوياء] وناظر نفسه أن يقدر بالقصور عن إدراك الحقائق كلّها، وأمّا الأقوياء فربّما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون [و] فالصواب منع الخلق كلّهم إلّا الشواذّ [النادر] [الذي] الذين لا تسمح الأعصار إلّا بواحد منهم أو اثنين، ومن تجاوز سلوك مسلك السلف في الإيمان المرسل والتصديق المجمل بكلّ ما أنزل الله [تعالى] وأخبر به رسوله ﷺ من غير بحث وتفتيش فالاشتغال بالنفوس فيه [فمن اشتغل في الخوض فيه فقد أوقع نفسه في شغل شاغل] فقد أشغل نفسه في شغل شاغل إذ قال رسول الله حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتّى احمرّت وجنتان [أبهذا] أفبهذا أُمرتم؟ تضربون

كتاب الله بعضه ببعض. أُنظروا إلى ما أمركم الله به فافعلوا، وما نهاكم عنه فانتهوا، فهذا تنبيه على منهج [نهج الحق] واستيفاء ذلك شرحناه[ه] في كتاب قواعد العقائد فاطلبه منه [انتهى كلامه أعلى الله مقامه](١).

استدراك: لا يخفى أنّ كلام الرازي في التشكيك كما أُشير إليه سابقاً وإن كان ركيكاً عند معتقديه لكنّ الحكيم الشهرزوري وغيره من الأذكياء يشاركون هذا الضعيف الرأي، بل تناوله الشهرزوري في تاريخ الحكماء بتعريض أكثر ركاكة من هذا لأنّه:

أوّلاً: أخرجه من زمرة المحقّقين وجعله بمنأىً عن فهم مقاصد الحكماء الأوّلين. وإنّه لم يحصل على شيء ممّا ادّعىٰ فهمه ومعرفته.

وثانياً: أنّ تصانيفه كلّها تدور على محور النقول فتارة يفرع عليها ويهذّبها أويوضحها، وأُخرى يوجزها أو يبسطها ويتصرّف فيها بأن يوردها بتعبير آخر وتغيير من ورقة إلى ورقة ومن مسودّة إلى مسودّة.

وثالثاً: أنّه قال: كان شهرته بالقدرة على البحث والجدال والغلبة في القيل والقال لسوء خلقه فإنّه بلغ الغاية في ذلك. فقد يشتم أهل الفضل عند المناظرة بأقذع الشتائم ويؤذيهم لما له من علوّ الجاه والقرب من الملك، فما كان باستطاعة أحد أن يقاومه. بل قيل عنه: إنّه كان يغلظ للسلطان خوارزم شاه أحياناً لأنّه تلميذه ويخاطبه بأوحش خطاب وأرداه، والسلطان يحتمل ذلك منه.

رابعاً: لامه على اتّباعه أبا الحسن الأشعري وقال: ما كان للأشعري شعور

---

(١) راجع الكاشاني: الأُصول الأصيلة ص١٨٢ وما وضعنا بين المركنتين هو ما انفرد به الفيض رحمة الله عليه ورضوانه.

ولم يكن يعرف أيّ طرفيه أطول[١] وهو عاطل من إدراك مقدّمات البحث والذوق وراجل في ترتيب الحدود وإقامة البراهين بل هو رجل مسكين تحيّر في مذهبه الجاهلي وراح يخبط خبط عشواء.

ومجمل القول: إنّ الحكيم الشهرزوري أخرجه من دائرة المحقّقين الحكماء بواسطة تقليده للأشعريّ. وقال: إنّ هذا التشكيك انتحله من أبي البركات اليهودي. والأعجب من هذا كلّه أنّه كتب في جميع العلوم التي يجهلها كتباً متداولة فصار هذا الأمر سرّاً من أسراره المكتومة[٢].

الشيخ الحكيم المتكمّل الفقيه الأديب مفيد الدين ميثم البحراني قدّس الله سرّه

غوّاص بحور المعارف، وفي جميع العلوم ماهر وعارف، وسمّاه المحقّق الطوسي الحكيم، ونظم جواهر مدحه بعد ثقبها ببنان بيانه. واستفاد المير صدر الدين محمّد الشيرازي في حاشية التجريد بخاصّة في مبحث الجواهر من زواهر إفاداته المذكورة في كتاب «المعراج السماوي» وغيره من مصنّفاته. واستند إلى تحقيقات ذلك الحكيم المحقّق في الوقت المناسب، وعبّر عنه سيّد المحقّقين ـ السيّد الشريف الجرجاني ـ بـ«شيخنا» في أوائل «فنّ البيان» من شرح المفتاح عندما نقل عنه. والحقّ يقال: إنّ شرح نهج البلاغة الذي ألّفه باسم عطاء الله الجويني دليل تامّ على علوّ شأنه في الحكمة والتصوّف والكلام وسائر علوم أهل الإسلام.

---

(١) قال ابن الأعرابي: طرفاه: ذكره ولسانه/الجوهري: الصحاح ج ٤ ص١٣٩٤.

(٢) ذكر مولانا الشهيد هذا النصّ عرضاً ولم يجر فيما تقدّم سبب يستدعيه.

ومن جملة لطائفه المشعرة بلطائف طباعه ونفاسة أنفاسه أنّه لمّا كان في مبتدء ظهوره معتكفاً في زاوية الرياضة والخمول، كتب إليه فضلاء العراق: إن تعجب فعجب أمرك مع مهارتك في فنون العلوم بقيت خاملاً كاسلاً بين العلماء، فكتب إليهم في الجواب هذين البيتين وأرسلها إليهم.

شعر

طلبت فنون العلم أبغي بها العُلىٰ　　فقصّر بي عمّا سموت به القلّ
تبيّن لي أنّ المحاسن كلّها　　فروع وأنّ المال فيها هو الأصل

شعر

زبعد تجربه روشن به من شد اين احوال
كه قدر مرد به علم است و قدر علم به مال(١)

ولمّا وصل الشعر إلى العراق، كتبوا إليه: إنّك أوقعت نفسك في الخطأ وعكست القضيّة حين قلت بإصالة المال، فأجابهم على قولهم بإرسال شعر قديم إليهم.

شعر

قد قال قوم بغير فهم　　ما المرء إلّا بأكبريه
فقلت قول امرئ حكيم　　ما المرء إلّا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه　　لم تلتفت غرسه إليه

ثمّ إنّه عطّر الله مرقده لمّا علم أنّ مجرّد المراسلات والمكاتبات لا تنقع

(١)

لقد علمت بما جرّبت من زمني　　وما انتهيت إليه آخر الحال
بالعلم يرفع قدر المرء من ضعة　　يوماً ويرفع قدر العلم بالمال

ترجمة هذا الشعر لوالدي المقدّس طيّب الله رمسه.

الغليل، ولا تشفي العليل توجّه إلى العراق لزيارة الأئمّة المعصومين عليهم السلام وإقامة الحجّة على الطاعنين. ثمّ إنّه بعد الوصول إلى تلك المشاهد العليّة لبس ثياباً خشنة عتيقة وتزيّىٰ بهيئة رثّة، بالإطراح والاحتقار خليقة، ودخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحذّاق، فسلّم عليهم، فردّ بعضهم عليه بالاستثقال والامتناع التام، فجلس عطّر الله مرقده في صفّ النعال ولم يلتفت إليه أحد منهم ولم يقضوا واجب حقّه.

وفي أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة كلّت منها أفهامهم، وزلّت فيها أقدامهم، فأجاب ـ روّح الله روحه وتابع فتوحه ـ على البديهة بسبعة أجوبة [تسعة] في غاية الجودة والدقّة. فقال له بعضهم بطريق السخريّة والتهكّم: أخالك طالب علم؟ ثمّ بعد ذلك أُحضر الطعام فلم يواكلوه رحمه الله بل أفردوه بشيء قليل على حدّه واجتمعوا هم على المائدة.

فلمّا انقضى ذلك المجلس قام رحمه الله ثمّ إنّه عاد في اليوم الثاني إليهم وقد لبس ملابس فاخرة بهيئة وأكمام واسعة وعمامة كبيرة وهيئة رائعة، فلمّا قرب وسلّم عليهم قاموا له تعظيماً واستقبلوه تكريماً، وبالغوا في ملاطفته ومطايبته، واجتهدوا في تكريمه وتوقيره، وأجلسوه في صدر ذلك المجلس المشحون بالأفاضل والمحقّقين والأكابر المدقّقين. ولمّا شرعوا في المباحثة والمذاكرة تكلّم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها عقلاً ولا شرعاً فقابلوا كلماته العليلة بالتحسين والتسليم والإذعان على وجه التعظيم. فلمّا حضرت مائدة الطعام بادروا معه بأنواع الأدب، فألقىٰ الشيخ رحمه الله كمّه في ذلك الطعام مستعتباً على أُولئك الأعلام وقال: كُل يا كُمّي.

فلمّا شاهدوا تلك الحالة العجيبة أخذوا في التعجّب والاستغراب

واستفسروه ﷺ عن معنى ذلك الخطاب، فأجاب عطّر الله مرقده: إنّكم إنّما أتيتم بهذه الأطعمة النفيسة لأجل أكمامي الواسعة لا لنفسي القدسيّة اللّامعة وإلّا فأنا صاحبكم بالأمس وما رأيت تكريماً مع أنّي جئتكم بهيئة الفقراء وسجيّة العلماء، واليوم جئتكم بلباس الجبّارين وتكلّمت بكلام الجاهلين فقد رجّحتم الجهالة على العلم، والغنى على الفقر، وأنا صاحب الأبيات التي في إصالة المال وفروعيّة الكمال التي أرسلتها إليكم وعرضتها عليكم وقابلتموها بالتخطئة، وزعمتم انعكاس القضيّة.

فاعترف الجماعة بالخطأ في تخطئتهم واعتذروا عمّا صدر منهم من التقصير في شأنه ﷺ(١).

المولى المحقّق العلّامة

قطب الدين محمّد بن محمّد البويهي الرازي ﷺ

آنكه چرخ اعلم زمانش خواند دهر علّامهٔ جهانش خواند

هرچه در دهر نقش دانائى است دل او را بر آن توانائى است

عقليش از قياس عقل برون نقليش از اساس نقل فزون

او چو ابر كرم بفرق جهان زير كان چون صدف گشاده دهان

لقد كان أعلم أهل الزمان وعلّامة الدهر في العالمين

وكلّ علوم الورى في النُهىٰ يكون لها أعرف العارفين

وعقليه فوق كلّ العقول ونقليه ما له من قرين

شبيه السحاب بهام النُهىٰ وإن شئت معدن دُرّ ثمين

(١) شرح مئة كلمة لأميرالمؤمنين عليه السلام ص ٤ مقدّمة الناشر واللفظ له وهو موافق تماماً لرواية المؤلّف إلّا في بعض الألفاظ الزائدة.

ولمّا طلعت شمسه من مشرق شرح المطالع، وسطعت محكمات حكمته من أُفق كتاب المحاكمات، ما احتاج عظم شأنه إلى تعريف وبيان.

ونسبه الشريف على الوجه الذي ذكره عمدة المجتهدين الشيخ عليّ بن عبدالعالﷺ في الإجازة التي حبّرها لعمّ هذا المتواضع ذي القدر الكبير، يُشعر بانتمائه إلى السلسلة الشريفة لآل بويه.

مولده ومنشأه دار المؤمنين «ورامين» الريّ. وبعد تلمّذه على جمع من علماء ذلك العصر وحضوره في محافل العلماء الأعلام تشرّف بالتلمذة على العلّامة الشيخ جمال الدين الحسن بن مطهّر الحلّيﷺ وتب كتاب «قواعد الأحكام» ـ وهو من مؤلّفات العلّامة الفقهيّه ـ بخطّه وقرأة عليه. ويوجد على ظهر النسخة الموجودة اليوم عند بعض الفضلاء في ولاية الشام صورة إجازته بخطّ الشيخ على الوجه التالي:

قرأ أكثر هذا الكتاب الشيخ العالم الفقيه الفاضل المحقّق المدقّق زبدة العلماء والأفاضل، قطب الملّة والدين، محمّد بن محمّد الرازي قراءة بحث وتدقيق، واستبان من مشكلاته، واستوضح معظم شبهاته، فبيّنت له ذلك بياناً شافياً، وقد أجزت له رواية هذا الكتاب [بأجمعه] ورواية جميع مصنّفاته ورواياتي وما أُجيز لي روايته وجميع كتب أصحابنا السابقين رضوان الله عليهم أجمعين بالطرق المتّصلة منّي [إليهم] فليرو ذلك لمن [إن] شاء واجب على الشروط المعتبرة في الإجازة فهو أهل لذلك أحسن الله عاقبته. وكتب العبد الفقير الحقير إلى الله تعالى الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي مصنّف الكتاب في ثالث شهر شعبان المبارك من سنة ثلاث عشر وسبعمائة بناحية «ورامين» والحمد للّه وحده وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبي [سيّد النبيّين] وآله الطاهرين...

إنّ العلّامة قطب الدين بعد أن توفّي السلطان أبو سعيد واستشهد غياث الدين وغيره من الوزراء (وهو كان مربٍّ لأهل الفضل) وعلى ما ذكره صاحب طبقات النُّحاة: إنّ تقي الدين السُّبكي من فقهاء الشافعيّة نازعه في العلوم وقابله بالمعارضة في الرسول، وكان يعارضه في توجيه بعض الأحاديث ولمّا وزن السبكي سبيكته في ميزان مناظرته وعرف أنّه سوف يسبك بين أهل الشام من ثمّ سلك طريق الصلف والمكابرة ونسب إلى العلّامة عدم فهم مقاصد الشرع والوقوف على الظواهر لذلك تنحّىٰ العلّامة عن مناظرته بمقتضى قول الحكيم:

اين نكته با فقيه چه گويم كه بهره نيست

بوجهل را به مذهب عذب محمّدى

ماذا أقول لذي فقه فلست أرىٰ نفعاً ينال أبا جهل من الدين

وكتب الشهيد محمّد بن مكّي أعلى الله درجته بخطّه الشريف على ظهر كتاب القواعد ما معناه: تشرّفت بدمشق برؤية العلّامة القطبي، فوجدته بحراً زاخراً فاستجزت منه فأجاز لي، وليس عندي شبهة في كونه من العلماء الإماميّة، وقد صرّح لي بذلك، وكفى تلمّذه وانقطاعه إلى العلّامة الذي هو من فقهاء أهل البيت عليهم السلام وخلوص عقيدته وتشيّعه شاهداً.

وتوفّي في ثاني عشر ذي القعدة سنة ستّ وستّين وسبعمائة في دمشق والتحق بروضة رضوان وصلّى عليه في الحصن وحضر صلاته أعيان البلد، ودفن في الصالحيّة ثمّ نقل إلى مكان آخر رحمه الله.

ومن تصانيفه [المشهورة] شرح الشمسيّة وشرح المطالع، صنّفها بإشارة وزير السلطان أبي سعيد خواجه غياث الدين محمّد بن الخواجه رشيد، وابنه [فإنّه كان مربّي أهل الفضل في ذلك الزمان] ومنه المحاكمات بين شارحي

الإشارات، وحاشية على الكشّاف، الأُولى هي الصغرىٰ وتسمّىٰ ببحر الأصداف، والثانية الكبرى وتُسمّىٰ بتحفة الأشراف، ورسالة في تحقيق مباحث التصوّر والتصديق، وحاشية على قواعد الأحكام.

المولىٰ المتبحّر شمس الملّة والدين محمّد الآملي رحمه الله

إظهار مساحة فضله من طول وعرض في المعقول والمنقول تحتاج إلى زمان. وكان في زمان السلطان أُلجايتو محمّد خدابنده أنار الله برهانه مدرّس السلطانيّة، وكانت له مناظرة مستمرّة مع القاضي العضد الإيجي.

من مصنّفاته شرح الكليّات لكتاب القانون تأليف الشيخ أبي علي، وشرح كلّيّات كتاب الطبّ للسيّد شرف الدين الإيلاقي، وشرح أُصول ابن الحاجب وفيه تصدّى إلى دفع كلام الشارح العضدي، وكتاب نفائس الفنون في خطبة شرح الإيلاقي على رغم أهل السنة والجماعة الذين أنكروا عصمة الأئمّة الاثني عشر بل عصمة النبيّ الأطهر حفظاً لناموس أبي بكر وعمر، فقد تخطّى ذكر الأصحاب وخصّ الآل بالصلوات، وأكّد على طهارتهم من الزلل والخطل.

وفي مبحث الإمامة من كتاب «نفائس الفنون» بعد ذكر الاختلاف بين السنة والشيعة في خلافة الصحابة الثلاثة وأئمّة أهل البيت عليهم السلام: لو أنّنا بدأنا نستعرض الدلائل والمستمسكات والشكوك والمعارضات لكلّ واحد منهما وذهبنا في التحقيق شوطاً ملحوظاً لأخذ منّا ذلك وقتاً طويلاً، عصمنا الله عن زيغ الضالّين، ووفّقنا على اتّباع الأئمّة الهادين المهديّين إنّه خير موفّق ومعين.

وهذا هو كلامه في المقام، وصورة عقيدته من فقرتَي الدعاء آنف الذكر لا تخفى على أذكياء الأنام، من كان له ذهن فله في كلّ شعرة أُذن.

وله في مبحث مبادئ اللغة من شرح مختصر الأُصول مؤاخذة لطيفة على القاضي العضد، وإنّما ذكرناها وإن لم تكن لها صلة فيما نحن فيه ولكنّها تدلّ على حمق القاضي الذي هو من المضادّين لأهل البيت والمعاندين لهم عليهم السلام، ويعتبر في زمانه من أولاد الزنا، وهذه هي صورة المؤاخذة نحرّرها بإجمال:

ومجمل الحديث هو الخلاف بين الأُصوليّين في «واو» العطف هل هو لمجرّد الجمع مطلقاً أو للترتيب بحسب الزمان في المتقدّم والتالي؟ والشارح العضد قائل من جانبه بالترتيب، وأقام حجّته طبقاً لهذا الدليل مِن أنّ رجلاً خطب بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال في أثناء خطبته: من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى من عصاهما فقد غوىٰ. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن عصى الله ورسوله..» ولو لم يكن الواو للترتيب لما كان بين العبارتين فرق، وكان ردّ النبيّ على الخطيب لا وجه له.

والجواب على هذا القول هو أنّنا لا نسلّم بعدم الفرق بناءاً على هذا التقدير؛ لأنّ في إفراد لفظ الجلالة من التعظيم ما لم يكن في ضمّه مع التثنية وكان ردّ النبيّ عليه لهذه الغاية لأنّه ترك التعظيم الذي يحدث من إفراد لفظ الجلالة بالذكر.

والقاضي العضد ذكر هذه الجملة بعد ذكر جوابه لتقويته: ويدلّ عليه أنّ معصيتهما لا ترتيب فيها لأنّ كلّاً أمر بطاعةٍ فمعصيته معصية لهما، أو لأنّهما يتطابقان في الأوامر طُرّاً، انتهى.

وأشكل الفاضل الآملي على القاضي فقال: إنّ العضد وإن كان قد اظهر في الجملتين اللّتين قالهما أنّ ذكر الله ورسوله بصيغة التثنية مناف للتعظيم ومردود من الرسول الكريم إلّا أنّه في مقام تقوية جوابه ارتكب نفس المحذور وخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد جمع بين الله ورسله في ضمير واحد في عدّة مواضع

من كلامه كما يظهر للناظر في عبارته السالفة، وهذا وإن كان معصية للّه ورسوله فإنّه مُشعر بسوء الأدب وبالحماقة والذهول.

والكلام المتقدّم هو جُلّ ما قاله المحقّق الآملي.

وأمّا ما جرى للقاضي ممّا له أو عليه فقد انبرت طائفة من المقلّدة عبّاد الشهرة الذين يرون القاضي من نوادر الزمان ويرون شرحه المختصر وكتاب مواقفه دليلاً على كماله، فقد استعظموا القول بحماقته واعتبروا القائل بحماقته من المتعصّبين أو إنّه جاهل بواقع حاله. مِن ثَمّ رأيت من الواجب الإعراب عن حقيقته وتحقيق حاله وبيان مبلغ فهم قدوة أرباب الضلال وكماله، وأضعها بمسمع ومشهد من ضمير أهل الإنصاف كذلك أقول: إنّ نسخة وجوده ظهرت إلى عالم الشهود بمباشرة عدد غير محدود[1]، ومثل ذلك يقال في كتبه ومصنّفاته فإنّها لم تكن منه بل عضده في تصنيفها وشاركه في تأليفها جماعة معهودة.. وقد صرّح بهذا المعنى الملّا عصام الدين الإسفراييني وهو غير متّهم على القاضي، قال في شرحه على آداب العضدي: كان يحضر مجلسه اثنا عشر شخصاً من فضلاء عصره لرفعة جاهه، وكانوا يشاركونه في تصانيفه ومن جملتهم جدّه عرب شاه الإسفراييني وسيف الدين الأبهري..

وأيضاً فقد نسب ابن فخر الدين الجاربردي القاضي العضد إلى قلّة الفهم والإعوجاج في المناظرة وأمثال ذلك في جوابه على السؤال الذي انتزعه القاضي من قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ ﴾[2] ومن خلال هذا القول ندرك ضئالة حجم القاضي وقلّة فضله، وكان يتقوّىٰ بفضله غيره.

---

(١) يرميه بأنّه لغير رشدة..

(٢) البقرة/٢٣.

والذي يظهر لي أنّ سبب شهرته الكاذبة على الوجه الذي ذكره حبيب السير أنّ الخواجه «رشيد» الوزير وهو شافعي المذهب كان يعظّمه ويقرّبه ويصله بصلات كثيرة وساعد ذلك على شهرته؛ لأنّ أهل الفضل كانوا يرجعون إليه في تحصيل مناصبهم وحيازة وظائفهم وهم يعينونه أيضاً في قبال ذلك، ويرحّبون به ويشيّدون بعلمه حتّى ظهر وانتشر.

وأمّا ما يقال عن نسبه وأنّه لغير رشده فإنّ ذلك معلوم بين الناس، ويؤيّده ما نسب إلى فخر الدين عليّ بن ملّا حسين الكاشفي في كتاب «لطايف الطوائف» من أنّ القاضي كان جسيماً ممتلأ البدن، ضخم الجثّة عظيمها، وقد وقع له حادث طريف مع أحد علماء شيراز المدعو «پادشاه» وكان عالماً معترفاً بعلمه في شيراز، ولكنّه ضعيف البدن، ناحل العود، فقد كانا يتباحثان في مسألةٍ مّا وقد جرّ البحث إلى المشادة والعنف وكان بينهما في المكان دواة وقلم، فقال القاضي يعرض به: كأنّي أسمع من وراء الدواة صوت يأتيني، فما هو؟ وبهذه الكناية الجارحة ينسب مولانا إلى صغر الجثّة وضعف البنية. فقال مولانا في جوابه: النطفة الواحدة لا يأتي منها أكثر من هذا. فخجل القاضي من هذا الجواب وندم على ما فرط منه وانفعل منه انفعالاً بيّناً. ولنعم ما قيل:

محبّت شبه مردان مجوز بی‌پدری   که دست غیر گرفته است پای مادر او

المولىٰ المدقّق الفهامة نصير الملّة والدين علي القاشي
الشهير بالحلّي رحمه الله تعالى

مولده الشريف في دار المؤمنين كاشان، ونشأ في دار الأمان الحلّة ونما فيها، وكان معاصراً للملّا قطب الدين محمّد الرازي، وقد بذّ حكماء عصره وفقهاء

دهره بدقّة الطبع وحدّة الفهم، وكان دائباً على إفادة العلوم الدينيّة والمعارف اليقينيّة في الحلّة وبغداد.

ومن مصنّفاته حاشيته على شرح تجريد الإصفهاني وهو مشتمل على أعلى مراتب التدقيق. وفي الحقيقة إنّه صار مادّه التحقيق للحاشية التي كتبها المير شريف بعد ذلك، ولكن المولوي تجاوز بحاشيته مبحث الإمامة وفيها عمد إلى ردّ الموارد التي استشكل بها الشارح المعاند، ولمّا عجز الشارح الفاضل القوشجي عن ردّ أحاديث ذلك الشارح، استفاد في هذا المبحث من أجوبة الإصفهاني في كلّ موضع ذكر فيه أحاديث شارح المقاصد الوضيعة.

ومن مصنّفات ذلك النحرير المدقّق الشريفة شرح طوالع القاضي البيضاوي، وله فيها أحاديث غاية في العلوّ والرفعة، وله حاشية أُخرى تُسمّىٰ «شرح الشمسيّة» واقتصر فيها على الاعتراضات والتدقيقات، وتصدّى سيّد المحقّقين قدّس سرّة الشريف في حاشيته إلى بعضها.

وله حاشية على هوامش الشرح، ورسالة لطيفة تشتمل على عشرين اعتراضاً عمد فيها إلى تعريف الطهارة من كتاب قواعد الأحكام وهي مشهورة ومتداولة.

وقد ذكر سيّد الموحّدين حيدر بن علي الآملي في كتاب «منبع الأنوار» في موقع نقله اعترافات أرباب الاستدلال بعجزهم عن الوصول إلى مرتبة التحقيق، وقال: سمعت هذا مكرّراً من الفاضل نصير الدين أنّه قال: إنّ الذي علمته في عرض ثمانين عاماً أنّ كلّ مصنوع يحتاج إلى صانع، ومع هذا فإنّ يقين عجائز الكوفة أعظم من يقيني؛ فعليكم أن لا تدعو الأعمال الصالحة، وأُوصيكم بسنّة الأئمّة المعصومين عضّوا عليها بالنواجذ فإنّ ما عدى ذلك كلّه هوىً ووساوس، وعاقبته الحسرة والندامة، والتوفيق من الصمد المعبود.

السيّد المحقّق العلّامة عليّ بن محمّد بن عليّ الحسيني الجرجاني الشهير بالشريف

معروف بالفطرة الصحيحة، وسلالته جرجانيّة، وشهد بتشيّعه «السيّد محمّد نوربخش»، والشيخ محمّد بن أبي جمهور. بقي سنين عدداً مظلّلاً بتربية العلّامة الرازي، واستفاد من هذا المحقّق الإماميّون. وذاته الشريفة غنيّة عن التعريف لشهرته بالفضل والكمال.

مصراع

*** به ماهتاب چه حاجت شب تجلّى را ***

*** ليل التجلّي غنيّ عن سنا القمر ***

وجميع أهل الفضل الذين دخلوا إلى وادي التحصيل للكمال عيال على مصنّفاته الشريفة. ومنذ عصره إلى اليوم لا تخلو حلقة غالباً من موائد درسه وفوائد شروح وحواشي ذلك الكاشف للغواشي.

وضع قدمه في جرجان من كتم العدم إلى عالم الوجود سنة أربعين وسبعمائة، وشرّف عالم جرجان بل الكون والمكان بيُمن مقدمه الشريف. ولمّا بلغ سنّ الرشد واستوىٰ، شرع في تحصيل العلوم الدينيّة والمعارف اليقينيّة. وتخرّج بقطب المحقّقين العلّامة الرازي وصار قدوة العلماء الأعلام.

وجاء في روضة الصفا: إنّ الشاه شجاع بن مظفّر سكن سنة تسع وسبعين وسبعمائة في قصر الذهب وقدذم إلى عسكره الأمير سيّد شريف، فأراد أن يجتمع بالملك ويطلعه على أمره بدون توسيط واسطة، وفي هذه الأثناء رأى مولانا سعدالدين الإنسي الصدر يؤمّ مجلس «شاه شجاع»، فأراه نفسه بمظهر أهل العسكر وقال له: رجل غريبٌ رامي، قادم من ولايه مازندران إلى هذا

الداعية وأُريد الرمي بين يدي الشاه، وأرجو من حضرتكم أن تعرّفوه بي عند سنوح الفرصة، وصحب مولانا سعد الدين إلى محلّ إقامة الملك. فقال له مولانا: ابق في موضعك هذا حتّى أستأذن لك.

ولمّا حضي مولانا بشرف ملاقاة الملك وعرض عليه حديث الغريب الرامي، استدعاه حالاً، فدخل الأمير سيّد شريف إلى منازل الملك ولمّا سأله عن دعوىٰ الرمي أخرج له كتاباً من كُمّه مشتملاً على عدد من الاعتراضات على أصحاب التصانيف وسلّمه إلى الشاه، ولمّا قرأ الشاه شجاع الدين الكتاب ألمّ بحاله وقام بواجبات تعظيمه ومراسم تكريمه، وأنعم عليه بمال وعروض كثيرة، وحمله معه إلى شيراز، وأسند إليه منصب التدريس في مدرسته المسمّاة بـ«دار الشفاء» وبقي هناك عشر سنوات مكبّاً على إفادة الفضل والكمال.

ولمّا فتح الأمير گوركان شيراز سنة تسع وسبعين وسبعمائة، حكم عليه بالسفر إلى سمرقند، فأطاع أمره ورحل إلى تلك البلدة إلى أن توفّي الأمير تيمور فابتلي بعذاب صحبة أشرار تلكم الديار.

وحدث بينه وبين مولانا سعدالدين التفتازاني مباحثات، وفي كلّ مرّة يظهر عليه الأمير السيّد شريف بسبب حدّة طبعه وجودة ذهنه، ويغلبه ويتفوّق عليه، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

شعر

خدائی كه بالا و پست آفريد — به بالای هر دست دست آفريد

إنّ ربّاً سبحانه وتعالىٰ — خلق السفل والعلا أشكالا

ويداً تحمل الحمول الثقالا — ثمّ من فوق ذاك أيدٍ طوالا

---

(١) يوسف/٧٦.

ولمّا التحق الأمير تيمور گوركان إلى العالم الباقي استطاع مرّة أُخرى ذلك السيّد المطاع، قدوة أولاد سيّد البشر، ومقتدى العلماء الأزهر أن يتخلّص من إيذاء أهل الفتن والشر، يعبر ماوراء النهر إلى شيراز، وكانت وفاته طبقاً للتاريخ الذي تتضمّنه هذه القطعة الشعريّة:

قطعه

استاد بشر، حيات عالم　　سلطان جهان، شريف ملّت
اندر ششم ربيع ثانى　　در هشتصد و شانزده زهجرت
زين دار فنا بچارشنبه　　فرمود بدار خلد رحلت

(السادس من ربيع الثاني في السنة السادسة عشرة بعد الثمانمائة..).

وتفصيل الحال، ظاهرة الاختلال لقدوة أرباب الكمال أنّ السيّد كان في باطنه إمامياً اثني عشرياً كما صرّح بذلك الشيخ محمّد بن أبي جمهور في المجلس الثالث من رسالة المناظرة مع الفاضل السنّي الهروي، وبمقتضى نصّ تلميذه غوث المتأخّرين السيّد محمّد نوربخش إلى جانب دلائل أُخرى وأمارات كثيرة وإنّه لم يفارق «الفرقة الناجية» الإماميّة، ولكن على الوجه المشهور على ألسنة شافعيّة إقليم فارس إنّ الأمير «تيمور گوركان» كلّف «المير» باختيار أحد المذهبين: «الشافعي أو الحنفي» اللّذَين كانا شائعين في فارس وخراسان وماوراء النهر، أغرى «المير» بالدنيا وملذّاتها فاستمهله أيّاماً، فبلغ الخبر إلى أتباع كلّ من المذهبين فأقبلوا يختلفون إليه سرّاً وأغروه بالذهب الكثير في هذه الأيّام الثلاثة «أيّام المهلة» وأطمعوا المير في اتّباع مذهبهم لترويجه وليكون سبباً في شهرة المذهب بين الناس، ولكن لمّا كان جلّ الأُمراء والمقرّبين من الملك على مذهب أبي حنيفة وهم مضنّة الرغبة والرهبة عند الناس، وبالبرهان القاطع نفسه

الذي استمالوا به الفخر الرازي غلبوا به المير واستمالوه.

ولمّا رأى المير مير الأُمراء والقادة وأهل العسكر إلى مذهب أبي حنيفة وهو قد نشأ بينهم وعاش بين ظهرانيهم، لذلك جنح إلى مذهب أبي حنيفة في الظاهر كما زوّد في السرّ بكثير من الذهب، أضف إلى ذلك إنّه كان مخالفاً لسعدالدين التفتازاني ومناقضاً له، وكان الرجل شافعيّاً من هنا كان هذا سبباً آخر يضاف إلى بقيّة الأسباب، ولذلك عرف بين الناس بأنّه حنفيّ المذهب.

ومن المؤيّدات لكون المير قد ابتلي دائماً ببلاء الجاه والمال وقرب الملك وإقباله عليه ما قاله الشيخ الفاضل حسن بن محمّد بن الحسن الاسترابادي النجفي في تفسير الآية ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[1] من كتاب «تفسير آيات الأحكام»: حكى لي أبو الاسكندر الاسترابادي العالم المتبحّر الذي احترف العمل بالتجارة لبعد همّته واستغنائه عن الخلق إنّه رأى «المير شريف» يوماً في مدينة دمشق وقد صبغت لحية جدّي البيضاء بغبار النيل الذي كان يبيعه، فصارت نيليّة، فلامه على ذلك، فأجابه الإسكندر معرضاً به وقال: إنّ هذا عندي خير من ذلك الغبار الذي يتطاير من أعتاب الملوك وأبوابها لوقوفي عليها طمعاً في صلاتهم وعطاياهم، مقيماً لا أحول ولا أزول، وكلّ كتاب كتبته أضعت عمري فيه والظنّ غالب على أنّي معاتب بل معاقب على ذلك.

وكذلك فعل حبّاً بالجاه والمال ولدفع الشبهة عنه والاتّهام بالرفض والاعتزال التي ابتلي بها هؤلاء السادة كما ابتليت بها الطائفة فإنّه عمد إلى شرح كتاب «المواقف» المنسوب إلى العضد الإيجي الشافعي بطلب من علماء فارس وأعيانها ووافق ذوقها باقتفائه طريق المتن، ومع هذا فقد احتاط لنفسه احتياطاً بسيطاً

(١) النساء/٥.

فأوضح ذلك بالأدلّة والتقارير، وعمد إلى شرح سيف الدين الأبهري غير الممزوج فجاء به ممزوجاً.

وفي مسألة معاناة المير من الاتصال بأهل السنة والامتزاج بهم نجد في خطبة شرح المفتاح بياناً كافياً وبرهاناً وافياً لأنّه اعتبر انتقاله إلى ماوراء النهر من ضمن مصائب الدنيا وابتلاءات الدهر ولم يكتف بهذا بل اقتدى بالسيّد المرتضى علم الهدى في مقام الخطاب لأهل تلك الديار الموالين لصاحب الغار فاقتبس من آية نزلت في الكفّار وحام حولها ما شاء ثمّ شرع بعد ذلك في تقرير جهلهم وعدم جدواهم وبعدهم عن الدين، وأشار إلى المعنى التالي وهو أنّ تلك الجماعة لمّا أقفر قلبها من الإيمان بعليّ ومحبّته التي أوجبها الله بنصّ آية ذوي القربىٰ وغيرها، وانفردوا بعداوته فإنّ إيمانهم باللّه ورسوله لا ينفعهم شيئاً كما دلّت على ذلك الأخبار الصحيحة، وأشار الشيخ شمس الدين التايبادي إلى مضمون هذه الأخبار بالرباعيّة التالية، فقال:

رباعية

گر منظر افلاک شود منزل تو وزکوثر اگر سرشته گردد گل تو
چون مهر علی نباشد اندر دل تو مسکین تو و رنجهای بی‌حاصل تو

لو تعاليت على الأفلاك فاجتزت السماكا
وجرى الكوثر في فيك فأرويت ظماكا
فإذا أفلست من حبّ عليّ في هواكا
فابتعد عن نحلة الإسلام ما أنت هناكا

وبعد تصريح المير بتجهيل أُولئك القوم وتكفيرهم وحرمانهم وهم أهل الضلالة وسوء المصير من حصولهم على الجليل والحقير بدخولهم في حزب

الشيطان، فقال: وربّما يكون هذا القول إشارة منه إلى أنّهم من أحزاب عمر بن الخطّاب الذي روىٰ البخاري المحدّث في بلوغه أعلى درجات الشيطنة هذا الحديث الصحيح عنده حيث قال: «ما سلك عمر فجّاً إلّا سلك الشيطان فجّاً غيره» وحمل الشيعة معناه على مضمون البيت الذي قاله بعض القدماء في شأن عمر:

إن كان إبليس أغوى الناس كلّهم فأنت يا عمر أغويت إبليسا

ومجمل القول أنّ من كان على صلة في تعصّبات أرباب المذاهب واعتراضاتهم على بعضهم البعض في المخاطبات والتأليفات فإنّ ذوقه يحكم أنّ ما قرّره المير في هذه الخطبة الجذّابة من التعريض لا ترشح إلّا من سيّد شيعيّ استرابادي بالنسبة لسنّيّ عاديّ أو خارجيّ مرادي.

وتمام الحديث: إنّ تعصّبات أهل جرجان واستراباد لمذهب الشيعة غنيّ عن البيان وكما سبق بيانه في المجلس الأوّل من هذا الكتاب: إنّ أهل السنة والجماعة، يعدّون أهل استراباد وجرجان من أهل الشيعة ويكفّرونهم نزولاً عند مقتضى تعصّبهم، فإذا اعتبروا «المير سيّد شريف من حزبهم فليس ذلك من مصلحتهم.

السيّد الفاضل الأمير شمس الدين محمّد بن الشريف العلّامة الجرجاني روّح الله روحهما

كان متحلّياً بحلية الفيض السرمدي، ومتزيّناً بزينة الخلق المحمّدي، وقد تحدّث مولانا الخضر الجبلرودي وهو من تلامذته في خطبة شرح كتاب المسترشدين عن صحّة عقيدته وأشار إليها وأشعر بها، ولمّا كان السيّد المير عازفاً عن حبّ الجاه ومنكراً للتهافت على الدنيا فإنّه لم يتردّد عن إظهار مذهب

آبائه وأجداده، وما فتئ ينتصر لمذهب الشيعة ويعينه، وأقلّ ما يمكن الإشارة إليه من رشحات قلمه وفيوضات خاطره في هذا الباب هو ذكر الاعتراض الذي جرى في خطبة الشرح المتوسّط على الكافية وهو مستغن عن الشرح لوضوح عبارته، ولمّا كان في بعض فقرات الخطبة مراعياً للسجع قدّم الصحب على الآل كما يقدّم الحرام على الحال. وكتبوا لحضرة «المير» أنّ تقديم الصحب على الآل كتقديم الحرام على الحلال ومن مصنّفاته شرح الخطبة السالف وشرح الهداية والحكمة، وشرح إرشاد النحو وشرح الفوائد الغياثيّة وحاشية الطوالع، وعرّب الرسالتين الفارسيّتين المعروفتين بالصغرى والكبرىٰ بناءاً على إشارة عليه من والده مع صغر سنّه وسمّاهما «الغرّة» و«الدرّة»، وانتقل إلى جنان عدن في أحد شهور سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، قدّس الله سرّه العزيز.

المولى المحقّق جلال الدين محمّد الدواني
قدّس سرّه السبحاني

ينتهي نسبه الشريف إلى محمّد بن أبي بكر قاتل عثمان والمتربّي بحجر الصدّيق الأكبر أميرالمؤمنين حيدر، ونشأ فيه ونما، وما فتئ ينكر خلافة أبيه ويشنّع على عمر ويظهر فضائحه، وفخره بنسبته إلى الصدّيق رمز دقيق لا يخفى على العارفين بدقائق الأحوال من أهل التحقيق.

وفي بدء أمره نشأ عند والده ملّا سعدالدين الأسعد فطالع بعضاً من المقدّمات، ثمّ هاجر بعد ذلك إلى شيراز واشتغل بتحصيل سائر العلوم الدينيّة والمعارف اليقينيّة عند ملّا محيي الدين الأنصاري وهو من أولاد سعد بن عبادة الصحابي، وأضل تلامذة سيّد المحقّقين قدّس سرّه الشريف. ولمّا كان يعاني من مشكلة الفقر في غربته ولا طاقة له على شراء زيت الاستصباح لسراجه، كان

يحمله الجدّ والاجتهاد على أن يستضيء بمصباح الدهليز الذي يوقد في المسجد العتيق في شيراز فيقف على قدميه يتطاول إلى ضوء المصباح فيطالع عليه، وبلغ به الأمر حين وصل إلى الغاية أن حمل أكابر الزمان غاشية[1] طاعته على مناكبهم، وأقرّ له علماء الأوان بالمملوكيّة، ورنّ صيت فضائله في الأعالي والأداني، وزاد عدده وعدّته، ومع ذلك فقد كان العلّامة وما زال حريصاً على جمع المال على كثرة ما جمع منه لعلمه بأنّه الباعث على ترويج العلم وتزيين الفضل والخيال والكمال، كما قال في بعض أشعاره:

مرا بتجربه روشن شد اين در آخر كار

كه قدر مرد به علم است و قدر علم به مال

ذكروا بأنّ صيت فضائل العلّامة النحرير امتدّ حتّى تجاوز الحدود وتخطّى السدود من أجل ذلك اشتاق إلى زيارته والي العراق وفارس وأذربيجان السلطان يعقوب البايندري التركماني، فطلب أن يحمل إليه من شيراز إلى دار السلطنة تبريز فأكرم غاية الإكرام وأحاطه بالفضل الملوكي والعطاء الخسرواني، ونصبه قاضي القضاة على ولاية فارس، وفوّض ذلك إليه.

وحدث ذات يوم نشوء مباحثة في مجلس الملك المذكور بين مولانا العلّامة والشيخ إسحاق التبريزي وهو من أذكياء فضلاء الزمان وكان العلّامة يردّ عليه بالامتناعات الموجّهة، ولكن الفاضل التبريزي كان أحدّ منه لساناً وأفصح بياناً لذلك وضع قدمه خارج حريم الآداب وراح يكيل له بالشطحات حتّى كاد أن يقضي عليه همّاً وحزناً، وأن يمرّغ كرامته العلميّة بالرغام مِن ثَمّ ندب القاضي ميرحسين اليزدي نفسه وهو من أفاضل تلامذة العلّامة وكان يجلس من المجالس

---

(١) الغاشية: غاشية السرج، وهي غطائه.

على موضع النعال، ولمّا شاهد الحال على هذا المنوال نفذ صبره واستبدّت حميّته فنهض وهو يقول: أنا هذا الحقير الناقص تلميذ هذا العلّامة وأنا أرجوكم أن تحفظوا له وقار العلم وتحوّلوا مباحثه الشيخ أبي إسحاق نحوي فإن ألزمني سلّمنا له جميعاً. فقبل السلطان رجائه.

فهدأ المير حسين القاضي وأخذ يراعي آداب المناظرة وشرع في البحث، وكلّما أراد الشيخ أبو إسحاق اجتياز حريم الأدب أو الفرار من غصن إلى غصن فإنّ القاضي يقطع عليه طريقه ويسدّ المنافذ في وجهه، وحالفه التوفيق فظهر عليه، وظهر رجحان حجّته عند نظرائه، فانطلقت ألسنتهم بمدحه.

وسأل القاضي صفي الدين عيسى التبريزي وهو صدر السلطان يومئذٍ عن محلّ ولادة القاضي مير حسين فأجابه العلّامة الدواني أنّه نشأ وترعرع في يزد وهو نجل واحد من أعيانها، فطلب من السلطان أن يفوّض له قضاء دار العبادة يزد وتوابعها مع تصدّيه للموقوفات وإشرافه عليها وخلع عليه خلعة سنيّة وأنعم عليه بالألطاف الشاهانيّة، ثمّ سيّره إلى دار العبادة يزد.

ومجمل القول: إنّ أهل التحقيق لا يتردّدون في إثبات التشيّع للعلّامة «دواني». ومن جملة المؤيّدات أنّه نقل عن المغفور له الأمير شمس الدين أسد الله الصدر الشوشتري المعاصر للعلّامة أنّه قال: لمّا قضت عليّ الظروف أحياناً أن أُفارق خوزستان وأُقيم في شيراز، كانت هناك عجوز صالحة من أهل سبزوار تعيش في شيراز وكانت دائمة الزيارة لنا ولبيت العلّامة، فحكت لنا ذات يوم فقالت: لمّا كنت من أهل الشيعة ومن قاطني سبزوار وهم معروفون بالتصلّب في تشيّعهم، وكنت وما أزال أُراود بيت العلّامة بالزيارات ونشأت بيني وبينهم علاقة حميمة دار في خَلَدي ذات يوم أن أبحث عن عقيدته إلى أيّ اتّجاه

يذهب ومن أيّ نهر يستقي، لذلك أخذت بترصّد أعماله من طهارة وصلاة وما إلى ذلك إلى أن رأيته ذات يوم وقد حمل ماء وضوئه إلى إحدىٰ حجره وأغلق عليه الباب، فاطّلعت عليه من فروج الكوّة التي تشرف على موضعه فرأيته قد توضّأ ثمّ مسح قدميه كما نفعل نحن أهل الشيعة...

ونقل عن بعض تلامذته قال: شغفت مدّة باكتشاف عقيدة العلّامة فرأيت في أحد الأيّام بقعة صغيرة سوداء على أظفر رجله وبقيت هكذا عليها ثلاثة أيّام، فاستدللت من ذلك على أنّه لا يغسل رجليه بل يمسحهما، فلو أنّه يغسلهما لتلاشت تلك البقعة وذهبت.

ونقل عنه أنّه سُئل ذات يوم: مَن هو إمام الزمان؟ فأجاب: لو سألت الشيعة لقالوا: محمّد بن الحسن ابن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو إمام آخر الزمان، ولو سألت أهل السنة والجماعة فقالوا: هو السلطان يعقوب بن حسن بيك التركماني. ولا يخلو سياق هذا الكلام من الاستخفاف بعقيدة أهل السنة والجماعة وإشعاره التي سوف نذكر بعضها تدلّ على صحّة عقيدته وعلى إيمانه.

وكذلك يدلّ على تشيّعه اعتراضه على سيّد المدقّقين المير صدر الدين الشيرازي حين ظنّ به الالتزام بتفضيل أبي بكر على الإمام أميرالمؤمنين فلامه لوماً شديداً وأنّبه تأنيباً زائداً، وهذا دليل آخر على صحّة اعتقاد الرجل.

بل إنّ آثار التشيّع تقطر من لفظه ومعناه حيث قال: ... والعجب من ولد عليّ كيف يدّعي إطباق أهل السنة على أنّ جميع الفضائل التي لعليّ عليه السلام حاصلة لأبي بكر مع زيادة فإنّ في ذلك إزراءاً بجلالة قدر عليّ عليه السلام كما لا يخفى على ذوي الأفهام..

بل أكثرمن ذلك حيث كتب شرحاً على عقائد العضدي في «جرون»[1] برجاء من أحد أعيان أهل السنة والجماعة، ولمّا كان حكم التقيّة يومئذٍ ساري المفعول، فقد كان ينهج هذا النهج مراعياً معنى المتن وملتمس السائل. وبناءاً على هذا اعتبر أُستاذ البشر المير غياث الدين منصور الشيرازي قدّس الله سرّه تساهله في ذلك التأليف والتقرير الذي هو في الحقيقة فخّ التزوير وتحصيل الدراهم والدنانير.. أجل اعتبره مظنّة التقصير المحض ومظنّة الوقوع في نار السعير وقال في خطبة «المحاكمات» له بشأن ذلك العلّامة النحرير: «وكان في النار يجرون ولا زال مكبّاً على جمع المال وجحد ما ينفعه في المآل مصرّاً في تقرير المحال».

ولا يخفىٰ بأنّ مماشاة الشارحين لكلام المتن يحصل أحياناً بناءاً على التزام رعاية الموافقة لسبب من الأسباب كما فعل ذلك الخواجه نصير الدين محمّد الطوسيﷺ في شرح الإشارات فقد سلك مسلك صاحب المتن مع أنّه في مصنّفاته الأُخرى ردّ كثيراً من أحاديث الحكماء والفلاسفة.

ومؤيّد هذا القول أنّ القاضي مير حسين الذي ذكرنا شطراً من أحواله على سبيل الاستطراد ذكر في رسالة «منشآته» فقال: إنّي لا أرى تركيب الجسم من الهيولى والصورة وأذهب في هذه المسألة مذهب الإشراقيّين. وكان الخواجه نصيرالدين الطوسيﷺ أيضاً على هذا المذهب وإن كان في شرح الإشارات مماشياً للشيخ على أنّه اشترط في أوّل الكتاب على أن يكون الرأي الذي يذهب إليه موافقاً لاعتقاده وصرّح بذلك تصريحاً لا غبار عليه. وفي متن التجريد وهو

---

(١) مدينة هرمز وقاعدتها وتُسمّىٰ جرون ـ بفتح الجيم والراء وآخرها نون ـ زارها ابن بطوطة فقال: هي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مرسىٰ الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين وفارس وخراسان وهذه المدينة سكنى السلطان.. الخ. رحلة ابن بطوطة ج١ ص١٣٠ هذا ما فهمته من لفظ «جرون» ولعلّ لها معنىً آخر لم أهتد له.. والله أعلم.

الحامل لمذهبه الخاصّ سلك طريق الإشراقيّين.

وذكر غوث المتأخّرين السيّد محمّد نور بخش في رسالته «المعراجيّة» أنّ الفلاسفة الطبيعيّين والمتصوّفة لا يملكون ما يقولونه عن أحوال الأنبياء والأولياء كالمعراج وغيره، فلو أنّهم حملتهم رعونة النفس وحبّ الظهور على خوض مسألة لا علم لهم بها فإنّما يكون ذلك رجماً بالغيب ما عدا موئل السيادة معتقد أهل الله أفضل العلماء المتأخّرين، أكمل الحكماء المتبحّرين، الأمير السيّد الشريف الشيرازي موطناً ومدفناً رحمة الله عليه برحمة واسعة فإنّه تكلّم على سبيل الرواية عن الفقهاء والعلماء، ولعلّ ذلك تمّ بطلب أحد الأثيرين عليه ولم يكن باندفاع من نفسه، فلم يخض في ذلك الباب إلّا على هذه الرواية، ولو أنّه فعل ذلك من نفسه فإنّه يعدّ رجماً بالغيب، بينما إخلاصه ويقينه وحقّانيّته وإنصافه وديانته لا تقتضيه أن يتكلّم بغير علم في أمر، مِن ثَمّ اكتفى بالرواية فحسب، انتهى.

ويؤيّد هذا التوجيه المذكور أيضاً إنّه إن كان مثل الملّا حسين الكاشفي وهو من أهل سبزوار وأقام ألف دليل على صحّة عقيدته، كتب تفسير كتاب الله طبقاً لمباني أهل السنة والجماعة من المفسّرين بأمر من مير على شير.. ومن أجل ذلك الناصبي انتهج التقيّة بشكل بارد، وغرضه من ذلك التقرّب إليه والاتصال به. فكان صدور التقيّة من رجل بمنزلة العلّامة الدواني وأمثاله من الفطاحل بطريق أولىٰ.

وكذلك قصد العلّامة مدينة السلام بغداد لمحض زيارة عتبة حارس الملائك أميرالمؤمنين عليه السلام والعتبات الرفيعات لسائر الأئمّة الطاهرين المعصومين عليهم أفضل صلوات المصلّين، واختصاصه في النجف الأشرف بالشيخ شرف الدين الفتّال خادم الروضة العليّة المرتضويّة وهو من أفاضل الشيعة الإماميّة،

واستجابته لأمر هذا الفاضل وتأليفه «حاشية الزوراء» وتدريسه الحكمة الإشراقيّة بطلب منه مؤيّد آخر من جملة المؤيّدات لتشيّعه.

ومن أشعار العلّامة حاملة شعار الحقيقة في مدح ذلك المليك السامي هذه الرباعيّات الثلاث:

رباعيّة

رو رخت طلب بساقی کوثر کش　　وز کوثر کثرت می وحدت درکش
لا یظمأ أصلاً أبداً شاربها　　رمزی است درین می ارتوانی درکش
كما تستقبل الكعبة　　تدعو الله في الفرض
فكن مستقبلاً بالوجه　　ساقي الكوثر المحض
هو الوحدة في الكوثر　　للرفع أو الخفض
إذا تسقىٰ فلن تظمأ　　يوم الحشر والعرض
هي الرمز لهم كالقلب　　إذ يعرف بالنبض

* * *

در ملکت حقیقت است آن شاه مدار　　دست از طلب دامن آن شاه مدار
او باب مدینهٔ علوم است در آی　　زان در که رسی زود به مسندگه بار
هو المُلك حقّاً ذلك الملك الذي　　نجى فيه مولىً ليس يترك حجزته
وباب علوم الوحي إن شئت أن ترىٰ　　رسول الهدىٰ فالجأ لباب مدينته

* * *

خورشید کمال است نبی، ماه ولی　　اسلام محمّد است و ایمانست علی
گر بینه‌ای در این سخن می‌طلبی　　بنگر که زبیّنات اسما است جلی
شمس الهدى المصطفى والمرتضى قمر　　كلاهما الدين اسلام وإيمان

إن شئت بيّنه ترجىٰ فدونكها　　في بيّنات لأسماء لها شان

وقال الناظم العلّامة في شرح الرباعيّة الثالثة بعد توضيح معنى البيّنات وتحقيقه: إنّ الإيمان قياساً إلى الإسلام بمثابة الباطن فكذلك الولاية هي باطن النبوّة، وهذه شذرة من فوائح أنوار الأسرار المختفية في حقيقة هذين الاسمين ـ النبوّة والولاية ـ والعالم الفطن ذي الدقّة المتناهية الذي يفقه أساليب الرمز والإيماء من طيور روض القدس طالما استخرج من خبايا هذه الزوايا، حكماً ولطائف ولكن هذه المرتبة في الرفعة بحيث لا يتيسّر بلوغها لكلّ خابط وراء الخيال.

بسر قصّهٔ سيمرغ وقصهٔ هدهد
كسى رسد كه شناساى منطق الطير است
تو چه دانى زبان مرغان را
كه نديدى دمى سليمان را

حكاية «سيمرغ»[1] تحدث هدهداً　　فخذ فهمها من عارفٍ منطق الطير
فكيف تدانى منطق الطير عارفاً　　ولم تر ممّن حاطها غرّة الخير

كانت مدّة العلّامة على الوجه الذي ذكره «حبيب السير» نيفت على السبعين ونعلم من «خطبة المحاكمات» لأُستاذ البشر المير غياث الدين المنصور أنّها تخطّت الثمانين، وكانت وفاته يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وتسعمائة في عسكر السلطان أبي الفتح بايندر، ولمّا كان ذلك الموضع قريباً من دوان فقد حملت جنازته إلى هناك ودفن فيها، ولمّا خفيت مصنّفات العلّاة وتفاصيل حياته على أكثر الناس من أهل زمانه ولم يظهر له أثر في دواوين

(١) لم أجد لها معادلاً في العربيّة.

أرباب السير رأيت من المناسب ذكرها وإن لم تكن متّسقة مع ما نحن فيه:

الأُولى: رسالة قديمة في إثبات الواجب تعالىٰ وقد كتبها في مبتدأ أمره وذلك في سنة سبع وتسعين بعد الثمانمائة باسم أحد السلاطين.

الثانية: رسالة جديدة كتبها في آخر عمره في إثبات الواجب وتمّ تحريرها في «خطّة لار»[١].

والثالثة: حاشية قديمة على شرح التجريد الجديد الذي كتبه في «واسط» باسم السلطان خليل البايندري، وبلغ به إلى أثناء مباحث الأجسام الفلكيّة.

والرابعة: حاشية جديدة على الشرح نفسه الذي بدأ تأليفه في أحد شهور سنة ستّ وتسعين وثمانمائة وكان في أثناء الدرس والإفادة يحوم حولها وبلغ بها إلى مبحث الماهيّة.

الخامسة: حاشية الوجود[٢] وقد بلغ بها إلى مبحث الوجود الذهني، وقد حظيت بمطالعتها، وكتبها في سنة سبع وتسعين وثمانمائة..

السادسة: في شرح الهياكل وقد نسب سبب تأليفها مرّة إلى أحد ملوك الهند الذي اشتهر بلقب «ملك التجّار» ومرّة أُخرى افتتحها باسم ملك من ملوك ايران.

السابعة: حاشية تهذيب المنطق وبلغ بها إلى آخر مبحث الموجهات.

الثامنة: حاشية قديمة على شرح المطالع والحواشي الشريفة «الشريفيّة» التي بلغ بها قريباً من مبحث الموضوع[٣].

---

(١) مدينة في ايران، ذكرها ابن بطوطة وأثنى عليها وعلى أهلها في رحلته ج ١ ص ١٣٢. مرقّم آلي.

(٢) في الأصل: حاشية أجد ولا معنى لها فرأيت أن أستبدل لفظ الوجود بها لأنّها تحوم حول ذلك.

(٣) ذكر الشيخ اغا بزرك في الذريعة عدداً من الحواشي بهذا الاسم وقال عن حاشية الدواني: وتوجد من حاشية الدواني على الشريفيّة نسخة في النجف عند السيّد آقا التستري. الذريعة ج٦ ص٧٧.

التاسعة: الحاشية الجديدة على ذلك الشرح وحواشيه التي كتبها قبل الحاشية الجديدة لشرح التجريد وبلغ بها آخر مبحث الموضوع.

العاشرة: حاشية أُخرىٰ على أوائل الشرح العضدي علىٰ مختصر أُصول ابن الحاجب والحواشي الشريفة «الشريفيّة» وفيها تعرّض لدفع اعتراضات الفاضل المدقّق ملّا علي عران الطوسي من سيّد المحقّقين قدّس سرّه الشريف.

الحادية عشرة: حاشية على أوائل كتاب المحاكمات.

الثانية عشرة: حاشية حكمة العين ولكن هذا المسكين لم يمتّع ناظره برؤيتها.

الثالثة عشرة: رسالة «أُنموذج العلوم» اشتمل على تحقيق بعض المسائل من عشرة علوم[1] من المطالب الأصليّة والفرعيّة ألّفها للسلطان محمود «كجراتي» وأرسلها إلى السلطان بيد المير شمس الدين محمّد بن السيّد جعفر بن السيّد العالم العامل الفاضل الأمير شمس الدين محمّد بن سيّد المحقّقين قدّس سرّه الشريف وهو من أفاضل تلامذته، فبعث إليه السلطان بألف درهم مكافئة له على ذلك ولكن هذه الجائزة غرقت في البحر ولم يصل إليه من قبل الملك ما يعتدّ به ولكن العلّامة كتب رسالة أُخرى في تحقيق العدالة باسم السلطان وبعثها إليه، وفي ديباجة الكتاب أشار إشارة طريفة لغرق تلك الدراهم الألف، فأرسل إليه السلطان مرّة أُخرى ألف درهم مكافئةً مع هدايا وتحف، وفي رسالة أُنموذج العلوم كان لأصل حدوث العالم وهو أصل أصيل من العلوم الدينيّة والمعارف اليقينيّة وضوح تام.

الرابعة عشرة: رسالة الزوراء ويعني بها دجلة، وقد كتبها في النجف شكراً لما

---

(١) ذكر هذه المسائل في الذريعة: ١ ـ الحديث وأُصوله، ٢ ـ الفقه، ٣ ـ بعض الخلافيّات، ٤ ـ الطب، ٥ ـ الكلام، ٦ ـ التفسير، ٧ ـ الهندسة، ٨ ـ الهيئة، ٩ ـ المنطق، ١٠ ـ الأثماطيقى / ج٢ ص٤٠٦.

شاهد في المنام من مراحم أميرالمؤمنين عليه السلام فحرّرها نظماً ونثراً وجمع فيها بين الحكمة البحثيّة والذوقيّة.

الخامسة عشرة: حاشية الزوراء وهذه أيضاً كتبها في مشهد الإمام المقدّس بالتماس الشيخ شرف الدين حسن الفتّال وقد ذكرت سلفاً.

السادسة عشرة: حاشية صغيرة كتبها دفعاً لطعن ملّا قطب الدين المحيوي الأنصاري على عبارة وردت فى خطبة الزوراء.

السابعة عشرة: رسالة في تعريف علم الكلام المذكور في كتاب المواقف وهذه الرسالة وضعها باسم المير محبّ الله وهو ابن أخ الأمير نعمة الله الماضي وأرسلها إليه في الهند وفيها تصدّى لدفع اعتراضات ملّا علي عران الطوسي، ومن شرّاح هذا الكتاب سيّد المحقّقين قدّس سرّه الشريف.

الثامنة عشرة: حاشية على أوائل شرح الچغميني قاضي زاده الرومي، وظاهر هذه الحاشية أنّها هوامش على كتاب لم يتمّ ترتيبه وقد نقل أكثره غياث الدين منصور الشيرازي في حاشيته على أوائل شرح الشمسيّة والحواشي الشريفة على «الشريفيّة» ودفعه.

التاسعة عشرة: رسالة في خلق الأعمال التي كتبها بالتماس واحد من الطلبة في كاشان وحاشية أُخرى على أوائل شرح الشمسيّة، والحواشي الشريفة الشريفيّة وقد بلغ بها إلى مبحث تقسيم العلم للبديهي والنظري، وأُخرى في شرح خطبة الطوالع.

العشرون: في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾[1] وكتبها باسم الملّا شمس الدين محمّد البدخشي،

---

(١) الأعراف/٣١.

صدر السلطان بايسنغر بن السلطان شاهرخ، ثمّ تفسير سورة «قل يا أيّها الكافرون»، ثمّ تفسير سورة الإخلاص، كتبها باسم السلطان أبي الفتح البايندري.

الواحد والعشرون: شرح عقائد العضدي التي كتبها في جزيرة «جرون» يعني «هرمز»[١] بالتماس أحد المعاندين أصحاب الجاه.

الثانية والعشرون: رسالة في حلّ المغلطة المشهورة بـ«الجذر الأصم»، وحاشية الأنوار على فقه الشافعي، ورسالة في شرح الأربعين حديث للنووي، وشرح الرسالة النصيريّة في تحقيق نفس الأمر، والرسالة القلميّة التي كتبها باسم أحد السلاطين وفيها استعمل كثيراً من الأساليب البلاغيّة وأنواع التشبيهات البليغة. وهذا ما كان من شأن كتب العلّامة ورسائله باللغة العربيّة.

وأمّا الفارسيّات منها فأحدها كتاب «الأخلاق» الذي كتبه باسم السلطان خليل البايندري وأبيه حسن بيك، والرسالة التاليه هي التهليليّة في شرح كلمة التوحيد التي كتبها باسم السلطان مارّ الذكر، ثمّ الرساله التاليه التي كتبها في استعراض عسكر السلطان المومئ إليه حوالي «بند امير» من شيراز[٢] وفيها راعىٰ حسن العبارة بشكل جذّاب، ومنها رسالة في العدالة التي كتبها باسم جماعة من سلاطين العراق وبعثها إلى الأمير شمس الدين محمّد الذي جرىٰ له ذكر فيما مضى، ومنها رسالة في تحقيق معنى خبر وأخبار التي كتبها باسم مير ميران الماضي الإصفهاني واطلعت على جزء من هذه الرسالة وأتممت قرائتها. ورسالة تاليه في خواصّ الحروف التي كتبها باسم السلطان غياث الدين غياث

---

(١) مراسم هذه الجزيرة فيما تقدّم من الكتاب وتكلّمنا عن معناها.

(٢) ذكر بند امير السيّد الأمين في أعيان الشيعة فقال: ومن منشئآته ـ عضد الدولة ـ السدّ الذي بناه على فم ماء كربار المعروف بسدّ بند أمير في ايالة فارس سنة ٣٦٥ وأقامه من الحجر والساروج ج٨ ص٤٢٣.

شاه المندري وأرسلها إليه بيد السيّد جمال الدين نصر الله ابن السيّد شاهمير السلامي الكازروني وهو من أولاد السيّد شمس الدين العريضي اليزدي، ثمّ رسالة تالية في شرح غزل حافظ الشيرازي وهذا مطلعه:

در همه دير مغان نيست چو من شيدائى

خرقه جائى گرو باده و دفتر جائى

ورسالة تاليه في شرح هذا البيت للخواجه:

پير ماگفت خطا بر قلم صُنع نرفت   آفرين بر نظر پاک خطا پوشش باد

ورسالة تاليه في شرح بيت من أبيات الشيخ الجيتري، ثمّ شرح على رباعيّاته من أشعاره وشعارها الحقائق، وكتبها باسم قيصر الروم. ورسالة أُخرى في «ديوان المظالم» التي كتبها في خطّة لار باسم واليها. ورسالة أخيرة مسمّاة بـ«صيحه و صدا».

وهذا مجموع ما وصل إلى نظر هذا المستهام من مئآثر قلم العلّامة أو إنّه سمعها من تلامذته الذين تنتهي تلمذتهم إليه بواسطة واحدة وهم أساتذة المؤلّف، وله ما عدا ذلك خطب أنيقة ومنشئآت رشيقة وأشعار، وأذكر من أشعاره ما حضرني الآن:

غزل

روى بنما كه جهان ظلمت انكار گرفت

صيقلى زن كه مرا آينه زنگار گرفت

توئى آن شاه كه از كشور حسنت خيلى

ملک جان و دل و دين جمله بيكبار گرفت

آفتاب ازل از مشرق رويت چو دميد
همه ذرّات جهان لمعهٔ انوار گرفت
صدق دعوى تو از نور جبينت پيداست
منكر از كور دلى شيوهٔ انكار گرفت
چون دوانى نخورد درد غم از كاسهٔ چرخ
هركه جامى زكف ساقى ابرار گرفت

تقريب المعنى بالعربيّة:

تفكّر إلى وجه الزمان فإنّه ... بإنكاره تظلّم منه الفدافد
ومرآتنا تحتاج للصقل فاجتهد ... ليصقلها منك المغيث المجاهد
وأنت مليك أودعت في دياره ... نفوس وأكباد ودين مساند
ومذ أشرقت من أُفق وجهك شمسه ... بدى منه نور في البريّة شاهد
وقد بان صدق القول منك بمشرق ... به آمن الجاني وصدّق جاحد
وصان الدواني ربّه من بليلة ... وذلك من كأس بكفّك وارد

وله أيضاً:

عارفان قدّ تو را مقصد اعلى خوانند
طاق ابروى تو را مسجد اقصى خوانند
تيز بينان جهان خاک سر كوى تو را
توتياى نظر مردم بينا خوانند
قامت دلكش و رخسار دل افروز تو را
اهل عرفان شجر و آتش موسى خوانند

سخن از قدّ تو گفتم چو دوانی زانرو
سخنانم همه در عالم بالا خوانند

وله أيضاً:

بنور خاطر خود مى‌رويم در ره عشق
چراغ خاطر دون همّتان چه نور دهد
اگرچه فيض خدا شامل است يكسان نيست
نه هر جبل كه تو بينى صد چو طور دهد

تقريب المعنى بالعربيّة:

وقدّك ممشوقاً هو المقصد الأعلىٰ لعارفه فاخطر لتنعش من يهوىٰ
وحاجبُك المعقود طاق فهل ترىٰ تجلّى على عينيك مسجدنا الأقصى
يرى الترب في ناديك من هو مبصر وما هو إلّا الكحل للأعين الوسنىٰ
فقامتك الهيفاء والخدّ مشرق هي النار إذ لاحت وآنسها موسىٰ
ولمّا جرىٰ قول الدواني بذكركم تصوّره الدنيا هو المنطق الأعلى

سيّد الحكماء المدقّقين أمير صدر الدين محمّد الشيرازي
أسكنه الله في صدر الجنان

كنيته العالية أبو المعالي، لقبه الشريف الذي جاء على لسان أرباب الفضل والكمال «صدر العلماء» و«صدر الحقيقة»، وكما ذكرنا سابقاً في أحوال السيّد الجليل المحدث والأمير أصيل الدين وهو من بني عمومته أنّ آبائهم وأجدادهم الأمجاد حتّى الأئمّة المعصومين عليهم السلام كلّهم حافظوا الأحاديث وحاملوا العلوم الشرعيّة.

وكان أحد آبائه قد أبدىٰ رغبة في دراسة كتب أحاديث أهل السنة والجماعة على وجه التقيّة ولكنّه رأىٰ رؤياً أثبتت بطلان هذه الكتب، ففتر بذلك عزمه وكان أوّل واحد منهم عزف عن مطالعة كتب الحديث ومال إلى تدبّر العلوم الحكميّة الرسميّة وبلغ بذلك مرتبة أعاظم العلماء في هذا الحقل، وقد استفاد سيادة المير كثيراً من الشرعيّات من أبيه المير غياث الدين المنصور وابن عمّه المير نظام الدين أحمد، وقرأ العلوم العربيّة والفنون الأدبيّة على ابن عمّه المير حبيب الله الذي كان وحيد زمانه في هذا المجال، واقتبس سائر الأدبيّات والعقليّات من الحكمة، والكلام من السيّد الفاضل مسلم الفارسي وجماعة آخرين الذين تنتهي سلسلة تتلمذهم إلى رئيس الحكماء أبي علي بن سينا تنتظم بمثل ملّا قطب الدين العلّامة الشيرازي وسلطان المحقّقين الخواجه نصير الدين محمّد الطوسي، وتنتهي سلسلة آخرين منهم بجماعة من علماء الكلام مثل حجّة الإسلام الغزالي وفخر الدين الرازي والشيخ العلّامة جمال الدين حسن بن المطهّر الحلّي.

وكانت لسيادة المير مباحثات ومناظرات مع مولانا قوام الدين الكربالي وهو من أعاظم تلامذة سيّد المحقّقين قدّس الله سرّه الشريف، وفي كثير من المسائل كان يرد فيها أقوال أُستاذه.

ومن مآثر اقتداره النفسيّة ومكارم شعاره القدسيّة إنّه جمع بين الإفادة والعمارة والزراعة ونظم نواظم المبادي الدنيويّة والأُخرويّة وكثرة التصوّف[١] وهو صاحب حدس صائب وفهم ثاقب، ولم يغلب لأحد من مناظريه قطّ فقد

(١) في الأصل «كثرة التصرّف» ولكنّي ما وجدت لها معنى فكتبتها التصوّف وعسى أن يكون لفظ المؤلّف «التصرّف» أولى بالسياق والله أعلم.

كان ظاهراً عليهم دائماً وإن كان العلّامة في بحوثه المدرسيّة لا يجد نفسه قريعاً للمير ولكنّه في أكثر تصانيفه يعمد إلى دفع أقواله، وطالما طال البحث بينهما واتّسع الحديث كما يظهر ذلك من حواشي التجريد وحواشي المطالع.

ذكر غوث الحكماء المير غياث الدين المنصور في شرحه الذي كتبه على رسالة «إثبات الوجوب» لذلك الصدر ذي القدر أنّ مولده الشريف صباح الثلاثاء ثاني شعبان سنة ثمان وعشرين وثمان مائة. وفي صباح يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعمائة استشهد على يد الفسقة الفجرة الكفرة الظلمة أعوان معاوية ويزيد يعني قبيلة «التركمان البايندريّة» ساكني دياربكر يومئذٍ، وتحلّى صدر الجنان بوجوده.

ومن جملة مئآثره «المدرسة الرفيعة المنصوريّة» في شيراز، وحاشيته القديمة والجديدة على شرح التجريد الجديد، وقد بلغ بهما كليهما إلى مبحث الأعراض وحاشية أُخرى قديمة وجديدة على شرح «المطالع» والحواشي «الشريفة الشريفيّة»، ولحاشيتيه القديمة والجديدة على التجريد وشرح المطالع متقدّمتان على الحواشي القديمة للعلّامة الدواني. وله حاشية على شرح الشمسيّة وحواشي «الشريفة الشريفيّة» وفيها تصدّى لدفع اعتراضات الملّا علي عران من حواشي سيّد المحقّقين قدّس سرّه الشريف، وله حاشية على الكشّاف وحواشيه.. وله رسالة في مبحث الفيّاض شرح المطالع، وله رسالة في حلّ «مغلطة الجذر الأصمّ»، وله رسالة في علم الفلاحة، وله رسالة فارسيّة في معرفة الجواهر وخواصّها وقيمتها، وله رسالة فارسيّة في بيان الكيفيّة والحدوث لقوس قزح الذي يقال له بالفارسيّة «كمان رستم»، وله تعليقات على تيسير فقه الشافعيّ. ولا يؤثر عن سيادة المير شعر، والظاهر إنّه يرى الوقت أثمن من أن يضيع على قرض الشعر..

خاتم الحكماء وغوث العلماء الأمير غياث الدين منصور الشيرازي ﵀

لو كان أرسطو وأفلاطون بل حكماء الدهر والقرون في زمان قبلة أهل الإيمان لتباهوا بذلك وفخروا وانخرطوا في سلك من يستفيد منه وملازميه ذوي القدر العالي. أصات بفضله «الجذر الأصم»[١] ولم ير الفلك على كثرة أنظاره منظوريه نظيراً له.

ولادته الشريفة في السنة التي كان يأخذ الأمير صدر الدين محمّد تحصيل العلوم الدينيّة والمعارف اليقينيّة، وفي سنّ العشرين فرغ من ضبط العلوم ووجد من نفسه وهو في الرابعة عشرة العزم على مناظره العلّامة الدواني، وكان يعدّ العدّة لذلك، وأسندت إليه مدّة من الزمان المنصب العالي صدارة الملك المغفور له، وكان جاداً في عمله بعزم وكفائة، وهو غاية في العظمة والاستقلال.

ثمّ إنّ حضرة «مجتهد الزماني» الشيخ عليّ بن عبدالعالي روّح الله روحه غادر

---

(١) الجذر الأصم: الجذر من مسائل علم الحساب المهمّة فإنّهم يسمّون العدد الذي يضرب في نفسه مرّة واحدة جذراً تربيعيّاً أو مرّتين فتكعيباً، وحاصل الضرب مجذوراً، فإن كان العدد المضروب في نفسه عدداً صحيحاً كما في ضرب الثلاثة في نفسها مرّة حيث يحصل تسعة ومرّتين حيث يحصل سبعة وعشرين فيُسمّى عندهم ذلك العدد جذراً منطقيّاً، وإن لم يكن العدد المضروب في نفسه عدداً صحيحاً كالعدد الذي إذا ضرب في نفسه حصل عشرة فيسمّى ذلك العدد بالجذر الأصم. وقد يطلق الجذر الأصم بعلاقة المشابهة في تعسّر حلّه على المغالطة المشهورة المنسوبة إلى ابن كمّونة وهي في قول من يقول: (كلّ كلامي في هذا اليوم كذب) لأنّه لا يقول في تمام اليوم غير هذا الكلام وذلك لأنّه يشمل عمومه شخص كلامه هذا فيكون قوله (كلّ كلامي كذب) أيضاً كذباً وغير مطابق للواقع، ويلزم من كون هذا الكلام بشخصه كذباً ويلزم من إثبات الحكم نفيه ومن وجود الشيء عدمه، وكلّها أقوال باطلة. والجواب عن هذا الإشكال صار معركة الآراء بين العلماء وألّفوا في تحقيقه رسائل مثل «حسرة الفضلاء» للخضري، وحلّ مغالطة الجذر الأصم للمولى الدواني الخ. حاشية الذريعة.

عراق العرب واتّجه صوب سرير الخلافة في مصر، وكان تتردّد في مجلسه أقوال ترمي «المير» بالتحلّل من أحكام الشرع وعدم التقيّد بها بحيث عكّرت صفو خاطر الشيخ عليه وتدخّل في المسألة بعض المفسدين الذين غرضهم الإفساد لا الإصلاح، فاستحكمت عندئذٍ النفرة بين الرجلين إلى أن حدث ذات يوم في مجلس الملك السعيد مباحثة علميّة جرّت إلى المشادّة العنيفة والخشونة والشدّة، فوقف الشاه بجانب مجتهد الزماني وأدّى ذلك إلى إيذاء «حضرة المير» واعتبر ذلك ظلماً له وتطاولاً عليه، فلذلك استعفىٰ من منصبه فأعفاه وخرج مغاضباً إلى شيراز، واخترمه الأجل في سنة ثمان وأربعين وتسعمائة.

ومن مصنّفاته التي أمكن هذا الفقير مطالعتها ونذكرها في هذا المقام هي: «حجّة الكلام» قسم مبحث المعاد رأيته وفيه تصدّى لردّ أقاويل حجّة الإسلام الغزالي، وشنّع عليه كثيراً، ويبلغ هذا المبحث إلى حوالي الثلاثة آلاف بيت، ومن هنا يعلم أنّه كتاب بسطه وتوسّع فيه.

وله كتاب المحاكمات بين نحريرين عالمين يعني والده المير صدر الدين محمّد وملّا جلال الدين محمّد الدواني في حواشيه على شرح التجريد.

وله المحاكمات بين نحريرين علمين في حواشيه على المطالع.

وله المحاكمات بينهما في حواشي «شرح العضدي».

وله كتاب الشرح على كتاب هياكل الأنوار.

وله شرح على إثبات الواجب لوالده.

وله كتاب «تعديل الميزان» على المنطق وهو تلخيص لمنطق كتاب الشفاء مع سوانح عرضت لطبعه النقّاد.

وله كتاب معيار الأفكار وهو تلخيص لكتابه: تعديل الميزان.

وله كتاب آخر اسمه «اللوامع والمعارج» في الهيئة، مبارياً به كتاب «تحفه شاهى» ويظهر من خطبة الكتاب المذكور أنّه كتبه وهو في الثامنة عشرة.

وله كتاب ألّفه في التجريد يتضمّن الحكمة مسائلها الطبيعيّة والإلهيّة بعبارة موجزة بليغة، وجرّده عن أثقاله بالدلائل.

وله رسالة في معرفة القبلة.

وله كتاب «معالم الشفاء» في الطبّ، ومختصر المسمّى بالشافية، وقرأته في مبادي تحصيلي لعلم الطبّ على الحكيم الفاضل الحاذق مولانا عماد الدين محمود الشيرازي.

وله كتاب «السفير» في الهيئة.

وله حاشية على شرح الإشارات، وحاشية على شرح العين.

وله رسالة في باب خلافة الولد الأرشد لمير صدر الدين محمّد.

وله خلاصة التلخيص وهو اختصار لكتاب المعاني والبيان.

وله الردّ على حاشية الشمسيّة للعلّامة الدواني.

وله ردّ على حاشية التهذيب المشار إليه، وردّ على أُنموذج العلوم المشار إليه أيضاً. وردّ على رسالة الزوراء المشار إليها.

ورسالة في تحقيق الجهات.

ورسالة المشارق في إثبات الواجب.

وله كتاب «أخلاق المنصوري».

وحاشية على أوائل الكشّاف.

وتفسير سورة الإنسان.

وكتاب مقالات العارفين.

وكتاب في التصوّف والأخلاق الذي كتبه لولده الأثير عليه المير شرف الدين.

وله رسالة قوانين السلطنة.

هذا ما وصل إليّ أنا الفقير ومتّعت به ناظريّ، وله تصانيف أُخرى لم تصل إليها يدي وذكرت أسمائها في كتبه على وجه التقريب، وأخبر بعض الفضلاء المعاصرين عنها مثل كتاب «رياض الرضوان» وكتاب «الأساس» في علم الهندسة وغيرهما، وكان غرضنا من عرض تفاصيل تصانيفه وإظهارنا التشرّف برؤيتها ومطالعتها الردّ على كلام جماعة من أفاضل العصر مثل ملّا أبوالحسن الكاشي والملّا ميرزا جان الشيرازي أنّ مصنّفات الميرزا ليست متداولة لنفاستها، ومن حصل على شيء منها ضنّ به على غيره ولذلك كان أكثر كلامهم الجميل يعدّ سطواً على كلام الميرزا.

وأمّا ما يذكرونه من كتبه لما كنت تبصر إلّا اسم الكتاب وحده وإنّما يذكرونه لنسبة الخطأ إليه، وبعض كتبه التي يذكرونها في مؤلّفاتهم لا تجد لها وجوداً خارجيّاً، ولو وقع كتاب منها بيد طالب علم وعثر على سرقاتهم سارعوا إلى ادّعاء التوارد أي إنّ ذلك حدث بينهما بطريق التوارد.

سمع من الأُستاذ المحقّق النحرير روّح الله روحه أنّه قال: إنّ الملّا محسن ذكر أدلّة ستّة ضمن أدلّته في رسالة إثبات الواجب وعدّها واحدة من خواصّ أفكاره ولكنّه انتحلها من شرح الهياكل لحضرة المير، وفي الأيّام التي تصدّيت بها لردّه بطلب من إخوان أعزّاء أظهرت في الردّ مواطن سرقته وانتحاله فأعرض عمّا كتب وشرع في كتابة ردّ جديد ولكنّه لم يخل من السرقة أيضاً.

ومن مآثر مهارة المير في الأدعية والطلسمات قتل حاكم بغداد «ذي الفقار» الذي بغىٰ على السلطان عصمة الدين والإيمان وتفصيل ذلك مشهور على

ألسنة الجمهور. وفي قانون السلطنة السالف ذكر للقضيّة إجمال مفيد.

وكان لسيادة المير خلفان كريمان: الخلف الأوّل هو المير شرف الدين علي وهو الأكبر والأورع والأتقى، والآخر مير صدر الدين محمّد وهو الأصغر لكنّه الأذكى والأفهم والأفضل، مِن ثَمّ كانت عناية المير به والتفاته نحوه أكثر.

رحل المير شرف الدين علي إلى المعسكر بسبب تقواه وصلاحه فقد حدب عليه الملك بصورة متميّزة وجعله من مقرّبيه، ومن أركان مجلسه المقارن للجناب، وعارضه ذات يوم أحد روّاد مجلسه وسأل المير عن ارتقاء المير شرف الدين علي وعناية الملك به؟ فأجابه المير: إنّه حمار فوق ما يتصوّر وسوف يرتقي إلى أكثر من هذا.

شعر

هر كجا بى‌هنرى هست بدو مى‌بخشند بيشتر زآنچه از ايّام تمنّا دارد

وممّا يؤثر عن المير من النكات الطريفة أنّ المير شرف الدين علي مارّ الذكر حضر عند المير أبيه وذكر أخاه المير صدر الدين محمّد بسوء واغتابه قائلاً بأنّه أحضر دنّ شراب عند قبر جدّه وأخذ يعب منه، فأجابه بعد أن ظنّ أنّ قوله هذا صادر عن الحسد والضغينة التي يحملها لأخيه: وما يمنعك أن تشرب أنت كذلك. ثمّ اختلىٰ بالمير صدر الدين محمّد وقال له على وجه النصح: يا ولدي، الناس يضعون على قبور آبائهم المصاحف وأنت تضع دنان الخمر..

ومن لطائفه أيضاً ما كتبه إلى قيصر ملك الروم جواباً على بعض مسائله، وتفصيل الحكاية على النحو التالي: إنّ قيصر الروم كتب إلى الملك المغفور له معترضاً عليه وقال: ما بالكم تلعنون الخلفاء الثلاثة وتذمّونهم؟ ولماذا يسجد الناس لكم والحال أنّ السجود غير جائز لغير الله؟

ولمّا طلب صاحب الجلالة الملك من المير أن يرد عليه بجواب مختصر مليح شاعري، أجابه عن المسألة الأُولى أنّ الخلفاء الثلاثة ما هم إلّا خدمة لجدّنا فما الذي أدخلك أنت في هذا الموضوع ولماذا تتطفّل على موائدنا.

وأجاب عن المسألة الثانية أنّ الناس لا يسجدون لنا ولكنّهم يسجدون للّه شكراً عند لقاءنا، ويقولون: نشكر الله تعالى على أن وهب لنا مليكاً شيعيّاً ينعم على الشيعة ويمنع السنّة من العدوان عليهم وجعله ظهيراً للدين.

توفّي المير سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وأُلحد في جوار والده العظيم وأخلد إلى السكينة الأبديّة..

المولى الحكيم الإلهي شمس الدين محمّد الخفري رحمه الله

من عظماء تلامذة صدر الحكماء المير صدر الدين محمّد الشيرازي، وكان غاية في الذكاء وعلوّ الهمّة، الذي جمع أقسام الحكمة البحثيّة والذوقيّة مع روح أفلاطون وأرسطو. وخطاب ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] مآثر فكره القويم تأييد للأحكام النقليّة، ونتائج عقله المستقيم تشييد لقاعدة الحسن والقبح، وغراس فطرته السليمة ربّيت بشمس وداد أهل بيت النبوّة ولألاء محبّتهم، وروض العقيدة الصحيحة تروّىٰ من كوثر إرادة ولايتهم وسلسبيل إخلاصها.

نقل الرواة أنّه في زمن السلطان الشاه إسماعيل أنار الله برهانه أمر المشايخ والمحتسبين في كلّ بلد أن يعلّموا الناس الأحكام الشرعيّة على طريقة مذهب الإماميّه، وأن يأمروا كلّ من عرفوه من المخالفين بلعن الصحابة الثلاثة والبرائة منهم لأنّهم غصبوا حقّ أهل البيت.

---

(١) البقرة/٣٠.

فخرج ذات يوم صهر مولانا المشار إليه مضطرب الحال من البيت وأقبل على مولانا وهو يقول: إنّ هؤلاء الجماعة يأخذون الناس بلعن الخلفاء الثلاثة فماذا نصنع؟ فقال له مولانا: فاذهب أنت والعنهم أيضاً فإنّه لم يكونوا إلّا أعراباً أجلافا.

وسمع من بعض الأفاضل رحمه الله تعالى: لمّا بلغ إشعاع دولة الملك المذكور أقصى شروان وآذربيجان، وجلا أكابر أهل السنة وفضلائهم الذين قطنوا بلاد العراق منه، وخافوا صولاته وجولاته، ففرّوا من بلد إلى بلد، حتّى لم يبق في بلاد كاشان أثر لقاضٍ من أهل السنة أو مفتي، فكان أهل كاشان يرجعون إليه في المسائل الشرعيّة وما تعمّ به البلوى مدّة سنتين ونصف السنة بحكم الضرورة مع أنّ الرجل لم يكن حاذقاً في علم الفقه ولم يكن بحوزته حتّى كتاب واحد من كتب الشيعة المبسّطة وكان يكتب في جواب من يسأله ما يُمليه عليه عقله السليم.

ولمّا حلّ الشيخ الأجل المتعالي علي بن عبدالعالي في كاشان، اجتمع بمولانا المذكور وسمع فتواه على الوجه المتقدّم فأمر بجمع ما كان يكتبه فبدىٰ له بعد الدقّة والتحقيق ومطالعته أنّ هذا الذي يكتبه أو يمليه إمّا موافق للقول السائد ممّا يفتي به فقهاء الإماميّة أو مطابق لأدلّة فتاواهم القويّة، فقال الشيخ: إنّ هذا برهان على صحّة قاعدة الحسن والقبح العقليّين التي ذهب إليها طائفة الإماميّة والمعتزلة.

ومن تصانيف مولانا المذكور: رسالة إثبات الواجب التي أشار في بعض فصولها إلى معرفة نور ذات أميرالمؤمنين عليه السلام وصفاتها، وله كتاب آخر اسمه «منتهى الإدراك» في الهيئة، وقد كتبه ليقابل به «نهاية الإدراك» للعلّامة الشيرازي، وله شرح التذكرة المسمّىٰ بالتكملة، وله رسالة في حلّ ما لا ينحلّ، وله حاشية على أوائل شرح التجريد إلى آخر بحث الوجود الذهني، وله حاشية الإلهيّات على شرح التجريد وحاشية على أوائل شرح حكمة العين المسمّىٰ بسواد العين وهي رسالة في علم الرمل.

السيّد الأجل النحرير الماهر الشاه طاهر بن رضي الدين الإسماعيلي الحسيني الاثنا عشري

من أولاد بعض خلفاء العلويّة الإسماعيليّة وقد جاء من مصر إلى عراق العجم في عهد حسن الصبّاح ودعوته، واشتهر بلفظ «خوانديه» وسوف نذكر أحوال الخلفاء المذكورين مع تحقيق الاختلاف في نسبهم ونسبتهم إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في «الجند الخامس» من المجلس التاسع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومجمل القول: إنّ طاهراً المذكور استوطن بـ«كاشانه» من كاشان وأفاد من الكتب المتداولة في الحكمة والكلام التي جرت بها يراعة مولانا شمس الدين محمّد الخفري، ولم يستطب الإقامة في ايران فتحوّل عنها إلى «الدكن» في الهند لسوء سمعة «خوانديه» لدى شمس الدين محمّد الخفري والحسد الذي مازج طويّة السيّد الأجل الفاضل مير جمال الدين الصدر الاسترآبادي وخاف من عسف بطل ايران أعلى الله برهانه، ففارق البلاد إلى حيث ذكرنا، فارتقى كثيراً هناك لما له من الفضل والكمال، وبعد أن أسندت وكالة الشاه عالي الجاه إلى نظام شاه أنا رالله برهانه، بلغت به الحال إلى درجة عاليه بحيث لم يفارق ركابه نظام شاه وسائر سلاطين الدكن، ورفع علم الشيعة الاثني عشريّة هناك بخلاف ما يعتقده فيه أهل ايران، وصار أتباعه من سلاطين الدكن وجمهور الأتباع من جملة شيعة أهل البيت، وصار مصداقاً لبيت المتنبّي من الشعر الذي قاله في مدح طاهر بن الحسين العلوي:

إذا علويّ لم يكن مثل طاهر فما هو إلّا حجّة للنواصب[1]

---

(١) البيت من قصيدة للمتنبّي توجد في ديوانه.

ولهذا جعل البيت عمدة الفقهاء الشيخ إبراهيم وهو مجتهد الشيعة المعاصر في صدر إحدى مكاتباته له.

وسبب ترقّيه في الهند وبلاد الدكن على الوجه الذي سمعناه من بعض أجلّة السادة ذوي الدرجات الرفيعة والصفات المنيعة «أبيحوا»[١] وصان الله جمال سيادته عن عين الكمال» كذا[٢] أنّ طاهراً وصل إلى الدكن في عهد الشاه وفي بداية حكمه ولكنّه لم يظهر أمره لاستيلاء المعاندين عليه، فلم يحصل على شيء من صلته بنظام إلى أن مرض عبدالقادر ابن نظام شاه وهو أحبّ ولده إليه وطال مرضه وتفاقم وضعه، وبلغ اهتمام نظام الشاه بصحّة ولده إلى الدرجة التي وضع بها صفحة خدّه على قدم قاسم بيك الحكيم وقال له: إن ظهر لك أنّ شفاء عبدالقادر لا يتمّ إلّا بفلذة من كبدي قل لي حتّى أفتح صدري وأُخرج قطعة منه، وهو مع هذا وذاك يكثر من النذور وإعطاء الفقراء والمحرومين، ولا يفرّق في العطاء بين مسلم وكافر.

ولمّا شاهد طاهر الشاه ينعم على فقراء الكفّار أيضاً مثل «البهمنيّة» و«أصحاب الزنانير» قال له ذات يوم: أنذر شيئاً للأئمّة الاثني عشر فإنّ ولدك يُعافىٰ أيضاً، وأضمر في نيّتك هذا المضمون الذي أُمليه عليك وهو: إن عوفي ولدي بهذا النذر فإنّي أتّبع الطريقة التي ينتقد طاهر علماء هذي الديار على تركها.

فقال نظام شاه: مَن هم هؤلاء الأئمّة الاثنا عشر؟

فقال الشاه طاهر: أوّلهم أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وهو واحد من أصحابك الأربعة وأهل السنة يعدّونه خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بترتيبهم الخاص ثمّ من بعده الإمام

---

(١) لم أعثر لها على معنى.

(٢) الجملة العربيّة من المؤلّف نفسه.

الحسن والإمام الحسين ثمّ ذكر له تمام الأئمّة الاثني عشر، فنذر نظام شاه على المضمون المذكور، فلمّا جنّ عليه الليل نام وعاد الشاه طاهر من خدمته إلى مأواه ولكنّه ندم على تسرّعه في إخباره بهذه الأُمور، وخاف أن لا يكون الله تعالى يقبل نذره ويموت ولده فيناله شرّ من ذلك الطريق، فأسرج جواده وركبه وأقبل على أحد جوادّ الطريق وبقي منتظراً حتّى إذا بان له هلاك الولد فرّ على ظهر حصانه إلى جهة من الجهات.

وما أن بدىٰ الصبح طالعاً حتّى أقبل عليه خدّام نظام شاه يطلبونه وكلّما ماطلهم في الذهاب إليه حتّى يبدينّ له وضع المريض ازدادوا تشبّثاً وإلحاحاً حتّى حملوه إلى نظام شاه، ولمّا وقعت عينه عليه ناداه: ما أردت أن أتبعه بعد بحثك مع علماء هذه الديار أظهره الآن حتّى أفعله الآن، ثمّ شرع الشاه بعد ذلك يقصّ عليه ما رآه البارحة يقول: غشيّ علَيّ ليلاً وأنا أُشاهد المرض يشتدّ بعبدالقادر ويضطرب في دثاره حتّى رمىٰ به من على جسده مرّات عديدة واستولى علَيّ نوم ثقيل من شدّة حزني عليه وملالي ويأسي واختلال حاله، فرأيت أميرالمؤمنين عليه السلام بالمنام وهو يقول لي: يا نظام، مادام ولدك عبدالقادر مريضاً فإنّك لا تؤمن بنا ولا تصدّقنا، ثمّ سحب الغطاء على وجهه، فرأيت الولد بفضل الله وعنايته قد عرق، وقال الإمام: سوف يستعيد صحّته الكاملة ولكن يلزمك أن لا تترك معتقدك الذي نويته.

فلمّا أفقت من النوم رأيت الغطاء ممتدّاً على وجه عبدالقادر وقد أخذته الرحضاء(١) وأفاق بعد أن جفّ عرقه وجلس على فراشه وآثار الصحّة بادية عليه، فاشتهى الطعام اشتهاءاً صادقاً.

---

(١) الرحضاء: عرق الحُمّىٰ، رحض الرجل أخذته الرحضاء / الفراهيدي: العين ج٣ ص١٠٣.

فقال له شاه الطاهر: والآن عليك الوفاء بعهدك واعتقد أنّ الخليفة بعد النبيّ بلافصل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبعده أحد عشر ولداً من صلبه هم الأئمّة حقّاً، ومن تقدّم عليه في الخلافة فهو غاصب لحقّه على الباطل، ولكن الحال اليوم تقتضي كتمان هذا المذهب، وليست المصلحة في إظهاره لأنّ الأُمراء كلّهم من أهل السنة، وما دام الشيعة قلّاً في هذه الديار وليس لهم قوّة تحميهم فلا يمكن ترقية مذهبهم وبثّه بين الناس.

ولكن نظام شاه لم يطق الصبر على التقيّة فأقبل في يوم من أيّام العيد على شاه طاهر بدون توقّف وأمره بصعود المنبر ويخطب باسم الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، وأسقط من الخطبة أسماء أبي بكر وعمر وعثمان، ولمّا سمع الأُمراء هذا منه تباعدوا عنه لاسيّما نصير الملك الذي له خدمة عريقة واستقلال تامّ، وانضمّوا إلى جماعاتهم وطلبوا من نظام شاه رفع هذه الغائلة، ولم يبق مع نظام إلّا جماعة قليلة من خواصّه ومواليه. ولمّا علم نظام أنّ رأس الفتنة في تلك الجماعة هو نصير الملك، فعمل على استمالته إليه فاستدعاه وعاتبه على ما بدر منه وقال له: بلغت بك الحال أن تخرج علَيّ وتخالفني، فأمر به في الحال أن تُسمل عيناه ويوضعان في كفّ يده وداروه بين أتباعه.

(مصراع)

* تا كور شود هر آنكه نتواند ديد *

«ليبقى بصيراً كلّ من كفّ طرفه»

ولمّا رأى باقي الأُمراء هذا الوضع فزعوا فزعاً شديداً فسكن كلّ واحد منهم في موضعه، ثمّ شرع شاه طاهر في البحث مع علماء تلك الديار وأثبت خلافة أميرالمؤمنين وبطلان خلافة من تقدّمه بشكل جذّاب من كتبهم الستّة، وحينئذٍ

أصبح «الشاه طاهر» الذي كان قبل يلازم ركاب نظام شاه، مرشده وإمامه، ومدّ إليه الملوك على التعاقب يد التوسّل من قبيل «قطب شاه» و«عادل شاه» وتمسّكوا بحجزة بقيّة بيت الطهارة والرشاد، فاختار الجميع مذهب الإماميّة، وراج مذهب أهل البيت في ولاية الدكن كلّها بعناية الله ومساعي هذا السيّد الجليلة.

وكان للسيّد تصانيف شريفة في فنون العلم منها: «حاشية على إلهيّات الشفا»، و«شرح على تهذيب الأُصول» و«شرح الباب الحادي عشر» في الكلام، وشرح «الرسالة الجعفريّة» في الفقه، و«حاشية على تفسير البيضاوي» ورسالة فارسيّة في المعاد، ورسالة «أُنموذج العلوم»، ورسالة في الإنشاء وغيرها.

وله في أغراض الشعر جميعاً أشعار لطيفة وقصائد مشهورة بين الناس كالشمس في نصف النهار، ونذكر له هذه القصيدة في ذكر مناقب أميرالمؤمنين وتعريضه بأعدائه الغاوين هاهنا.

«.. وهي هذه..»

باز وقت است كه از طبق تقاضاى فلك
افكند بر سر ايوان چمن گل توشك

ابر نيسان بسر خنجر آلودۀ برق
حرف برف از ورق روى زمين سازد حک

بر سر لشكر وى صبح شبيخون آرند
تنگ چشمان شكوفه چو سپاه ازبک

هيأت غنچه و گل بر طرف شاخ نگر
ظلّ مخروط زمين غنچه و گل مهر فلك

مجلس دلكش گل تا نبود بی مطرب
گشته بلبل غچکی شاخ گل و غنچه غچک
تر شدی حلّهٔ خارا زتراویدن ابر
کوه از سبزه بدوش ار نفکندی کپنک
ساختی خانهٔ معمور فلک را ویران
بر سر فیل سحاب ار نزدی برق کجک
تر شود لاله چو بر داغ دل پرخونش
زیر لب خنده زند غنچه و نرگس چشمک
باغ شد مائدهٔ عیسی و شبنم در وی
جابجا بر سر آن مائده پاشیده نمک
تا نگیرند زر ناسره در دست سمن
در بغل صیرفی لاله نهان کرده محک
هر کمالی که نه ایمن بود از نقص و زوال
باشد آن در نظر همّت دانا اندک
شاهد حسن جمیلی است ولی خوش بودی
گر نگشتی زوی این حسن و لطافت منفک
عنقریب است که چوبکزن ایّام خزان
می‌زند بر در دروازهٔ گلشن چوبک
آه از آن دم که به اغوای خزان لشگر دی
گشته باشند به تاراج گلستان شیرک

باد انداخته تاج از سر بستان افروز
گشته با عارض گلبرگ معارض سپرک
زاغ گیرد همه از بلبل شوریده کلاغ
برک پژمرده کند با گل صد برگ حنک
پی آن صرح که دی طرح فکندست بباغ
هر طرف ریخته خشت از یخ و از برف آهک
زود باشد که زبیم کتک شحنهٔ دی
بگریزند رعایای ریاحین یکیک
بهر پیران ستمدیدهٔ ایّام خزان
سازد از شوشهٔ یخ شیشهٔ گردی عینک
عاقل آن به که کند عزم طواف چمنی
که خزان را نتوان برد در آنجا به کتک
آن چمن گلشن مدح شه عالیقدریست
کز فلک بهر طواف درش آیند ملک
مرتضی پادشه صورت و معنی که ازوست
منشأ و رابطهٔ صورت و معنی بی‌شک
آنکه از صولت سر پنجهٔ شاهین عتاب
بال نسرین فلک را شکند چون اردک
پادشاهی است که در خیل غلامان درش
نام برجیس بود سعد و عطارد زیرک

توش مال فلک از بهر سر سفرهٔ او
از ثريّا بکف آورده نمکدان نمک
شد قمر مجمرهٔ بزم وی و محو قمر
دود عوديست کز آن مجمره گردد مدرک
از پس آينهٔ چرخ به آئين قضاء
هرچه او گفت همان گفت قضا چون طوطک
عرصهٔ همّت عاليش جهانيست بزرگ
کين‌جهان هست در آن عرصه سرای کوچک
آنکه از سندس و استبرق خلدش عارست
کی شود همّت او مايل سيفور و فنک
طبعش از ميل بلذّات طبيعی فارغ
ذاتش از منقصهٔ ذاتی امکان منفک
بيوهٔ دهر چو اهليت تزويج نداشت
بايناً منعقداً طلّقها ثمّ ترک
ديگری کيست که در سلک وی آرند او را
قدر فيروزه زخر مهره شناسد زيرک
او به اغيار جفا پيشه ندارد نسبت
می‌شناسيم حريفان دگر را يک يک
عدل تقديری و تقدير عدالت عيب است
زانکه تحقيق شد اين مسأله در باب فدک

دلدلش را چو گران گشته ترازوی رکاب
گرو از خنگ سبک سیر فلک برده بتنک
ذوالفقارش دو زبان داشت به هنگام جدال
بود بر خصم دغل حجّت قاطع هریک
ای حکیمی که بود پیش تو و دانش تو
حکمت فلسفه بازی و ارسطو زیرک
رق منشور قضا نسخهٔ تقدیر قدر
بی‌سجلّ تو مزوّر بود و مستدرک
فلک شأن تو را نقطهٔ عصمت مرکز
خیمهٔ جاه تو را محور دانش تیرک
نشأهٔ نور تو را نور نبوّت مدرک
سرّ مکتوم تو را نور لدنّی مدرک
کعبهٔ کوی تو را مروهٔ عرفان مسعی
سالک طور تو را طور تجلّی مسلک
روشن از شعشعهٔ نور تو ایمان سماک
پر درم از گهر تیغ تو همیان سمک
گرنه قرصی زسر خوان تو بودی خورشید
کی به تعظیم نهادی فلکش بر تارک
هست در رجم شیاطین هوا جرم شهب
بی‌نفاد تو چو تیری که ندارک بیلک

در جوار تو چو خورشید مجاور صد تن
در سپاه تو چو مرّیخ مبارز صد لک
قبضه و تیغ تو باشند بهم روز مصاف
همچو دستی که برون آمده باشد زملک
لیک دستی که در آئینهٔ ادراک سلیم
سرّ مستور ید الله شود زو مدرک
تا شود زاویهٔ چرخ مقرنس هر شب
روشن از نور محیط تو به اجرام فلک
سقف مینای زر اندود فلک را زانجم
قدر انداز قضا کرده مشبّك بتفک
هرکه مست از می انکار تو شد ساقی دور
نقل نقلش بجهنّم دهد از بهر کزك
هست در قعر درک مسکنش امّا حیفست
که ملوّث شود از جیفهٔ او قعر درک
هر کسی را به کسی دست توسّل محکم
لیس والله سوی حبک لی مستمسک
طاهر از ذلّت عصیان بتو آورده پناه
فکر او گر نکنی کان من الذلّ هلک
دست گیرش زسر لطف که در روز جزا
در لگدکوب معاصی نشود مستهلک

تا بر ايوان فلك شمع فروزد خورشيد
گرد خورشيد چو پروانه زند چرخ فلك
با افروخته در قصر زر اندود سپهر
شمع مهر تو و پروانهٔ آن شمع فلك

تقريب المعنى بالعربيّة:

مـا بـارح الفلك المحيط سرورا فـاجعله ما بين الرياض سريرا
كي لا يظلّ معطّلاً من صادح نادي الزهور على الرياض نضيرا
فلذاك أرسلت الغصون لحونها فغدىٰ يرقص في الغصون طيورا
وبكى السحاب فبلّ وجه الروض من دمع همىٰ فوق الرياض نثيرا
فكسى الهضاب بحلّة من سندس فتخاله رضوان يكسو الحورا
والبرق سوط في السحاب كأنّه فيل يأمّ قطيعه المذعورا
وكأنّ مائدة المسيح تبرّجت للروض يظهر سرّها المستورا
والياسمين التبر من أحلامه أن لا يكون مزيّقاً مهجورا
فلذاك أوعز للشقائق تغتدي صرافه تزن النقيّ ضميرا
وإذا الكمال غدا لنقصٍ قابلاً سيكون في نظر الأُباة حقيرا
والحسن يحسن شاهداً لو أنّه حفظ الكمال وأحسن التقديرا
لم تنفصل عن ذاته أوصافه ليظلّ بيت كماله معمورا
هيا ارتقب ضرب الخريف لروضة غنّاء تلقى الدوح فيه نحيرا
خلّاه من برد يصاحب عريه يهوى الزمان بأن يكون هجيرا
آهٍ لأفعال الخريف لقد غدىٰ أسداً على الروض النضير هصورا
ورمى الهواء بتاج ورد ناضر والورد عارضه فكان مجيرا

والبلبل المخزون قام مغاضباً | للروض خلت اللحن منه نذيرا
يدعو الغراب بأن يكفّ عن البكا | فلقد غدىٰ ورق الغصون نثيرا
وكأنّ هذا الروض بقيا منزل | هدمت قواعده فعاد جحورا
وتغيّبت أزهاره من بعد ما | طلعت عليه كواكباً وبدورا
وهلمّ نغتنم الزمان فإنّ خلف | الغيب جهداً كامناً مستورا
يقسو على الريحان كي يقضي على | عبق حوىٰ طيب الحياة غزيرا
وجرى لجين الماء يصنع ثلجه | لعيون شيخ طاعن ناظورا
وعلى الحصيف إذا أراد لذاذة | أخذ الربيع على الخريف ظهيرا
والروض مدح المرتضى فانظر إلى | الأملاك تهبط فيه ترعى النورا
والمرتضى ملك الوجود ألا ترىٰ | تمّ الوجود بيمنه تصويرا
هو منشأ المعنى حوته صورة | جلّ المصوّر إذ دعاه أميرا
قد كان مثل الصقر في قبضاته | قد أصبح الفلك المحيط أسيرا
هو ذلك الملك الذي في بابه | وقف السماك مطئطئاً مأمورا
والنجم يخدمه كفعل عطارد | والسعد يقفو الذابح المشهورا
وعلى خوان أبي حسين يزدهي | فلك يريد مع الطعام ظهورا
حتّى الثريّا فهي مملحة له | هبطت لتفتح بالشهيّ ثغورا
والبدر مجمرة ودارت هالة | من حوله تدع الوجود عبيرا
وهو القضاء موكّل في عالم | من حوله ما فارق التقديرا
في همّة تسع الوجود عظيمة | بأزائها يبدو الوجود صغيرا
من كان يكسىٰ في الجنان بسندس | فبعينه يغدو الحرير حقيرا
ما مال للّذّات يوماً طبعه | وبذاته الإمكان ليس جديرا

من نقص إمكان تطهّر ذاته ... من حيث أوجده الإله طهورا
ما كانت الدنيا له كفؤاً لذا ... بانت على يده وكانت بورا
من ذا يقاس به أيقرن لؤلؤ ... بحصى تفارقه النفوس نفورا
لا نسبة تدنيه من أغمارها ... أين البغال من الجواد مغيرا
والعدل تقدير جرىٰ من خالق ... كالماء يجري في العيون نميرا
لكنّ قوماً قبله قد ملّكوا ... وغدا لهم فدك البتول سريرا
أين العدالة من أُناس أولعوا ... بالشرك ساء بداية ومصيرا
لو رام حربهم لضاق عليهم ... رحب الفضاء ودمّروا تدميرا
ولضاق بالفلك المحيط فضائه ... إذ لم يجد سعة به ليدورا
ولكلّ إنسان لسان واحد ... ولذي الفقار اثنان شقّ نحورا
يا عالماً قد كان عند علومه ... شيخ الفلاسفة الكبار صغيرا
يمضي القضاء من الإله بأمره ... قد كان ذا بكتابه مسطورا
إن تمضه يمضي وإم لم تمضه ... يغدو ببابك خاسئاً وحسيرا
نور النبوّة منك منشأ قدسه ... ولك اللدني أوّلاً وأخيرا
والكعبة الغرّاء بيتك إنّها ... بنيت تقابل بيتك المعمورا
وحجيجها الساعي بمروة إنّه ... يسعىٰ إليك مهرولاً مبهورا
وأشعّة الأفلاك أنت تمدّها ... نوراً وتملأها هدىً وحبورا
وغنى الأنام بيمن صارمك الذي ... لولاه دمّر سعدها وأُبيرا
لولاك قرص الشمس لم يوضع على ... هام السماء وما أفاض النورا
إنّ الرجوم من النجوم إذا هوت ... تهوي بعزمك كي تردّ كفورا
لولاك كانت كالسهام تقصّفت ... والسهم يصعب أن يصيب كسيرا

والشمس إذ تحظى بقربك تغتدي كالضرع بالنور المبين درورا
حكت المئات من الشموس بواحد يخفى ويظهر سحرة وبكورا
وكذلك المرّيخ لاح بفيلق قد كان حين تقوده منصورا
بالسيف قبضتك الحديد إذا هوت خلت الملاك يقاتل الشرّيرا
لكنّها لذوي العقول سليمة للّه أبدت سرّه المستورا
حتّى تنوّر فيك أفلاك السما وتظلّ فى الأجرام تزجي النورا
وترصّع السقف الرفيع بأنجم تهدي بنورك تائهاً وبصيرا
إنكار فضلك حين يشمل جاهلاً سينيله الساقي هناك سعيرا
أسفاً يلوث قعرها بوجوده كالنتن لوّث جدولاً وغديرا
إن لم تجد إلّا امرءاً متوسّلاً إنّي اتّخذتك شافعاً ونصيرا
متمسّك بوداد مولىً حبّه يدع الموالي ذنبه مغفورا
بسوى ودادك ليس لي مستمسك كن لي إذا كان الحساب مجيرا
قد جاء طاهر لاجئاً في حيّكم يرجو نوالك خائفاً مذعورا
فإليك خذ بيدي لأنجو من غد في الهول كان مبرّزاً مشهورا
حتّى تضيء الشمس شمعاً ساطعاً في الطاق من فلك يدور أسيرا
ويدور حول الشمس مثل فراشة دارت عليه ولن تخاف دثورا
والريح تجري في سماء ذهبت والشمع حبّك ما يزال نضيرا
وكذا الفراش يدور حول سنائه فلك يدور على الوجود وقورا

قضى المير عمره بالعزّ والإقبال والسعادة والإفضال، وكان جامعاً لمكارم الأخلاق من العدالة والشجاعة والسخاء والتقوى والعفّة والمروئة. وانتقل إلى عالم العقبى في أحد شهور سنة اثنين وخمسين وتسعمائة.

المجلس الثامن

في بيان الملوك ذوي الشهرة والسلاطين السعداء من الفرقة الناجية أُولي البصائر والأبصار

ويشتمل على المقدّمة وعدد من «الجند» ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1].

المقدّمة

في بيان ملوك العرب الذين ثاروا على بني أُميّة لعنهم الله بعد واقعة الطفّ، للانتقام منهم ونذيّل بذلك معاوية بن يزيد الراجع إلى الله وجماعة من أعلام السادات والأشراف ذوي الشجاعة والمعالي الذين قاتلوا الأمويّة والعبّاسيّة

سليمان بن صُرَد الخزاعي

ذكر صاحب الاستيعاب إنّه: كان خيّراً فاضلاً، له دين وعبادة، وكان اسمه في الجاهليّة يساراً، فسمّاه رسول الله ﷺ: سليمان.

سكن الكوفة وابتنى داراً في خزاعة، وكان نزوله بها في أوّل ما نزلها

---

(١) الصافّات/١٧٣.

المسلمون، وكان له سنّ عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه، شهد مع عليّ عليه السلام صفّين.. (وجاهد فأحسن الجهاد..)[١].

وذكر صاحب روضة الصفا: إنّ سبب خروجه على بني أُميّة أنّ جماعة من أهل الكوفة وهم الذين بايعوا مسلماً ابن عقيل عليه السلام ولم يفوا له بالبيعة ولم ينصروا الإمام الحسين عليه السلام حتّى استشهد هو وأهل بيته ولكنّهم استشعروا الندم بعد ذلك وراحوا يؤنّبون أنفسهم وقالوا: لقد خسرنا الدنيا والآخرة. فبعد أن طلبنا «أميرالمؤمنين» الحسين عليه السلام[٢] سللنا السيوف في وجهه حتّى وصل إليه من غدرنا ما وصل.

وكان رؤساء هذه الطائفة خمسة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة الفزاري، وعبدالله بن سعد الأزدي، وعبدالله بن وال التميمي، ورفاعة بن شدّاد.

وكان هؤلاء الخمسة من خواصّ أميرالمؤمنين عليه السلام ولمّا عقدوا العزم على الطلب بدم الحسين عليه السلام اجتمع جماعة كثيرة منهم في بيت سليمان بن صرد الخزاعي، وتكلّم المسيّب بن نجبة الذي صاحبه النحس في كربلاء فقال: أمّا بعد، فإنّا قد ابتلينا بطول العمر والتعرّض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربّنا أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾[٣]. فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة،

(١) ج١ ص١٢٢.

(٢) أطلق مولانا الشهيد هذا اللقب على الحسين وهو خاصّ بأبيه ولم أعثر على من أطلقه عليه غيره، اللهمّ إلّا الشيخ أبا الحسن الخنيزي حيث أطلقه على الإمام الحسن في كتابه الدعوة الإسلاميّة.

(٣) فاطر/٣٧.

وليس فينا رجل إلّا وقد بلغه، وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتّى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين في موطنَين من مواطن ابن بنت نبيّنا، وقد بلغتنا كتبه وقدمت علينا رسله وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية وسرّاً، فبخلنا عنه بأنفسنا حتّى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدنا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربّنا عند لقاء نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريّته ونسله، لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله أو تُقتَلوا في طلب ذلك، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلك...[1]

كلّ من حضر كربلاء من هؤلاء القوم تكلّم نحواً من كلام المسيّب، وقال سليمان ابن صرد الخزاعي: ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربّكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتّى يرضى الله، والله ما أظنّه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، ألا لا تهابوا الموت فما هابه أحد قطّ إلّا ذلّ، وكونوا كبني إسرائيل إذ قال لهم نبيّكم: إنّكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم؛ ففعلوا[2].

وجثى جميع الشيعة على الركب واستغفروا الله وقالوا: لا فائدة إلّا بسلّ السيوف من أغمادها وإقامة الأسنّة على الصعدات لتطهير العالم من خبث أعداء آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم واتحدوا جميعهم على هذا القول وهو أن يقتلوا قاتلي أميرالمؤمنين الحسين عليه السلام وكلّ من سعى في قتله أو رضي به لتكون توبتهم مقبولة.

ولمّا استقرّ رأيهم على هذا الأمر قالوا: لابدّ لنا من أمير مطاع لا يختلف عليه اثنان، فاتفقوا على تأمير سليمان بن صرد وسمّوه أمير التوّابين، واتفقوا بينهم

---

(١) أصدق الأخبار ص٥٢ والمؤلّف ذكر عبارة قصيرة من كلامه فلم أجد بُدّاً من التعرّض له كلّه.

(٢) نفسه ص٥.

على استخلاف الإمام السجّاد عليه السلام إن أظهرهم الله على عدوّهم، ثمّ كتبوا إلى الأمصار كتبهم وأخبروا إخوانهم ومَن هم على مذهبهم بعزمهم، ومضمونها كالتالي:

«... لقد دخل الظلم على أهل بيت محمّد صلّى الله عليه وعلى أهل بيته بما لم يخف على أحد، والمأمول من أنصارهم أن يعدّوا العدّة للحرب ويوافونا بالموعد المعلوم في الكوفة لكي ننتقم من أعداء الدين على بصيرة ونيّة صالحة».

وكان اتفاق القوم قد تمّ في سنة إحدى وستّين وهي السنة التي قُتِل فيها أميرالمؤمنين الحسين عليه السلام ولكنّهم لم يتحرّكوا ما دام يزيد الخبيث على قيد الحياة خلا أنّهم كانوا يجمعون الأموال من الشيعة ويودعونها عند عبدالله بن وال التميمي وكان يجمعها عنده بأمر سليمان حتّى يحين موعد إنفاقها على الحرب.

ولمّا هلك يزيد الخبيث ووصل إلى الدرك الأسفل من النار وتوجّه ابن زياد خائفاً إلى الشام من العراق، فقال لسليمان بن صرد أصحابه: لقد آن أوان الخرج بعد أن خلا العراق من عملاء بني أُميّة وعبيدهم، فقال سليمان لهم: كلّا فليس هذا موعداً للخروج لأنّنا نريد أن نجمع أكبر عدد من أهل الكوفة، وسوف يقاتلنا هؤلاء الآن بالضرورة وليس معنا عدد يغني في القتال لكي نقوم بوجوه العدوّ، واليوم بعد هلاك يزيد سينضمّ إلينا ناس كثيرون ويتبعوننا على القتال.

وبعد ذلك أرسل سليمان بن صرد إلى الأطراف والأكناف رسله ليجدّدوا البيعة على المقاتلين وأقبل على ذلك جماعة لا حصر لهم والتحقوا بسليمان.

وفي هذا الوقت أقبل عبيدالله بن زياد من الشام والياً على الكوفة لكي يقوم بضبطها.

وفي شهر رمضان من هذه السنة أي سنة أربع وستّين أقبل المختار بن أبي

عبيدة الذي سترد عليكم ترجمته بالتفصيل قريباً إن شاء الله تعالى إلى الكوفة يدعو الناس للطلب بدم الحسين عليه السلام، فقال له الشيعة: إنّا نحن أمّرنا علينا سليمان وجئنا إلى هنا للطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام من أعداءه، فعمل المختار على لقاء سليمان حتّى لاقاه، وقال له: لا نجد خيراً من هذه الفرصة؛ فقد هلك يزيد وترك ولده الحكم، وليس للخلافة اليوم أحد، فلنظهر أنفسنا ونعلن دعوتنا ونناديي بها.

فقال له سليمان: لم يحن الوقت بعد.

فخرج المختار من عنده وهو يقول: إنّ هذا الرجل أدركه الخرف ودخل في السنّ، وليس الحرب من شأنه، ولعلّه مضيّع هذه الفرصة، ويبطأ في الخروج، وكتب كتاباً مزوّراً عن لسان محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه يقول فيه: إنّه الإمام دون عليّ بن الحسين لأنّه أعلم والأقرب إلى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وهو الأعلم بكتاب الله وسنّة رسوله، وهو وصيّ النبيّ لا عليّ بن الحسين، وقرأ هذا الكتاب على الناس فبايعه كثير منهم، ومضمون الكتاب هو التالي:

«إنّ سليمان يخطأ في الإبطاء، وأنت أيّها المختار اذهب إلى الكوفة من مكّة وقل لشيعتنا ليخرجوا في الطلب بدم الحسين عليه السلام وخذ عليهم البيعة لي..».

قيل: مال أكثر أهل الكوفة عن سليمان بعد هذا الكتاب، وقال المختار للشيعة: إذا خرج سليمان فاضبطوا البلد وامنعوا ابن الزبير من إرساله عمّاله إليه.

يقال: إنّ المختار هو الذي لقّب محمّداً بالمهدي وقال للناس: إنّ سليمان أفسد علينا أمرنا وأنا الآن أكتب كتاباً إلى محمّد بن الحنفيّة وأراه ماذا يصنع.

ولمّا علم سليمان بالتواء المختار عليه وإنّ الأمر صار إلى مروان وقد أرسل عبيدالله بن زياد من الشام إلى الكوفة لضبطها، اهتمّ بالأمر وجمع شيعته وخطبهم قائلاً:

إن كان المختار يريد الخروج باسم محمّد بن الحنفيّة فلا نمنعه، أمّا نحن فإمامنا زين العابدين عليه السلام، وما دام الوقت الذي اتفقنا عليه لم يأت بعد فإنّي لا أخرج البتّة بعد اللتيّا والتي.

ولمّا استهلّ محرّم الحرام سنة خمس وستّين، خرج سليمان من الكوفة وعسكر بالنخيلة وأرسل رسله إلى الأطراف والنواحي، فلم يوافه من المأة ألف الذين بايعوه إلّا عشرة آلاف، فغضب من ذلك غضباً شديداً واجتمع بأصحابه لاسيّما أهل الرأي منهم وقال لهم: ليسأل أحدكم نفسه عن مخرجنا وغايتنا، إلى أين نحن ذاهبون ومن ذا نقابل ونحارب.

فردّ عليه جمع منهم: إنّ قتلة الحسين كلّهم في الكوفة إلّا ابن زياد، فلنبدأ بهم أوّلاً، ورأى جماعة منهم الذهاب إلى الشام لاستئصال بؤرة الفساد أوّلاً وهو ابن زياد. فاستطاب سليمان هذا الرأي فاستقبل جميعهم الشام وخرجوا من النخيلة ولمّا قربوا من قبر أميرالمؤمنين الحسين عليه السلام[1] قالوا: من الأولى بنا أن نزور الحسين أوّلاً ونعلن التوبة هناك عند قبره ونعتذر إليه ممّا فرط منّا ثمّ نذهب إلى بُغيتنا. وما أتمّ قوله حتّى تحوّل القوم إلى التربة المقدّسة، ولمّا وقعت أعينهم على مرقد الإمام الحسين عليه السلام المنوّر ترجّلوا من على ظهور دوابّهم وصاحوا صيحة واحدة حتّى بلغت عنان السماء ورموا بأنفسهم على الرمل وتقلّبوا عليه.

ولمّا زاروا القبر ودّعوه واستووا على مراكبهم وواصلوا السير حتّى إذا بلغوا عين الوردة وهي مدينة كبرى من أرض الجزيرة وافتهم الأخبار أنّ عبدالملك

---

(١) لا أعرف الوجه الذي استباح به سيّدنا إطلاق هذا اللقب الخاصّ على مولانا الإمام الحسين عليه السلام وخلته أوّلاً من تصرّف الناسخ ولكن التكرار أبطل هذا الوهم.

قد استخلف بعد أبيه وقد علم بمسيرهم مِن ثمّ أرسل إليهم ابن زيا لعنهما الله ومعه خمسة من أُمراء الجيش ذوي الرتب العالية وها هم على مقربة منهم.

فخطب سليمان في أصحابه وبالغ في نصح الناس وقال لهم: إن أنا قُتِلت فأميركم المسيّب، فإن هلك فالأمير من بعده عبدالله بن وال، وبعده رفاعة بن شدّاد. وما أن فرغ من خطبته حتّى اختلىٰ بالمسيّب وقال: إنّ عدد أهل الشام كثير وقد دنوا منّا فلا سبيل لمقاتلتهم إلّا تبييتهم.

فاختار المسيّب من رجالهم أربعمائة فارس نزولاً عند رغبة سليمان وتوجّه نحو القوم وإذا بأعرابيّ في الصحراء يردّد بيتاً من الشعر وفيه: ابشر. فقال المسيّب: جاءتكم البشارة. ثمّ استدعىٰ الأعرابي فأقبلوا به عليه وسأله: ما اسمك ؟! فقال: اسمي حميد. فقال المسيّب: ستكون عاقبتنا محمودة إن شاء الله. ثمّ استعلمه عن قبيلته فقال: من بني تغلب. فقال المسيّب: غلبنا وربِّ الكعبة إن أراد الله تعالى. ثمّ سأله عن مواقع أهل الشام وعدد قوّاتهم، فقال: هم خمسة أُمراء ومعهم خمسة فرق أقربهم إليكم شرحبيل بن ذي الكلاع ويبعد عنكم ميلاً واحداً.

فقال المسيّب للأعرابي: امض إلى أهلك راشداً، ثمّ قسّم جيشه إلى أقسام أربعة وسرّح بهم نحو أهل الشام وأحاطوا بجيش شرحبيل من جهاته الأربع سحراً ووضعوا السيف فيهم، فقتل منهم جمع وفرّ الباقون وقد تركوا ثقلهم في أرض المعركة، واستوى العراقيّون على مراكبهم وانسحبوا من أرض القتال إلى الخطوط الخلفيّة ورجعوا قبل شروق الشمس، وما أن أمسىٰ عليهم المساء حتّى التحقوا بأصحابهم.

ولمّا وصلت أخبار هذه المعركة إلى سمع ابن زياد اللعين، استدعى الحصين بن نمير وأمّره على اثني عشر ألف فارس وسرّحه إلى حرب سليمان، وتلاقوا

بالمنطقة التي تُعرَف بعين الوردة[1]. فكانت الحرب في اليوم الأوّل كفاءاً بين الفريقين لا ظهور لأحدهما على الآخر حتّى أطلّ اليوم الثاني فجاء أدهم بن محزن الباهلي ومعه عشرة آلاف رجل مدداً لأهل الشام فأمدّ الحصين بن نمير، وثارت مرّة أُخرى بين العسكرين معركة ضارية أبدىٰ بها الشجعان من الفريقين صبراً وجلداً حتّى ثار القسطل وحمي الوطيس.

ولمّا رأى الحصين صبر أهل العراق وجلدهم استدعى ولده وسرّح معه جماعة من الرُّماة وأمرهم أن يمطروا العراقيين بوابل من السهام، وبينما هم في قتال محتدم إذ أصاب سليمان بن صرد سهم فوقع في مقتله واستشهد في المعركة، وضعفت نفوس أهل العراق من أجل ذلك.

فأخذ اللواء من بعده المسيّب وقاتل قتالاً شديداً حتّى هلك، فأخذ الراية من بعده عبدالله بن سعد وقاتل بها قتالاً أعجب البادي والحاضر حتّى استشهد، ثمّ أخذ الراية عبدالله بن وال وحمل على جماعة أهل الشام ولكنّه أُصيب في مقاتله واستشهد، وآل اللواء إلى رفاعة بن شدّاد، وعند ذلك غربت الشمس فتراجع رفاعة إلى الخلف أقداماً، وقال لأصحابه: لقد قُتِل أكثرنا، ولو أنّنا ثبتنا لهم لأتوا على آخرنا ولم يبق لهذا المذهب رجال يذودون عنه، فعلينا العودة إلى الكوفة.

فقال له عبدالله بن عوف: لو أنّنا تقهقرنا إلى الكوفة لتبعنا العدوّ حتّى يقضي علينا ويجزرنا بالسيف جزراً ولكنّ الصواب أن نثبت الآن حتّى إذا حطّ الجيش أثقاله واستراح إلى الأرض واسودّ الحلك أنسجنا تحت ستار الليل البهيم، فتضيع وجهتنا على العدوّ قبل أن يطلع الصباح.

---

(١) من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ وهي كلّها بين الجزيرة والشام وهي مدينة كبيرة عليها سوران.. /الروض المعطار /ج ١ ص ٢٦٤ / آلي.

فرأى رفاعة أنّ رأيه هذا هو الصواب، فأمر جماعته بالنزول، وحين رأى الشاميّون نزولهم نزلوا هم أيضاً وتراجع رفاعة في جوف الليل ثمّ دمّر الجسر، فلمّا أصبح الصباح بعث الحصين خلفهم من يتعقّبهم فلم يعثر لهم على عين ولا أثر.

المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه الله تعالى

اعتبره العلّامة الحلّي من المقبولين. أمّا عن حسن اعتقاده وتشيّعه فلا كلام خلا أنّه في بعض تصرّفاته الخاصّة تجاوز الحدّ فاعترض عليه جماعة ونالوا منه بالشتم والجرح، وعلم الإمام محمّد الباقر عليه السلام بذلك فنهى الشيعة عن التعرّض له وقال: إنّه قتل قتلتنا، وعال الأرامل من نساء الشيعة حتّى زوّجهنّ، وساق مهورهنّ، وأعطى أهلنا من بيت المال مبالغ عظيمة كانت تحت تصرّفه[1].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه ترحّم عليه.

وقال الشيخ أبو عمرو الكشّي في كتاب الرجال: وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليه السلام أنّه في دار أو في موضع إلّا قصده فهدم الدار بأسرها وقتل كلّ من فيها من ذي روح وكلّ دار في الكوفة خراب فهي ممّا هدمها وأهل الكوفة يضربون بها المثل فإذا افتقر إنسان قالوا: دخل أبو عمرة بيته[2].

ذكر صاحب روضة الصفا: إنّ والد المختار أمره عمر بن الخطّاب على جيش العراق وفي وقعة الجسر قتل تحت الأرجل ـ أرجل الفيلة ـ ولمّا فتحت المدائن

---

(١) لا تسبّوا المختار فإنّه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوّج أراملنا، وقسّم فينا المال على العسرة / رجال الكشّي، ترجمة المختار.

(٢) حتّى قال الشاعر:

إبليس بما فيه خير من أبي عمره   يغويك ويطفيك ولا يعطيك كسره

نفسه ص١٢٨.

عهد عمر بإمارتها إلى سعد بن مسعود وهو عمّ المختار وكان حاكماً عليها في عهد عثمان وعهد أميرالمؤمنين بعهده السابق ـ العمري ـ ولمّا طعن (أميرالمؤمنين الحسن عليه السلام) في المدائن ونزل في القصر الأبيض وكان المختار قد لازم عمّه بعد مقتل أبيه فقال لعمّه: أرى من الصالح أن تقبض على الحسن وتسلّمه إلى معاوية، فقال له عمّه: لعنك الله، أتأمرني أن أُعطي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عدوّه ليقتله[١].

ولمّا ألقى الشيعة تبعة طعن الإمام الحسن عليه السلام على عاتقه واعتقدوا أنّه بتوسيل منه، خاف على نفسه أن يقتل فهرب إلى الكوفة، وكان الشيعة يلعنونه بعد كلّ فريضة، ولمّا نزل مسلم عليه السلام الكوفة لأخذ البيعة أنزله المختار في بيته وسهر على رعايته وقام بواجب خدمته ليمحو ما لحقه من السُمعة السيّئة، وعلم الشيعة بقصده، ورأوا أنّ فعله هذا يقوم بعذره، لذلك قالوا له: أخطأنا في ظنّنا بك السوء.

وقال الشيخ الأجل عبدالجليل الرازي رحمه الله في كتابه «نقض الفضائح»: إنّ مانقله صاحب روضة الصفا كان بتحريف من رواة السوء، فقد رووا ما لا يعلمون، وكيف ينسب ذلك إلى المختار وقد دعىٰ له أميرالمؤمنين في صغره وأثنى عليه ووعده بالنصر، وقد قتل طبقاً لما صحّ عن المعصوم في حقّه مأة ألف من الخوارج والطغاة من أعداء آل المصطفى إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وحوّل رحله إلى تلك الجنان الباقية.

وأمّا ما ينسب إليه مع عمّه عن الإمام الحسن عليه السلام فقد كان على النحو التالي:

(١) أنا استغرب هذا من سيّدنا الشهيد رحمه الله أن يرويه ويروي ما هو أدهى منه في حقّ رجل جزم بأنّه من الشيعة وروى ثناء الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام عليه، ثمّ ينقل في حقّه ما افتراه بنو أُميّة وآل الزبير عليه، ولو كان المختار رحمه الله كما قالوا لما اتّخذ مسلم عليه السلام بيته معقلاً له عندما نزل الكوفة وأقبلت الشيعة عليه تبايعه، ولكان تسليمه إلى ابن زياد أوقع في نفسه وأنفع للمختار، وحاشاه أن يفعل هذا.

لمّا دنىٰ الإمام الحسن من عمّ المختار سعد وكان والياً على الموصل من قبل معاوية[١] وخاف المختار لصفاء فطرته ووضوح عقيدته ونور مودّته أن يصل الأذى للإمام الحسن عليه‌السلام من عمّه طمعاً في رضى معاوية عنه، لذلك أقبل على شريك الأعور الحارثي وهو من الشيعة حزيناً مضطرباً وقال له: أخشى أن يُسيء عمّي إلى هذا الإمام العظيم وهو قبلة المتّقين وإمام المؤمنين ووارث علم الأنبياء والأوصياء، فما هو رأيك أنت؟

وكان شريك الأعور من عقلاء الزمان وأذكياء الفرسان ونبهاء الأعلام، فقال له: إنّ رأيي أيّها الفتى أن تذهب إلى عمّك وتختلي به وتقول له: لو أنّنا قتلنا الحسن لنلنا بذلك الحظوة عند معاوية واتّسع جاهنا بين الناس، فلو كان عمّك ينوي الغدر به ويخشاك لولائك لأفضى إليك بسرّه وصرّح بغدره، فإذا علمنا بذلك منه عملنا على تخليص الإمام من شرّه.

فجاء المختار إلى عمّه وساروه بذلك ولمّا كان عمّه على مثل عقيدته في أهل البيت عليهم‌السلام أجابه بالجواب الذي حرّره المؤرّخون، وعندئذٍ أمن المختار على الإمام واطمئنّ قلبه، فليس على المختار عيب ولا عار ممّا ذكر بل لم يكن ما قاله لعمّه إلّا بسبب حميّته وفرط إخلاصه وصفاء عقيدته.

وجاء في كتب أصحابنا: إنّ أبا الحكم ابن المختار لمّا حظي بزيارة الإمام الباقر عليه‌السلام أكرمه غاية الإكرام وأدناه منه ومدّ يده إليه حتّى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده ثمّ قال: أصلحك الله، إنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول والله قولك.

---

(١) تقدّم من سيّدنا أنّ سعداً ولي المدائن على عهد عثمان وأمير المؤمنين، فمتى فارقها إلى الموصل.

قال: وأيّ شيء يقولون؟

قال: يقولون: كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلّا قبلته.

فأثنى عليه الإمام وترحّم عليه وقال: والله لم يترك لنا حقّاً عند عدوّنا إلّا أخذه، أولم يبن دورنا، وقتل قاتلنا، وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: ما اكتحلت هاشميّة ولا اختضبت ولا امتشطت (ولا رُئي في دار هاشميّ دخان خمس حجج حتّى قتل عبيدالله بن زياد) حتّى جيء برؤوس قاتلي الحسين عليه السلام.

وروي أيضاً: إنّ المختار بعث برأس عبيدالله بن زياد إلى الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام فسجد شكراً للّه ودعىٰ للمختار.

ومذكور في روضة الصفا أيضاً: إنّ مسلماً بن عقيل لمّا خرج من بيت المختار توجّه إلى بيت هاني ومنه كان خروجه على ابن زياد واستشهد. فلجأ المختار إلى قرى من قرى الكوفة ثمّ رُمي بقعر السجن بعد تلك الواقعة بتهمة محبّته لأهل البيت عليهم السلام، وأُطلق من السجن بسعي مولىً من موالي الشيعة وكان معلّماً لأولاد يزيد وشفاعة عبدالله بن عمر بن الخطّاب ختن المختار على أُخته، وأقسم عند ذلك أن يقتل من أتباع معاوية ويزيد بدم الحسين حتّى يبلغوا مقدار من قتل بدم يحيى ابن زكريّا عليه السلام.

وقيل: إنّ السبب في نهضة المختار للطلب بدم الحسين وشهداء كربلا عليهم السلام ومضائه في حرب أهل الظلم والضلال وقتلهم هو وصول كتاب النبيّ إليه في هذا المعنى، فقد روي عنه أنّه قال: كنت جالساً ذات يوم وإذا برجل يقبل علَيّ وعليه وعثاء السفر، فسلّم ثمّ دفع إليّ كتاباً مختوماً وهو أمانة عنده من أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: أعطانيه الإمام وقال: أوصله إلى المختار.

فقال له المختار: أقسمت عليك باللّه الذي لا إله غيره هل الذي قلته حقّ وصدق ومطابق للحقيقة؟ فأقسم ذلك الرجل على صحّة ما قال، فأخذ المختار الكتاب وفضّه فرآه على الوجه التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليك، أمّا بعد، فاعلم يا مختار سوف يلقي الله محبّتنا في قلبك بعد ضلالك وغوايتك، وتيهك في بادية الضلال والغواية، وأنت الذي تطلب بدمائنا من أهل البغي والطغيان والتمرّد والعصيان، وينبغي عليك أن تثق باللّه وتطمئنّ إليه، ولا تترك الاضطراب والقلق يتسرّبان إلى قلبك...

فازداد المختار عزماً وقوّة بعد اطّلاعه على الكتاب المذكور وقوي قلبه في الإقدام على قتل عدوّ أهل البيت، وبذل جهداً فائقاً وسعى سعياً حثيثاً كما قال أبو المؤيّد الخوارزمي: إنّ قتلى المختار بلغوا من العدد ستّين بعد الخمسمائة والأربعين ألفاً، وكان يطلب المدد في هذا الصدد.

ولمّا علم بمناوئه ابن الزبير ليزيد وإنّه مُظهر لعداوته في مكّة ويدعو الناس في الخفاء لبيعته، خرج من الكوفة قاصداً مكّة المكرّمة وبايع ابن الزبير فيها بعد تأمّل كثير وتردّد أكثر، واختاره ليكون المقدّمة لحصوله على بغيته، وسعى ابن الزبير سعياً حثيثاً حتّى نال بعد هلاك يزيد وانصراف عساكر الشام عن مقاتلته إمارة الحجاز والبصرة والكوفة وارتفع نجمه ودانت له هذه البلاد، فابتدأ يراوغ المختار ويبدي إعراضه عنه ويُشعره بغناه عن أمثاله، ولم يثبت على وعوده وبدأ يخيس بها.

فتغيّر المختار على ابن الزبير وأضمر الخروج عليه، وبينما هو كذلك إذ وصل إلى مكّة هاني بن عروة الهمداني قادماً من الكوفة للعمرة، فسأله المختار عن سليمان بن صرد وشيعة الحسين عليه السلام هل خرجوا بالكوفة أو لا؟ قال: تركتهم

يستعدّون لإعلان ذلك حتّى إذا تمّت لهم العدّة خرجوا.

فلمّا سمع هذا منه انتظر حتّى جنّه الليل ثمّ خرج من مكّة موجّهاً وجهه تلقاء الكوفة، فرأى راكباً وهو في طريقه من أهل الكوفة يُدعىٰ سلمة بن كرب، فسأله المختار عن أهل الكوفة، وقال: على أيّ وجه تركتهم؟ فقال سلمة: تركتهم كالقطيع من دون راعٍ. فتبسّم المختار وقال: أنا والله راعي القطيع وينبغي علَيّ أن أُبادر إليهم، وودّع سلمة ثمّ واصل السير مُجدّاً ليله ونهاره لا يستريح حتّى بلغ القادسيّة من بلاد الكوفة وعدل عن الطريق ميمّماً أرض كربلاء، فسلّم على القبر المطهّر لأميرالمؤمنين الحسين عليه السلام ورمى بنفسه عليه يقبّله ويبكي، وقال: يا سيّدي، أقسمت بحقّ جدّك وأبيك وأُمّك (وأخيك) وبحقّ شيعتك وأهل بيتك لا أكلت هنيئاً ولا شربت مريئاً ولا مسّ جنبي مضجعي حتّى أنتقم ممّن قتلك أو أموت دون ذلك، ثمّ ودّع القبر واستوىٰ على راحلته وأقبل ينحو الكوفة فوصلها والليل معتكر بعد، وأوصل الكتب التي وضعها على لسان محمّد وأخفاها عنده إلى أصحابها وكان يومها يستعدّ سليمان بن صرد للخروج، ولمّا اشتغل بأخذ البيعة في الكوفة وقبض عليه أميرها وهو عمر بن سعد بن أبي وقّاص وكان والياً عليها من قبل مروان[1] وألقاه في السجن مع جماعة من وجهاء أهل الكوفة وكذلك سعى ذلك الأديب الشيعي المذكور آنفاً بشفاعة عبدالله بن عمر لخلاصه وأخذوا عليه عهداً ويميناً غموساً أن ينحر عشرة آلاف بدنة في منى إن خرج في ملك بني أُميّة عليهم أو أحدث فتنة في البلد وأن يكون عبيده أحراراً.

ورجع إلى بيته بعد أداء القسم وقال لخاصّته: أيظنّ هؤلاء الحمقىٰ إنّي أفي

(١) لم يل ابن سعد لعنه الله أيّة ولاية بعد الحسين وكرهه الناس وخمل ذكره، وسيّدنا الشهيد يروي عن غيره ولذلك وقع في هذا الخطأ.

لهم، والله لأخرجنّ عليه ولأدفعنّ الكفّارة وتمنّيت من الله أن يتمّ غرضي ولا يكون لي مملوك واحد، والله إنّ نحر عشرة آلاف جمل أهون علَيّ من ترك الطلب بدم الحسين عليه السلام، ولكنّي أتريّث قليلاً حتّى ينجلي أمر سليمان بن صرد.

ثمّ أخلد المختار إلى السكون مادام سليمان بن صرد حيّاً حتّى استشهد وأرسل ابن الزبير عبدالله بن مطيع العدوي والياً على الكوفة من قبله، عندئذٍ أعلن المختار خروجه وحدثت بينه وبين عبدالله بن مطيع العدوي مناوشات كثيرة حتّى تمكّن المختار من أسره وأصحابه في قصر الإمارة، ولمّا ضاق به الخناق ونفد ما عنده من الطعام طلب من المختار الأمان، فأعطاه ثمّ احتلّ دار الإمارة فوجد في بيت المال اثني عشر ألف درهم، فتقاسموها هو وأصحابه، وبادر إليه أهل الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنّة رسوله وطاعة المهدي أي محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه في الطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام.

ثمّ تشاغل بالعمل على ضبط بلاد الكوفة وجعل عبدالله بن كامل أميراً على شرطته ولمّا رأى الكوفة قد خضعت له وأطاعه قاصيها ودانيها، بعث عبدالرحمن ابن قيس الهمداني إلى الموصل وعبدالله بن الحارث بولاية أرمينيا، وعمر بن عطاء ابن الحاجب إلى إمارة أذربيجان، وسعد بن حذيفة إلى حلوان، وهكذا أعطى زمام أُمور الولايات التي علم أنّها سوف تفتح له إلى أصحاب الكفاءات والاقتدار، وأطاعه الأُمراء وتوجّهوا إلى ولاياتهم، وأخذوا البيعة للمختار من البلاد والأقطار، ومدّ بساط العدالة ومهّده، وكذلك أقام قواعد العدل في الكوفة فألقى ما أقامه من كان قبله من الظلم الاستبداد، وأمر شريحاً بتولّي القضاء في ولاية الكوفة، ولمّا كان شريح متّهماً بموالاة عثمان أظهر التمارض واستعفاه، لذلك فوّض هذا المنصب إلى واحد من فقهاء الشيعة. وكان يجلس بنفسه النفيسة

في كلّ يوم في ديوان المظالم ويضرب على يد الظالم ويردّ الظلامات إلى أهلها، جزاه الله خيراً.

ولمّا علم مروان بما جرى في العراق استدعى عبيدالله بن زياد لعنهما الله وأمّره على جيش جرّار وأمره باحتلال العراق ومحاربة المختار، والتقى بعساكر المختار على بُعد خمسة فراسخ من الموصل، فاقتتلوا من مطلع الشمس إلى حلول الظلام، وعندما مالت الشمس إلى المغيب لم يجد جيش الشام أمامه إلّا الفرار من المعركة، فاختار الفرار على القرار وتتبّعهم الجيش العراقي يحصد رؤوسهم، وقتل ابن زياد ومعه سبعون ألفاً.

ومذ انتصر إبراهيم بن مالك الأشتر على أهل الشام بعث برأس ابن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وربيعة بن مخارق وباقي رؤساء أهل الشام إلى المختار في الكوفة، فسرّ الشيعة بذلك سروراً عظيماً وعقدوا مجالس الشكر ومحافل الدعاء، وأدّوا ما عليهم من النذور إلى المستضعفين والفقراء.

قال أبو المؤيّد الخوارزمي: وبعث بالرؤوس المختار إلى محمّد وكتب إليه ومع الكتاب ثلاثون ألف دينار(١).

فلمّا ورد الكتاب على محمّد قرأه على أهل بيته فحمدوا الله وصاموا له شكراً، وأمر محمّد أن تصلب الرؤوس خارج الحرم، فمنعه عبدالله بن الزبير، فدفنت.

وثقل علب قلب ابن الزبير غلبة المختار.

ثمّ سار إبراهيم بن مالك فنزل الموصل واحتوى على الجزيرة وجبى الخراج فقسّم على أصحابه جملة منه وأرسل فاضله إلى المختار، فصارت الكوفة وسوادها إلى المدائن والجزيرة بأجمعها من ديار ربيعة ومضر إلى المختار،

---

(١) سمّى سيّدنا الكتاب فتحنامه، راجعه في مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٥.

وصارت الشام وأرض مصر إلى المغرب إلى عبدالملك بن مروان، وصارت الحجاز واليمن بأجمعها إلى عبدالله بن الزبير[١].

ولمّا أطاعت المختار بن أبي عبيدة الولايات المذكورة واستولى عليها لم يتتبع قتلة الحسين كما ينبغي فانطلقت ألسن الشيعة بثلبه، وقال محمّد بن الحنفيّة وشيعته: إنّ هذا الرجل زعم أنّه يحبّ أهل بيت النبي الطيّبين الطاهرين، ولكنّه لم يصدق بقوله لأنّ جلّ القتلة يحيون في الكوفة آمنين وهو قد جعل التغافل عنهم والتساهل في أمرهم شعاره ودثاره.

فلمّا وصلت أخبار ذلك إلى سمع المختار اعترف بتقصيره وأمر عبدالله بن كامل أن يكتب أسماء من حضروا كربلاء مع ابن سعد في صحيفة ويأتيه بها، فلمّا فعل ذلك، شمّر المختار عن ساعد الجدّ وقتل كلّ واحد منهم القتلة التي يستحقّها (بحيث شاهد ذلك أُولوا الأبصار).

وفي كتاب كشف الغمّة عن المنهال بن عمرو الكوفي إنّه قال: حججت فدخلت على عليّ بن الحسين عليه‌السلام فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟

قلت: تركته حيّاً بالكوفة.

فرفع يديه ثمّ قال: اللهمّ أذقه حرّ الحديد، اللهمّ أذقه حرّ النار.

قال: فانصرفت إلى الكوفة وقد خرج بها المختار بن أبي عبيدة وكان لي صديقاً، فركبت لأُسلّم عليه، فوجدته قد دعا بدابّته فركبها وركبت معه حتّى أتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء وكان قد وجّه في طلب حرملة بن كاهل، فأُحضر، فقال: الحمد لله الذي مكّنني منك، ثمّ دعا بالجزّار فقال: اقطعوا يديه،

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٣٦.

فقُطعتا، ثمّ قال: اقطعوا رجليه، فقُطِعتا، ثمّ قال: النار النار، فأُتي بطنّ قصب ثمّ جعل فيها ثمّ أُلهب فيه النار حتّى احترق.

فقلت: سبحان الله!

فالتفت إليّ المختار فقال: ممّ سبّحت؟!

فقلت له: دخلت على عليّ بن الحسين فسألني عن حرملة فأخبرته أنّي تركته بالكوفة حيّاً، فرفع يديه وقال: اللهمّ أذقه حرّ الحديد، اللهمّ أذقه حرّ النار.

فقال المختار: الله الله، أسمعت عليّاً بن الحسين يقول هذا؟!

قلت: الله الله لقد سمعته يقول هذا.

فنزل المختار فصلّى ركعتين ثمّ أطال ثمّ سجد وأطال ثمّ رفع رأسه وذهب ومضيت معه حتى انتهى إلى باب داري، فقلت له: إن رأيت أن تكرمني بأن تنزل وتتغدّىٰ عندي.

فقال: يا منهال، تخبرني أنّ عليّ بن الحسين دعا بثلاث دعوات فأجابه الله فيها على يدي ثمّ تسألني الأكل عندك؟! هذا يوم شكر الله على ما وفّقني له[1].

وذكر صاحب «روضة الصفا» قتل قاتلي الحسين رؤساء أهل الكوفة تفصيلاً مثل شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد وأولاده وخولىٰ بن يزيد الأصبحي وعمرو بن الحجّاج وقيس بن الأشعث وحكيم بن الطفيل الطائي وابن سليم ويزيد ابن مالك وعمران بن خالد وعبدالله البجلي وعبدالله بن قيس الخولاني، وذكر القصّة بطولها، وقال: كلّ من قبض عليه من الظلمة قتله وأحرقه، ومن هرب منهم إلى البصرة فقد أشعل فيهم نار الحقد والغضب، ولو أنّنا أطلقنا للقلم العنان فجال فيهم وذكر قتلهم واعتقالهم لخرجنا بذلك عن القصد.

---

(١) الإربلي: كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٢٤.

والظاهر على الوجه الذي ذكره الميبدي في شرح الديوان المرتضوي من تفسير الإمام الحسن العسكري فقد روي أنّ عدد من قتل منهم على يد المختار منهم بلغ ثمانين ألفاً وثلاثمائة خبيث، والرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام جاءت على النحو التالي: سيُقتل ولدي الحسين، وسيخرج غلام من ثقيف ويقتل من الذين ظلموا ثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألف رجل. فقالوا: مَن هو؟ فقال: هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

بقي المختار يحكم الكوفة والبصرة إلى حدود الري وخراسان ونهاوند وحدود اصفهان وآذربيجان ويخطب باسمه وضربت السكّة به ستّة أشهر، وكان يبعث الولاة إلى هذه الأقاليم وأُمراء الشحنات منه، وكان ولاته مقتدرين مع التمكّن العظيم في بلاد الإسلام، ولكنّه استشهد بآخرة في حربه مع مصعب بن الزبير، رحمة الله على المختار رحمة واسعة.

معاوية بن يزيد بن معاوية الأموي

كان يلقّب بالراجع إلى الله بمقتضى قوله تعالى الذي تعدّىٰ طور الإعجاز: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾[1].

كان حسن السيرة، متديّناً ومحبّاً لأهل بيت سيّد الأبرار، بقي في الخلافة ثلاثة أشهر، وقيل أربعين يوماً، وأُلهم كما أُلهم مؤمن آل فرعون بالإلهام الربّاني والفطرة الصحيحة المباني أنّ الخلافة ما هي إلّا حقّ من حقوق أهل البيت، ولمّا انقضت المدّة المذكورة صعد المنبر وقال بعد حمد الله والصلاة على رسوله: اعلموا أيّها الناس، إنّي امرئ عاجز ولا تليق الخلافة بعاجز، ولا أستطيع تأدية

---

(١) الأنعام/٩٥.

حقّها، ولا الخروج من عهدتها، فإن كانت حقّاً وإن كانت باطلاً فإنّها فعل فعله بنو أُميّة فهم المؤاخذون به وذممهم به رهينة، وأُخبركم خبراً حقّاً وأقول لكم قولاً صدقاً أنّ وارثها حقّاً واحد لا مطعن فيه هو عليّ بن الحسين عليه السلام، انفروا إليه وبايعوه، وإن كنت أعلم علماً يقيناً بأنّه لا يقبل ذلك الأمر.

ثمّ نزل بعد أن أتمّ خطبته ودخل داره وأحكم عليه إغلاق الباب وعزف عن لقاء الناس ولم يخرج من داره حتّى وافاه الأجل المحتوم.

وفي كتاب «كامل البهائي»: لمّا أسندت الخلافة إلى معاوية بن يزيد، صعند المنبر ولعن أباه وجدّه معاوية وتبرّأ من أعمالهما، فاضطربت أُمّه من سماع أقواله وقالت له على نحو العتب: (يا بُنيّ، ليتك كنت حيضة في خرقة) فقال لها معاوية ابنها: «وددت ذلك يا أُمّاه». وأخيراً قضي عليه بالسمّ الناقع ودفنوا صاحبه الذي كان عَلَماً من أعلام الشيعة حيّاً.

وتُنسب إلى معاوية هذان البيتان يبرأ بهما من أبيه وهما قوله:

يا ليت لي بيزيد حين أنتسب ... أباً سواه وإن أزرى به النسب

برئت من فعله والله يشهد لي ... إنّي برئت وذا في الله قد يجب

زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام

ثبوت كمالاته النفسيّة ومجاهداته مع الجيف المروانيّة غنيّ عن التعريف، صيت فضله وشجاعته مشهور، ومآثر سيفه وسنانه على الألسنة مذكور، وهذه الأبيات الثلاثة التي نظمها حسن[1] بن كناني في فضله وشجاعته ذكرها في كتاب «ربيع الأنوار» وهي:

---

(١) الحزين الكناني.

فلمّا تردّى بالحمائل وانثنى يصول بأطراف القنا والذوابل
تبيّنت الأعداء أنّ سنانه يطيل حنين الأمّهات الثواكل
تبيّن فيه ميسم العزّ والتُّقى وليداً يفدّىٰ بين أيدي القوابل[1]

روى زيد رضي الله عنه عن أبيه الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام وأخيه الإمام محمّد الباقر وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، واستشهد سنة واحد وعشرين بعد المائة، وشهد الإمام الصادق عليه السلام بوفائه وترحّم عليه.

قال ابن حجر المتأخّر في كتابه: وزيد هذا كان إماماً جليلاً، استشهد في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة، ولمّا صُلب عرياناً جاءت العنكبوت ونسجت على عورته حتّى حفظت عن رؤية الناس، فإنّه استمرّ مصلوباً مدّة طويلة وكان قد خرج وبايعه خلق من الكوفة، وحضر إليه كثير من الشيعة، فقالوا له: ابرأ من الشيخين ونحن نبايعك، فأبى، فقالوا: إنّا نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة؛ فمن حينئذٍ سمّوا الرافضة وسمّيت شيعته بالزيديّة[2].

وهذا كلام ابن حجر، الذي نسجه الجاهلون على هذا المنوال وجعلوه سبباً في خذلان زيد عليه السلام على وجه أشار إليه في حبيب السير إشارة لطيفة وذكر مجرىٰ الحدث على هذا النحو: ذلك أنّ زيداً حين أعلن الخروج تبادر إلى فهم قوم من الشيعة الذي اجتمعوا عليه أنّه خارج بإذن من الإمام الصادق عليه السلام، ولمّا تناهى إلى علمهم أنّ الإمام صدّه عن الخروج ومنعه تبرّؤوا منه واعتزلوه، فقال زيد عليه السلام: رفضوني، وسمّي القوم الذين ثبتوا معه أُولئك «رافضة»، وذكر

---

(١) السيّد المرتضى: الأمالي ج ٢ ص ١١٤.

(٢) الصواعق المحرقة، تحقيق عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل الخرّاط، ج ١ ص ١٥٧ ط بيروت، مؤسسة الرسالة، أولىٰ.

ما يناقض رواية ابن حجر روايات في كتب أصحابه.

فهذا عبدالرحمن الهمداني في كتابه الألفاظ ينقل عن أصحاب التواريخ: إنّ زيداً لمّا أصابه السهم ووقع عن ظهر الفرس قال: أين سائلي عن أبي بكر وعمر؟ هما أقاماني هذا المقام.

ولا يتمّ هذا القول إلّا بعد فرض سائل سأله عن حالهما فقال: وهو يعاني من ألم السهم: هما أقاماني الخ.

ومعناه: أين ذهب السائل الذي سألني عنهما، إنّهما السبب فيما جرىٰ علَيّ، فكأنّما الفعل منهما إصالة وليس بالتبعيّة.

ومن هنا جاء مضمون كلام لبعض السادة حين سُئل: مَن الذي قتل الحسين عليه السلام في كربلا؟ والظاهر أنّ أهل السنة والجماعة فهموا من كلام زيد عليه السلام أنّه استدعىٰ سائله عن أبي بكر وعمر ليقول له: إنّ الشيعة رفضوني لحبّي إيّاهما وعدم سبّي لهما وقد بلغت بي الحال إلى هذا المبلغ، وفيه ما فيه.

وذكر في كتاب «تاريخ الملوك»: إنّ سبب خروج زيد على بني أُميّة، إنّه جاء إلى مجلس هشام بن عبدالملك وسلّم عليه، فقال هشام: «لا سلام عليك».

فقال له زيد: «اتّق الله».

فقال هشام: مثلك من يأمرني بتقوى الله.

فقال زيد: لا أحد يستغني عن الأمر بتقوى الله وما هو بأعظم ممّن يأمره بالتقوىٰ.

فقال هشام: أمثلك من يتمنّى الخلافة وهو ابن أمة.

فقال زيد: لا يحطّ قدر الأُمّ من قدر ولدها ولو كان الأمر كذلك لما آتى الله إسماعيل النبوّة وهو ابن أمة وقد ولد سيّد الأوّلين والآخرين وكان من نسله.

فقال هشام: وبك جرأة على ردّ جوابي، ثمّ أمر بإخراجه من المجلس، ولمّا أُقيم زيد سمعوه يقول: ما أحبّ أحدٌ الحياة إلّا ذلّ..»

وأقبل من الشام إلى الكوفة، ودعىٰ الشيعة إلى نفسه ثمّ خرج.

وجاء في حبيب السير: إنّه بايعه أربعون ألفاً من أهل الكوفة، ولكنّ جماعة ممّن بايعه أنكر إمامته وردّ بيعته بعد أن بايعوه.

وقد ذكر المؤرّخون سبب ذلك وهو مسطور في أسفارهم. وكان إمام زمانه الإمام جعفر الصادق عليه السلام ولذلك خاطب زيد أُولئك القوم بقوله: رفضتموني. وبناءاً على هذا أُطلق على الشيعة لقب «رافضي» وعند ذلك خرج زيد عليه السلام في أوّل ليلة من صفر سنة اثنين وعشرين ومائة، والتحق به بعض من بايعه، خلا أنّ عددهم لم يتعدّ الخمسمائة ولهذه الجهة استولى عليه الشأم وركبه البؤس والملل وأدركه العجب من غدر الكوفيّين.

وكان يوسف بن عمر الثفي لعنه الله حاكماً على العراق من قِبَل هشام بن عبدالملك وقد وقف يستعرض الصفوف على الجسر ويسرح بها فوجاً بعد فوج إلى حرب زيد، وكان سيّدنا زيد عليه السلام يقاتلهم قتال الأبطال الشجعان، ويهزمهم هزيمة أثر هزيمة، لكن الكثرة كانت مع عدوّه، فتغلّب عليه لقلّة أنصاره وكثرة من حاربه.

واستشهد مع زيد: زيد بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق وزياد بن عبدالرحمن، وهم من أعلام الكوفة وفرسان أصحابه ورؤوسهم، ومعهم سبع وستّون رجلاً، وقطع القوم رؤوسهم وحملوها إلى يوسف بن عمر.

وقد ثبت زيد عليه السلام في ساحة الحرب وأخذ يقاتل، وبينما هو يقاتل إذ رماه مجهول بسهم فوقع في جبهته، ورماه الفرس عن ظهره فحمله خادمه إلى بيت

أحد الشيعة وجيء له بطبيب ليعالجه ولم يجد العلاج نفعاً لأنّ أيّامه انتهت وسنيّ عمره الشريف نفدت، وأسلم الروح فعرجت كطائر قدسيّ وحطّت في حضيرة القدس.

فعمد شيعته إلى حفر قبر له وبالغوا في إخفائه، ولكن يوسف سعىٰ جاهداً في تحصيله حتّى دلّ عليه وذلك أن جهده أخفق في العثور على قبر زيد حتّى اعتقل أحد مواليه وهدّده بالقتل فدلّ عليه خوفاً من القتل، فاستخرجه الثقفي لعنه الله من قبره وصلب الجسد وبعث الرأس الشريف إلى هشام، وكان عمره الشريف قد بلغ الثانية والأربعين.

ولمّا بلغ خبر استشهاد زيد إلى الشام قال الحكم بن عبّاس الكلبي هذين البيتين:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان عليّاً سفاهة وعثمان خير من عليّ وأطيب

وبلغ الصادق عليه السلام قول الحكيم (كذا) بن العبّاس الكلابي «صلبنا لكم.. البيتين» فرفع الصادق يده إلى السماء وهما يرعشان فقال: اللهمّ إن كان عبدك كاذباً فسلّط عليه كلبك، فبعثه بنو أُميّة إلى الكوفة فبينما يدور في سككها إذا افترسه الأسد، واتصل خبره بجعفر عليه السلام فخرّ لله ساجداً ثمّ قال: الحمد لله الذي أنجز[نا] (لنا) ما وعدنا..[1]

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٦٠. وكان الفاضل الأديب العالم الشيخ حسين الطرفي قد عارض هذين البيتين بمقطوعة رائعة تفي بالغرض حين سكت عنه الأوّلون فأحببت هنا إيرادها لينتفع بها القارئ ويؤجر الشاعر والمترجم. قال: وقلت في معارضة قول الحكم بن العبّاس الكلبي في الشهيد زيد رضوان الله تعالى عليه (عليه السلام) إذ يقول: صلبنا لكم.. الخ..)
⬅

قال المؤلّف: والتحقيق أنّ زيداً لم يدّع الخلافة بل المتيقّن به إنّه يعلم مستحقّها في زمانه هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام وكان خروجه على الطغاة والمتغلّبين على الأمر بدافع الطلب بثارات أهل البيت عليهم السلام، وتوسّل بكلّ سبيل لجمع الناس حوله ليدفع بهم كيد عدوّه، واتّبعه في تلك الفترة كلّ موتور من بني أُميّة، سواء منهم السنّي والشيعي والمعتزلي وغيرهم، ولكن بعض الشيعة الذين اتّبعوه في بادئ الأمر تفرّقوا عنه بالسبب الذي ذكرناه قبل نشوب الحرب، وكان بعضهم الآخر الذين ثبتوا معه ولم يروا السبب المذكور قادحاً أو لم يحيطوا به من رأس أو رأوا ترك الخوض فيه والحرب قائمة لا معدل عنه وشمّروا عن

⬅ فقلت في معارضته:

أيا حكمٌ قد جُرتَ في الحكم ظالماً — بثلبك مهديّاً على الجذع يصلب
ولا بأس في صلب على الجذع بالذي — غدا الجذع من بأس به يتصلّب
أفي هديه ترتاب وهو الذي له — لفرط هداه للإمامة يذهب
ولا ضير في هذا عليه فجدّه — عليّ كما قد شرّقوا فيه غرّبوا
تقول (صلبنا) معلناً عن جهالة — رضاك بفعل للمهيمن يغضب
وقلت لكم تعزي لنا زيداً الذي — به فخر من يعزىٰ إليه وينسب
وكما سائنا منك افتراء بأنّنا — يقاس لدينا بالسُمَيْدع ثعلب
فبالمرتضى لا لا نوازن غيره — وذلك خسران الموازين يحسب
ولا عجب من قولك الزور ضلّة — فحكمك في تفضيل عثمان أعجب
فعن نشره الفوّاح سل حشّ كوكب — يُخبرك عن طيب به ضاع كوكب
قد اخترت واخترنا الذي اختار ربّنا — ولا شكّ من يختاره الله أطيب
فحسبك في بُعدٍ عن الله نعثل — وحسبي عليّ مَن به يتقرّب

ويُعجبني ما قاله الفاضل الوزير الإربلي في كشف الغمّة وأنا أنقل بعضه وأُرشد القارئ إليه فإنّه قال: قلت: هذا الحكم أبعده الله جار في حكمه ونادىٰ على نفسه بكذبه وظلمه والأمر بخلاف ما قال على رغمه وبيان ذلك: إنّ زيداً رحمه الله (عليه السلام) لم يكن مهديّاً لو كان لم يكن ذلك مانعاً من صلبه فإنّ الأنبياء عليهم السلام قد نيل منهم الخ / كشف الغمّة ج٢ ص ٤٢٢.

ساعد الجدّ في قتال أهل الضلال ولكنّهم لمّا أبصروا معه فرقاً ممّن يخالفهم ويختلف معهم في أصل الاعتقاد، انقسموا إلى طائفتين: طائفة عرفت زيداً عن قرب وألمّت بعلمه وفقهه وتقواه وصدقت بنزاهته وطهره فلم يخامر اعتقادهم فيه شكّ أو شبهة وائتلافه مع المخالفين لم يوجب عندهم القدح في عقيدته بل اعتبروا المخالفين من المؤلّفة قلوبهم لذلك رفعوا على رؤوسهم علم موالاته وحبّه، وانضووا تحته للانتقام من أعداء الأئمّة الأطهار.

والطائفة الأُخرى، وهم قوم عرفوا ظاهراً من أمر زيد ولم يتمرّسوا به حقّ التمرّس أو إنّهم كانوا غلاة في تشيّعهم مِن ثَمّ رأوا ائتلافه مع المخالفين دليلاً على اختلال اعتقاده أو إنّهم توهّموا ذلك منه فأراد اختباره ليزدادوا بصيرة في أمره لذلك أرادوا منه على رؤوس الأشهاد البرائة من الشيخين وسبّهم، ولمّا عمل زيد بالتقيّة تأليفاً للقلوب ورأباً للصدع واستمالة للموالين لهما، ورأى المداراة منه في مثل موقفه وظرفه للقوم أمراً لازماً لا محيص عنه ولا مناص منه، مِن أجل ذلك امتنع من البرائة منهم فلم يعذره أُولئك القوم على تراجعه، وتركوه بين القنا والسيوف وتحت رحمة جموع العدوّ الضارية خذلوه وولّوه أظهرهم(١).

ويؤيّده ما قاله السيّد الأجل المقتدى به المير مرتضى علم الهدى ﷺ في كتابه «المشفى»(٢) عن بعض الأعيان من الشيعة قال: كنت مع زيد بن عليّ عليهما السلام بواسط، فذكر قوم أبابكر وعمر وعليّاً عليه السلام، فقدّموا أبابكر وعمر عليه، فلمّا قاموا قال لي زيد رحمه الله: قد سمعت كلام هؤلاء وقد قلت أبياتاً فادفعها إليهم وهي:

---

(١) لا أملك إلّا أن أقول: سوّد الله وجوههم ولعنهم وأُصلّي وأُسلّم على سيّدي ومولاي زيد روحي له الفداء وقلّ الفداء.

(٢) لعلّه يريد الشافي في الإمامة، وأنا أنقلها من الفصول المختارة ص٢٥.

ومن شرف الأقوام يوماً برأيه فإنّ علياً شرّفته المناقب
بأنّك منّي يا عليّ معالناً كهارون من موسىٰ أخ لي وصاحب
دعاه ببدر فاستجاب لأمره وما زال[1] في ذات الإله يضارب
فما زال يعلوهم به وكأنّه شهاب تلقّاه القوابس ثاقب

وقريب من هذا المضمون ما ذكره ابن خزّاز القمّي في أواخر الرسالة «كفاية الأثر في النصوص على الأئمّة الاثني عشر» بعد رواية جملة من الأحاديث الدالّة على إمامة الأئمّة الاثني عشر عن زيد بن عليّ أنّه قال:

فإن قال قائل: فزيد بن عليّ عليه السلام [إذا سمع هذه الأخبار و] هذه الأحاديث من الثقات المعصومين وآمن بها واعتقدها [فلما] فلم خرج بالسيف وادّعى الإمامة لنفسه وأظهر الخلاف على ابن أخيه جعفر بن محمّد وهو بالمحلّ الشريف الجليل المعروف بالستر والصلاح مشهور عند الخاصّ والعام بالعلم والزهد، وهذا ما لا يفعله إلّا معاند أو جاحد، وحاشا زيد بن عليّ أن يكون بهذا المحل.

فأقول في ذلك وباللّه التوفيق: إنّ زيد بن عليّ عليه السلام إنّما خرج على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا على سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر بن محمّد عليه السلام، وإنّما وقع الخلاف من جهة الناس وذلك أنّ زيد بن عليّ عليه السلام لمّا خرج ولم يخرج جعفر بن محمّد توهّم قوم من الشيعة أنّ امتناع جعفر عليه السلام كان للمخالفة، وإنّما لضرب من التدبير، فلمّا رأى الذين صاروا للزيديّة سلفاً (سألنا ذلك) قالوا: ليس الإمام من جلس في بيته وأغلق بابه وأرخىٰ ستره، وإنّما الإمام من خرج بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فهذا كان سبب وقوع الخلاف بين الشيعة.

---

(١) في متن المؤلّف: «ظاعن» بدل «ما زال».

وأمّا جعفر وزيد فما كان بينهما خلاف والدليل على صحّة قولنا، قول زيد بن عليّ عليهما السلام: من أراد الجهاد فإليّ، ومن أراد العلم فإلى ابن أخي جعفر، ولو ادّعى الإمامة لنفسه لم ينف كمال العلم عن نفسه؛ لأنّ الإمام يجب أن يكون أعلم من الرعيّة، ومن مشهور قول جعفر بن محمّد: رحم الله عمّي زيداً، لو ظفر لوفىٰ، وإنّما دعىٰ إلى الرضا من آل محمّد وأنا الرضا.

وتصديق ذلك ما حدّثنا به عليّ بن الحسين قال: حدّثنا عامر بن عيسى، عن أبي عامر السيرافي بمكّة في ذي الحجّه سنة إحدىٰ وثمانين وثلثمائة قال: حدّثني أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثنا محمّد بن المطهّر، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا عمير ابن المتوكّل بن هارون البلخي، عن أبيه المتوكّل بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان، فما رأيت رجلاً في عقله وفضله، فسألته عن أبيه عليه السلام، فقال: إنّه قُتِل وصُلِب بالكناسة، ثمّ بكىٰ وبكيت حتّى غشي عليه، فلمّا سكتُّ قلت: يا ابن رسول الله، وما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغي وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ قال: نعم، لقد سألته عن ذلك، فقال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صلبي فقال: حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يُقتل شهيداً، إذا كان يوم القيامة يتخطّىٰ هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنّة، فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: رحم الله أبي زيداً كان والله أحد المتعبّدين؛ قائم ليله، صائم نهاره، مجاهد في سبيل الله حقّ جهاده.

فقلت: يابن رسول الله، هكذا يكون الإمام بهذه الصفة؟

فقال: يا عبدالله، إنّ أبي لم يكن [بإمام] ولكن كان من السادات الكرام وزهّادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله.

فقلت له: يابن رسول الله، أمّا إنّ أباك قد ادّعى الإمامة وخرج مجاهداً في سبيل الله وقد جاء عن رسول الله ﷺ فيمن ادّعى كاذباً.

فقال: يا عبدالله، إنّ أبي عليه السلام كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحقّ، إنّما قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد ﷺ، عنى بذلك عمّي جعفراً.

قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟

قال: نعم، هو أفقه بني هاشم[1].

وما ذكره شيخ المحدّثين محمّد بن يعقوب الكليني في كتاب «الكافي» في باب «الاضطرار» من مناظرة أبي جعفر مؤمن الطاق مع زيد عليه السلام، وأوّل الرواية وإن دلّت على أنّ زيداً كان جاهلاً أو متجاهلاً بإمامة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وإنّه لا يراه مستحقّاً للخلافة إلّا أنّه في آخر كلامه تبيّن غرضه من أنّه تجاهل إمام مؤمن الطاق ليحمله على اتّباعه واللحوق به، والمجاهدة معه، ولكنّه لمّا اطّلع على خفايا مؤمن الطاق ورأى منه حسن التبصّر، وإنّه لا يجامل في دينه ولا يحابي وقد بلغ حدّ اليقين من الإيمان، وبَعُد عن مقدّمات الخطّابيّة الإقناعيّة[2]، ولا يداخله الشكّ في استحقاق الإمامة، لذلك عذره وتراجع ممّا أبداه له وأعلن علوّ مقام ابن أخيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

إلى أن قال: إنّ جعفراً أخبرني بأنّي سوف أُقتل وأُصلب في الكناسة وكشف

---

(١) كفاية الأثر ج١ ص١١٤ واتّبعت نصّ المؤلّف وكان بين النصّين اختلاف طفيف وصحّحت الخطأ على نصّ الكفاية.

(٢) اتّباع أبي الخطّاب من الفرق الغالية زعيمهم زعم أنّ جعفراً إله فتبرّأ منه الإمام فادّعى الأُلوهيّة لنفسه وحاربه المنصور وأسره وصلبه بالكوفة وتشعّبوا إلى فرق والقرامطة منهم.

لمؤمن الطاق بأنّ الإمام الصادق أخبره أنّ عنده صحيفة وفيها خبر قتله وصلبه، وقد ذكرنا هذه المناظرة مفصّلة سلفاً في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام فارجعوا إلى هناك.

يحيى بن زيد رضي الله عنهما

كان في عهد حكومة الوليد بن يزيد الفاسق وكان يحيى بن زيد يتّصف بحلية الفضل والشجاعة، وخرج إلى خراسان بعد استشهاد والده المعظّم، وخرج على بني أُميّة، ومعه من شيعته سبعمائة إنسان، واستشهد بنواحي جوزجان على يد مسلم بن ماحور المازني الذي قاتله بأمر من نصر بن سيّار، وهذه الأبيات الثلاثة من نظمه:

خليليّ عنّي بالمدينة بلّغا ... بني هاشم منه[1] النُهى والتجارب

لكلّ قتيل معشر يطلبونه ... وليس لزيد بالعراقين طالب

سأبغي بحدّ السيف ما قد تركتم ... وضيّعتم ما دام بالسيف ضارب[2]

عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيّار

جاء في كتاب حبيب السير أنّ عبدالله قدم الكوفة في سنة سبع وعشرين ومائة في أوّل حكومة يزيد بن الوليد، فأظهر حاكم تلك الولاية وهو عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز تعظيمه وبالغ في إكرامه، وقد أجرى عليه في كلّ يوم ثلاثين درهماً. ولمّا هلك يزيد قام مقامه إبراهيم فعمل إسماعيل بن عبدالله القشيري كتاباً مزوّراً على لسان إبراهيم يلي بموجبه إمارة الكوفة ولكن عبدالله بن عمر

---

(١) كذا.

(٢) اقتصرت الكتب الثلاثة التالية على البيت الثاني: شرح الأخبار للنعماني ج ٢ ص ٣٢١، تاريخ مدينة دمشق ج ٦٤ ص ٢٢٥، سير أعلام النُبلاء ج ٥ ص ٣٩١.

قام في وجهه ومنعه، فخاف إسماعيل أن ينكشف أمره، فزعم للناس بأنّه لا يريد سفك الدماء وها أنا قد تنازلت عن الولاية.

وعمد عبدالله إلى إسماعيل وعبدالله بن معاوية فقبض عليهما وسجنهما واختصّ قوماً من رؤساء القبائل بالجرايات الوافرة وأنعم على قبائلهم ولم يصل إلى حوشب بن رويم وعثمان بن حيري وجعفر بن نافع منه شيء، فغضبوا على عبدالله بن عمر وكان يومها بالبصرة وخرجوا إلى الكوفة وأعلنوا العصيان، فالتفّ عليهم جمع كثير من أهلها واستدعى عبدالله بن عمر أخاه عاصماً وأمره باستمالة القوم، فذهب عاصم إلى الكوفة وحمل إلى كلّ رجل منهم مأة ألف درهم، فاستشعر الشيعة من هذه العطيّه ضعف عبدالله بن عمر، لذلك أخرجوا عبدالله بن معاوية من السجن وأجلسوه على سرير الملك بدعم من إسماعيل بن عبدالله القشيري ومنصور بن جمهور، ودعوا الناس إلى بيعته، وأخرجوا عبدالله بن عاصم من الكوفة[1] واستعدّوا للقتال، واقتتلوا قتالاً شديداً ختم بهزيمة عبدالله بن معاوية، فعاد أدراجه والتئم في جماعته شيعة ابن زيد فخرج بهم إلى المدائن ثمّ ساق عسكره منها إلى حلوان واستطاع أن يخضع حلوان والجبال واصفهان وهمدان والري إلى حكمه وتمكّن في سنة تسع وعشرين ومائة أن يخضع ولاية فارس وعراق العجم إلى حدود دامغان ومعه محارب بن موسى يعينه ويدعمه وتخطّى إليه الحدود جماعة من بني هاشم وغيره من الأصاغر والأكابر فانضووا تحت راية فتحه واتّخذ عبدالله من مدينة اصطخر بفارس موضع إقامة له، وأقام أخاه الحسن على إمارة الجبال، وبعث بولاته إلى الأقاليم فنصب على كلّ إقليم تابع له والياً.

(١) يريد عاصم أخا عبدالله بن عمر.

ولمّا علم يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان والياً على العراق من قبل يزيد، تسلّط عبدالله بن معاوية على البلاد، بعث عامر بن سيّارة ومعن بن زائدة على رأس جيش جرّار وأمرهما بقتاله من جهتين، فعملا بما أوصاهما به وما أن أوشكا على الالتقاء في ميادين القتال حتّى تفكّك جيش عبدالله وهرب عبدالله والتحق بأبي مسلم الخراساني لأنّه كان يدعو الناس إلى الرضا من آل محمّد ﷺ.

ولمّا وصل إلى هراة وكان عليها مالك بن هشيم الخزاعي من قبل أبي مسلم، حبسه وأخاه الحسن عنده وأرسل وافداً من قبله إلى أبي مسلم وأخبره عن نزولهما عنده، فأمره أبو مسلم بقتل عبدالله وإطلاق سراح أخيه الحسن.

وذكر صاحب تاريخ الملوك أنّ سبب قتله إيّاه أنّ أبا مسلم أرسل إليه جاسوساً ليطّلع على ما يخبئ لأبي مسلم في نفسه، ولم يعلم بذلك عبدالله، فكان يصرّح للناس بما في نفسه عن أبي مسلم ويصفه لهم بأنّه كذّاب ويلعنه ويأمرهم بلعنه، ونقل عنه أنّ ذلك العين قبل عودته إلى أبي مسلم كان في مجلس عبدالله بن معاوية، فجرى سؤال حول اسم والده «معاوية» وقال له السائل: إنّ هذا الاسم ليس من أسماء أهل البيت إنّما كانت أسماءهم عبدالله وجعفراً وما إلى ذلك. فقال عبدالله في جواب السائل: دخل جدّي مجلس معاوية ذات يوم فبينما هو عنده إذ حملوا إليه البشارة بقولهم: إنّ الواهب المنّان وهب لك ولداً. فقال له معاوية: هذه مأة ألف درهم لك وسمّه باسمي، ومن يومئذٍ سمّاه معاوية. فقال له مالك بن هشيم: لقد أخذ حفنة من الذهب وسمّاه بأحسن الأسماء.

وتمام الحكاية أنّ مالك لمّا علم بالأمر خنق عبدالله بوضع الوسائد على فمه حتّى انقطعت أنفاسه ودفن في «مصرخ هراة» ويعرف اليوم قبره بمزار السادات...

محمّد وإبراهيم ابنا عبدالله المحض ابن الحسن بن الحسن بن عليّ المرتضى عليهم السلام

كان محمّد بن عبدالله المذكور من عظماء بني هاشم، وكان الهاشميّون بأجمعهم يلوذون به ويسمّونه المهدي وسمّوه بعد أن استشهد «النفس الزكيّة» وكان مصرعه في موضع يدعىٰ بأحجار الزيت، وقع خارج المدينة الطيّبة.

وجاء في الحديث الشريف: إنّه يُقتل ولد من أولادي في أحجار الزيت من أرض الحجاز.

ونقل «الدنداني»[1] النسّابة عن جدّه إنّه بقي أربع سنوات في بطن أُمّه ولمّا ولد كان بين متنيه خال أسودٍ بمقدار البيضة، وبما أنّ أبا جعفر المنصور العبّاسي كان متعالياً جبّاراً سافكاً للدم الحرام، وقد اشتدّت وطأته على الذريّة الطاهرة بحيث راح يقتل على الظنّة والتهمة، ويحبس ويقيّد ويكبّل السجين بأثقل القيود، وقد ظهر في زمنه محمّد بن عبدالله وهو من عظماء أهل البيت في شهر جمادىٰ الأُخرى سنة خمس وأربعين ومائة في المدينة، وأعلن العصيان وقتل عامل المنصور عليها واحتلّ الحجاز كلّه، واستقبل أكثر الأعيان والسادات خلافة محمّد بالرضا والقبول، وحمل جلّ المقيمين في مكّة غاشيته على ظهورهم، وكان مالك بن أنس يفتي بوجوب الخروج معه وهو فقيه المدينة، وحمل الناس على نصرته وإعانته. ولمّا علم المنصور بذلك استدعىٰ عيسى بن موسى بن محمّد بن عبدالله بن عبّاس وسرّحه إليه ومعه جيش جرّار وعسكر مجرّ وأمره

(١) الدنداني: هو الحسن الأفوه السديد النسّابة المحدّث المعروف بالدنداني بن محمّد بن يحيى النسّابة... /الشجرة المباركة ج ١ ص ٤٢ آلي.

بالقضاء عليه، وأقبل عيسى بن موسى إلى المدينة فعسكر بظاهرها وطفقا يقتتلان، فقتل جمع كبير من الجانبين.

قال ابن كثير: وكان محمّد واصحابه على عدّة أصحاب أهل بدر... فيقال: إنّه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم..[1].

وأمّا أصحاب محمّد كان عاقبة أمرهم أن فرّوا وانهزموا، واستشهد محمّد عليه السلام في رابع عشر شهر رمضان من نفس السنة.

وجاء في بعض التواريخ بأنّ محمّداً كان يطلب الخلافة في العصر الأموي، ويختفي أحياناً ويأمر شيعته بالدعوة له في الحجاز واليمن حتّى اشتهر أمر شيعته في عهد المنصور فطلبه المنصور واشتدّ في طلبه وألزم به أباه وإخوته وأرحامه، ثمّ حمله إلى العراق وسجنهم عنده، وظهر محمّد في المدينة وهم في السجن، فاضطرب المنصور من ذلك وأمر عيسى بن موسى وهو ابن أخيه ووليّ العهد من بعده أن يخرج إلى حربه بجيش كثيف مدجّج بالسلاح.

وحوصر محمّد بالمدينة ولمّا طال عليه الحصار وقاطعة الإمداد دخل داره واستخرج دفاتره وفيها الكتب التي جاءته من أُمراء الأطراف والأكناف، ومن شيعته، وأمر بإحراقها وقال: هان عليّ الموت الآن، إنّ هذه الكتب كتب إليّ أصحابها، أقسموا بالوفاء وبصدق الولاء، وأخشى أن تقع بيد المنصور فيهلكهم، ثمّ استلّ سيفه من غمده وحمل على القوم وقاتلهم قتالاً شديداً حتّى استشهد صلّى الله عليه. وحملوا رأسه إلى المنصور، ولمّا رآه أمر بحمله إلى أبيه وهو في حبسه، فلمّا وقعت عين أبيه عليه قال: يرحمك الله، يرحمك الله، لقد قتلوك قوّاماً صوّاماً، وأنشد هذا البيت:

---

(١) ابن كثير الشامي: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩١.

فتى كان يدنيه من السيف دينه ويكفيه سوءآت الأُمور اجتنابها

وقال لمن جاءه برأسه: قل لصاحبك: قد مضى شطر من عمرك في النعيم، وبقي شطر البؤس، وقد مضى لنا شطر البؤس وقد بقي شطر النعيم..[١]

وفي غرّة هذا الشهر خرج أخوه إبراهيم بن عبدالله عليه السلام مع جماعة من شيعته في البصرة وكان الرجل من أكابر العلماء في زمانه، وذكر من شدّة قوّته إنّه قبض عل ذنب بعير وهو يعدو فحبسه ثمّ انقلع الذنب في يده واستمرّ البعير يركض.

وبايعه كثير من أعلام زمانه نظير الإمام الأعمش وعمّار بن منصور، وصحّ عن أبي حنيفة الكوفي إنّه بايعه وكان يفتي بوجوب الخروج معه وبوجوب نصرته، وأمر ولده بملازمته ومعه أربعة آلاف درهم وكتب إليه: يحبسني عنك ما عندي من أمانات الناس ولولاها لكنت أوّل الساعين إليك للقتال معك وشدّ أزرك، ووقعت الرسالة بيد المنصور الدوانيقي فتغيّر على أبي حنيفة وأذاه على ذلك حتّى كان سبباً في هلاكه.

وذكروا أنّ عجوزاً استقبلت أبا حنيفة قائلة: أنت أفتيت ولدي حتّى خرج مع إبراهيم وقُتِل. فقال لها: ليتني كنت مكانه.

وتمام الحكاية أنّ إبراهيم لمّا خرج بالبصرة تحصّن سفيان بن معاوية أميرها من قبل المنصور الدوانيقي في دار الإمارة حتّى أمنه إبراهيم فنزل ولم يزل أمر إبراهيم في علوّ حتّى اجتمع تحت رايته مأة ألف مقاتل.

ولمّا علم أبو جعفر بالخبر حار في أمره لأنّه كان قد فرّق جيشه في الأطراف والأكناف، وبلغ إبراهيم مصرع أخيه في اليوم السابع من الشهر ففتّ ذلك في عضده واستشار أصحابه حتّى انعقد له العزم بموافاة الكوفة، وكان ينزلها

(١) راجع: الصلاح الصفدي: الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٤٣.

المنصور، وقد اتّخذها منزلاً له، فازداد اضطرابه وخاف على نفسه، وبينما هو كذلك إذ واقاه عيسى بن موسى، وحميد بن قحطبة قادمين من الحجاز، فسارع المنصور بتوجيههما إلى حرب إبراهيم، وما أسرع ما هزم جيش المنصور في أوّل لقاء وأوغل فيه جيش إبراهيم قتلاً ونهباً ولكن القدر خبأ لإبراهيم مفاجئة مذهلة حين باغت جيشه من الخلف جعفر ومحمّد ابنا سليمان ابن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، فكانا سبباً في هزيمة جيش إبراهيم ونصر عساكر أبي جعفر، وفي أثناء الكرّ والفرّ انطلق سهم غرب فأصاب إبراهيم عليه السلام في حلقه، واستشهد في مكان يُدعىٰ باخمرىٰ من نواحي الكوفة ودفن هناك، وكان عمره (الشريف) ثمانٍ وأربعين عاماً.

وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري: قال إبراهيم بن عبدالله بن الحسن في أخيه النفس الزكيّة حين قتل:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإنّ بها ما يدرك الطالب الوترا

وإنّا لقوم ما تفيض دموعنا ... على هالك منّا ولو قصم الظهرا

ولست بمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصّرها من جفن مقلته عصرا

ولكنّني أشفي فؤادي بغارة ... تلهب في قطري كتائبها الجمرا[1]

---

(١) الزمخشري: ربيع الأبرار ج ١ ص ٣٢١ / آلي.

الجند الأوّل

آل العبّاس وهم هاشميّون أيضاً[1]

كان عددهم سبعاً وثلاثين شخصاً، ومدّة ملكهم بدأت من يوم الجمعة ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر صفر سنة ستّ وخمسين وستّمائة، ومجموعه ستّ وعشرون وخمسمائة، وكان قدمائهم وأهل الفضل فيهم من الشيعة يقرّون بإمامة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بعد النبيّ بلافصل ولكن قضى عليهم لسوء حظّهم أن يعاصر كلّ واحد من خلفائهم إمام من أئمّة الحقّ حيث تقرّر من حيث المذهب أن تكون الخلافة له وصاحب ذلك خروج جماعة من أعلام العلويّة على ملكهم وقاتلوهم فحتم عليهم قانون «الملك العقيم» أن يقرّوا بمذهب أهل السنة لحفظ ملكهم ليحموا أنفسهم من غلبة الشيعة عليهم وإظهار حقّ الأئمّة الأطهار بينهم.

وبلغ الغيّ ببعضهم أن لا يرضيهم هذا بل تمادوا في غيّهم فعرّضوا جماعة من أهل البيت للسجن والقتل ومنهم الأئمّة والذريّة الطيّبة المعاصرون لهم،

---

(١) قال المؤلّف في مقدّمة الكتاب وفي ترجمة علاء الدولة السمناني أنّ غرضه في كتابه هذا ذكر مطلق الشيعة القائل بالخلافة والوصاية لأميرالمؤمنين عليه السلام وإن لم يكن إماميّاً فلهذا نراه ذكر في كتابه الطغاة وقتلة أهل البيت عليهم السلام كأمثال ماذُكروا في هذا الجند من خلفاء بني العبّاس بزعمه أنّهم كانوا يعتقدون خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام. (معلّم)

وابتدأت هذه القبائح والفضائح من عهد المنصور الغادر الماكر، وذلك مذكور في مواضع ترجمته من كتب التاريخ.

وجاء في تاريخ اليافعي: إنّ سبب انتقال الخلافة لبني العبّاس هو أنّ محمّداً بن الحنفيّة كثرت شيعته بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ولمّا توفّي ابن الحنفيّة، قام ولده (هاشم) [أبو هاشم] مقامه وكان عظيم القدر، فمال إليه شيعة أبيه، ولمّا دنت منه الوفاة وهو في الشام ولم يكن له عقب أوصىٰ بالإمامة إلى محمّد بن عليّ بن العبّاس وقال له: إنّ الإمامة تكون في أولادك، ثمّ أودع عنده كتبه وأسراره، وأمر شيعته باتّباعه، ولمّا دنت من محمّد الوفاة عهد بالإمام إلى ولده وأوصى إليه وسمّاه الإمام، وقبض مروان بن محمّد آخر ملوك بني أُميّة على إبراهيم الإمام هذا وعلم أنّه قاتله فأوصى إلى أخيه عبدالله السفّاح وهذا هو الرجل الأوّل الذي تولّى الخلافة من بني العبّاس، وهذا كلام اليافعي نفسه وهو على رغم أنف «ملّا سعد الدين التفتازاني» مُشعر بكثرة الشيعة في عهد بني أُميّة وإنّهم متربّصون الفرصة للخروج على بني أُميّة من عصر محمّد بن الحنفيّة إلى زمان خلافة بني العبّاس وإن سمّي أُولئك الشيعة القائلون بإمامة محمّد بن الحنفيّة بالكيسانيّة، وأدنى هؤلاء إلى الحقّ هم الإثنا عشريّة الذين خرجوا تحت راية محمّد بن الحنفيّة وبني العبّاس كما ذكرت ذلك سلفاً.

عبدالله بن محمّد بن عليّ بن العبّاس بن عبدالمطّلب رضي الله عنهم

كنيته أبو الفضل، ويُلقّب بالسفّاح، ولد سنة خمس ومائة وهو أوّل خلفاء بني العبّاس، وتمّت له البيعة على يد الحسن بن قحطبة الطائي وبجهد أبي مسلم المروزي ونصرته إيّاهم، وتمّ لهم الأمر في يوم الجمعة الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وذكر صاحب «روضة الصفا» أنّ أبا العبّاس وأتباعه ركب إلى دار إمارة مروان صباح يوم الجمعة ومنها تحوّل إلى المسجد الجامع ووقف يخطب على المنبر قائماً بخلاف بني أُميّه فقد كانوا يخطبون وهم جلوس على المنابر وأحسن من نفسه ضعفاً فجلس إلى أعلى المنبر وقام عمّه داود بن علي دونه بدرجة وأتمّ الخطبة، وكان آخر كلام قاله لهم: يا أهل الكوفة، لم يقم خليفة بينكم وبين النبيّ بعد عليّ بن أبي طالب إلّا هذا الإمام الجالس على المنبر أعني عبدالله بن محمّد، واعلموا أنّ الحقّ عاد إلينا، واعلموا أنّه لا يخرج منّا حتّى ينزل المسيح من السماء، ثمّ نزل السفّاح وداود من المنبر وقصدا دار الإمارة. وبقي أبو جعفر المنصور مشغولاً بأخذ البيعة حتّى حلّ وقت الصلاة الأُخرى، ولمّا تمّت البيعة تسنّموا غارب الحكم وجهدوا في تصفية بني أُميّة من جديد الأرض كما مرّ ذلك آنفاً في المجلس الأوّل.

وروىٰ أنّ السفّاح لمّا استقامت له الخلافة دار حوله جماعة من أولاد خلفاء بني أُميّة وكان الرجل يكرمهم إلى أن حدث ذات يوم أن كانوا قد اجتمعوا به وأجلسهم السفّاح على أسرّة الذهب وهو مقبل عليهم يحدّثهم إذ جائهم سديف مولى بني العبّاس وكان مدّاحاً لهم ولأهل البيت وهو شاعر مجيد، فدخل وهو يردّد هذه الأبيات:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العبّاس
طلبوا وتر هاشم وشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلنّ عبد شمس عثاراً ... واقطعنّ كلّ رقلة وأواسي(١)
[ذلّها أظهر التودّد منها ... وبها منكم كحزّ المواسي]

(١) الرقلة: النخلة الطويلة وجمعها رقل. الأواسي جمع آسية وهي السارية.

ولقد ساءني[١] وساء[٢] سوائي قربها من نمارق وكراسي
أنزلوهم[٣] بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس[٤]

ولمّا سمعها السفّاح تغيّرت ألوانه واصفرّت ونادى الحاجب وقال له: أحضر الديوان غداً، فإذا حضر القوم فارفع عقيرتك بينهم ونادِ بصوتٍ عالٍ: إنّ أميرالمؤمنين جعل هذا اليوم للعطاء على الترتيب الذي فعله رسول الله ﷺ واسأل من الذي كان يعطي أوّلاً ويقدّم على من عداه في العطاء ثمّ سمّ أهل البيت واحداً واحداً وتذكّر قاتلهم.

وفعل الحاجب ما أمره به السفّاح فجمع بني هاشم وبني أُميّة وصاح بأعلى صوته: أين الحسن بن عليّ وأين الحسين بن عليّ؟ فأُجيب: قتلهما بنو أُميّة. فقال: أين زيد بن عليّ بن الحسين؟ فقالوا: قتله بنو أُميّة وأحرقوا شلوه وألقوا رماده في الجُبّ وهكذا فعل في الباقين يسأل عنهم واحداً واحداً ويُجاب بأنّ بني أُميّة قتلوه.

فقال السفّاح: ومن هم بنو أُميّة هؤلاء؟ فأُجيب: هم آباء هؤلاء الذين يجالسونك على الأسرّة، فأمرهم بسلّ سيوفهم وأن يوقعوا بهم وجزروهم جميعاً بحضرته وألقوا عليهم الأنطاع وجلس عليهم السفّاح وأصحابه وأمر بالخوان فمدّ على جيفهم وأكلوا وهم يضطربون تحتهم، ويئنّ من يئنّ منهم، ولم يرفعوا الأنطاع عنهم حتّى هلك كلّهم جميعاً. وللسفّاح شعر قاله في قتل

(١) في شرح النهج: غاضني.
(٢) في شرح النهج: غاض.
(٣) في شرح النهج: أنزلوها.
(٤) انظرها في شرح ابن أبي الحديد ج٧ ص١٢٧.

بني أُميّة والانتقام منهم، منه هذان البيتان:

تـــناولت ثأري مـــن أُمـيّة عـنوة وحزت تراثي اليوم عن سلفي قسـرا
وألقـــيت ذلاً مـــن مـفارق هـاشم وألبســـتها عـزّاً وأعـليتها قـدرا[1]

توفّي السفّاح في ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين ومائة، ومن آثاره بناء «مدينة الهاشميّة».

المنصور بن محمّد

أخوه الأكبر يكنّى بأبي جعفر ويلقّب بالمنصور، واشتهر بالدوانيقي لخسّته ولأنّه يحاسب على الدانق، ولمّا ثارت عليه العلويّة في بدء خلافته وتبعهم الشيعة وقالوا بمقالتهم من كون الخلافة حقّاً لعليّ وأولاده مِن ثَمّ حملت أبا جعفر الضرورة أن يصانع أهل السنة لكي يتقوّى بهم ويدرأ عنه خطر العلويّة لذلك قال ذات يوم في أحد مجالسه وهو حرد غاضب:

والله لأرغمنّ أنفي وأُنوفهم وأرفع عليهم بني تيم وبني عدي، ويعني بهما أبابكر وعمر، يرفعهما على مقام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وروى صاحب الطرائف عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني [بإسناده قال: حدّثني أبو سليمان التاجي قال]: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلات أمر لهم بها وهو وليّ عهد، فبدأ ببني هاشم ثمّ بسائر قريش، فجاء السيّد الحميري فدفع إلى الربيع رقعة مفتوحة وقال: إنّ فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه، فأوصلها فإذا فيها مكتوب:

قـــل لابـــن عـبّاس سـميّ مـحمّد لا تـــعطينّ بـــني عُـــديّ درهـــما
واحـــرم بـني تـيم بـن مـرّة إنّـهم شـــرّ البـريّة آخـراً ومـــقدّما

---

(١) راجع: ج١٧ ص٢٣٣ من الوافي بالوفيات..

إن تعطيهم لا يشكروا لك نعمة ... ويكافئوك بأن تذلّ وتشتما
وإن ائتمنتهم أو استخلفتهم ... خانوك واتّخذوا خوانك مغنما
منعوا تراث محمّد أعمامه ... وابنيه وابنته عديلة مريما
وتأمّروا من غير أن يستخلفوا ... وكفىٰ بما فعلوا هنالك مغرما[١]
لم يشكروا لمحمّد إنعامه ... أفيشكرون لغيره أن أنعما
والله مَنّ عليهم بمحمّد ... وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثمّ ابدؤوا[٢] لوصيّه ووليّه ... بالمنكرات فجرّعوه العلقما

قال ابن الجوزي: وهي قصيدة طويلة حذفت باقيها لقبيح ما فيه، فرمىٰ بها إلى ابن عبيدالله الكاتب للمهدي ثمّ قال: اقطع العطاء، فقطعه وانصرف الناس، ودخل السيّد إليه، فلمّا رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ولم يعطهم شيئاً[٣].

هارون الرشيد بن محمّد الملقّب بالمهدي[٤]

من أفاضل آل العبّاس، حمل في زمنه من أكابر أهل الحجاز الذين هواهم في العلويّين إلى بغداد، ومن هؤلاء محمّد بن إدريس الشافعي، وخرج في زمانه يحيى ابن عبدالله بن الحسن بطبرستان وكان قد قويت شوكته واستفحل أمره، فأرسل الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي ومعه خمسون ألف فارس إلى طبرستان، فاستعمل يحيى الدهاء بحيث استطاع أن يؤمّن يحيى بكتاب أمان بعثه إليه، وأقبل به إلى هارون الرشيد فأكرمه هارون في أوّل الأمر ثمّ نقض عهده وقتله.

---

(١) في الطرائف: مأثما.

(٢) في الطرائف: انبروا.

(٣) السيّد ابن طاووس: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ص٢٩.

(٤) اسم أبيه محمّد بن عبدالله ولقّبوه بالمهدي.

وأبلغ جماعة من حاسدي الإمام الكاظم هاروناً بأنّ الناس تبعث إليه بخمس أموالها وتراه هو الإمام الحقّ واجب الاتّباع ومفترض الطاعة وإنّه ليعدّ للخروج عليك. فتغيّر هارون الرشيد على الإمام عليه السلام وعزم على الحجّ في ذلك العام وقبض على الإمام وسيّره سرّاً إلى البصرة ثمّ حمله من هناك إلى بغداد وعهد إلى يحيى بن خالد وهو في الرقّة أن يقصده ويغتاله بالسمّ، فدخل يحيى بغداد مظهراً للناس إنّه قدم للنظر في سواده، ونقل الإمام الكاظم إلى سجن السندي بن شاهك رئيس شحنة بغداد، وأظهروا أنّ الإمام الكاظم مات حتف أنفسه بعد أن سقوه السمّ وجمع عدولاً من أهل الكرخ وأطلعهم على وفاة الإمام عليه السلام. والغرض من ذلك التمويه على الناس لئلّا يتّهموهم بسمّه.

ومع ما جرى من هارون من هذه الأعمال التي تزول منها الجبال والتي حمله على ارتكابها حبّ الجاه والسطوة، ما يزال راسخ القدم في التشيّع! وينصر المذهب بعزم وجذل على الوجه الذي مرّ في المجلس الخامس مِن أنّه كان يحضر هشاماً بن الحكم إلى حضرته وهشام هذا تلميذ من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام وصاحب الأنفاس القدسيّة وجامع للكمالات النفسيّة، ويجمعه بعلماء أهل الخلاف ويلقي إليهم بمسائل الخلاف حول المذهب ويرى هشاماً كيف يظهر عليهم ويلقمهم الأحجار، فيعلو وجه هارون السرور وينعم عليه بالجوائز السنيّة والصِلات العليّة، ويظلّ يفخر به ويعجب بحسن مناظرته.

وذكر صاحب الطرائف في ترجمة هارون الرشيد من تاريخ النيشابوري تأليف الحاكم أبي عبدالله النيشابوري رفعه إلى ميمون الهاشمي إلى الرشيد قال: جرى ذكر آل أبي طالب عند الرشيد، فقال: يتوهّم عليّ العوام أنّي أبغض عليّاً وولده، والله ما ذلك كما يظنّونه وإنّ الله تعالى يعلم شدّة حبّي لعليّ والحسن

والحسين عليهما السلام ومعرفتي بفضلهم، ولكنّا طلبنا بثأرهم حتّى أفضى الأمر إلينا فقرّبناهم وخلطناهم فحسدونا! وطلبوا ما في أيدينا! وسعوا في فساده... الخ[١].

وجاء في كتاب الاحتجاج عن المأمون أنّه قال: دخل موسى بن جعفر عليهما السلام على الرشيد يوماً فقام إليه واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه، وجرى بينهما أشياء ثمّ قال موسى بن جعفر لأبي: يا أميرالمؤمنين، إنّ الله قد فرض على الولاة عهده أن ينعشوا فقراء هذه الأُمّة ويقضوا عن الغارمين ويؤدّوا عن المثقل ويكسو العاري ويحسنوا إلى العاني وأنت أولىٰ من يفعل ذلك.

فقال: أفعل يا أبا الحسن، ثمّ قام فقام الرشيد لقيامه وقبّل بين عينيه ووجهه ثمّ أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال: يا عبدالله! ويا محمّد! ويا إبراهيم، امشوا بين يدي ابن عمّكم وسيّدكم خذوا بركابه وسوّوا عليه ثيابه وشيّعوه إلى منزله، فأقبل إلى أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام سرّاً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة وقال لي: (إذا ملكت هذا لأمر فأحسن إلى ولدي، ثمّ انصرفنا.

وكنت أجرأ ولد أبي عليه فلمّا خلا المجلس قلت: يا أميرالمؤمنين، ومَن هذا الرجل الذي أعظمته وأجلسته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثمّ أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس وحجّة الله على خلقه وخليفته على عباده!! فقلت: يا أميرالمؤمنين، أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقّ، والله يا بُنيّ إنّه لأحقّ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منّي ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك لأنّ الملك عقيم.

---

(١) الطرائف ص٩١.

فلمّا أراد الرحيل من المدينة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار ثمّ أقبل على الفضل فقا له:... اذهب إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أميرالمؤمنين: نحن في ضيقه وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت.

فقمت في وجهه فقلت: يا أميرالمؤمنين، تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد عظّمته وجلّلته مائتي دينار!! وأخسّ عطيّة أعطيتها أحداً من الناس! فقال: أُسكت لا أُمّ لك! فإنّي لو أعطيته هذا ما ضمنته له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم(١).

كانت مدّة خلافة هارون عشرين سنّة وتوفّي في طوس غرّة جمادى الأُولى سنة ثلاث وتسعين ومائة.

المأمون بن هارون الرشيد

من أفاضل آل العبّاس، حاز علماً وحكمة وفصاحة وشجاعة وسخاوة من بينهم، وكان قد أمر بنقل الحكمة من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي.

صرّح ابن كثير الشامي في كتابه بتشيّع المأمون وقال على سبيل التعصّب: وفي ربيع الأوّل ـ سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ـ أظهر المأمون في الناس بدعتين أحدهما أطمّ من الأُخرى، وهي القول بخلق القرآن، والثانية تفضيل عليّ بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

وقال في بعض المواضع: وكانت له بصيرة بعلوم متعدّدة فقهاً وطبّاً وشعراً

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص١٦٦.

(٢) البداية والنهاية ج١٠ ص٢٩١.

وفرائض وكلاماً ونحواً وغريبة وغريب حديث وعلم النجوم وإليه ينسب الزيج المأموني، وقد اختبر مقدار الدرجة في وطئه سنجار فاختلف عمله وعمل الأوائل من الفقهاء(١).

وأمّا ما قاله عن غلوّه في التشيّع، وحمل الناس على القول بخلق القرآن فقد قاله بروح التعصّب والعناد ولم يقله عن بصيرة ناقدة.

وقال في مقام آخر: نسب إليه بعض المسال العويصة في الميراث فحلّها فعجب العلماء من فطنته وحدّة ذهنه وسرعة جوابه.

وذكر ابن كثير أيضاً: إنّ المأمون حبس أحمد بن حنبل ومعه جماعة من فضلاء أهل السنة مدّة لعدم قوله بخلق القرآن واشتدّ عليهم المعتصم وزاد في ضربهم ولم ينصرف المأمون عن الاعتقاد بخلق القرآن حتّى آخر نفس من حياته، وأوصى أخاه المعتصم. قال: ولم يتب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه، وأوصى المعتصم بتقوى الله عزّ وجلّ والرفق بالرعيّة وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقده أخوه المأمون في القرآن وأن يدعو الناس إلى ذلك ثمّ أوصاه بالعلويّين خيراً أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأن يواصلهم بصلاتهم كلّ سنة..

وجاء في كتاب الاحتجاج أنّ المأمون قال لأصحابه ذات يوم: أتدرون عمّن أخذت التشيّع؟ قالوا: لا نعلم. قال: تعلّمته من أبي. قالوا له: وكيف يكون ذلك وكان أبوك يقتل أهل البيت تحت كلّ حجر ومدر؟! قال: إنّما كان يقتلهم على الملك لأنّ الملك عقيم، ثمّ ساق الحكاية التي مرّ ذكرها في ترجمة أبيه الرشيد مستشهداً بها على صحّة ما قاله لأصحابه.

---

(١) نفسه ج١٠ ص٣٠٢.

وفي كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» وكتاب الطرائف مفصّلاً ومجملاً عن رواة السير وأصحابها [عن يحيى بن أكثم القاضي] قال: أمرني المأمون بإحضار جماعة من أهل الحديث وجماعة من أهل الكلام فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلاً.. فقال لهم: إنّي أُريد أن أجعلكم بيني وبين الله تعالى حجّة، لأحتجّ بكم عند الله تعالى، فاتّقوا الله وانظروا لأنفسكم وإمامكم فإنّي أزعم أنّ عليّاً خير البشر وأنّه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بحقّ وصدق، فناظروني ليظهر الحقّ ويثبت الصدق، ثمّ شرح في محاججتهم ومناظرتهم وأقام البرهان على ما كان يذهب إليه مِن أنّ أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله وخليفته باستحقاق منه وأنّ من تقدّمه ظالم له غاصب لحقّه، فترك هؤلاء الأربعون المكابرة واعترفوا له[1].

وللمأمون حول ذلك أشعار منها هذان البيتان:

ألام على شكر الوصي أبي الحسن　　وذلك عندي من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الخلق والأوّل الذي　　أعان رسول الله في السرّ والعلن[2]

ولمّا ظهر عليهم المأمون بعد ذكر الدلائل من أنّ الإمامة والخلافة هي حقّ من حقوق أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وكان في زمانه الإمام بحقّ والخليفة المطلق إمام الإنس والجنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فرأى تجاوزه وتجاهل حقّه هو عين

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام بتصرّف واختصار من المؤلّف ج١ ص٢٠٠.

(٢) الطرائف ص٢٧٥ وللشعر تتمّة في الطرائف:

ولولاه ما عدّت لهاشم إمرة　　وكانت على الأيّام تقضىٰ وتمتهن
فولّى بني العبّاس ما اختصّ غيرهم　　ومن منه أولىٰ بالكرامة والمنن
فأوضح عبدالله بالبصرة الهدىٰ　　وفاض عبيدالله جوداً على اليمن
وقسّم أعمال الخلافة بينهم　　فما زلت مربوطاً بذا الشكر مرتهن

الجهل ومنافٍ لدعوى الفهم والفضل لذلك رأى أن يسلّمه الخلافة ويضعها في حوزته.

وجاء في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام وكتاب كشف الغمّة وكتاب «فصل الخطاب» لخواجه پارسا وغيرها أنّ المأمون أكثر من مكاتبة الإمام الرضا وتوجيه الدعوة إليه لزيارته من خراسان إلى المدينة المشرّفة وكان الإمام عليه السلام يتعلّل عليه ويعتذر عن موافاته، إلى أن بلغ المأمون حدّاً في الطلب حمل الإمام به على الاعتقاد بعدم تركه الدعوة مهما كلّفه الأمر لذلك عقد العزم على مغادرة المدينة مع رسل المأمون من طريق البصرة والأهواز وفارس شطر مرو.

ولمّا بلغ مرو أظهر المأمون من الإنصاف في تعظيمه وتبجيله حدّاً لا يوصف فأرسل إليه أحد خواصّه وأخبره بأنّه عزم على نقل الخلافة إليه لاستحقاقه إيّاها وألحّ على ذلك إلحاحاً شديداً، واستمرّت الحال بينهما على الأخذ والردّ بشأنها لمدّة شهرين اثنين، ولم تثمر شيئاً حتّى طلب المأمون الإمام الرضا إليه وتكلّم بين يديه بكلام مُشعر بالتهديد والوعيد، وقال له: أنا أعذرك عن تقلّد الخلافة لكثرة ما أبديته من الامتناع ولكنّي أُقلّدك ولاية العهد طوعاً أو كرهاً، فاستعفاه الإمام من هذا أيضاً ولكنّه قبل ولاية العهد قسراً واشترط عليه أن يحمله في زمانه على أمر أو نهي أو قضاء أو عزل أو نصب حكّام أو تغيير أمر أقرّه فراعنة الزمان من الخلفاء والأُمراء إلى عهده، فقبل المأمون شروطه، ثمّ أمر العبّاسيّين وقادة الجيوش بمبايعته، فتقدّم القوم وبايعوه بأجمعهم، وفتح أبواب الخزائن ثمّ كال لهم المال كيلاً حتّى رضوا بذلك وبايعوا الإمام الرضا عليه السلام وحبس اثنين ممّن تخلّف عن بيعته.

وبعد تمام البيعة أمر العسكر بخلع السواد وهو شعار العبّاسيّين ولبس

الخضرة وكتب كتاب العهد بولاية العهد للإمام وأرسله إلى الولايات والأقاليم والأطراف والأكناف، وضربت السكّة باسم الإمام عليه السلام وأمر بأن يخطب له على المنابر، ولمّا حضر العيد بعث المأمون الرضا يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب لتطمئنّ القلوب ويعرف الناس ويعرفوا فضله وتقرّ قلوبهم على هذه الدولة المباركة.

فبعث إليه الرضا عليه السلام وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من شروط في دخولي هذا الأمر. فقال المأمون: إنّما أُريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامّة والجند والشاكريّة هذا الأمر فتطمئنّ قلوبهم ويقرّوا بما فضّلك الله به. فلم يزل يردّه الكلام في ذلك، فلمّا ألحّ عليه قال: يا أميرالمؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحبّ إليّ وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما خرج أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال المأمون: أُخرج كما تحبّ.

وأمر المأمون القوّاد والناس أن يبكّروا إلى باب أبي الحسن الرضا عليه السلام فقعد الناس لأبي الحسن الرضا عليه السلام في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القوّاد على باب الرضا عليه السلام، فلمّا طلعت الشمس قام الرضا عليه السلام فاغتسل وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن وألقىٰ طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه وتشمّر (تعطّر) ثمّ قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت، ثمّ أخذ بيده عكازة وخرج ونحن بين يديه وهو حافٍ وقد شمّر سراويله إلى الساق، وعليه ثياب مشمّرة.

فلمّا قام ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبّر أربع تكبيرات فخيّل إلينا أنّ الهواء والحيطان تجاوبه، والقوّاد والناس على الباب قد تزيّنوا ولبسوا السلاح وتهيّئوا بأحسن هيئة، فلمّا طلعنا عليهم بهذه الصورة حفاة قد تشمّرنا، وطلع

الرضا عليه السلام وقف وقفة على الباب قال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد للّه على ما أبلانا، ورفع بذلك صوته ورفعنا أصواتنا، فتزعزعت مرو من البكاء والصياح، فقالها ثلاث مرّات، فسقط القوّاد عن دوابّهم ورموا بخفافهم لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وصارت مرو ضجّة واحدة، وكان أبوالحسن عليه السلام يمشي ويقف في كلّ عشر خطوات وقفة، فكبّر الله أربع مرّات فتخيّل إلينا أنّ السماء والأرض والحيطان تجاوبه.

وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذوالرياستين: يا أميرالمؤمنين، إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع، فدعا أبوالحسن بخفّه فلبسه ورجع[١].

(عند ذلك فكّر المأمون في الموضوع فأرسل أحد خواصّه إلى الإمام الرضا عليه السلام وقال: قل له: نحن كلّفناك بصلاة العيد مشقّة لا تحتملها، وأدخلنا عليك عنتاً زائداً ونحن لا نريد أن نؤذيك فتقطع هذه المسافة كلّها ماشياً حافي القدمين وينبغي لك أن تعود إلى بيتك ويتعهّد بالصلاة غيرك. فدعا الإمام عليه السلام بخفّه فلبسه وركب إلى بيته واستمرّ الهرج والمرج بين الناس بحيث لم تتمّ لهم في ذلك اليوم صلاة)[٢].

وجاء في بعض التواريخ: إنّ خبر ولايه العهد ما أن وصل بغداد حتّى هاج بنو العبّاس وماجوا وغضبوا من ذلك وعزموا على خلع المأمون ومبايعة عمّه «إبراهيم ابن المهديّ» ولم يخبر الفضل المأمون بذلك خوفاً منه حتّى خلا به الإمام

---

(١) رجعنا إلى خبر صلاة العيد إلى عيون أخبار الرضا عليه السلام ولم نجد بينه وبين المؤلّف كبير فرق إلّا في جمل قليلة وفيها اختلاف بسيط، ص١٦٢.

(٢) هذه الفقرة انفرد بها المؤلّف.

الرضا عليه السلام ذات يوم وقال له: إنّ أهل بغداد خلعوك وبايعوا عمّك غضباً منك لتوليتي العهد من بعدك، فحار المأمون في أمره، وقال الإمام الرضا له: إنّ الناس كرهوك لتقريبنا منك أنا والفضل بن سهل، فأبعدنا عنك لتخمد هذه الفتنة.

فأرسل المأمون بزمن قصير إلى الفضل بن سهل قوماً فقتلوه في الحمّام، وسقى الإمام الرضا سمّاً ناقعاً، ثمّ تعجّل الذهاب إلى بغداد، فهرب إبراهيم بن المهدي، وجائت المأمون زينب بنت سليمان وهي امرأة ذات قدر لسنّها ويحترمها العبّاسيّون وقالت له: ما الذي حملك على إخراج الخلافة من بينكم إلى العلويّين؟

فقال لها المأمون: يا عمّة، إنّ أميرالمؤمنين عليّاً عليه السلام لمّا استخلف تفضّل على بني العبّاس ولطف بهم وعهد إلى كلّ واحد منهم بعمل جليل وشغل خطير، فاستعمل عبدالله بن العبّاس على البصرة، وعبيدالله على اليمن، وقثم على سمرقند، فلم يكافئه على هذا الجميل أحد من آل العبّاس فأردت أن أردّ لهم الجميل.

فقالت له: أنت أقدر على برّهم والحكم لك.

ومجمل القول أنّ أكثر العلماء من الشيعة كالشيخ ابن بابويه والشيخ المفيد رحمهم الله على هذا الرأي مِن أنّ المأمون هو الذي دسّ إلى الإمام الرضا عليه السلام السمّ كما ذكر آنفاً، وأمّا صاحب كشف الغمّة فإنّه روى خلاف ذلك واستبعد أن يكون المأمون سقى الإمام سمّاً وقال: بلغني ممّن أثق به أنّ السيّد رضي الدين عليّ بن طاووس رحمه الله كان لا يوافق على أنّ المأمون سقى عليّاً عليه السلام ولا يعتقده وكان رحمه الله كثير المطالعة والتنقيب والتفتيش على مثل ذلك، والذي كان يظهر من المأمون من حنوّه عليه وميله إليه واختياره له دون أهله وأولاده ممّا يؤيّد ذلك ويقرّره

[ورأيت في كتاب يعرف بكتاب «النديم» ولم يحضرني عند جمع هذا الكتاب انّ جماعة من بني العبّاس كتبوا إلى المأمون يسفّهون رأيه في تولية الرضا عليه السلام العهد بعده وإخراجه عنهم إلى بني عليّ عليه السلام ويبالغون في تخطئته، وسوء رأيه، فكتب إليهم جواباً غليظا سبّهم فيه ونال من أعراضهم وقال فيهم القبائح وقال من جملة ما قال وبقي في خاطري]: أنتم نطف السكارى في رحم القيان.. إلى غير ذلك، وذكر الرضا عليه السلام ونبّه على فضله وشرفه وشرف نفسه وبيته، وهذا وأمثاله ممّا ينفي عن المأمون الإقدام على إزهاق تلك النفس الطاهرة والسعي فيما يوجب خسران الدنيا والآخرة(١).

وكان المأمون يقتدي به في الفرائض والنوافل، وهذا من الدلائل على أنّه لم يكن مائلاً إلى قتله ولم يأمر به.

وممّا يؤيّد كلام ابن بابويه ما ورد في كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» عن تميم بن عبدالله القرشي أنّه قال: حدّثنا أبي، عن أحمد بن عليّ الأنصاري قال: سألت أبا الصلت الهروي فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبّته له وما جعل له من ولايه العهد بعده؟!

فقال: إنّ المأمون إنّما كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليري الناس أنّه راغب في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلّا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلّاً في نفوسهم جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محلّه عند العلماء (وبسببهم) يشتهر نقصه عند العامّة، فكان لا يكلّمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهريّة ولا خصم من

(١) كشف الغمّة ج٣ ص٧٧ وفيه جمل قليلة زائدة على رواية المؤلّف.

فرق المسلمين المخالفين إلّا قطعه وألزمه الحجّة، وكان الناس يقولون: والله إنّه أولى بالخلافة من المأمون. وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتدّ حسده له، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حقّ وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهر له، فلمّا أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسمّ[1].

وممّا يؤيّد كلام ابن طاووس أنّ صاحب كشف الغمّة ذكر انّ محمّد بن الإمام الصادق عليه السلام خرج على المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة بمكّة وتبعه الزيديّة الجاروديّة فخرج لقتاله عيسى الجلودي ففرّق جمعه وأخذه فأنفذه إلى المأمون، فلمّا وصل إليه أكرمه المأمون وأدنى مجلسه منه ووصله وأحسن جائزته وكان مقيماً معه بخراسان يركب إليه في موكب من بني عمّه وكان المأمون يحتمل منه ما لا يحتمله السلطان من رعيّته[2] وكذلك زيد بن الإمام الكاظم المعروف بزيد النار خرج على المأمون بالبصرة وأحرق بيوتاً فيها كثيرة ونهبها ولمّا قبض عليه وأقدموه على المأمون عفى عنه وأحسن إليه فإذا كانت هذه صفته مع محمّد وزيد اللّذَين خرجا عليه وطلبا الخلافة لنفسيهما وأحدثا في البلاد خراباً وفتنة فلمّا ظفر بهما عفىٰ عنهما وأحسن إليهما فكيف يقبل منه أن يتعرّض للإمام الرضا عليه السلام بسوء وليس له ذنب ولم يحدث حدثاً، وكان المأمون على يقين مِن أنّ الإمام لا يريد الخروج عليه ولم يدع له، ولم تحمله ولاية العهد على ذلك، ولا شأن له بها، وكان عليه السلام لا يجيز الغدر والفتك بل ما زال العون والمدد يوافيه من الإمام عليه السلام.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٩٧.

من ذلك أنّ أهل مرو هجموا على المأمون بالنار والحطب يريدون إحراق بيته، فلجأ المأمون إلى بيت الإمام عليه السلام فشفّع فيه عند الناس حتّى خلّصه منهم، ويقال مثل ذلك في حادثة الحمّام فقد أُلهم الإمام إلهاماً ربّانيّاً وعلم أنّ جماعة من الأعداء يريدون الوقيعة بالمأمون ووزيره الفضل في الحمّام فنهاهما الإمام عن دخوله فأطاعه المأمون ونجى، وأمّا الفضل فقد خالف الإمام فجرّ ذلك إلى هلاكه وقتله، والله أعلم بحقائق الأُمور.

استدراك وتنبيه: روى اليافعي الشافعي في ترجمة يحيى بن أكثم القاضي عن محمّد بن منصور أنّه قال: كنّا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال يحيى بن أكثم لي ولأبي العيناء: بكّرا غداً إليه فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا وإلّا فاسكتا إلى أن أدخل.

قال: فدخلنا إليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما، ومَن أنت يا جُعَل حتّى تنهى عمّا فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أبوبكر.

قال محمّد بن منصور: وأومئ أبو العيناء إليّ: إذا كان هذا القول يقوله في عمر بن الخطّاب فكيف نكلّمه نحن؟ فسكتنا حتّى جاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالي أراك متغيّراً؟

فقال: يا أميرالمؤمنين، لما حدث في الإسلام.

قال: ما حدث في الإسلام؟

قال: النداء بتحليل الزنا.

قال: المتعة زنا؟

قال: نعم المتعة زنا.

قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[1]. يا أميرالمؤمنين: زوجة المتعة ملك اليمين؟

قال: لا.

قال: فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث ويلحق منها الولد ولها شرائطها؟

قال: لا.

قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين، وهذا الزهري يا أميرالمؤمنين روى عن عبدالله والحسن ابني محمّد بن الحنفيّة عن أبيهما عن عليّ بن أبي طالب قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أُنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها.

فالتفت إلينا المأمون وقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟

فقلنا: نعم يا أميرالمؤمنين رواه جماعة منهم مالك بن أنس.

فقال: أستغفر الله، بادروا بتحريم المتعة، فبادروا بها[2].

وهذا هو كلام اليافعي في تاريخه ولا يخفى على ذوي المواقف المدقّقة والنظرات المحقّقة أنّ أكثر المقدّمات التي حرّرها ممنوعة والبيّنات التي تمسّك بها مقدوح فيها ومدفوعة، ومن الواضح أنّ ظواهر الآيات التي نقلها واستشهد بها تنطق بخلاف ما قاله وبضدّ ما ذهب إليه ولا يتمّ قوله إلّا بتأويلها تأويلاً باطلاً

---

(١) المؤمنون/ ١ و٥ ـ ٧.

(٢) مرآة الجنان ج١ ص٢٦٧ آلي.

متعسّفاً أو بتكلّف ظاهر، وإنّ على كلّ من له أدنى اطّلاع وأقلّ فهم أو يتحلّى ببعض صفات الكمال التأمّل[١] فيما نقل سابقاً من تاريخ ابن كثير، فهيهات أن يركن إلى القناعة بتلك المقدّمات الواهية بل الساقطة، فكيف يصحّ قبوله عن المأمون مع ما له من المهارات في سائر الفنون والتحقيق في مسألة المتعة من علماء الشيعة بعد اطّلاعه على أدلّتها المختلفة وإصراره على تحليلها أن يثنيه ذلك القول الواهي ليحيى بن أكثم الصاغر القميء وهو المخنّث المطعون فيه بحيث يحمله على التراجع وطلب المغفرة بتكرار الاستغفار من حديثه المليء بالحجج والبراهين، اللهمّ إلّا أن يكون للمسألة وجه آخر من الأسباب كتأليف القلوب ـ مثلاً ـ لأهل السنة فأسف على ما فرط منه كما سوف يأتيك ما يشابه ذلك من أحوال «المعتضد».

وبما أنّ مجال القول في هذا الكلام المنقول خارج عن الحدّ والعدّ، ممّا يحملنا على تجاوزه إلّا أنّه لمّا كان فخّاً اصطاد جملة من المغفّلين وشراكاً من التضليل وقع فيه عدد من البسطاء من الجمهور أمثال اليافعي لذلك رأينا بغية منّا في تنبيه الغافلين أن نقتطع جملة منه فنوضعها للبحث النزيه فنقول:

لا نزاع بين المسلمين جميعاً في مشروعيّة المتعة في صدر الإسلام ولكن النزاع وقع في النسخ وعدمه؛ يقول أهل السنة: إنّها كانت مباحة في صدر الإسلام إلّا أنّها نسخت بعد ذلك واستندوا على الرواية التالية: إنّ عمر صعد على المنبر أيّام خلافته وقال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله، الحديث»[٢].

---

(١) التأمّل: إن إنّ الخ.

(٢) مسند أحمد ج٢٩ ص٤ آلي، مستخرج أبي عوانة ج٧ ص١٥٥ آلي، البيهقي: معرفة السنن والآثار باب نكاح المتعة ج١١ ص٤٣٣، المناسك لابن أبي عروبة ج١ ص٦٢ وص٦٣، حديث

وحاصل سند القوم أنّ عمر سمع من النبيّ نسخ المتعة ولذلك أعلنها على المنبر، ولولا ذلك لما صرّح بها على المنبر.

ويقول الشيعة: إنّ آية المتعة محكمة، ومشروعيّتها باقية، وإباحتها ثابتة كما كانت في صدر الإسلام ولم يجر نسخ لحكمها على الإطلاق، وما سمع أحد من النبيّ حكم نسخها أبداً، وما قاله عمر على المنبر إنّما قاله من نفسه ووحي خاطره كما يدلّ على ذلك صريح عبارته، ولو كان النبيّ قد نهىٰ عنه في وقت من الأوقات وسمعه الناس لأسند ذلك إليه وكان أولىٰ في القبول وأدخل في الزجر وأمنع في فعلها وتطلّبها، ولو كان سمع شيئاً من النبيّ لكشف عن ذلك قبل خلافته كما فعل ذلك بعد تسنّمه غاربها بينما لم يقل شيئاً من ذلك؛ لا في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد صاحبه، وظلّ ساكتاً، ونكاح المتعة معمولاً به في هذه الفترة بطولها ولم ينه عنه أحد، وبما أنّ هذا القول قاله عمر على الأداء المعهود منه ولم يظهر في عهد النبيّ وصاحبه علم على اليقين بأنّ الرجل لم يسمع من النبيّ شيئاً بل أوحاه إليه خياله ونطق به من عند نفسه، لذلك لم تلق جماعة من فضلاء الصحابة إلى قول عمر بالاً ولم يتابعوه عليه أمثال: عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله وأبي‌سعيد الخدري وسلمة بن الأكوع والمغيرة بن شعبة وأسماء بنت أبي بكر وجماعة أُخرى من خيرة الأصحاب والتابعين، حتّى ابن عمر نفسه ضرب بقول أبيه عرض الحائط وكان يفتي بإباحة المتعة ويعمل بها ويقول: ما سمعت النبيّ ﷺ ينهى عنها، ولا نتركها بقول قاله

⬅ أبي أيّوب السختياني ج١ ص٣٩، سنن سعيد بن منصور ج٢ ص٣٩٥ وص٣٩٦، معجم ابن المقرئ ج٢ ص٢٨٢ آلي، كنز العمّال رقم الحديث ٤٥٧٢٢، تحفة الأشراف رقم الحديث: ١٠٤٢٥.

عمر والذي سمعناه من النبيّ ﷺ إباحتها فكيف نترك قول رسول الله لقول عمر، وبقوا على هذه العقيدة والعمل حتّى فارقوا الدنيا.

وروى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن شيوخه أنّ هذه الآية ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾[1] توجد في مصحف ابن عبّاس هكذا: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجلٍ مسمّى».

ثمّ إنّ اللفظ الشرعي يحمل على الحقيقة الشرعيّة كما تقرّر ذلك في علم الأُصول ولا خلاف في كون النكاح المشروط بالأجل والمهر المسمّى «متعة» ويسمّى فاعله متمتّعاً، وهذا هو كلام الجوهري في صحاح اللغة، وتدلّ عليه عبارة صدر الشريعة في أوّل كتاب النكاح من مختصر الوقاية، وحمله على النكاح الدائم تجوّزاً أو اشتراكاً على خلاف الأصل، وحمله على القدر المشترك لا يفيد أحدهما على التعيين.

وأيضاً روى الثعلبي في تفسيره وغيره في غير هذه الآية عن أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام: «لولا نهي عمر عن المتعة ما زنىٰ إلّا شقي»[2].

نعود إلى الآية التي استدلّ بها يحيى بن أكثم: اعلم أوّلاً أنّ يحيى بن أكثم أوّلاً هو ذلك الفقيه الجاهل الفاسق الذي قال عنه اليافعي نفسه «وتنسب إليه هنات»

---

(١) النساء/٢٥.

(٢) كثير من المفسّرين ذكروا الآية «إلى أجل مسمّى» منهم الطبري وابن كثير والقرطبي والبغوي وصاحب البحر المحيط وفتح القدير والرازي واللباب لابن عادل والكشّاف والنكت والعيون والدرّ المنثور وأضواء البيان وتفسير مقاتل والمحرّر الوجيز وتفسير أطفيش الأباضي وهميان الزاد للأباضي أيضاً. وعن الحديث «ما زنا إلّا شقي» راجع التحرير والتنوير ج٣ ص٣٨٢، مختصر تاريخ دمشق ج٨ ص١٨٣، مرآة الجنان ج١ ص٢٦٧، المختصر في أخبار البشر ج١ ص١٧٥، تاريخ بغداد ج٦ ص٢٥٧، إعلام الناس ج١ ص٩٩ وهذه الكتب ترقيمها آلي.

وذكر عنه في وقايع وأحداث سنة تسع ومأتين أنّه عزل عن القضاء وصادر على ألف دينار. وذكر عبدالله بن المعتزّ هجائه في تذكرته:

قاض يرى الحدّ في الزناء ولا يرىٰ على من يلوط من باس
قاضينا يرتشي وحاكمنا يلوط والرأس شرّ ما رأس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأُمّة وال من آل عبّاس[1]

ثمّ نقول: إنّ الآية أصلاً لا دلالة فيها على مدّعىٰ ذلك الجاهل الذي لا دين له، لأنّ المتعة تدخل في مفهوم الزوجة ولا يخرجها انتفاء الإرث والقسمة عن تلبّسها بمسمّىٰ الزوجة؛ لا لغة ولا شرعاً كما هي الحال في الدائمات نظير المائلة والناشز والكتابيّة وأمثالها، فإنّ المفهوم الذي عرض لهنّ لا يخرجهنّ من مسمّى الزوجيّة، ويؤيّد ذلك ما جاء في الكشّاف: «فإن قلت هل فيه تحريم المتعة؟ قلت: لا لأنّ المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صحّ النكاح ـ انتهى»[2].

ومجمل القول أنّ تلك الأحكام من لوازم الزوجيّة من حيث إنّها زوجة بل هي تابعة للصفات الزائدة على الزوجيّة لعدم الإضرار بالزوج وعدم الاختلاف في الدين وعدم مخالفة الزوج فلهذا تحرم المائلة والكتابيّة والناشز من الميراث.

وأمّا حديث يحيى الذي رواه عن الزهري فإنّه مع كون الشيعة يمنعون صحّته ويردّونها ويجرحون الحسن بن محمّد بآرائه القبيحة كالإرجاء الذي اشتهر به معارض بأحاديث أُخرى تنافي مقتضاه كالحديث الذي رواه الترمذي في صحيحه عن سالم بن عبدالله بن عمر أنّه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل

(١) مروج الذهب ج٢ ص٤٥.

(٢) الكشّاف ج٤ ص٣٢٤ آلي، في تفسير الآية الخامسة والسادسة من سورة «المؤمنون».

ابن عمر عن التمتّع بالعمرة[١] إلى الحجّ، فقال عبدالله بن عمر: هي حلال. فقال الشاميّ: إنّ أباك قد نهى عنها. فقال عبدالله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أأمر أبي نتّبع أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ[٢].

وذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند عبدالله بن عبّاس قال: قال ابن عبّاس: إنّ النبيّ ﷺ يأمر بالمتعة وابن الزبير ينهىٰ عنها، الحديث.

وفي حديث سبرة بن معبد الجهني عن ابن شهاب قال: أخبرني ابن الزبير أنّ عبدالله بن الزبير قام بمكّة فقال: إنّ ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة ـ يعرض برجل ـ فناداه فقال: إنّك لجلف جافٍ فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتّقين ـ يريد رسول الله ﷺ ـ. فقال له ابن الزبير: فجرّب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنّك بأحجارك..[٣].

ولا يخفى أنّ المراد برجل هو عبدالله بن عبّاس.

وذكر في بعض التواريخ أنّ عبدالله بن الزبير لمّا عرّض بابن عبّاس، قام

---

(١) كان السؤال عن متعة النساء ولكن الأيدي الخائنة حرّفت الكلم عن مواضعه وهذا وأمثاله يثبت لنا بالقطع واليقين أنّ أهل السنة كأهل الكتاب لا دين لهم.

(٢) هؤلاء الفجرة أرادوا تلميع وجه صاحبهم فازداد سواداً والحمد للّه وإلّا فما الفرق في ضلاله بين نهيه عن متعة الحجّ أو نهيه عن متعة النساء فحرّفوا الكلام من واحدة إلى واحدة. أجل متعة الحجّ لم يتابعه أحد عليها وإلّا لوجدت من يضع لها الروايات ويأتي بآيات نسخ تحفظ ماء وجه ذلك الجاهلي الذي ما غيّر الإسلام من خلقه الجاهلي شيئاً، أمّا نكاح المتعة فلارتباطها بفروج النساء وموضوعها حسّاس جدّاً لأنّ النساء عرض وناموس وما إلى ذلك مضافاً إلى وجود بدائل عن نكاح المتعة كالتسرّي والزواج بأربع ولا بديل عن متعة الحجّ من هنا وجد له أتباعاً ووضّاعاً.

(٣) صحيح مسلم ج٧ ص١٩٧، السنن للبيهقي ج٧ ص٢٠٥، مسند ابن أبي عوانة ج٨ ص٣٣٣، نصب الرايه ج٦ ص٣٥ و ص٤٠، تحفة الأشراف ج٦ ص١٥٩.

عبدالله ابن عبّاس في وجهه فأجابه: أمّا العمىٰ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور ﴾[١]. وأمّا المتعة فسل أُمّك عن بردي عوسجة..[٢]

ولمّا عاد ابن الزبير إلى أُمّه سألها عن «برد عوسجة» فاستحيت أُمّه فقالت: ألم أنهك عن معارضة ابن عبّاس وبني هاشم فإنّ لهم أجوبة حاضرة وألسنة لا تطاق تأخذ بالخناق، فاعتذر إلى أُمّه وبقي جواب ابن عبّاس عارضاً له كالشجى في مساق ريقه.

وأمّا ما رواه محمّد بن منصور عن مالك بن أنس فإنّه معارض بما نقله «شارح المقاصد» وصاحب كتاب «هداية الفقه الحنفي» ومؤلّف «سير العباد» من أنّ مذهب مالك هو إباحة المتعة وتفصيل هذه المسألة موكول إلى كتب الشيعة المبسّطة.

إزاحة وهم وإثارة فهم وتقرير وهم: ذكر أحد النواصب الأغبياء في أحد مؤلّفاته خاوية المعنى تافهة المحتوى فقال: إنّ الإمام الرضا عليه السلام قبل ولاية العهد من المأمون ويوجد في كتابة «العهد» الذي خطّ بقلم الإمام الرضا عليه السلام وقلم المأمون وفيه: يخاطب المأمون بإمرة المؤمنين وقال له: «رضي الله عنك ونفسي فداك وجعلني وقايتك من كلّ سوء» وكان يأخذ عطاياه وأرزاقه كما كان

---

(١) الحجّ/٤٦.

(٢) ومضى عبدالله بن عبّاس ونزل عبدالله بن الزبير مهرولاً إلى أُمّه فقال: أخبريني عن بردَي عوسجة والحّ عليها مغضباً، فقالت له: إنّ أباك كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أهدىٰ له رجل يقال له عوسجة بردين، فشكا أبوك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العزبة فأعطاه برداً منها فجاء فتمتّعني به ومضى فمكث على برهة وإذا به قد أتاني ببردتين فتمتّعني بهما، فعلقت بك وإنّك من متعة، فمن أين وصلك هذا؟ قال: من ابن عبّاس ... الخ، مستدرك الوسائل ج ١٤ ص ٤٥١.

يفعل آبائه مع الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أُميّة وبني العبّاس، وكانت الحال بينهم جارية على هذا المنوال، فإذا كانت الخلافة لهم فما معنى هذه المداهنة والمجاملة والتنازل مع الظالمين؟ وما معنى الإقرار لهم بالخلافة بل عليه أن يثبت لهم بأنّ الخلافة حقّهم ويمتنعون عن البيعة وقبول ولاية العهد، وإن جرّت الحال إلى قتلهم وشهادتهم كما كانت الحال مع زكريّا الذي نشروه وهو في الشجرة وجرجس الذي أنزلوا به ذلك العذاب الذي لا يحتمل، ويحيى الذي قتلوه على ذلك الوجه الشائن، فلم يحاول واحد من هؤلاء ستر الحقّ بقياً على النفس.. هذا هو الاعتراض الذي أحببنا إيراده.

فانبرى بعض أهل الفهم الغالب وأجلّة أصحاب السهم الصائب لإزالة ذلك الوهم فقال،: إنّ استبعاد المداراة في مثل هذه المواقف معارض وإنكار تنازلهم للمتغلّبين في زمانهم معارض بالسنن الإلهيّة في تأخير إهلاك فرعون والنمرود وأمثالهما الذين ادّعوا الربوبيّة سنين متمادية وأنزلوا الويلات في الأنبياء والأولياء وبالغوا في إهانتهم وإكراههم، وكذلك معارض بسير الأنبياء أنفسهم الذي جروا مع الأشرار الفسّاق بالهوينىٰ والرفق، وتوقّفوا في تعجيل محاربة الفراعنة والكفّار ومجاهدتهم، ومنهم من فرّ خوفاً من القتل والعقاب فاستخفى في زوايا القرىٰ ومهاوي الوديان وبطون الكهوف والمغارات.

وقد ظهر ممّا تقدّم من الأخبار بأنّ الإمام الرضا عليه‌السلام قبل ولاية العهد من المأمون مكرهاً بعد أن لوّح له المأمون بالتنكيل وإنزال الأذىٰ به، وهذا أهون ممّا فعله يوسف مع فرعون مصر بل عزيز مصر الكافر حين عرض عليه الولاية فرضي بها وقبلها واختارها لنفسه مع أنّ المأمون في ذلك الموقف أعلن تعظيم الإمام وإكباره وإعلاء قدره واعترف له، واعترف بتقدّمه وأولويّته بالأمر وأحقّيّته

بالخلافة. فإذا ما كان الإمام قد تواضع له أدباً منه أو توصّلاً لنيل حقّه فليس خارجاً عن حدود المعقول والمقبول ولا هو منافٍ لما جبل عليه الإمام من الخلق الرفيع.

ومجمل القول: إنّ الإمام الرضا عليه السلام إذا ما أبدى انعطافاً أمام تعظيم المأمون له وقابل الحسنة بمثلها ولا ن له بالقول فليس ذلك نقصاً في علوّ مقامه ولا هو زيادة في مستوى المأمون.

وكذلك يقال بحقّ الإمام الصادق عليه السلام مع ذلك الرجل الذي قتل آلافاً من الفاطميّين وبنى عليهم الحوائط والجدر، فإذا ما استقبله بكلام ليّن هيّن أو فسح المجال لأبي حنيفة الفقيه السنّي وإمامهم الأعظم فعاشره وداراه فإنّ ذلك كلّه يصبّ في توخّي المصلحة، وإنّ الإمام الصادق عليه السلام تشبّه بموسى وهارون عليهما السلام حيث أبديا من الرقّة والعطف مع فرعون ما هو مأثور عنهما ومذكور واقتدىٰ بقوله تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1] وقد كان قول فرعون لموسى من الشدّة بحيث صوّرته الآية على النحو التالي: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[2] فإنّه أجابه على سبيل المداراة فقال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[3] وهذا الجواب أشدّ رقّة وتنازلاً من قول الإمام الصادق عليه السلام للمنصور أو قول الخواجه السنّي ـ أبو حنيفة ـ للرشيد، فلو أنّ الصادق عليه السلام قال ما قاله ذلك الخواجه السنّي نعوذ باللّه لهم وأشلاهم على الشيعة وسلّطهم عليهم وخاطب كبيرهم بأميرالمؤمنين فليس ذلك موجباً لنقصان درجة الصادق عليه السلام،

(١) طه/٤٤.

(٢) الشعراء/١٩.

(٣) الشعراء/٢٠.

ألا ترى أنّ الله تعالى عبّر عن الأصنام فسمّاهم آلهة بقوله: ﴿يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ﴾[١]، وقال في حكايته عن إبراهيم: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾[٢]، فإذا جاز للّه أن ينعت الصنم بالإله جاز للإمام الرضا عليه السلام أن يلقّب المأمون بأميرالمؤمنين ولا يدخل النقص بذلك على إمامته، وغرضه من هذه التسمية أنّه أمير على المؤمنين الذين يتحكّم فيهم اليوم وليس الغرض معنى اللقب الذي أطلقه الله على أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وجاء على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذكر المؤلّف حول هذا المعنى جواباً جاء على لسان هشام بن الحكم وذكرناه فيما مضى من الكتاب وتذكّره الآن لا يخلو من نكتة فعليكم به.

وأمّا ما قاله من أنّهم عليهم الإنكار على الظالمين فإن قتلوا فسوف يكون مصيرهم كمصير يحيى وجرجس. يا للعجب من هذا الناصبي ما أعظم اطّلاعه على التاريخ وأخبار الأنبياء السابقين، ألم يطّلع على حكاية الصلح بين النبي وبين مشركي قريش، فإنّ النبيّ حارب المشركين في بدر وليس معه من أعوانه إلّا ثلاثة عشر رجلاً وثلثمائة رجل ليس إلّا وكان جلّهم رجّالة عزّلاً من السلاح ودخلوا مع الكفّار في معمعة تشيب لهولها رأس الرضيع.

وفي عام الحديبيّة وكان معه ثلاثة آلاف رجل وستّمائة رجل مجهّزين ممّن صحبه من المسلمين ولمّا عارضه سهل بن عمرو بمن معه من المشركين ومنعوه من دخول مكّه وحالوا بينه وبين أداء العمرة لم يقاتلهم ورضي بالصلح وفي إبرام عقد الصلح أعطاهم كلّ ما طلبوه منه حتّى أنّ في بعض هذه المتطلّبات ما فيه جهد عظيم للمسلمين ومخالفة لظاهر الشرع الكريم من قبيل

---

(١) الحجر/٩٦.

(٢) الصافّات/٩١.

إعطاء المشركين ثلث حاصل الثمر من المدينة، ومن جائه مسلماً من المشركين ردّهم عليهم ومن ارتدّ من المسلمين ولحق بهم لا يردّونه، ولمّا أرادوا إبرام العقد أمر أميرالمؤمنين بكتابته وأخذ الإمام عليه السلام يكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال سهل بن عمرو: أنا لا أرضى بهذا فلو أقررت بالرحمن الرحيم واعترفت بنبوّتك فما معنى هذا الصلح إذن إذ لم يبق بيننا وبينك خلاف، فاكتب كما كنّا نكتب «باسمك اللهمّ» هذا ما صالح عليه محمّد بن عبدالله.

فأمر النبيّ عليّاً رعاية للمصلحة بمحوه وكتابة ما أراده سهل، فاستحيا الإمام من محوه فلم يفعل حتّى محاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه وكتبوا ما ابتغاه سهل.

وبناءاً على قول الناصبي فينبغي على النبى مع ما له من العدد والعدّة لاسيّما وإنّ فتى كعليّ وهو المعروف بالشجاعة والموصوف بالنجدة أن لا يقبل صلح قريش وأن يجرّد فيهم السلاح ويقاتلهم ثمّ يدخل مكّه مظفّراً منصوراً ولم يمحو اسم الجلالة من البسملة ولا اسمه من النبوّة حتّى إذا ما قتل كان شهيداً مثله مثل زكريّا وجرجس ويحيى.

وليتأمّل متأمّل في قياس هذه القضيّة مع ما جرى للإمام الرضا عليه السلام، فما الأسهل من القضيّتين؛ هل هو مخاطبة المأمون بأميرالمؤمنين أجلّ خطباً أو محو اسم الله من العهد واسم رسوله؟ فإذا ما جاز ذلك للنبيّ نزولاً عند اقتضاء المصلحة يومئذٍ فمحىٰ اسم الله من الربوبيّة ومحى اسمه من النبوّة جاز للرضا عليه السلام مخاطبة المأمون في عهده بإمرة المؤمنين ويخطّ ذلك بيمينه ولا نقص يلحقه من ذلك، فإن كانت تلك تقيّة وتنزّلاً ومداهنة كانت هذه مثلها، وإن كانت اقتضتها المصلحة ورعاية الظرف السائد فإنّ هذه توأم لها وشبيه بها، ويبقى الله

هو الله وليس الأصنام، والنبيّ هو النبيّ وليس غيره، كذلك يبقى أميرالمؤمنين هو الإمام الرضا لا أُولئك المردة الفسقة.

والأعجب من كلّ هذا فإذا تصدّى واحد من أهل البيت للمعارضة وثار على الظالمين وأوقد نار الحرب في حكمهم حتّى استشهد، رفع هذا «الخواجه» السنّي عقيرته بقوله: إنّه خرج عن الحدّ وألقى نفسه في التهلكة ولم يقس مقامه بمقام يحيى وجرجس ويعدّ القاتل له امرءاً تائباً ويعتبره مسلماً، فإذا انبرىٰ واحد منهم كالإمام الرضا عليه السلام للمصالحة طلباً لصالح الأُمّة ومراعاة لوضعها الخاص واستعمل اللين والمداراة مع العدوّ رماه هذا الناصبي بالمداهنة ووصفه بعدم الأهليّة، فكيف يسلم هؤلاء السادة من بهت هؤلاء الخبثاء، فإن لم يكن الله قد أعمى قلبك فهلمّ وانظر إنّ الحسين عليه السلام عمل ما عمله جرجس ويحيى وزكريّا عليه وعليهم السلام، والحسن بن عليّ والصادق والكاظم والرضا إنّما فعلوا الفعل الذي فعله لوط وشعيب وإرميا، والقائم عليه السلام يفعل ما يفعله المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلّم في الغار، ويونس في البحار، وهؤلاء بأجمعهم اقتدوا بالأنبياء، وهذا هو الحقّ، والإمام الرضا عليه السلام جعل حجّته أبلغ على خصمه بتلك المصالحة والملاينة والمجاملة.

وأمّا ما قاله من أنّهم يأخذون عطايا بني العبّاس وأرزاقهم فإنّ الجواب عن هذا البهتان أنّ أُولئك السادة لا يحسبون ذلك مالاً أو عطاءاً وصل إليهم من بني العبّاس بل يعدّونه حقّاً من حقوقهم غصبه الخصوم منهم فهم يتناولونه من أيّ طريق أمكن وصوله إليهم، وهو جائز أخذه، حلال تناوله، ولا يدخل النقص على عصمتهم من خلال ذلك، والحمد للّه ربّ العالمين.

هارون بن المعتصم

لقبه الواثق، كان امرءاً قويّاً أيداً وأحسن إلى العلويّين في أيّام حكمه، بخلاف المتوكّل الذي كان ناصبيّاً ومجاهراً ببغض أهل البيت وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾[١].

قال ابن كثير الشامي في تاريخه: ما أحسن أحد من خلفاء بني العبّاس إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ما مات وفيهم فقير، ولمّا احتضر أمر بالبسط فطويت ثمّ ألصق خدّه بالأرض وجعل يقول: يا من لايزول ملكه ارحم من قد زال ملكه..[٢]

أحمد بن الموفق

كنيته أبوالعبّاس ولقبه المعتضد، كان غاية في الذكاء فاضلاً، ولمّا وصل الحكم إليه وجد عالم الخلافة على حافة التلف والثغور معطّلة، وخزائن الدولة فارغة، فسعىٰ سعيه الحثيث حتّى أحكم السيطرة على الثغور، وحمىٰ الرعيّة من أطماع العسكر، وضرب على يد الطامعين والمتمرّدين، وحال بينهم وبين الانقضاض على الرعيّة، وردّ كيد الظالمين عن المظلومين، وأحسن إلى العلويّين، وأراد أن يلعن معاوية على المنابر ويتلو الصحيفة الحاوية لمناقب أهل البيت ومثالب أعداءهم ولكنّ ذلك لم يتيسّر له، فقد تحشّد في وجهه أهل الخلاف ومنعوه من إجراء ذلك فتكوّنت عنده عقدة عصيّة على الحلّ حتّى وافته منيّته سنة تسع وثمانين ومأتين.

وورد في تاريخ اليافعي: إنّ القاضي يوسف بن يعقوب قال له: يا أميرالمؤمنين،

---

(١) الأنعام/٩٥.

(٢) البداية والنهاية ج١٠ ص٣٤١.

أخاف الفتنة عند سماعه، فقال: إن تحرّكت العامّة وضعت فيهم السيف. قال: فما تصنع بالعلويّة الذين هم في كلّ ناحية قد خرجوا عليك؟ وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت مالوا إليهم وصاروا أبسط الألسنة؛ فأمسك المعتضد[1].

أحمد بن المستضيء

كنيته أبوالعبّاس ولقبه الناصر وهو من أفاضل الخلفاء وله خاطر وقّاد، متبحّر بالعلوم، واحد في الشجاعة والفروسيّة، ذاع تشيّعه وشاع وكان كعمّه المعتضد تابعا لأحكام أهل البيت ومطيعاً لها.

ذكر المبارك بن إسماعيل بن أحمد العبّاسي البغدادي المتطبّب المعروف بابن الكتبي في كتابه «نوادر وأشعار الملوك» أنّ أحد معاصري الناصر طعن فيه إنّه شيعيّ، فأجابه بهذه الأبيات فقال:

زعموا أنّني أُحبّ عليّاً　　صدقوا كلّهم لديّ عليّ
كلّ من صاحب النبيّ ولو　　طرفة عين فحقّه مرعيّ
فلقد قلّ عقل كلّ غبيّ　　هو من شيعة النبيّ بريّ[2]

ويحكىٰ أيضاً أنّ ابن عبيدالله نقيب الطالبيّين بالموصل كتب إلى الناصر أنّه بلغنا أنّك عدلت عن مذهب التشيّع إلى التسنين، فإن كان ذلك صحيحاً فمروا بإعلامي عن السبب، فأجابه الناصر بهذه الأبيات:

يميناً بقوم أوضحوا منهج الهدىٰ　　وصاموا وصلّوا والأنام نيام
أصاب بهم عيسى (نوح) ونوح لهم نجا　　وناجىٰ بهم موسى وأعقب سام

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٤.

(٢) راجع فوات الوفيات للكتبي ج ١ ص٦٨ تحقيق إحسان عبّاس ط دار صادر سنة ١٩٧٤ إلّا الجزء الأوّل فإنّة مطبوع سنة ١٩٧٣.

لقد كذب الواشون فيما تخرّصوا　　وحاشا الضحىٰ أن يعتريه ظلام[1]

وممّا يدلّ على صحّة اعتقاده أنّ عليّاً بن صلاح الدين بن يوسف وهو أحد ملوك آل أيّوب كتب إليه مُخبراً عن حاله كتاباً يشتمل على أنّ أبابكر عمّه وأخاه [عثمان] غصبا ملكه الذي ورثه من أبيه كما أنّ صاحبي هذا الاسم غصبا من الإمام عليّ بن أبي طالب خلافته، فكتب إليه الأبيات التالية:

وافىٰ كتابك يا ابن يوسف ناطقاً　　بالصدق يخبر أنّ أصلك طاهر

غصبوا عليّاً حقّه إذ لم يكن　　بعد النبيّ له بيثرب ناصر

فاصبر فإنّ غداً عليه حسابهم　　وابشر فناصرك الإمام الناصر

وسوف نذكر تفصيل هذه الحكاية مع إيراد الشعر سؤالا وجواباً وفيها شعر عليّ ابن يوسف في ذيل «الجند» الخامس إن شاء الله تعالى.

ولد يوم الثلاثاء العاشر من رجب سنة ثلاث وعشرين وستّمائة.

فرعٌ: في بيان أحوال أبي مسلم فخر الدين الرازي

ذكر في كتاب «حقائق الأنوار» أنّ أبا مسلم عبدالرحمن بن مسلم قال عنه بعضهم أنّه مروزي، وقال بعضهم إنّه اصفهاني. نشأ في بيت عيسى بن معقل بن عمير وتعلّم مع أولاده وكان عيسى من رؤساء الشيعة، وتوصّل أبو مسلم إلى إبراهيم الإمام من خلال خدمته لعيسى هذا، وقبل الدعوة فأرسله إبراهيم إلى بلاد خراسان وأمّره على الشيعة وكان يدعو إلى الرضا من آل محمّد ﷺ وكان على خراسان من قبل بني أُميّة الأمير «نصر بن سيّار» وكانت بينه وبين «جديع بن عليّ الكرماني» مشاحنات وخصومة، ودارت الدائرة فيها على جديع فهلك، وعند ذلك اغتنمها أبو مسلم فرصة مواتية فأظهر الدعوة حينئذٍ في بلاد مرو

---

(١) أعيان الشيعة ج٢ ص٥٠٦.

وذلك في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان في السنة التاسعة والعشرين بعد المئة من الهجرة فاجتمع عليه خلق كثير واستعان أبو مسلم بابن جديع وقصد نصر بن سيّار فهرب نصر وتوجّه تلقاء نيسابور، فأرسل أبو مسلم قحطبة ورائه فأدركه ولده تميماً بطوس فقتله ونهب عسكره وتوجّه نصر بعد ذلك إلى العراق ولكنّه هلك بساوة قبل أن يصل إلى تلك الديار.

واستولى أبو مسلم على خراسان كلّها، وكان سامة بن حنظلة الكلابي ومعه أربعون ألفاً من أهل الشام جنود المروانيّين، فالتقى به مسلم ودارت بينهما حرب قتل فيها سامة وأولاده ولم يفلت من ذلك العسكر إلّا شرذمة قليلة، وقصد أبو مسلم العراق، وعلم مروان الحمار أنّ أبا مسلم يدعو إلى إبراهيم الإمام فقبض عليه وسجنه، ولمّا علم أبو مسلم بالأمر خاف عليه أن يقتله مروان فاحتال في الأمر لخلاصه وبعث رجلاً قد تزيّا بزيّ التجّار إلى مروان فقال له: يا أميرالمؤمنين، أنا رجل تاجر وقد أودعت أموالي عند إبراهيم وأنت حبسته فأخشى أن يضيع مالي وجئت لرؤيته وأخذ مالي منه، فأرسله مروان إلى إبراهيم، فلمّا وقعت عليه عينه قال له: يا عبدالله، أين أودعت مالي ولمن أعطيته؟ وإلى من توجّهني لقبضه؟ فقال: عليك بابن الحارثيّة ـ يعني أبا العبّاس السفّاح ـ وكان أخاه وأُمّه «ريطة بنت عبدالله بن عبدالملك الحارثي».

ثمّ أرسل أبو مسلم جماعة من الجند إلى قحطبة فاجتمع عنده سبعون ألفاً وتحوّل قحطبة من الري إلى اصفهان ومنه انتقل إلى نهاوند ووضع السيف في أصحاب نصر الخراسانيّين، وجعل قحطبة العراق قصده وعبر الفرات والجيش معه ولمّا جنّ عليه الليل ناوشه القتال جند مروان إلّا أنّ يزيد بن هبيرة وهو من قادة الجند المرواني هرب تحت جنح الظلام، فلمّا أصبح الصباح لم يجد له أبو

مسلم عيناً ولا أثراً، فلمّ علم بذلك قال: ما من سبب لذلك إلّا الإدبار وهيهات أن يحييْ الميّت أو تقوم له قائمة.

وتمكّن أبوالعبّاس السفّاح وإبراهيم في حبس مروان أن يهرب بأهله وينزل الكوفة واستخفى فيها، وهنا وقف أبو مسلم متردّداً لمن يسلّم أمر الخلافة فأحياناً يجنح صوب الإمام جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وأحياناً لأبي العبّاس السفّاح وأخيه، وكان الإمام جعفر يعلم أنّ الأمر لا يتمّ لهم لذلك لم يول حركة أبي مسلم اهتماماً يذكر، لذلك سارع أبو مسلم إلى بيعة أبي العبّاس السفّاح.

ثمّ إنّ عبدالله بن علي ـ وهو عمّ السفّاح ـ جمع الجيش كلّه وقصد به مروان بن محمّد فتتابعت هزائم مروان منه وقتل جلّ رجاله الأعلام. ثمّ إنّ عبدالله بن علي جدّ في طلب مروان حتّى عثر عليه بقرية من قرى مصر فقتله واستقرّ الأمر لبني العبّاس وبقي أبو مسلم ما كان عليه أوّلاً مستبدّاً برأيه يعمل دونما استشارة من الخليفة.

وكان المنصور أبو جعفر وهو أخو أبي العبّاس السفّاح ينكر عليه ذلك ويشير على السفّاح بقتله فيأبى عليه ذلك ويقول: أمّا أنا فلن أقتله لأنّ الناس يلوموننا على قتل ناصرنا.

ولمّا هلك السفّاح وجلس المنصور مكانه عمل على قتل أبي مسلم وكان أبو مسلم يقول: حالي وحال بني العبّاس كحال رجل مستجاب الدعوة صالح مرّ على رمّة ليث فدعا الله فأحياها وإذا به أسدا قائماً فقال للرجل الصالح: إنّك تفضّلت عليّ فأحياني الله بسببك ولكنّي أرى من المصلحة أن آكلك لأنّي أخشى أن تدعو الله ثانية فيُميتني لأنّ دعوتك مستجابة أو يخلق أسداً أقوى منّي فيعمل

على هلاكي لذلك أرى الخلاص منك أدنىٰ إلى النُّهىٰ وأقرب للمصلحة. وهكذا كان العبّاسيّون معي؛ قوّيتهم على الناس جميعاً فلمّا استوى لهم الملك رأو المصلحة في هلاكي، وكان كما أخبر عن نفسه فقد قتله أبو جعفر المنصور وثبتت الخلافة بقتله للعبّاسيّين.

وذكر الزمخشري في كتابه «ربيع الأبرار» أنّ أبا مسلم كان يقول بعرفات: اللهمّ إنّي تائب إليك ممّا لا أظنّك تغفر لي. فقيل له: أيعظم على الله (أفتعظم) غفران ذنب (مثلك)؟ فقال: نسجت ثوب ظلم [لا يبلى] ما دامت الدولة لبني العبّاس فكم من صارخة تلعنني عند تفاقم الظلم فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصمائه.

وقيل له مرّة: لقد قمت بأمر لا يقصر بك عن الجنّة! فقال: خوفي فيه من النار أولى من الطمع في الجنّة، إنّي أطفأت من بني أُميّة جمرة وألهبت من بني العبّاس نيراناً؛ فإن أفرح بالإطفاء فوا حزناه من الإلهاب[١].

(١) الزمخشري: ربيع الأبرار ج١ ص٢٧٣.

الجند الثاني
في ذكر المتقدّمين من سادات «ولاية الولايات» وهم سلاطين الأندلس

إدريس بن عبدالله المحض بن الحسن المجتبى بن عليّ المرتضى عليهما التحيّة والثناء

كنيته أبو عبدالله. خرج في تسع ومائة فارّاً من وقعة فخّ وذهب إلى مصر وكان فيها واضح مولى صالح بن منصور من قِبَل الهادى والياً عليها وهو شيعيّ مخلص، فأعانه حتّى عبر إلى الأندلس وكان قد بدأ دعوته في أرض طنجة ومدينة دليله[1] فالتفّ عليه جماعة من البربر وأصبح ملكاً عليهم وبلغ الأمر هارون فاضطرب فأرسل إليه رجلاً اسمه داود ويعرف بالشماخ فكان يخدم إدريس وصار من خاصّته بدهائه وحيلته إلى أن شكى إدريس ذات يوم ألماً في أضراسه فأعطاه الشمّاخ مادّة ادّعى بأنّها دواء ناجع، فتناولها إدريس في السحر فمات. وكانت له جارية حامل، فوضع أنصاره التاج على بطنها فولدت ولداً بعد أربعة أشهر فسمّته إدريساً ولم يصل في الإسلام أحد إلى الملك وهو في بطن

---

(١) مدينة طنجة: مدينة قديمه أزليّة وأرضها منسوبة إليها وهي على جبل مطلّ على البحر وسكنى أهلها منه في مسند الجبل إلى ضفة البحر وهي مدينة حسنة ولها أسواق وضياع وسكّانها برابر ينسبون إلى صنهاجة.

ودليله: مدينة من مدن المغرب على المحيط الأطلسي تتبع اليوم اسبانيا.

أُمّه غيره، وقد قال النبيّ في حقّه: عليكم بإدريس بن إدريس فإنّه نجيب أهل البيت وشجاعهم[(١)].

وروى صاحب تاريخ الملوك المبارك بن إسماعيل الكتبي البغدادي عن الصولي قال: سمعت من أبي هاشم داود وهو ركن من أركان دولة إدريس قال: اصطحبني إدريس يوماً معه إلى ساحل البحر ليصلّي هناك ولمّا أقام الصلاة وشغل نفسه بها تنحّيت عنه وجلست في زاوية، فبينما أنا كذلك إذ بصرت على بُعد قوماً يأموننا، فقال إدريس: يا داود، هؤلاء خوارج يقصدون قتلي. فقال داود: قلت له: إذن مُرني يا مولاي بقتالهم. فقال: بل كن حيث أنت، ثمّ أخذ سيفه وتترّس بترسه وحمل عليهم فقتل منهم سبعة وفرّ الباقون، فلمّا رجع عليّ ناولني سيفه وأنشد هذين البيتين:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نَمِلّ الحرب حتّى تملّنا ولا نشتكي ممّا نلاقي من النكب[(٢)]

وحصلت لإدريس مملكة (واستبدّ) وخطب لنفسه بالخلافة وكان فصيحاً.

عمر بن إدريس

كان والياً على مدينة الزيتون[(٣)] وتوابعها، وقام من بعده إدريس بن علي

---

(١) الحديث يعزىٰ إلى الإمام الرضا عليه السلام وقد جاء هكذا: وقال الرضا عليّ بن موسى عليه السلام: رحم الله إدريس بن إدريس بن عبدالله فإنّه كان نجيب أهل البيت وشجاعهم، والله ما ترك فينا مثله / سر السلسلة العلويّة لأبي نصر البخاري ص١٢، مستدرك علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي ص٥٢٦.

(٢) راجع الصفدي: الوافي بالوفيات ج٨ ص٢٠٦ مترجمة.

(٣) الزيتون: بيت المقدس. معجم البلدان ج٢ ص٦٩ ومكناسة الزيتون بالعدوة من أرض المغرب. نفسه ج٣ ص١٤٠، والزيتون قرية على غربي النيل بالصعيد ص١٦٣.

وبنى مدينة في المغرب سمّاها جبل الكواكب وكان السلطان فيهم هناك ينتقل من السلف إلى الخلف حتّى نشبت حرب بين عليّ بن أحمد المشهور بحمّود بن أبي القيس ميمون بن أحمد بن عليّ بن عبدالله بن عمر في أواخر سنة ستّ وأربعمائة على بُعد عشرة فراسخ من قرطبة وبين سليمان بن هارون ثمّ قبض عليه وقتله وأخاه وأبا الحكم سليمان بن عبدالرحمن الناصر وتسلّطن على قرطبة سنة سبع وأربعمائة ولُقِّب بالناصر لدين الله، وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي العقدة سنة ... وأربعمائة دخل الحمّام فعدْ عليه مواليه فقتلوه.

ثمّ بويع من بعده أخوه القاسم بن حمّود في قرطبة ولُقِّب بالمأمون، ثمّ نازعه ابنا أخيه يحيى وإدريس الحكم. وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة أسره ابن أخيه يحيى وحبسه حتّى قتل سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

وجلس يحيى بن عليّ على سرير الحكم في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقد اجتاز من مالقة[1] إلى قرطبة بينما كان القاسم قد بسط سلطانه من قرطبة إلى اشبيليّة وكان جلوسه في مستهلّ جمادى الأُولى ولقّب نفسه بالمعلّى، وفي هذه الظروف استجدّت دعوة الأمويّين وأُعيدت الخطبة باسمهم، ولكنّ يحيىٰ قتل على أيدي الأهالي وهو مشغول بحصار اشبيلية في المحرّم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

إدريس بن علي بن حمّود كان في واقعة أخيه في طنجه واستدعىٰ أُمراء العلويّة فنصبوه أميراً ولقّبوه بالمؤيّد باللّه ولكنّه هلك سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

---

(١) مالقة: بفتح اللّام والقاف كلمة عجميّة مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّه سورها على شاطئ البحر، بين الجزيرة الخضراء والمريه. قال الحميدي: وهي على ساحل بحر المجاز.. الخ. معجم البلدان ج٥ ص٤٣.

وأخرجوا أخاه إدريس بن يحيى من السجن بعد أخيه وحكّموه ولقّبوه بالعالي ولكنّه لا تدبير له فاضطرب كيان دولته.

وفي سنة ثمانٍ وثلاثين عهد بالحكم إلى بني عمّه، فأمروا بسجنه في احد القلاع هناك ولكنّهم أعادوه إلى الحكم مرّة ثانية إلى أن توفّي سنة ستّ وأربعين وأربعمائة.

وحكم بعده محمّد بن إدرس بن عليّ ولُقِّب بالمهدي وجعل أخاه الحسن وليّ عهده ولُقِّب بالسامي، ولكنّه أزاحه عن وجهه بعد مدّة وخيّره فهرب إلى الجبال وبايعه أهلها وعمد أهالي الجزيرة الخضراء إلى محمّد بن القاسم بن حمّود فاستخلفوه عليهم ولقّبوه بالمهدي وأصبح في وقت واحد أربعة من العلويّة يُدعون بالخليفة.

وتوفّي محمّد بن إدريس في سنة خمس وأربعين وأربعمائة. ويرى صاحب «عمدة الطالب» أنّ الحكم والسلطان كان فيهم حتّى عهد صاحب العمدة وكانت وفاته في السابع من صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وهو جمال الدين أحمد المعروف بابن عنبة.

الجند الثالث

في ذكر السادات رفيعي الدرجات

القاسم الرسّي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنّى

ظهر في اليمن في عهد المعتضد سنة ثمانين ومأتين ولقّب بالهادي، وتوفّي في ذى الحجّة سنة ثمانٍ وتسعين ومأتين عن عمر ناهز الثامنة والسبعين، وله كتاب في فقه الزيديّة يُسمّىٰ بالأحكام، وكانت الخطبة في مكّة باسمه ما يقرب من سبع سنين وله شعر ورد في تاريخ الملوك يدلّ على فضيلة وافرة وهمّة عالية، ومنه هذه القصيدة التي كتبها لبعض إخوانه يعاتبه فيها حيث وعده بالروج معه ولكنّه تخلّف عنه:

نام الخليُّ وباع الدين في تبع — غضّت عليه ولاة السوء بالحجب
والناس في غفلة عمّا أُصيب به — آل الرسول فكلّ غير مكتئب
حتّى أنفت لدين الله محتسباً — والله يعطي جزيلاً كلّ محتسب
إذ لا نرى ثائراً للدين ينصره — ولا طلوباً لحقّ الله ذا غضب
كيف المزار وقد صارت معالم ما — سنّ الرسول كربع دارس خرب
أم كيف يرضى بسوم الخسف ذو كرم — ممّن له حسب قد صين بالأدب

يا أيّها الراكب المزجي مطيّته نحو الحجاز على المهريّة النجب
أبلغ بني الحسن الأخيار مألكة من ناصح لهم ذي منطق ذرب
عن الخليل الذي لم تخش نبوته يوم ولم يرَ بالتعجير في العرب
لكن يؤذهم للقرب بينهم وإن يغب جسمه فالقلب لم يغب
أهل النبوّة ما شأني وشأنكم وكيف آثرتم لومي بلا سبب
لمّا تشمّرت أدعو بالكتاب إلى أمر النبيّ وقد أمنعت في الطلب
خالفتم الخفض في اللذّات من لبث ونلتم راحة في ساعة التعب
يا قوم هذا كتاب الله فاتّبعوا آي الكتاب تراخو من أذى النصب
لعبتم وتقاعدتم على حنق فقمت أسعىٰ بجدّ غير ذي لعب
بني عليّ فلا تصغوا إلى أحد ولا تشذّوا فأنتم أكرم العصب
واستجمعوا فلكم عزّ ومقدرة وأنتم شعث في ساعة الشعب
ما بعد أمري لكم عذراً فلا تهنوا واستنجدوا بالسيوف البيض واليلب
فقد سمعتم حبيباً قال مغترماً «السيف أصدق أنباءاً من الكتب»

وله:

أعاذل إنّما همي جوادي ورمي والمقاص من الدلاص
ولا يسمو هواي إلى غناءٍ ولا أبغي الجوارح لاقتناص
غضبت لخالقي فصرفت سيفي إلى أهل المقابح والمعاصي

وله:

بني حسنٍ إنّي نهضت بثأركم وثأر كتاب الله والخلق والسنن
وصيّرت نفسي للحوادث عرضة وغبت عن الإخوان والأهل والوطن
لأدرك ثأراً أوّلاً قمع ظالم أشدّ على الإسلام من عابد الوثن

بكلّ رقيق الحدّ أبيض صارم وكلّ ردينيّ إذا هزّ كالشطن[١]
فإن يك خيراً فهو خير لكلكم وإن تكن الأخرى فإنّا ذوو محن[٢]

محمّد بن يحيىٰ

كنيته أبوالقاسم، ولقبه المرتضى، ووُلّي بعد أبيه وكان عالماً بالأُصول والفروع، وله عدّة تصانيف، وولادته سنة ثمان وتسعين ومأتين، ووفاته في سنة خمس عشرة وثلثمائة. وقد ذكر أنّ يحيى دعا جماعة إلى مذهبه وأبوا عليه حتّى آل الأمر إلى القتال، فلمّا استعدّ القوم للقتال وسوّوا صفوفهم خرج محمّد إلى ميدان القتال وأنشد هذه الأبيات ورفع عقيرته بها.

شعر

كدر الورد علينا والصدر فعل من بدّل حقّاً أو كفر
أيّها الأُمّة عودي للهدىٰ ودعي عنك أحاديث السمر
واقبلي ما قال يحيىٰ لكم ابن بنت المصطفى خير البشر
عدمتني البيض والسمر معاً وتبدّلت رقادي بالسهر
لأجرّنّ على أعدائنا نار حرب بضرام مستعر[٣]

أحمد بن يحيى

الملقّب بناصر لدين الله، والقائم مقام أخيه، وافاه الأجل المحتوم سنة أربع وعشرين وثلثمائة، فاستولى من بعده على الحكم الحسن بن أحمد الناصر

---

(١) الشطن: الحبل الطويل يستقىٰ به من البئر.. الخ. القاموس الفقهي ص١٩٦.
(٢) لم يشر المؤلّف إلى مصدر الشعر ولم أعثر عليه في كتاب فأوردته كما ذكره المؤلّف.
(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ج٥ ص١٢٢.

الملقّب بمسحب، ونال الحكم بعد قتل أخيه يحيى بن أحمد الناصر، ولقّب بالمنصور، وكان معاصراً لمعزّ الدولة ابن بويه، ثمّ تناول الحكم يوسف بن يحيى من بعده وصار ابنه أبو محمّد الداعي أميراً على صنعاء، وقام بالأمر من بعده أبو محمّد عبدالله بن محمّد ابن القاسم.

وجاء في تاريخ الملوك أنّ عبدالله رجل شهم صاحب حزم، عظيم الناموس، وكان أهل صنعاء يحبّونه حبّاً شديداً، ولمّا علم بولاء أهل طبرستان لأهل البيت أكثر من مراسلتهم وبعث الهدايا إليهم وكان يهديهم إليه ويدعوهم لذاته، إلى أن خطب باسمه في تلك الأصقاع واستطاع أحد الدعاة إليه بآخره التغلب على تلك البلاد، وخطب له في عامّتها، وكان نفسه قد أحكم سيطرته على بلاد اليمن وتمكّن من سريرها، ومن أشعاره الدالّة على أنّ دعوته اخترقت العراق حتّى بلغت إلى «جيلان» هذان البيتان:

قل لبني العبّاس ما بالكم لا تلحظونا لحظ رجحان

وقد تخطتّكم لنا دعوة جالت على أقطار جيلان

وكان معاصراً للناصر العبّاسي، فأرسل هذا الأخير أموالاً طائلة إلى قبائل اليمن وحرّضهم على اغتياله ووعدهم الوعود المعسولة، وبما أنّه لم يكن ليغفل عن نفسه وكان دائم التجسّس على الأطراف والأكناف لذلك لم يظفر به أحد إلى أن توفّي حتف أنفه وأُقيم من بعده ولده، ولمّا لاحظوا جهله وقصوره عن رتبة الإمامة لم ينشأوا الخطبة باسمه وطلبوا أحمد بن الحسين لها وهو من بني عمومة عبدالله المذكور، وأمّروه عليهم واليوم هو المشهور بينهم، ويتحلّىٰ بالزهد التامّ والعباد ولا يقرّ قراره في مكان واحد من القلاع بل كان يقضي أوقاته في فيافي اليمن وجبالها، والله أعلم.

الجند الرابع
في ذكر شرفاء وحكّام مكّة المعظّمة

جعفر المكنّى بأبي محمّد بن محمّد الأمير بن الحسن الأمير بن محمّد الأكبر بن موسى بن عبدالله بن موسى جون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن عليه السلام وعلى أولاده

في عهد المطيع العبّاسي استولىٰ «برامكحور ـ كذا» التركي خادم العزيز الإسماعيلي ملك مصر عليها في سنة ستّين وثلثمائة واستولى على الحكم بعده جماعة من «المسه والطلحيّة»[1] ومات في ذي الحجّة سنة سبعين وثلثمائة.

وقام بالأمر عيسى بن جعفر، ثمّ ولّي الحسن المكنّى بـ«أبي الفتوح» بن جعفر بعد أخيه، فهرب الوزير أبوالقاسم المغربي وهو من أكابر فضلاء الشيعة الاثني عشريّة من المصريّين والتحق به وأخذ يحرّضه على السعي لنيل الخلافة فلذلك أعدّ الفيالق في ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة وسار بها إلى هناك وأطاعه أعراب بني طي ممّا استدعىٰ الحاكم إلى بذل المال الطائل على قبائل العرب، فحاذر أبوالفتوح منهم خوفاً من تسليمه بنفسه إلى الحاكم فعاد أدراجه

(١) لم أهتدي إلى معرفة هاتين الفرقتين أو الجماعتين والقطعة بأجمعها غير واضحة لي فجائت ترجمتها حرفيّة وليست دقيقة جداً.

قبل البلوغ إلى نيل قصده، وعاد الوزير المغربي إلى بغداد ورضي الحسن بحكومة الحجاز وعاجله الأجل فلبّى نداء ربّه سنة أربعين وستّين وأربعمائة.

وقام مقامه ولده أبو عبدالله تاج المعالي شكر بن الحسن وكان غاية في الكرم، وقد ذكرت لجنابه حكاية غريبة في الكرم حرّرت في كتاب «نگارستان»، توفّي سنة أربع وستّين وأربعمائة، وتنتهي إليه هذه الطبقة بل ينتهي إليه نسب هؤلاء الحكّام.

وتغلّب على الوضع القائم هناك من يدعىٰ بحمزة بن دهاش بن داود بن عبدالله ابن أبي العاتك عبدالله بن داود بن سليمان بن عبدالله بن موسىٰ الجون فوقع بين بني موسى وبين سليمان قتال شديد وامتدّ حكمه إلى ما يقرب من سبعة أعوام ولم ينل الحكم من بني سليمان أحد سواه، وكان الزمخشري قد كتب كتاب الكشّاف في مكّة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر ثمان عشرة وخمسمائة باسم (حافدا ـ كذا) وعليّ بن عيسى بن علا ـ بضمّ العين وفتح اللّام ـ بن حمزة، وكان غاية في الفضل ونظم الشعر والسخاء[1].

أبو محمّد الملقّب بتاج المعالي بن جعفر أبو هاشم محمّد بن عبدالله ابن أبو هاشم بن حسن الأمير بن محمّد الأكبر

جدّه الأعلى جعفر وهو أوّل أمير نال وراثة أسلافه في الحكم، وقد ذكر قبلاً وكان والده وجدّه قد نالا الحكم قبل أبي المعالي شكر وابتدأ الخطبة أوّلاً باسم الإسماعيليّة ثمّ تحوّل إلى ذكر القائم العبّاسي بطلب منه وكسر الألواح التي كانت

(١) يوجد في هذا النصّ خلل واضح وألفاظ مبهمة وفقرات غامضة لأجل ذلك جاءت ترجمته غير دقيقة بل غير صحيحة فأرجو من القارئ أن يكون على بيّنة من أمره.

تحيط بالكعبة والحجر وببئر زمزم وهي مكتوبة بألقاب مصريّة وأرسل بها إلى بغداد وحمل رسوله إلى ألب أرسلان سنة اثنين وستّين وأربعمائة بثلاثين ألف دينار وخلع نفيسة. وتوفّي سنة سبع وثمانين وأربعمائة وقد نيّف على السبعين.

أبو فليته القاسم بن تاج المعالي محمّد

تولّى بعد أبيه ولكنّ «الاسبهبذ» بن ساريكين انتزع مكّة منه سنة سبع وثمانين وأربعمائة خلا أنّه استطاع أن يعيد الكرّة على الاسبهبذ في شوّال هذه السنة ومعه جماعة من أصحابه حتّى تغلّب عليه وتمكّن الاسبهيذ من الهرب إلى الشام. وتأمّر بعده ولده فليته بن أبو فليته القاسم بن تاج المعالي محمّد في العشر الأواخر من صفر سنة سبع عشرة وخمسمائة.

وأمّا الأمير تاج المعالي عمدة الدين أبو هاشم بن الأمير فليته فلم يمهل إخوانه حتّى نزىٰ على الحكم سنة سبع وعشرين.

القاسم بن هاشم بن فليته .. وصل إلى السلطنة بعد أبيه ولكن الأمير أرغش أمير الحاج ببغداد أخرجه من مكّة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونصب عمّه عيسى مكانه[1]. ورجع القاسم من البادية إلى عمّه وأخرجه منها واستطاع عيسى

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل فقال: كان أمير مكّة هذه السنة القاسم بن فليته بن القاسم بن أبي هاشم العلوي الحسيني، فلمّا سمع بقرب الحجّاج من مكّة صادر المجاورين وأعيان أهل مكّة وأخذ كثيراً من أموالهم وهرب من مكّة خوفاً من أمير الحاج «أرغش» وكان قد حجّ هذه السنة زين الدين عليّ بن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طائفة صالحة من العسكر، فلمّا وصل أمير الحاج إلى مكّة رتّب مكان قاسم بن فليته عمّه عيسى بن قاسم بن هاشم فبقي كذلك إلى شهر رمضان، ثمّ إنّ قاسم بن فليته جمع جمعاً كثيراً من العرب أطمعهم في مال له بمكّة فاتّبعوه فسار بهم إليها، فلمّا سمع عمّه عيسى فارقها ودخلها قاسم ... الخ، الكامل ج ١١ ص ٢٧٩.

أن يعيد الكرّة عليه في رمضان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة فيقضى عليه وكانت مدّة حكمه عشرين سنة.

الأمير قطب الدين عيسى بن الأمير فليته استولى على الحكم بعد ابن أخيه.

الأمير مكثر بن عيسى.. ولّى الحكم بعد أبيه وهرب من عسكر المستضيء العبّاسي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة واستخلف أخوه داود بن عيسى ولكن حكومة مكثر استمرّت إلى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

المنصور أخو داود بن عيسى حكم بعده.

وفي رواية بعضهم إنّ قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن عليّ بن سلمة بن عبدالله بن محمّد بن تغلب عبدالله الأكبر بن محمّد السائر بن موسىٰ الجون أمير مكّة ظهر على مكثر بن عيسى سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان غاية في القسوة والتجبّر وغلظ الفؤاد.

وجاء في تاريخ مصر والقاهرة: إنّ الأمير قتادة أمير عارف ومنصف واستطاع أن يروض الموالي الذين كانوا يفسدون في مكّة، وكان في زمانه يعيش التجّار في أمان على أموالهم ونفوسهم، وكان يسبّ الصحابة كما جرت بذلك عادة الشيعة..[1] وكان يؤذّن بـ«حيّ على خير العمل»، وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله تعالى ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره، وكان يحمل إليه من بغداد في كلّ سنة الذهب والخلع وهو بداره في مكّة وهو يقول: أنا أحقّ بالخلافة من

---

(١) وإليك عبارة ابن تغري بردي عن قتادة: وفيها توفّي الشريف قتادة بن إدرس أبو عزيز الحسيني المكّي أمير مكّة، كان شيخاً عارفاً منصفاً، قمة على عبيد مكّة المفسدين، وكان الحاجّ في أيّامه في أمان على أموالهم ونفوسهم، وكان يؤذّن في الحرم بـ«حيّ على خير العمل» على قاعدة الرافضة، وما كان يلتفت إلى أحد من خلق الله تعالى ولا وطئ بساط الخليفة ولا غيره.. الخ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٩٩ آلي.

الناصر لدين الله، ولم يرتكب كبيرة فيما قيل..

وذكر في تاريخ «جهان آرا» وغيره أنّ الناصر العبّاسي استطاع أن يخدعه بالقدوم عليه في العراق، ولمّا بلغ الكوفة أمر الأكابر والأصاغر باستقباله حتّى سائسوا الأُسود ومعهم أسودهم وفي أعناقها السلاسل، فلمّا وقعت عليها عينه قال: بلاد تذلّ بها الأُسود لا أدخلها، وعاد من حيث أتىٰ.

الحسن بن قتادة: قام بالأمر بعد أبيه.

أبو راجح ابن قتادة: حكم بعد أخيه واستولى عليه الملك المسعود بن الملك الكامل من آل أيّوب زماناً ثمّ رجحت كفّة الراجح.

الأمير نجم الدين الحسن بن عليّ بن قتادة: شارك عمّه في الحكم.

أبو الغيث محمّد أبو نمي بن أبي سعد الحسن: نال الحكم وامتدّ به العمر وطال وكان له ثلاثون ولداً منهم السيّد عبدالله الذي تقدّم إلى السلطان غازان فحقّق له رغبات كثيرة في الحلّة.

حميصة بن أبي نمي: استولى بعده ولكنّه قُتِل على يد أخيه.

أبو عرادة ابن أبي نمي: قبض عليه إخوته وهجّروه إلى مصر فهرب منها إلى السلطان محمّد الجايتو فطلب منه أن يمدّه، ولمّا بلغ البصرة علم بموت السلطان ففصل عسكره من عسكر السلطان وسار حتّى بلغ حدود الحجاز وما زال يغير على تلك الديار حتّى قصد الناصر ملك مصر وقتل هناك فحكم بعده:

السيّد أبو عرار رمسة بن أبي نمي: وكان من أولاده شهاب الدين أحمد فقدم على السلطان أبي سعيد وحمل محمل السلطان إلى مكّة مقدّماً له على محامل السلاطين الآخرين وأجرىٰ للسلطان ما كان يجري له من الذهب، فبالغ السلطان بعد عودته في تعظيم قدره ورفع مقامه حتّى أعطاه الإمارة على أعراب العراق

واستولى على الحلّة بعد رحيل السلطان فحاصره الأمير حسن نويان ثمّ قتله بعد أن تمكّن منه وكان أبوه يومئذٍ على قيد الحياة.

السيّد عزّ الدين بن عجلان بن رمسة: حكم الحجاز بعد ذلك، ولكن وقع انشقاق بينه وبين إخوانه.

السيّد شهاب الدين بن السيّد عزّ الدين: استولى على الحكم بعده وكان عادلاً وذا سياسة ومداراة للأُمور وما أن فارق الحياة حتّى اضطربت الأمور بعده.

السيّد بدر الدين بن عجلان: حكم بعد آل رمسة الذين يتنازعون على الملك ونازعه ابن اخيه رمسه بن محمّد بن عجلان زماناً ثمّ قرّ قراره بعد ذلك[1].

---

(١) هذه اللوحة التي سجّل بها مولانا المؤلّف هؤلاء الملوك لم تكن واضحة بالشكل المطلوب وأخشى أن أكون ارتكبت بها خطأً غير مقصود وعلى القارئ أن يعرف ذلك..

الجند الخامس

في ذكر بني فاطمة عليها السلام الذين استخلفوا في مصر والمغرب ويقال لهم: الإسماعيليّة والعبيديّة

حكم هؤلاء الملوك في العصر العبّاسي أربع وسبعين سنة بعد المأتين وكان عددهم أربعة عشر رجلاً، وابتدأ ملكهم من سنة ستّ وخمسين وخمسمائة[1] وكانوا من نسل إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو بكره، وكان الناس يعتقدون الإمامة فيه بعد أبيه. وقال بعضهم: بل هو صاحب الزمان ولكنّه مات في حياة أبيه وأظهر الإمام الصادق عليه السلام الحزن الشديد على جنازته، وأنزل النعش مراراً إلى الأرض وكشف الكفن عن وجهه وأمر الناس بمشاهدته ليعلموا موته على الحقيقة ولا يبقوا على ظنّهم الفساد، وما تزال طائفة من الإسماعيليّين يعتقدون بحياته ويرونه صاحب الزمان.

وجاء في بعض التواريخ: إنّ لإسماعيل هذا ولد يدعىٰ محمّد، ولمحمّد هذا ولد سمّاه جعفراً وولد في المدينة وولد له ولد يُدعىٰ محمّد بن جعفر الحبيب، وسمّي الحبيب لأنّ الناس جميعاً يحبّونه، وهاجر أولاده إلى بلاد المغرب، وأوّل رجل منهم وصل إلى سدّة الخلافة بدعمٍ من أبي عبدالله الصوفي في

---

(١) وافق اليافعي المؤلّف في عددهم وخالفه في مدّة حكمهم فزعم أنّه مائتا سنة وستّ وستّون سنة / مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٧.

صنهاجة[١] هو الرجل المعروف بعبدالله بن محمّد المهدي بالله ونسبه كما جاء في تقويم سلطان المحقّقين الخواجه نصيرالدين محمّد الطوسي طيّب الله مشهده الذي وضعه باسم علاء الدين محمّد الإسماعيلي حاكم «قهستان»[٢] في فاتحة التقويم على الوجه الآتي: محمّد بن المهدي بن عبدالله بن أحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام.

وفي رواية بعضهم جاء نسبه على النحو التالي: عبيدالله بن محمّد بن عبدالله بن ميمون بن محمّد بن إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ولد في قرية تسمّى «سلمية»[٣] في سنة ستّ وستّين ومأتين وكان مدّة خلافته أربعاً وعشرين عاماً، وتوفّي سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وعمره اثنان وستّون سنة، وخرج يوم الأحد سابع ذي الحجّة سنة ستّ وتسعين ومأتين وسلّموا عليه بالخلافة يوم الخميس من ربيع الآخر سنة سبع. وزعم الإسماعيليّون أنّه هو المهدي الموعود الذي حدّثتنا به الأخبار. وروى بعض الموالين له عن النبي بأنّه قال: «على رأس ثلاثمائة تطلع الشمس من مغربها»[٤].

---

(١) كتبها الناسخ «سلخانيه» ولا معنى لها ولم أجدها في كتب البلدان، وغلب على ظنّي بأنّها «صنهاجة» والله أعلم.

(٢) قهستان: بلاد الجبل.

(٣) سلمية: بفتح اوّله وثانيه وسكون الميم وياء مثنّاة من تحت خفيفة كذا جاء به المتنبّي في قوله: «تراها في سلميّة مسيطراً» قيل: سلمية قرب المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مأة نفس فنجّاهم فانتزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها فسُمّيت سلم مائه ثمّ حرّف الناس اسمها فقالوا: سلمية / معجم البلدان ج ٢ ص٤٦٨.

(٤) ذكر الحديث القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار ج ٣ ص٤١٨ ح٣ هكذا: تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجرتي. رفعه إلى النبي وقال: وهذا حديث مشهور، والرجل إسماعيلي.

وقالوا: المراد من الشمس في الحديث هو المهدي، ينصره الله على كلّ من ناواه.

وقال صاحب «روضة الصفا»: بنىٰ بالقرب من القيروان[١] قلعة محكمة وسمّاها المهديّة.

وفي سنة تسع وتسعين ومأتين خرج على المهدي قوم من بعض نواحي المغرب فأرسل إليهم ولده لقمعهم فحاصرهم وأقام على باب البلد مدّة طويلة حتّى نفد قوتهم، فاضطرّهم إلى الخروج عليه بأكفانهم وفي أيديهم الشفار وطلبوا الأمان، فرحمهم ابن المهدي لاسيّما الضعفاء منهم وشملهم بعطفه، فأعطاهم الأمان وغرّمهم قليلاً من المال وقنع بذلك.

وسرّح المهدي في أيّامه بالجيوش إلى أطراف المغرب وأكنافها حتّى دانت له كلّها بعد أن أزاح حكّامها السابقين وحين فرغ من فتح الأندلس[٢] والقيروان وطرابلس ونظائرها، أرسل ولده «القائم» ومعه جيش ضارب جرّار لفتح مصر، فأرسل المقتدر العبّاسي لمواجهته مؤنس الخادم ومعه فيالق جرّارة أيضاً، فاقتتلوا وأظهر مؤنس بطولة فائقة فلقّب من دار الخلافة بالمظفّر.

---

(١) القيروان: قال الأزهري: القيروان معرب وهو بالفارسيّة كاروان، وقد تكلّمت به العرب قديماً، قال امرئ القيس:

وغـــارة ذات قـيروان   كأنّ أسـرابـها الرعـال

والقيروان في الإقليم الثالث. إلى أن يقول: وهي مدينة عظيمة بأفريقيا (تونس) غبرت دهراً وليس في الغرب مدينة أجمل منها إلى أن قدمت العرب أفريقيّة وأخربت البلاد فانتقل أهلها عنها، الخ. معجم البلدان ص٤٥٣.

(٢) لم أعهد للفاطميّين حكماً على الأندلس والخطأ من الناسخ لأنّ سيّدنا الشهيد يريد مدينة أُخرى فأخطأ الناسخ في ضبطها ولم أتميّزها.

وفي بعض الكتب التاريخيّة رأيت أنّ مؤنساً قاتل «القائم» مرّتين، وفي الثانية ولّى هارباً منه فخلصت مصر والصعيد لخلفاء العلويّين، ولمّا استكمل المهدي مدّة خمس وعشرين سنة مقيماً بحصن المهديّة وافاه حمامه بها ولبّى نداء ربّه فيها.

وجاء في تاريخ روضة الصفا: إنّ العبّاسيّين طعنوا في نسب الفاطميّين فأحضروا العلماء وكتبوا «محضراً»[1] وفيه خطوط العلماء وأهل الحلّ والعقد من البلد بنفي نسبهم، وأراد من الخطباء تلاوته على رؤوس المنابر، فقال له وزيره: إذا فعلت ذلك أعطيت العلويّين الذريعة للتطاول على بني العبّاس، وقابلوك بالمثل في كتابة المحاضر وحملوا خطبائهم على قرائته فوق منابرهم، فلا تبقىٰ لكم حينئذٍ حرمة، فعقل المقتدر الأمر وانصرف عن ذلك.

وجاء في تاريخ ابن كثيّر الشامي: كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمّن الطعن والقدح في نسب الفاطميّين وهم ملوك مصر، وكتب في ذلك جماعة من العلماء القضاة والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدّثين، ومن هؤلاء أبوالفرجِ ابن الجوزي وهذه عبارته: قلت: وممّا يدلّ على أنّ هؤلاء أدعياء كذبة كما ذكر هؤلاء السادة العلماء والأئمّة الفضلاء وأنّهم لا نسب لهم إلى عليّ بن أبي طالب ولا إلى فاطمة كما يزعمون قول ابن عمر للحسين بن عليّ حين أراد الذهاب إلى العراق وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه، فقال له ابن عمر: لا تذهب إليهم فإنّي أخاف عليك أن تقتل وإنّ جدّك قد خيّر بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وأنت بضعة منه وإنّه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك..

---

(١) المحضر: الصكّ لما فيه من حضور الخصمين والشهود ومنه محضر الجلسة كذا ومحضر الضبط، واستعرناه لتلك الجلسة العبّاسيّة.

فهذا الكلامِ الحسن الصحيح المتوجّه المعقول، من هذا الصحابي الجليل يقتضي أنّه لا يلي الخلافة من أهل البيت إلّا محمّد بن عبدالله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم رغبة بهم عن الدنيا وأن لا يدنّسوا بها، ومعلوم أنّ هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدّة طويلة فدلّ ذلك دلالة قويّة ظاهرة على أنّهم ليسوا من أهل البيت كما نصّ عليه سادة الفقهاء[1].

وهذا حاصل استدلال ابن الجوزي والمؤلّف [ابن كثير] وفيه تأمّل من وجوه:

أوّلاً: كيف صار قول ابن عمر حجّة والعجيب في الأمر أنّ واحداً من سادات أهل البيت لو أخبر عن المستقبل فإنّهم لا يلقون إليه بالاً ويقول علم الغيب لله وحده وهنا يقدح في نسب أهل البيت وبعض المنتسبين إليهم ويستشهد بقول عبدالله ابن عمر وهو يتحدّث عن الغيب فلا يردّونه ويعدّونه حجّة في هذا الشأن.

ثانياً: لو صحّ هذا الكلام من ابن عمر فإنّ ضمير التأنيث في قوله: «ولا ينالها» إنّما يعود على الخلافة الحقّة التي ثبتت لهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا الخلافة الفاسدة والملك العضوض، الحادث بعد وفاة النبيّ بثلاثين عاماً كما يعتقد به أهل السنة والجماعة، ولا يجوز غيره فيكون مؤدّىٰ كلام ابن عمر على هذا النحو: إنّ الخلافة الحقيقيّة لا تصل إليك ولا إلى أحد من أهل بيتك وليس معنى هذا أن لا يصل إليهم الملك العضوض المتمثّل في بني أُميّة وبني العبّاس أو الخلافة الظاهريّة كما يرى ذلك ابن الجوزي وأصحابه، أو أنّها ممتنعة على الحسين وأولاده عليهم السلام.

ثالثاً: قوله: وإنّ جدّك خيّر بين الدنيا والآخرة الخ، تدلّ على أنّ الرواية موضوعة حيث تشعر العبارة بأنّ الحسين خارج لطلب الدنيا في مسيره إلى

---

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص٣٩٨ ونحن نقلنا كلام ابن كثير الحاوي لكلام المؤلّف وزيادة.

العراق وحاشا ابن عمر أن يظنّ بالإمام الحسين هذا الظنّ بل الإمام خرج لطلب الخلافة الإلهيّة بناءاً على نصّ الحديث الشريف الصحيح: «لا يزال هذا الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش..» وغيره من الأحاديث التي ذكرناها في مطلع هذا الكتاب(١) والحسين عليه السلام حقّه الخلافة الإلهيّة الثابتة.

رابعاً: وقرينة أُخرى على وضع هذه العبارة إطلاق كلام ابن عمر على وجه يتناول بالدلالة نفي الخلافة عن مهدي أهل البيت أيضاً.

ومن الغرائب ما ساقه الشيخ الجلال السيوطي الشافعي في كتابه «تاريخ الخلفاء» من دلائل على بطلان خلافة الخلفاء الإسماعيليّين بما رواه أهل السنة من الأحاديث الدالّة على امتداد الخلافة في بني العبّاس إلى ظهور مهدي آخر الزمان. ولا يخفى أنّ إقدام الخليفة المأمون العبّاسي على إسناد ولاية العهد إلى الإمام الرضا عليه السلام دليل آخر صريح على أنّ هذه الأحاديث وضعت بعد عصره، فلو أنّها كانت موجودة في عصره وثابتة وأنّها وصلت إليه وعلم أنّ النبيّ قال: إنّ الخلافة باقية في أولاد العبّاس إلى يوم القيامة لما أقدم على نقلها من أُسرته إلى الإمام الرضا عليه السلام لأنّ ارتكاب عمل كهذا العمل على فرض وقوع تلك الأحاديث المذكورة لهم تعتبر دفعاً للقضاء الإلهي وردّاً لنصّ وارد عن النبيّ ومعارضة له،

(١) ما أكثر سياقات هذا الحديث وإليك نماذج من الكتب التي أخرجته على سبيل الاختصار: المهذّب لابن البرّاج ج ١ ص ٢٠ كلمة المقدّم، كشف الغطاء ج ١ ص٧، الحكيم: السنّة في الشريعة الإسلاميّة ص٦٤، دلائل الإمامة ص ٢٠، مقتضب الأثر لأحمد بن عيّاش الجوهري ص٥، أبو الفتح الكراجكي: الاستبصار ص٢٤، المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص٢٤٨، مسند أحمد ج ٥ ص٨٧ بعدّة طرق، صحيح البخاري ج٨ ص١٢٧، صحيح مسلم ج٦ ص٣ بطرق عدّة وسياقات مختلفة، سنن أبي داود ج ٢ ص٣٠٩، سنن الترمذي ج٣ ص ٣٤٠، مستدرك الحاكم ج ٣ ص٦١٧ وغيرها.

وهذا دليل بيّن على الجهل والضلالة وشاهد على الخسران.

وأيضاً ليس بخفيّ عن الناس وأهل العالم من أنّ الخلافة قد سلخت من بني العبّاس وفارقتهم وخرجت من بيوتهم وقد مضى على ذلك حقب من الزمان كثيرة، منذ فارقتهم إلى هذا اليوم بل لم يبق لهم ولا لنسبهم أثر يذكر، ولله الحمد إنّ أيّام أُولئك المتغلّبين قد انصرمت وكشفت الأيّام عن وضع هذه الأحاديث التي وضعها أهل السنة من أجل تأييد تلك الدولة الظالمة والفئة الطاغية، وقس على هذه الأحاديث أخواتٍ لها وضعها القوم وأثبتوها بكتبهم واغترّوا بها اليوم.

وأيضاً إنّ ابن كثير كذّب هذا المحضر في موضع آخر من كتابه وقال: لمّا أحضر الخليفة القادر أكابر العلماء واستدعاهم لوضع خطوطهم وشهاداتهم في ردّ نسب الفاطميّين، أكره السيّد الرضي أيضاً على ذلك، فوضع خطّه أيضاً في ذلك المحضر، ولمّا خرج من مجلس الخليفة نظم أبياتاً ليدلّ بها على ما أكرهوه عليه من التوقيع الباطل وأنّ نسب الإسماعيليّين صحيح، ونذكر من هذه القطعة البيت التالي:

ألبس الذلّ في بلاد الأعادي　　　وبمصر الخليفة العلوي

ولمّا علم الخليفة العبّاسي بالشعر أزعجه ذلك، واستدعىٰ الشريف طاهر والد السيّد رضي الدين وأخاه السيّد المرتضى علم الهدى، وشكاه إليهما فأرسل إلى ابنه الرضي فأنكر أن يكون قالها بالمرّة، فقال له أبوه: فإذا لم تكن قلتها فقل أبياتاً تذكر فيها أنّ الحاكم بمصر دعيّ لا نسب له، فقال: إنّي أخاف غائلة ذلك. ولمّا كان الرضي وأهل بيته أصحاب قوّة ومنعة في العراق، لم يكن بمستطاع الخليفة إدخال الأذى عليهم لذلك قنع بيمين السيّد الرضي أنّه لم يقل شيئاً من ذلك الشعر، ثمّ أوفد إلى بيته الشيخ أبو حامد الإسفراييني والقاضي

أبوبكر الباقلاني وهما من علماء أهل السنة ليحلّفوه على ذلك، والله أعلم بحقيقة الحال.

ولا يخفى على المتتبّع أنّ اليمين الكاذبة ووضع الأحاديث ما أسهلها على أهل السنة لأنّ أكثرهم يرون الكذب مباحاً في نصرة المذهب، ولهذا ذكر صاحب كتاب «الترغيب والترهيب» وهو من أكابر علماء السنة والمحدّثين منهم في خاتمة الكتاب جماعة كثيرة من علماء أهل السنة، وقال: هؤلاء يستبيحون وضع الحديث لنصره المذهب ويرونه مباحاً.

ذكر صاحب كتاب «روضة الصفا» في ذيل أخبار عبدالرحمن بن طاهر ذي اليمينين الذي ولّاه المأمون خراسان، قال: أقام جماعة من المجوس في هراة بيتاً للنار يقابل المسجد وبما أنّ عليهم دفع الجزية فلم يكن أحد يعرض لهم ولا يذكرهم، وفي أحد الأيّام قام واعظ من وعّاض «قرية مالان» فقال وهو يعظ الناس: إنّ الإسلام ضعيف في هذه الديار والدليل على ذلك جوار معبد النار للمسجد، والمسلمون لا يهبون لصدّ ذلك وردعه، فدبّت العصبيّة للدين في بعضهم فاجتمعوا على هدم المسجد ومعبد النار كليهما، فلمّا جنّ عليهم الليل عمدوا إلى هدمها ومحو آثارهما تماماً حتّى كأنّهما لم يكونا هنا أبداً، وبنوا في المكان مسجداً حديثاً فلمّا أصبح الصباح على المجوس لم يجدوا أثراً لمعبدهم ولا للمسجد، فتملّكتهم الحيرة وراحوا يبحثون عن سرّ اختفاء هذين البنائين، ولمّا علموا بواقع الحال خرجوا من هراة إلى نيسابور وعرضوا الحال عليه وقالوا: وقع علينا هذا الحيف في زمانك وعهد دولتك والآن جئناك متظلّمين ونطلب منك العدل والنظر في أُمورنا بإنصاف.

فأمر عبدالله بن طاهر جماعة بالتحرّي، فلمّا حضر المحقّقون إلى القرية

وشرعوا بالاستفسار والتفتيش اجتمع عندهم أربعة آلاف شيخ معمّر من مدينة هراة وقراها ونواحيها وشهدوا على أنّهم لم يروا طيلة حياتهم في هذا المكان إلّا هذا المسجد وهو قائم على ما هو عليه الآن ولم نشاهد قبل ذلك لا مسجد ولا معبداً للنار وكانو يطمعون بالإدلاء بهذه الشهادة بالثواب الجزيل والأجر الجميل.

وتجد الأخبار المفصّلة عن خروج المهدي المذكور وعن كيفيّة المذهب الإسماعيليّ في التواريخ المشهورة، وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني.

محمّد ولقبه القائم بالله

أخذ أبوه المهدي البيعة له في أيّام خلافته من أهل المغرب ومن البربر، ولمّا توفّي أبوه المهدي استخلف من بعده في سنة خمس وعشرين وثلثمائة ولكن أهل صقليّة خرجوا على عامله سالم بن راشد لسوء سلوكه حتّى عزله عنهم وأقام غيره مقامه.

ومن الوقايع العامّة التي وقعت في عهده أنّ رجلاً يدعىٰ أبا يزيد وكان من قبل معلّماً للصبيان خرج عليه فاجتمع عليه خلق كثير وانضوىٰ تحت لوائه جمّ غفير من الناس وجرت بينه وبين القائم وقائع فانهزم القائم وتبعه أبو يزيد وحصره في المهديّة وانبرى له الإسماعيليّة فرووا فيه حديث ومعناه أنّ الدجّال يخرج على المهدي وأطلقوا على أبي يزيد اسم الدجّال، ومرض القائم وهو محاصر في المهديّة، ووافاه الأجل بعد ذلك بزمان قصير، وقام مقامه ولده إسماعيل وكانت مدّة خلافته اثني عشر سنة وسبعة أشهر.

إسماعيل ولقبه المنصور بالله

ولمّا هلك القائم مال الأشراف في قلعة المهدية إلى ولده المنصور فبايعوه

وكان شجاعاً بطلاً عاقلاً حكيماً، ولمّا كان أبو يزيد محاصراً للمهدية بجيش عرمرم أخفىٰ إسماعيل موت أبيه وفكّ أبو يزيد الحصار عن المهديّة وانجلىٰ عنها بحسن تدبيره وفضل تقديره وأصبح معدوداً في الهاربين فتعقبه المنصور حتّى بلغ موضعاً لا يمكن اجتيازه، فهرب أبو يزيد إلى بلاد السودان، ولمّا علم المنصور بالخبر ندب إليه جماعة من أهل المضاء والعزم لدفع عاديته، فتتبّعوه بأمر من المنصور وقبضوا عليه بعد سعي دائب وجهد واسع، وقدموا به على المنصور فأمر به أن يوضع بقفص من الحديد ويقرن معه قرد في القفص، ثمّ سلخ جلده بعد مضيّ زمان على حبسه مع القرد وحشي تبناً وطيف به في البلاد بعد أن أرسلوا كتاب الفتح إلى أطراف البلاد وأكنافها، وفيه أثبتوا الأعمال القبيحة التي قام بها أبو يزيد وهو خارج عليهم من القتل والنهب والسلب وغير ذلك.

وأقام المنصور في خلافته الحسن بن عليّ الكلبي وهو أحد عظماء مملكته ومعروف بالعدل والسخاء، والياً على صقليّة، فترك أثراً طيّباً في قلوب الرعيّة لحسن سياسته، وكان مهتّماً بضبط الأوضاع وإصلاحها، وفي هذه الأثناء أقبل الروم يريدون الحرب، ولمّا كان الفريقان متجاورين نشبت الحرب بينهما حتّى بلغت نارها عنان السماء، ودارت الدائرة على الحسن فانهزم منهم، وبينما هم كذلك إذ أقبل فرج مولى المنصور ومعه طائفة من ذوي الإقدام والفروسيّة ردءاً للحسن، فتوحّدت كلمتهما واستقبلا الروم، وقاتلا قتالاً شديداً حتّى هزم الروم هزيمة منكرة وولّوا الدبر، وهربت فلولهم الناجون من السيف قاصدين القصير، وما بلغوا حوزته إلّا بشقّ الأنفس. ونظم أبو جعفر «المردرودي» عدّة أبياتٍ يهنّا المنصور والأُمّة بهذا الفتح المبين، وقدّمها إليه وفيها يعلّق الأمل على السعيد قرّة عين الخليفة المعزّ لدين الله وهو وليّ عهد أبيه أن يخطب له على المنابر في

مكّة والمدينة، وتضرب السكّة باسمه، ويندرج لقبه مع ألقاب الخلفاء، وهو الكوكب الدرّيّ الذي زيّن أبراج الإمامة، فتحقّق كلّ ما جرى على لسان هذا القائل «أبو جعفر».

ولمّا مضت على خلافة المنصور سبع سنين ودّع هذا الوجود الفاني ولم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين.

معد بن إسماعيل، لقبه المعزّ لدين الله

كان ملكاً صاحب رأي، وشجاعاً، وله معرفة تامّة بدقائق الملك وقوانين الملّة، وقد جاء بتقاليد السياسة والحكومة على وجهها الصحيح.

وقال اليافعي: كان مظهراً للتشيّع، معظِّماً لحرمة الإسلام، حليماً كريماً حازماً سريّاً، يرجع إلى الإنصاف ويجري الأمور على أحسن أحكامها[1].

بويع في اليوم الذي توفّي فيه والده وكان في سلخ شوّال سنة إحدى وأربعين وثلثمائة، واختصّ في سنة سبع وأربعين مولاه «جوهر الخادم» بأنواع التحف والعواطف الملوكيّة وسرّح به إلى أقصى بلاد المغرب، ووصل إلى ساحل المحيط «الأُقيانوس» وإلى الجزائر الخالدات، واصطاد السمك المختصّ بتلك الجزر وأرسله إلى سرير الخلافة.

وأرسل المعزّ لدين الله العسكر إلى «السلخانيّة» (كذا) وفتح تلك الديار، وأسر في تلك المملكة المتغلّب عليها الذي سمّى نفسه «شكر الله» وكان يُدعىٰ بـ«أميرالمؤمنين»، وبعد ذلك الفتح سرّح بالعساكر إلى جزائر الروم ودارت بينه وبين عساكر الروم رحى حرب هائلة، وتغلّب المعز عليهم، وحاز غنائم جمّة.

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ٣٦٩ آلي.

وخلال تلك الأحوال طرقت سمعه أخبار كافور الأخشيدي الذي اشتغل بحكومة مصر بتدبير من العبّاسيّين، وبلغ القحط والعنت بالمصريّين حدّاً أن بدى عليهم الكلال والإرهاق، فأرسل الأعيان في مصر رسلاً وكتباً إلى المعزّ يرجونه أن يقدم عليهم بنفسه أو يرسل إليهم شخصاً جديراً بقيادتهم ورفع الحيف عنهم. ولمّا اطّلع المعزّ على واقع الحال نزعت به الهمّة إلى فتح مصر، فأرسل القائد جوهر ومعه جماعة من أصحاب السلاح وأرسل معه المراكب المحملة بالذخائر والمؤن وأنواع الأطعمة وأصناف الأغذية والثياب والأكسية ليتصدّق بها على المصريّين، ووصل القائد جوهر في سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقوّة ضاربة بعد قطعه المفاوز والمسالك إلى مصر، فقرّت بوصوله أعينهم وفرحت به ديارهم، وهدأت سورة الجوع فيهم بصدقات المعزّ لدين الله.

ونزل جوهر بالبستان الأخشيدي وبنى مصر الجديدة بأمر المعز بين الفسطاط ومصر وعين شمس، واشتهرت باسم «القاهرة» وخرجت مصر والاسكندريّة وديار سعيد[1] ودمياط ومكّة والمدينة من نفوذ العبّاسيّين بسعي القائد جوهر، وانضمّت إلى فتوحات العلويّين.

وفي هذه الأثناء أرسل جوهر الصقلي! أحد القوّاد إلى جهة فلسطين بعسكر مجرٍ ففتحها القائد، ثمّ سار باتجاه دمشق فاستولىٰ عليها، وانضمّت مملكة الشام إلى فتوحاتهم.

ذكر صاحب روضة الصفا: إنّ جماعة من القرامطة قد ارتكبوا أفعالاً شنيعة مثل قلع الحجر الأسود وغير ذلك، فضيّق عليهم جوهر الخناق في مصر حتّى هربت جماعتهم من مصر ولجئوا إلى ولاية الشام واختبئوا فيها.

---

(١) لعلّها بور سعيد، والله أعلم.

ويظهر من هذا الكلام بوضوح أنّ القرامطة طائفة غير طائفة الإسماعيليّة، وإنّما أدخلهم العبّاسيّون وشيعتهم في عدادهم بغضاً وعداءاً لهم. ويؤيّد ما ذهبنا إليه أنّ عبدالله بن المعتزّ العبّاسي لمّا طعن في شعره بالعلويّين ونال منهم بما قدر عليه وأشار إلى أنّ الخلفاء العلويّين هم من القرامطة والقرامطة منهم، فأجابه أحد أُدبائهم على شعره مجيباً هذا الناصبي وردّ نسبة القرامطة إلى العلويّين فقال هذا البيت:

وتنسب أفعال القرامط كاذباً إلى عترة الهادي الكرام الأطايب

وسوف تذكر القصيدة مع هذا البيت من قصائد ابن المعتزّ في ترجمة أبي فراس الحمداني من مجلس الأُمراء المذكور.

وهاجر المعزّ لدين الله إلى مصر مع حرمه وأولاده في شوّال سنة إحدى وستّين وثلثمائة. وكانت الأموال التي حملها معه خارجة عن الإحصاء لكثرتها.

وجاء في بعض التواريخ أنّه اصطحب معه في هذا السفر من الأموال خمسة عشر ألف جمل وعشرة آلاف بغل محمّلة بالذهب المسكوك من الأحمر والأبيض، واستقبله أعيان مصر من الإسكندريّة ولاقوه في تلك البلاد، وعرضوا بين يديه شدّة الفراق عليهم وقد برّح الشوق إليه بهم فاستمالوه إليهم.

ولمّا نزل الخليفة العلوي بالمحروسة المعزّيّه، عمل على أساس العدل والإنصاف إلى درجة لم يتصوّر حدوث أعظم منها، ويقال عنه بأنّه أقام عند باب قصره صندوقاً مليئاً بالذهب وأذن لكلّ محتاج أن يأخذ منه بكفّه ما اتسع له، وما تزال الصناديق مقامة في موضعها، ولكن لا أثر باق لذلك الكرم ولمّا تمهّدت له الأُمور واستقرّت الأحوال سلّم نقد حياته إلى قابض الأرواح في يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستّين وثلاثمائة وقد بلغ من العمر خمساً وأربعين عاماً، وكانت مدّة خلافته عشرين سنة وخمس سنين وثلاثة أشهر.

نزار الملقّب العزيز بالله

أبوه معد، وولد في محرّم الحرام سنة ٣٤٤ وبويع يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستّين وثلثمائة.

قال مؤلّف النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة: كان العزيز كريماً وشجاعاً وصاحب سياسة، وكان يرفق بالرعيّة ويحسن السياسة معهم. ونقل عن المسيحي[1] أنّ العزيز كان أديباً وفاضلاً وحسن الخلق والخلق، وكان عازفاً عن إراقة الدماء، راغباً في الصيد رغبة شديدةً.

وقال أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر: وأنشدني أبو حفص عمر بن عليّ الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه:

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا ... أوّلنا مبتلىً وآخرنا
يفرح هذا الورىٰ بعيدهم ... ونحن أعيادنا مآتمنا[2]

وقال الثعالبي أيضاً: كان العزيز غاية في الفصاحة والكتاب الذي بعثه إلى عضد الدولة، وقُرِىءَ في مجلس الطائع الخليفة العبّاسي يدلّ على غاية فضله وقوّة شوكته، وهذه صورة التاب الذي كتبه بعد البسملة:

.. من عبدالله ووليّه نزار بن أبي منصور الإمام العزيز باللّه أميرالمؤمنين إلى

---

(١) أحسبه المسبّحي وهو بضمّ الميم وفتح السين و تشديد الباء المعجمة بواحدة وهو صاحب تاريخ مصر والمغاربة، رأيت التاريخ عند فخر الدولة نقيب الطالبيّين بها وهو كتاب كبير جدّاً. إكمال الكمال لابن ماكولا ج٧ ص٣١٦.

(٢) ج١ ص٩٦ آلي.

عضد الدولة نصير الملّة لإسلام (كذا) (نصير ملّة الإسلام) أبي شجاع بن أبي علي. سلام عليك. فإنّ أميرالمؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، وسأله الصلاة على جدّه محمّد رسول الله ربّ العالمين وحجّة الله على الخلق أجمعين صلاة تامّة متصلة دائمة بعترته الهادية وذريّته الطيّبة الطاهرة.

وبعد، فإنّ رسولك وصل إلى حضرة أميرالمؤمنين مع الرسول المنفذ إليك فإذا يحمله (كذا) من إخلاصك في أولاد أميرالمؤمنين ومودّتك ومعرفتك بحقّ إمامته ومحبّتك لآبائه الطائعين الهادين المهديّين، فسرّ بما سمعه منك ووافق ما كان يتوسّمه منك وأنّك لا تعدل عن الحقّ.

وذكر كلاماً كثيراً في هذا المعنى إلى أن قال: وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار ولولا ذلك لتوجّه أميرالمؤمنين بنفسه إلى الثغور وسوف يقدم إلى الحيرة وكتابه يقدم إليك عن قريب فتأهّب إلى الجهاد في سبيل الله[١].

وكتب في آخر الكتاب: (كتبه يعقوب بن يوسف بن كلس عند مولانا أميرالمؤمنين)[٢].

وكتب عضد الدولة في جوابه كتاباً واعترف فيه بفضل أهل البيت، واعترف بأنّ العزيز منهم وخاطبه بقوله: «الحضرة الشريفة»، ونقل عن وزيره يعقوب أنّه

---

(١) بحثت عن النصّ فلم أعثر عليه في أيّ مصدر أملكه ولذلك أثبتّه كما ورد عند سيّدنا المؤلّف.

(٢) يعقوب بن كلس أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس وزير العزيز نزار بن المعزّ العبيدي صاحب مصر المقدّم ذكرهما، كان يعقوب أوّلاً يهودياً يزعم أنّه من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام وقيل إنّه كان يزعم أنّه من مولد السموأل بن عاديا اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق وهو المشهور بالوفاء. ولد ببغداد ونشأ بها / وفيات الأعيان ج٧ ص٢٨.

قال: قال العزيز ذات يوم لعمّه: بودّي أن أرى الناس جميعاً متنعّمين بالعين والورق والجواهر والخيل واللباس والضياع والعقار وغير ذلك من أقسام النعم وأنّها تأتيهم من قبلي.

توفّي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة.

المنصور الملقّب بالحاكم بأمر الله

أبوه العزيز، ولد في القاهرة يوم الخميس التاسع من ربيع الأوّل سنة خمس وسبعين وثلثمائة، وبويع بعد فقد أبيه في أوّل النهار وكانت الخطبة في عهده في المدائن والأنبار و«القصران» له[1].

وذكر صاحب «تاريخ گزيده»: بعث الحاكم جماعة من مصر وأغرى أحد العلويّين مدنيّاً لينقبوا داره وينفذوا إلى «روضة النبي» صلى الله عليه وآله وسلم وأرادوا حفرة الرجلين أبي بكر وعمر ليخرجوهما منها ولكن الخبر وصل إلى والي المدينة فقبض على الجماعة وعاقبهم وقال: هذه من كرامات أبي بكر وعمر.

قال مؤلّف الكتاب: لو كانت هذه الإرادة عند الخلفاء الإسماعيليّين لفعلوها أيّام كانت مكّة والمدينة الحرمان الشريفان تحت تصرّفهم ولكن لمّا كان استعمال آلة الحفر والنقض لاستخراج ذينك الغدّارين في جوار سيّد المرسلين عند أصحاب الاعتبار أقبح من طمرهما هناك لذلك تورّعوا عن فعل ذلك. وعلى تقدير صحّة المدّعى فإنّنا لا نرى أنّ أعوان الحاكم امتنعوا عن ذلك للسبب المذكور كلّا لأنّه إنكار للباطل، ومكابرة أهل السنة لا تجدي نفعاً.

---

(١) القصران: تثنية القصر وهما قصران بالقاهرة وكان يسكنهما ملوكها الذين انقرضوا وكانوا ينسبون إلى العلويّة وهما قصران عظيمان يقصر الوصف دونهما، عن يمين السوق وشماليه... والقصران أيضاً مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمّىٰ القصرين / معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٢ آلي.

ولقد ذكر ابن كثيّر الشامي وغيره من أصحاب السير أنّ العبّاسيّين لمّا استتبّ لهم الأمر عمدوا في أوّل عهدهم إلى قبور بني أُميّة فاحتفروها وأحرقوا رمم أصحابها وهدموا ما عليها من بناء، ولمّا آلت الدولة العبّاسيّة إلى السقوط قام جماعة ممّن لهم هوىً في الأمويّين بعد قرون فأصلحوا قبورهم وأقاموا عليها القباب وأخذوا في زيارتها.

وكذلك يعلم الجميع وهو ظاهر جلي أنّ الشاه إسماعيل أنار الله برهانه هدم قبر أبي حنيفة الكائن في بغداد وأخرج جيفته وأحرق عظامه ودفن مكانه كلباً وجعل مكان قبره موضعاً للقمامة يلقي فيه أهل بغداد فضلاتهم، وبقيت الحال على هذا المنوال سنين عدّة حتّى احتلّ سلطان الروم بغداد فأتلف بيت القمامة وشيّد مكانه عمارة شاهقة ووضع داخلها «صندوقاً» وأمر الناس بزيارته، وأهل السنة والجماعة اليوم قائمون على زيارته وتعظيمه.

وعلى تقدير التسليم لمنع ذلك وإنكاره نقول: لمّا كان قبر أبي بكر وعمر على مقربة من قبر النبيّ ﷺ جدّاً، وبناءاً على هذا فقد كان من المحتمل أن ينال القبر شيء من الهدم وكان النقب ليلاً فلا بدع أن يتعرّض القبر المطهّر للنبش أيضاً مِن ثَمّ حال الله بينهم وبين ذلك، ولو كان أبوبكر أهلاً للكرامات ومثله صاحبه لسلم من لدغات الغار وعار الفرار وغير ذلك من أنواع النقص والعار، ولنجىٰ من صاعقة الغضب الإلهي التي نزلت في مدينة السكينة سنة ٦٥٤ لإحراقه وكذلك قصّة نزول الصاعقة المرويّة في تاريخ الخلفاء تأليف جلال الدين السيوطي وغير ذلك.

استخلف الحاكم إحدى وعشرين سنة وشهراً ثمّ غاب ولم يره أحد إلى اليوم، ولا يعلم أحد إلى أين ذهب، وكان فقده ليلة السابع والعشرين من شهر شوّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة.

علي الملقّب بالقاهر لأعداء دين الله

وقال بعضهم: الظاهر بأمر الله، والده «المنصور»، وولادته في مصر يوم الاثنين العاشر من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة، وبويع بعد وفاة أبيه بثلاثة وأربعين يوماً ليلة الاثنين من عيد الأضحى، وتوفّي منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

معد الملقّب بالمستنصر بالله

أبوه القاهر أو الظاهر، ولد صبح يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادىٰ الأُخرىٰ سنة عشرين وأربعمائة، بويع بعد أبيه وتوفّي يوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

أحمد الملقّب بالمستعلي بالله

أبوه المستنصر، ولد في العشرين من المحرّم سنة سبع وستّين وأربعمائة، وتوفّي يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

المنصور الملقّب بالآمر بأحكام الله

أبوه المستعلي، ولد يوم الثالث عشر من شهر المحرّم سنة تسعين وأربعمائة، وبويع يوم وفاة أبيه، وتوفّي يوم الأحد الخامس من جمادىٰ الأُخرىٰ سنة أربع عشرة وأربعمائة.

عبدالمجيد الملقّب بالحافظ لأمر الله

أبوه محمّد بن المستنصر، ومحمّد هذا رحل في عهد أبيه إلى عسقلان وولد له هذا الولد هناك في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وتسعين

وأربعمائة، وبويع ليلة وفاة والده، وكانت وفاته في جمادىٰ الأُخرى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

إسماعيل، لقبه الظافر بأمر الله

أبوه الحافظ، ولد يوم الخامس من ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة، بويع يوم الأحد الخامس من جمادىٰ الأُخرىٰ سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتوفّي يوم الخميس سلخ محرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

عيسى، ولقبه الفائز بنصر الله

أبوه الظافر، ومولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وبويع له في المحرّم سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وتوفّي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

عبدالله الملقّب بالعاضد لدين الله

أبوه أبو الحي[1] يوسف بن عبدالمجيد، ولد ليلة العشرين من المحرّم سنة ستّ وأربعين، وبويع يوم وفاة الفائز أبيه، وكان له من العمر خمسة عشر سنة، وفي أيّامه جاء مصر أسد الدين شيركوه وقبض على أزمّة الأُمور فيها ولكن الحمام عجّل إليه فلم يمهله واستولى صلاح الدين وهو من أكابر أصحاب «شيركوه» فسلّم إليه العاضد وزارته لضعفه واستطاع أن يبتزّ سلطان مصر من أُمراء العاضد لاختلافهم فيما بينهم، وراح يعمل على تشييد الملك في مصر، وضرب على أيديهم بأجمعهم واستقلّ بالحكم، وحكم القضاء على العاضد بالمرض وتوفّي في الخامس عشر من المحرّم سنة سبع وستّين وخمسمائة

(١) لم ترد هذه الكنية في النجوم الزاهرة وإنّما كنّى العاضد بأنّه أبو محمّد.

فانقرضت الدولة الفاطميّة به.

وكان في خزائن الإسماعيليّين من النفائس الغريبة والأمتعة النفيسة شيء كثير لم تقع عين الدنيا على مثلها، منها كتب نفيسة لا نظير لها خارجة عن الحصر والإحصاء، ومن جملتها أيضاً ياقوتة تدعىٰ «الجبل» تزن سبعة عشر مثقالاً، وزمرّدة طولها أربع أصابعٍ بإبهام اليد.

فرعٌ في الحميريّة

ويدعون بـ«اَلَـمُوتِيَّةِ» أيضاً، ويقال عن ملكهم بأنّه بدأ في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة إلى سنة أربع وخمسين وستّمائة، وأوّلهم:

الحسن بن عليّ بن جعفر بن حسين بن محمّد الصبّاح الحميري

قال مؤلّف «تاريخ گزيده»: الحسن بن الصبّاح من أولاد يوسف الحميري ملك اليمن، شيعيّ اثنا عشريّ، ذهب إلى الشام لحضرة المستنصر مهاجراً وإلى ابنه نزار وكان يومئذٍ ولياً للعهد، وتحوّل الحسن هناك إلى الإسماعيليّة فسلّم المستنصر إليه ولده نزار وكان طفلاً صغيراً فعمل الحسن على تعليم ذلك الطفل وتربيته واستولى على قلعة «الموت» في سنة ثمانين وأربعمائة ودعا إلى المستنصر، وتمكّن دعاته من القبض على المواضع التي ذكرت.

وخلاصة القول أنّ ما استنبطه المؤلّف من تحقيق أحوال العلويّين الإسماعيليّين وفروعهم من الحميريّة ألموتيّة من كتاب روضة الصفا وغيره: إنّ الخلفاء الإسماعيليّين الذين مرّ ذكرهم آنفاً كانوا في الأُصول شيعة، ولكن على مذهب الإسماعيليّة الاثني عشريّة، وعملوا أيضاً في الفروع على مذهب الشيعة، وما نسب إليهم من الميل إلى القرامطة وبعض الملاحدة من الالموتيّة

فهم المبرّؤون منه بحسب الظاهر والباطن.

وفي كتاب روضة الصفا السابق مذكور بأنّ القرامطة هم خلاف الإسماعيليّة وهم أيضاً طائفة أُخرى ولكن العبّاسيّين لشدّة بغضهم وعداوتهم جعلوا القرامطة من الإسماعيليّين وتبعهم على ذلك شيعتهم.

وذكر صاحب روضة الصفا أيضاً أنّه في زمن الحاكم بأمر الله، بلغ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حدّاً أن منع بيع الخمر والمسكرات على كلّ أحد، وكسروا أواني الخمّارين ودنانهم، وأراقوا الخمور التي فيها، وعطّلوا المصاطب وسائر مواضع الفسق والفجور، ومنعوا المرأة من إظهار وجهها وراء الجنازة، ومنعوا زينة النساء مطلقاً.

وفي بعض التواريخ أنّه أمر بإفساد مزارع الكروم لأنّ الناس لا يرتدعون عن شرب الخمر، وأمر بصنع أحذية للنساء ذات سوق طويلة ليمتنعنّ من الظهور أمام الملأ، ومنع اليهود والنصارى من ركوب الصافنات الجياد، ولو أنّهم ركبوا الحمر فلا يجوز لهم وضع الركاب الحديديّ عليها، وأمر ببناء المدارس ونصب لها العلماء والفقهاء، وأوقف عليهم أملاكاً كثيرة.

وأمّا الحسن الصبّاح وهو من رعيل دعاته فقد كان في بدء أمره من شيعة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ويعدّ من ضمن البيعة ولكنّه هاجر من خراسان إلى دار الخلافة الإسماعيليّة ونال خدمة المستنصر باللّه وهو معدود من عظمائهم، فانتقل عندئذٍ من مذهب الشيعة الاثني عشريّة إلى الإسماعيليّة وحسده قادة الجيش وأُمرائه بعد شدّة لصوقه بالمستنصر، وضايقوه حتّى لم تعدّ الحياة بينهم ممكنة لذلك خرج متخفّياً إلى حلب وأقام فيها مدّة من الزمان، ثمّ يمّم شطر بغداد ومنها قصد ديار «خوزستان»، ومنها عبر الجبال إلى اصفهان، ومنها تحوّل

إلى يزد وكرمان واشتغل بالدعوة، ثمّ عاد إلى اصفهان وأقام فيها أربعة أشهر كاملة، ورجع منها إلى خوزستان وفيها وضع ركابه وقضى ثلاثة أشهر ورحل عنها إلى دامغان وبقي فيها قرابة الثلاثة أشهر، وأقبل عليه ناس كثير ونفذت دعوته إلى أُمّة كبيرة من الناس، وبعد أن سوّى الأُمور المهمّة في جرجان فارقها إلى ساري ومنها توجّه تلقاء دماوند ومنها ذهب إلى ديلمان عن طريق قزوين، وحلّ منها بقصبة تقع على بعد قريب من «ألموت» وأظهر التعبّد والتزهّد فيها، وبعد ذلك صعد إلى قلعة ألموت بحسن التدبير بل بإرادة التقدير، ورقى إلى معارج السرور فيها.

ومن جملة مآثر عدله وسداده أنّه اقتصّ من ولده لقتله واحداً من أهل زمانه، وقتل الآخر لشربه الخمر، ويقول من لا الإنصاف لهم من أهل السنة أنّه فعل ذلك ليثبت للملأ أنّه لا يريد بدعوته ملكاً يبقى لأولاده من بعده، ولكنّهم لم يحتملوا هذا الاحتمال في حقّه حين جلد ولده الحدّ وقضى عليه وأهلكه.

ذكر صاحب روضة الصفا أنّ الحسن بن الصبّاح قضى خمساً وثلاثين سنة مقيماً في قلعة «ألموت» لم يصعد على سطح البيت أكثر من مرّتين، ولم يخرج من القلعة طرفة عين، بل كان دائماً مستقلاً بتدبير الأُمور وتلفيق المسائل الاعتقاديّة الموافقة لمذهبه، ومبالغته في الحفاظ على نظام الشريعة الغرّاء كانت إلى الحدّ الذي سمع ذات يوم رجلاً ينفخ في مزمارٍ له، فأخرجه منها ولم يقبل فيه شفاعة الشافعين أبداً ولم يردّه إليها.

وفي زمانه تمّ القضاء على كثير من أهل السنة والجماعة الذين كانوا في نزاع دائم مع الإسماعيليّة والفرق الأُخرى بفعل الفدائيّين.

وفي أيّام «كيا بزرك أُميد» وهو أحد الإسماعيليّين قتل الفدائيّون جماعة

أُخرى من أعيان أهل السنة ومن القتلى «قاضي القضاة أبو سعيد المروي» والآخر «دولتشاه» رئيس اصفهان، وكذلك قتل سنقر حاكم مراغة والمسترشد الخليفة العبّاسي ورئيس تبريز، والحسن بن أبي القاسم مفتي قزوين وغيرهم جماعة أُخرى من أعيان القوم بأيدي الفدائيّين.

وفي عهد «كيا محمّد ابن كيا بزرك أُميد» قتل الراشد بن العبّاسي بأيدي الفدائيّين وتبعغه جماعة كثيرة من أعيان أهل السنة والجماعة وأُمرائهم وقضاتهم، وذكرت أسماءهم بالتفصيل في بعض التواريخ.

يقول المؤلّف: وعلى أثر هذه الأعمال نسب أهل السنة والجماعة إلى هؤلاء الفدائيّين الكفر والزندقة، ولمّا عجزوا عن الثأر لقتلاهم من الأعيان البارزين والعلماء والقضاة والأُمراء رأوا من أجل إراحة أنفسهم والتخفيف من أضغانهم وحقدهم أن يطلقوا لألسنتهم العنان في ذمّ الجماعة وتكفيرهم والنيل منهم ومن عقائدهم، ومؤيّد ما نقول ما قاله صاحب روضة الصفا في شرح حال «كيا محمّد» المذكور مِن أنّ أباه وحسن الصبّاح بذلا غاية الجهد في إقامة قواعد الإسلام وإحياء السنن المحمّديّة في أوان سلطان كيا محمّد وولاية السلطان سنجر أرسل السلطان رسلاً إلى ألموت لكي يستعلموا كيفيّة معتقداتهم ومذهبهم، فقال الجماعة في جوابهم: إنّنا نعتقد بأنّ الله وحده وليس له شريك، وينبغي أن يعلم بأنّ المسائل العلميّة الحقّة ومثلها العقليّة هي الموافقة لقول الله جلّت كلمته وسنّة رسوله ﷺ، وتطبيق أحكام الشريعة الغرّاء على ما نطق به كتاب الله وأمر به الله في كتابه العزيز، وأخبر عنه رسول الله في سنّته ونؤمن بالمبدأ والمعاد والثواب والعقاب والحشر والنشر وذلك من الواجبات، وليس لأحد تغيير حكم من أحكام الله ولا تبديل حرف من حروفه.

وتمام الحكاية أنّه قال: وهذه جميع معتقداتنا لم نخف منها شيئاً فإن أرضت السلطان فبها وإلّا فليبعث لنا من علماء الملّة من يناظرنا ونناظره. فلمّا رجع الرسل إلى السلطان أبلغوه الخبر، فكان ذلك له عذراً ليده أن تمتدّ إلى هذه الطائفة بالتعرّض والأذى، وهذا هو حاصل كلام صاحب الروضة.

ومجمل القول إذا جاز لفسّاق بني أُميّة بناءاً على عدائهم الديني والدنيوي مع الحضرة العلويّة المرتضويّة على صاحبها الصلاة والسلام مع أنّه يشهد للإمام بالفضل السماء والأرض، أقول: إذا جاز لهم أن يفتروا عليه إلى الدرجة التي يروي سمرة بن جندب بأمر معاوية بن أبي سفيان بل بأمر الذهب الذي أغراه به نزول هذه الآية بحقّه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[1] والآية الأُخرى يروي نزولها في حقّ قاتله ابن ملجم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ الآية[2] فلا عجب أن ينبري عدوّ قويّ مطاع مثل الخواجه نظام الملك الطوسي مع ما ينطوي عليه من العداء الديني والدنيوي للحسن بن الصبّاح وهو رجل مجهول الحال فيصيّره مشهوراً بالإلحاد والزندقة ويضع الحكايات المشينة عنه على ألسنة العامّة في ايران.

ومضافاً إلى ما ذكرنا فإنّ المؤيّد لما تقدّم من أقوالنا أنّ نوبة الرئاسة الإسماعيليّة الصبّاحيّة لمّا وصلت إلى المسمّى بجلال الدين وهو من متأخّريهم سعى سعياً جادّاً وحثيثاً في نفي تقاليد الإلحاد واستبعاد الأفعال المؤدّية إليه ونهى الشيعة الإسماعيليّة عن ارتكاب المنهيّات والمحرّمات التي أُحدثت

---

(١) البقرة/٢٠٤.

(٢) البقرة/٢٠٧.

بينهم، وأمر في كلّ قرية من قرىٰ رودبار بإحداث بناء مسجد وإلى جانبه بناء حمّام، ورفع الأذان في الأوّل وإقامة صلاة الجمعة والجمعة فيه.

ولمّا عجز أهل السنة والجماعة من وجود غميزة فيه من هذه الناحية ولم تكن في أنفسهم من القوادح والبواعث الموجودة في نفس نظام الملك مِن ثمّ أفتوا في الارتياب بصحّة معتقده.

أجل، يوجد في مأثورات الإسماعيليّة الصبّاحيّة من التصانيف أو بعضهم على أحسن تقدير من غلب عليه الهوى والهوس فعبّروا عن الحسن بن محمّد بقولهم «على ذكره السلام» وضبطه دعاته بلفظ «خداوند» أي الإله لكثرة استعمال كلمة «خند» غلب عليه ذلك فنسبت إليه تلك الجماعة فسمّيت «الخنديّة»، وكذلك ابنه الملعون محمّد بن الحسن فقد خالف الحسن الصبّاح وسائر أسلافه واتجه شطر طريق الإباحة والإلحاد.

ذكر صاحب روضة الصفا أنّه في سنة تسع وخمسين وخمسمائة أمر محمّد بن الحسن المذكور بجمع أهالي رودبار في قلعة ألموت وأمر بنصب منبر ووجّهه إلى القبلة في سفح القلعة أو قاعدتها في المصلّى المقام هناك، وأن ترفع أربع رايات على زواياه الأربع ملوّنة بالألوان الأربعة وهي الأحمر والأبيض والأصفر والأخضر، ولمّا اجتمع الناس عنده صعد الحسن المنبر وتكلّم بالضلالات والغوايات التي أضلّت الناس واستقبله قاصد في الخفاء وبيده كتاب يتضمّن مجمل ما تفوّه به وهو مبنيّ على تمهيد قواعد المذهب وتأكيدها ويُشعرهم بفتح أبواب الرحمة والرأفة على متّبعيه ومطيعيه، ويدعو طبقتهم بعباد المنتجبين، وقد أعفاهم من التكاليف الشرعيّة وصنع لهم أعذاراً وطمْأن خواطرهم لاسيّما خواصّ عباده منهم من «افعل ولا تفعل»، وأراحها من كلّ

ذلك، وبعد أن ألقى عليهم هذه الأقوال من الخزعبلات والهذيانات نزل من المنبر وصلّى ركعتين وبسط لهم الموائد وأمر أصحاب المناهي وأرباب الملاهي بمقتضى الأعياد بالطرب والسرور والفرح والحبور.

وذكر أيضاً صاحب روضة الصفا فقال: سمعت من الثقات أنّه مكتوب على ناصية بيت من بيوت قلعة ألموت:

شعر

برداشت غِلّ شرع بتأييد ايزدى　　از گردن زمانه على ذكره السلام

أزاح غلّ الشرع لمّا دهى　　الأعناق مولانا عليه السلام

ولمّا شاع عن الحسن هذا الفعل الشنيع والحركة القبيحة في ولاية رودبار و«قهستان» ظهر عندئذٍ إلحاده فيها، ومن ذلك اليوم أُطلق على الإسماعيليّة لفظ «الملاحدة»، وأثّر ذلك على الحكّام السابقين الذين كانوا يقيمون قواعد الشرع على أُصولها فشوّهوا سُمعتهم.

يقول المؤلّف: يدلّ كلام صاحب روضة الصفا البادئ بالإلحاد والإباحة هو الحسن بن محمّد لا الحسن ابن الصبّاح، وظهر أيضاً أنّ الحكّام السابقين كانوا يقيمون الشريعة كما ينبغي لإقامتها ولكن فعل أُولئك عاد بالشرّ على هؤلاء فتأثّرت سُمعتهم، تبيّن إذن ممّا تقدّم أنّ من يطلقون اسم الملحد على الحسن بن الصبّاح أو يطلقون اسم الملاحدة على جميع «ألموتيّة» فإنّه بناءاً على الاشتراك بالاسم بين هذا الحسن وذاك الحسن، أو بناءاً على التعصّب على طوائف الشيعة الذي مزّق صدور أهل السنة والجماعة وإلّا فما من أحد يجهل أنّ في طبقات الحكّام من بني أُميّة وهم ملوك أهل السنة والجماعة من يجهل يزيد عليه من اللعن ما يزيد الذي أباح لنفسه مع قطع النظر عن سفكه الدماء الطاهرة

وقتله شهداء الطفّ، وطأ عمّته واعتذر عن نفسه في شربه الخمر وإباحته لها في هذه القصيدة المشهورة ومنها هذا البيت وبمضمون معناه استباح الخمر:

فإن حرمت يوماً على دين أحـمد فخذها على دين المسيح بن حلتم

وكذلك الوليد الدنس الذي جعل المصحف هدفاً لرميه بـالنشّاب وهـدّده وتوعّده، ولكنّه لما كان عليه من مذهب أهل السنة لم يطلق عليه الملحد ولا على يزيد، ولم يسمّ بلفظ الزنديق، فكيف يجرون لفظ الملاحدة على جميع تلك الشجرة الملعونة، ولو أنّ أحداً قال: لعن الله بني أُميّة عـلى الإطـلاق لا التخصيص، لقاموا بضربه وقتله مع أنّ هذه المجموعة ليس فيها إلّا الملحد ومن لا دين له سوى معاوية ابن يزيد وعمر بن عبدالعزيز.

ولمّا كان الكتاب الذي كتبه الحسن الصبّاح في جواب رقعة السلطان ملكشاه السلجوقي حاكياً عن مجمل اعـتقاده واتـصافه بكـمال الفـضل والاسـتعداد، فسوف نذكره مع رقعة السلطان في هذا المقام، وهذه هي رقعة السلطان:

وهذا هو أنت الحسن ابن الصبّاح الذي ابتدعت ديناً جديداً، وأحدثت ملّة مبتدعة، تخدع العوام، وخرجت على إمام زمانك، وجمعت حولك أهل الجبل الجهّال، وتكلّمت لهم بكلام يلائم طباعهم، حتّى تحملهم على غرس المدىٰ والسكاكين في صدور النـاس الأبـرياء بـدون مـحاباة، وتـطعن فـي الخـلفاء العبّاسيّين الذين هم خلفاء الإسلام وقوام الملك والملّة، ونظام الدين والدولة، ودينهم مستحكم، ويـقينهم ثـابت، فـعليك تـرك هـذه الضـلالة والعـودة إلى الإسلام، وقد أعددنا لك العساكر الجرّارة، وأوقفناهم عـن السـير إليك حـتّى يوافينا جوابك وننظر في خطابك، وسوف نكون نحن في الجـواب، الحـذر الحذر الحذر، وأحرص على نفسك ونفوس أصحابك، وكن رحيماً بها، وإيّاك

أن تقذف بنفسك وبأصحابك في الورطات، ولا تغرّنك القلاع التي تحصّنت بها، والحقيقة تعرف من مقارناتها، لو كانت قلعة ألموت برجاً من بروج السماء فسوف نساويه بالتراب بإذن الملك الوهّاب.

وهذا هو جواب الحسن الصبّاح:

لمّا وصل ديارنا الصدر الكبير ضياء الدين الخاقان وأوصل إلينا المثال السلطاني، فأعززته ووضعته على رأسي وعيني، ورفعت رأسي مفتخراً إلى مملكة زحل، والآن أُعطيك مختصراً عن حالي واعتقادي، وأملي أن يصغى السلطان وحاشيته لي، وأن يزدادوا تفكيراً في هذا الموضوع، وأن لا يشاوروا بشأني أركان الدولة الذين هم خصومي وهم حملوا السلطان على مخاصمتي لاسيّما نظام الملك، وبعد ذلك ما بلغهم من قولي الذي طبّق الآفاق واستقرّ في القلوب والأعماق، وعرف القاصي والداني حقيقته، وأسأل الله أن لا يشيحوا بوجوههم عنه، وأن لا يضيفوا عليه أو ينقصوا منه، أو يختاروا من بيّناته ما ينسجم مع هواهم، ولو أنّني ـ الحسن الصبّاح ـ استدبرته فقد استدبرت دين الإسلام وعصيت الله ورسوله، ولو أنّ السلطان تجاهل أقوال خصومي ولم يعتن بها ووضعني في فكره في جوار القضايا التي تشغل باله.

وأنا الآن قبال خصم قويّ الذي يستطيع أن يقيم الحقّ مقام الباطل، ويقعد الباطل في مقعد الحق، وقد جرى من قوم آخرين مثل هذا المجرىٰ شأن كثير وأمر كبير، وقد عانيت من هذا الوضع معاناة، ولعلّ السلطان ملمّ بها ولا يجهلها وأُحيطه علماً بمبتدئي.

كان أبي امرءاً مسلماً على مذهب الشافعي المطلبي، ولمّا بلغت الرابعة من عمري أرسلني إلى الكتّاب واشتغلت بتحصيل العلوم، ولقد مهرت في أنواع

العلوم من سنّ الرابعة إلى سنّ الرابعة عشرة، لاسيّما علوم القرآن والحديث، بعد ذلك أخذت تراودني مشاعر الألم على ديني بخاصّة وقد قرات في كتب الشافعي عن مناقب أهل بيت النبي وفضائلهم وإمامتهم روايات كثيرة بحيث مالت بي إلى جهتهم وكنت مُجدّاً دائماً في البحث عن إمام زماني حتّى بلغت بي الحال بواسطة حكّام العصر وولاة الزمان إلى الحدّ الذي وقعت به في مصيدة الدنيا ونسيت ما نذرت العمر له ووقفت الحياة عليه، وتركته ورائي ظهريّاً، فلم يرض الله لي هذا العمل، فسلّط عليّ خصوماً أشدّاء وأعداءاً ألدّاء حتّى اضطرّني إلى الخروج من خدمة المخلوق الضعيف المحتاج، وأصبحت طريداً شريداً في البلاد والقفار، ونالني من العسف والظلم والاعتداء ما لا يمكن الصبر عليه، كما لا يخفى على السلطان ما جرى بيني وبين نظام الملك، ولمّا أظهرني الله بالحقّ وخرجت من ورطته سالماً بحشاشة نفسي علمت أنّ التعلّق بعمل المخلوقين وجفاء حقّ الخالق لا يثمر ثمراً أكثر حلاوة من هذه الثمرة الخبيثة، لذلك خرجت بعزم الرجال إلى الدين وتطلّبت أُمور الآخرة، وهاجرت من الريّ إلى بغداد، وأقمت هناك زماناً حتّى اطّلعت على ما الأحوال عليه، وشرعت فاحصاً عن أحوال الخلفاء، ورأيت دين مسلمي الخلفاء العبّاسيّين بعيداً عن مرتبه المروّة والفتوّة الإسلاميّة، كما أنّي عرفت لو أنّ أساس المسلم وجذر التديّن على إمامة هؤلاء وخلافتهم فإنّ الكفر والزندقة خير من هذا الدين، لذلك أزمعت السفر من بغداد إلى مصر وكان الخليفة الحقّ المستنصر يومئذٍ حيّاً، ففتّشت عن حاله فرأيت خلافته أحقّ من خلافة العبّاسيّين، وإمامته أفضل من إمامتهم، فآمنت به وأقررت بفضله، وتنفّرت من خلافة العبّاسيّين، فعلموا بما آل إليه أمري فتعقّبوني وأرسلوا إليّ من يبحث عنّي ليقبضوا عليّ، فخلّصني الله

تعالى من هذه الورطة ونجوت بفضله حتّى دخلت أرض مصر، بعد ذلك أرسل العبّاسيّون إلى أمير الجيوش بغلاً وأموالاً كثيرة وأمروه بأسري وحملي إلى بغداد، ولمّا كانت عناية المستنصر ـ وهو الخليفة الحقّ ـ تحوطني، ورعايته تشملني فقد نجوت من هذه الورطة أيضاً. وبما أنّ العبّاسيّين أغروا أمير الجيوش فيّ، لذلك رشّحني لمهمّة مردية قاتلة وهي أن أصير إلى دعوة الإفرنج إلى الحقّ، فلمّا بلغت الحال سمع ذلك الإمام المبارك فاستدعاني وكتب معي كتاباً وفيه أن أبذل الجهد بحيث يتّسع إليه جهدي وعلمي فأدعو المسلمين إلى طريق الحقّ وأُعرّفهم بإمامة خلفاء مصر وحقيقة دعوتهم، وإذا ما رزق الله السلطان الحظّ ونال سعادة هذه الآية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] فعساه أن لا يتجاوز دعوتي وأن ينهض لردع السلطان محمود غازي سبكتكين، ويردّ شرّه عن المسلمين، فإن لم يفعل فإنّ الأيّام سوف تأتي بمن يفعل ذلك ويفوز بثوابه.

وحيث تفضّل السلطان وقال: إنّي ابتدعت ديناً جديداً وملّة مخترعة، فإنّي أعوذ باللّه من ذلك أن أكون أنا الحسن قد اخترعت ديناً، وإنّ الذي أنا عليه هو الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبعته عليه الصحابة، وسيبقى ديني ومذهبي إلى يوم القيامة، والآن ديني هو دين الإسلام «أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» وإنّي لست مشغولاً بالدنيا، ولا مهتّماً بها، وما أفعله وما أقوله هو خالص للدين متخلّص به إلى الله تعالى، واعتقادي الراسخ هو أنّ أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هم الأحقّ بخلافة أبيهم من أولاد العبّاس الذين بهرهم زبرج الحياة.

وأنت أيّها السلطان ملك شاهي إن كنت ترىٰ من اللّائق بك بعد تلك المشقّة

---

(١) النساء/٥٩.

التي نالتك من قيادة الجيوش والحملات التي تجشّمتها من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ومن مجاري قطب الشمال إلى أقصى الهند حتّى أقمت دولة، والآن تقع هذه الدولة بأيدي أولاد هارون ويبقى أولادك مشرّدين في طول الأرض وعرضها، ويقتلونهم أينما وجدوهم، فهل يا ترىٰ تنظر إلى خلافتهم نظر الحقّ، وترمقها بعين الصدق، فكيف يصحّ ذلك وأولاد العبّاس قوم ما رأيت أنا من فسادهم سوف أتحدّث بالنزر اليسير منه، الذي لا ترضى به أيّة ملّة في الأرض، ولا يجيزها أحد في العالمين، ولا يستسيغه امرئٌ عاقل في الوجود، ولو أنّ إنساناً خفيت عليه حالهم فاعتقد بصلاحهم ووثق بهم ورأى خلافتهم خلافة حقّ فإنّي شاهدت باطلهم بأُمّ عيني، واطّلعت على فسادهم اطّلاعاً لا يخالجه ريب فكيف أثق بهم وأُصالحهم وأعترف بحقّهم، ولو أنّ السلطان بعد أن أوقفته على حالهم وعرّفته بواقعهم لم ينهض لدفع شؤمهم ولم يقف في وجه شرّهم ليحسره عن المسلمين لست أدري ما الذي أعدّه من الجواب غداً بين يدي الله تعالى في يوم النشور ونفخ الصور، وكيف تكون النجاة إن لم تكن بالشكل الذي أنا عليه؛ هذا هو ديني وسيبقى معي ما بقيت، ولم أنكر منه ضرورة. والخلفاء الأربعة والعشرة المبشّرة بل حبّهم ثابت في قلبي كان وسيظلّ هكذا، لم أخترع ديناً ولم ألتحف عقيدة لم أكن عليها من قبل، والمذهب الذي أنا عليه هو ما كان عليه رسول الله وأصحابه، وسيظلّ إلى يوم القيامة هو الطريق المعتدل.

ونأتي إلى هذا الحديث الذي زعمتم فيه بأنّي وأتباعي طعنّا على بني العبّاس، وكيف لا يطعن المسلم عليهم إن كان مسلماً وهم قوم قامت بدايتهم ونهايتهم على التزوير والتلبيس والفجور والفساد، وسيظلّون مقيمين على هذه الحال، ونقول على سبيل الإجمال وإن لم تكن حالهم خافية على العالمين

ليكون ذلك حجّة لنا على السلطان، ونبدأ بأبي مسلم الذي كان رجلاً سعىٰ سعيه وجاهد بجدّ ونشاط واختار التعب على الراحة والاستقرار لكي يقطع أيدي بني مروان عن الاستيلاء على مقدّرات الناس وسفك دماء الأُمّة وأخذ أموالهم، وأبطل اللعنة التي كانت تليق بهم عن أهل بيت النبيّ وزيّن الوجود بالعدل والإنصاف. قتلوا آلافاً عدّة من أولاد النبي[1] الطاهرين، تتبّعوهم في الأطراف والأكناف حتّى قتلوهم، ومن بقي منهم على قيد الحياة اختار الانزواء عن الدنيا في الزوايا، وخلع ثياب السيادة ليسلم بحياته ولكنّه لم يسلم، وكان أُولئك القوم في شغل شاغل عن الحقّ بشرب المدام والزنا واللواط، وقد بلغ فسادهم حدّاً أن كان هارون وهو كما يزعمون أفضلهم وأعلمهم له أُختان يحضر إحداهما في مجلس شرابه معه، ويأذن لندمانه في دخول ذلك المجلس حتّى أدّت الحال بجعفر البرمكي أن يفجر بها وينال منها اللذّة المحرّمة وأولدها ذكراً فأخفاه عن هارون حتّى إذا حجّ هارون في إحدى السنين علم بالأمر ورأى الصبي هناك فقتل جعفراً في ذلك الموضع، وأُخته الثانية تُدعى محسنة وكانت فائقة الحسن والجمال فاستدناها هارون إليه ووقع عليها وجرى بينهما ما يجري بين الذكر والأُنثى.

وهناك لطيفة مشهورة وهي أنّ الأمين الذي استخلف بعد أبيه هارون واقع هذه المحسنة وهي عمّته وكان يظنّ أنّها عذراء، فلمّا رآها على الحال التي هي عليها قال لها: ألم تكوني عذراء، فما الذي جرى؟ قالت له المحسنة: أيّة بكر في بغداد سلمت من أبيك لأسلم أنا.

---

(١) الفقرة المترجمة تُشعر بأنّ في هذا الموضع منها سقطاً وهو يتناول أفعال بني العبّاس، وليس معي نسخة أُخرى أُصحّح الكتاب عليها.

مصيبة أُخرى تختصّ بأبي حنيفة الكوفي وهو ركن من أركان المسلمين، أمروا بضربه مأة سوط وصلبوا رجلاً مثل المنصور الحلّاج المقتدائي ورفعوه على الأعواد ولو رحنا نعدّد جرائمهم لنفد عمر الإنسان ولم تنفد تلك الجرائم؛ هؤلاء هم الخلفاء الراشدون وهؤلاء أركان الإسلام الذين بهم قوام الدين والدنيا والملك والملّة، وفيهم نظام الشرع والدولة، فإن طعنت فيهم أنا أو أحد سواي أو عصيناهم فلابدّ من الإنصاف؛ كنّا مبطلين أو كنّا على الحقّ، لقد بلغت الحال بأنّنا خدعنا الجهّال ليوالوا هؤلاء، ولا يخفى على أصحاب البصيرة أنّه ليس شيء أغلى وأجلّ من الروح فمن ذا الذي يبذلها لاسيّما بقول من هو مثلي قليل البضاعة وكثير الشناعة، ومن أين لي تلكم القدرة لكي أتصدّىٰ لأمر مثل هذا الأمر بحيث أجمع حولي من حدود خراسان جماعة من موالي السلطان ومنتخب النظاميّين وأصحاب المعاملات فأحرفهم عن الطريق الذي كان قبلاً بين المسلمين سالكاً ورسماً معروفاً، وتتجاوز الحال هذا المقدار إلى أن تمتدّ أيديهم إلى بعض العورات للمسلمين، وإلى حرم الزهّاد والعبّاد، ومهما استغاث الناس أصحاب البليّة بأركان الدولة فلن يلبّي أحد النداء أو يصل إلى غور المأساة أو يقضي بالحقّ بينهم.

فهذا نظام الملك وهو عمدة الملك قتل الخواجه الذي هو نظير أبي نصر الكيدري الذي لا نظير له عند أيّ سلطان وفي أيّ عهد وزمان، ولم يجد الزمان بشبيه له في العمارة، ولم يضع رجل مثله رجله في ركابها، وحجّته أنّه تصرّف في مال السلطان فقدّم وأخّر واحتال وزوّر وأزاحه عن طريقه واليوم جمع الظلمة وأعوانهم حوله واستعان بهم من جهة أنّ الخواجه أبا نصر كان يتقاضىٰ عشرة دراهم وينفقها على الخزانة وهو يتقاضى خمسين درهماً ولم ينفق نصف الدرهم

على عمل السلطان، ويضع في حساب الأعوان شيئاً محقّراً وهم يوافقونه ويعملون معه وينفق الباقي على بناته وأولاده وأصهاره وأختانه، وما يبدّده من المال على عمارة المدر والطين في أطراف المملكة ويضيّعه في هذا السبيل أظهر من الشمس، مِن أين لأبي نصر هؤلاء البنون والبنات؟ وفي أيّ يوم أنفق ديناراً واحداً على حاجة البؤساء اليوم في حين لم ينفتح لأيّ عجز وأيّ بؤس باب الأمل وكوى النجاة، فإذا اضطرّ بعض الناس وتجاوز روحه وحياته وقال وعمد إلى دفع واحد أو اثنين من هؤلاء الظالمين فما ذلك ببعيد، وإمّا قتلوه فإنّه معذور.

شعر

وقت ضرورت چو نماید گریز دست بگیرد سر شمشیر تیز

فما هو دخل الحسن الصبّاح بهذه القضايا؟ وما الحاجة إلى خداع أحد من الناس؟! وأيّ حادث وقع في الدنيا ولم يقدّره الله تعالى.

وأمّا ما قاله أن يترك ما هو فيه فبها وإلّا أمرت بهدم أمره وتخريب شأنه، أعوذ باللّه أن يصدر منّي أنا الحسن عمل يكون خلافاً لرأي عبيد السلطان ولكنّهم لمّا كانوا قوماً جدّوا في طلبي وبذلوا الجهد في البحث عنّي استطعت بحسن التدبير أن أركن إلى هذه الزاوية وأجعلها حصني، وأعدّ نفسي من أتباع السلطان، فإذا قصدني الخصم بسوء أجعل وجهتي السلطان، وأنخرط في سلك عبيده وخدمه، وأعمل في تحسين أوضاع الدنيا بما يصدر من يدي فحسب، وأكل أمر الآخرة إلى يقظة السلطان وحسن تقديره، فإن ظهر منّي خلاف ذلك وعصيت أمر السلطان فإنّي مؤاخذ بذلك في الدنيا، وعلى الأمّة أن تؤنّبني وتطعن بي من القريب والبعيد، وأن يرفعوا عليّ شعار مخاصمة الوالي، وإنّني حرمت من

السعادة المرجوّة في ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] ويزداد بذلك خصومي قرباً من سدّة السلطان ويفتروا علَيّ ما شاؤوا ممّا لم أفعل ولم أقل، وأن يحوّلوا مادحي إلى قبائح بين الناس، ولو أنّني تقدّمت إلى شرف الخدمة بين يدي السلطان مع وجود نظام الملك الذي أساء إليّ وجار عليّ ولقيت السلطان بصدر فارغ منه فإن حمل السلطان لي على موالاة العبّاسيّين لا يمكن استساغته ولا يسعني الفرار منه، والسلطان على علم بما جرى منهم بحقّي، وكم بذلوا السعي لاصطيادي حتّى تمكّنت من الانطلاق إلى مصر، وما فتئوا يبذلون أقصى الجهد للقبض علَيّ، وتتبّعوني في الطريق ولكنّي أفلت منهم، وأرسلوا المال الوفير ورائي إلى مصر وأغروا به أمير الجيوش ليقضي علَيّ، ولولا عناية المستنصر بالله ـ وهو الخليفة الحقّ ـ لوقعت في ذلك الشِرَك وهلكت بتلك الورطة، وبلغت الحال بأمير الجيوش أن يبعثني في الأسطول لمقارعة الفرنجة وكانت حجّته: أنّي أذهب إليهم لدعوتهم، ونجوت بفضل الله من هذه الورطة أيضاً، وبعد تحمّل المشاقّ الشديدة هذه المدّة المديدة التي تقدّر بالسنين وقعت على العراق وما زال الرجل يجدّ في طلبي، والآن وقد بلغت إلى هذه المنزلة وأعلنت دعوة الخلفاء العلويّين وقد تمكّنت من القبض على عدد من البلاد في طبرستان وقهستان وبلاد الجبل وقد تجمّع في حوزتي ناس كثيرون من الرفقاء والمؤسين والشيعة العلويّين وأصبح العبّاسيّون في هلع منّي وفزع من ذكر اسمي يريدون في كلّ آن تغيير مزاج السلطان علَيّ، ويجدّون في إزالتي من عرصة الوجود، وربّما طلبوني من السلطان وحينئذٍ لا يدرىٰ ماذا يؤول إليه أمري وعلى أيّ وجه كان فإنّه لا يخلو من الشنعة، ولو أنّ السلطان

---

(١) النساء/٥٩.

أجابهم إلى ما يريدون وأعطاهم ماله يلتمسون لكان لم يف بعهود التحذير ولا عذر له في شريعة المروئة، وإذا لم يجبهم السلطان إلى طلبهم فإنّ بعض الجهّال الذين يعترفون بإمامتهم يطلقون الألسنة بذمّه والتشنيع عليه، ويردّدون أقوالهم المعلومة وتعابيرهم المفهومة وهي: ما معنى حمله غاشيتهم وسيره وراء جوادهم وعدم تسليمه الحسن الصبّاح لهم. وربّما أدّت الحال إلى الشجار وأدّى الشجار إلى العراك ولا ندري العاقبة لمن تكون.

وأمّا حديثه عن البرج الذي تحدّث عنه وذكره، فقال: ولو كان برجاً من أبراج السماء فإنّي أنقضه وأهدم أسافله وأعاليه، فإنّ المقيمين في هذا البرج يعلمون أنّهم بالأمان ينعمون، لأنّهم على ثقة بأنّ يده لن تصل إليهم ولو تمادى الدهر بغيّه وطال الزمان بأيّامه، لأنّ الأمر منوط بإرادة الله، والآن أنا مقيم في هذه الزاوية أُأدّي ما افترض علَيّ من الصرف والعدل والواجب والندب، وأسأل الله وأتشفّع برسوله أن يهدي السلطان إلى طريق الحقّ وأركان دولته، وأن ييسّر لهم دين الحقّ ويحسر عن رؤوسهم ظلّ فسق العبّاسيّين، ويجبر الخلق منهم وينجي عباده من شرّهم، ولو صاحبت السلطان سعادة الدين والدنيا لكان بمنزلة سلطان الإسلام محمود غازي رحمه الله حيث نهض لدفع شرّهم وصدّ عاديتهم، وجاء من «ترمذ» بالسيّد علاء الملك خداوند زاده وأجلسه على سرير الخلافة؛ فليفعل السلطان فعله فهذا الفعل العظيم لا يصدر إلّا منه، وهو أهلٌ له، فليدفع شرّهم عن عباد الله تبارك وتعالى، وإلّا فسوف يأتي يوم ينهض فيه سلطاننا العادل ويفعل هذا الفعل ويحمي المسلمين من ظلمهم، والسلام على من اتّبع الهدى.

تذييلٌ في آل أيّوب

لا يخفى على النابه الحكيم بأنّ نجم الدين أيّوب وأسد الدين شيركوه ابنا

شادي ابن مروان كرديّ من أكراد آذربايجان رحل إلى العراق فالتزم ركاب «بهروز شحنة العراق»[١] وانتقل منه إلى خدمة عماد الدين زنكي صاحب الموصل فنال أسد الدين وزارة العاضد الإسماعيلي وفوّض إليه الأُمور كلّها وصار إليه الاختيار، ولمّا توفّي أسد الدين يوسف بن نجم الدين قام مقامه عمّه، وكما أُشير سابقاً إنّه نال حكومة مصر بعد وفاة العاضد وأقام الخطبة وضرب السكّة باسم المستنصر العبّاسي بناءاً على اقتضاء الضرورة، وجعل ولده الأكبر الملك الأفضل نور الدين علي وليّ عهده في أيّام حياته، وأخذ له البيعة من أخيه أبي بكر نجم الدين أيّوب وابنه الثاني عثمان بن صلاح الدين، ونهض عثمان بعد وفاة أبيه بسعي عمّه أبي بكر نور الدين على عليّ فأخرجاه من مصر والشام، وأقام في المصيصة[٢].

وكان نور الدين علي مشهوراً بين أقرانه ومعروفاً بين أخدانه بطلاقة اللسان وفصاحة البيان، وله الامتياز والتقديم عليهم، من ذلك هذه العبارات الجميلة التي تدلّ على منطقه الفصيح واعتقاده الصحيح، والتي بعثها إلى الناصر يشكو بها عمّه أبابكر وأخاه عثمان وهي هذه:

شعر

مولاي إنّ أبابكر وصاحبه عثمان ... قد غصبا بالسيف حقّ علي

وهو الذي كان قد ولّاه والده ... عليهما فاستقام الأمر حين ولي

وخالفاه وحلّا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنصّ فيه جلي

---

(١) يقول الزبيدي: الشحنة: الرابطة من الخيل هذا هو الأصل في اللغة ثمّ أطلقها العامّة على الأمير على هؤلاء / تاج العروس.

(٢) مدينة على شاطئ جيحون من ثغور الشام بين انطاكيّة وبلاد الروم تقارب طرسوس / معجم البلدان.

فانظر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقي — من الأواخر ما لاقىٰ من الأُوَل

ذكر اليافعي في تاريخه مرآة الجنان والقاضي العضد الأندلسي في كتاب «طبقات الأُمم» أنّ هذه القطعة الشعريّة لمّا وصلت إلى الناصر العبّاسي كتب في جوابها:

وافى كتابك يا ابن يوسف ناطقاً — بالصدق يُخبر أنّ أصلك طاهر

غصبوا علياً حقّه إذ لم يكن — بعد النبيّ له بيثرب ناصر

فاصبر فإنّ غداً عليه حسابهم — وابشر فناصرك الإمام الناصر

وحاصل مرادنا من هذا الكلام في هذا المقام أنّ بعضاً من آل أيّوب نظير نورالدين علي هذا هم شيعة أميرالمؤمنين قطعاً ولكن بعضهم الآخر أظهر مذهب أهل الخلاف إمّا بحسب فطرته أو جرياً وراء المصلحة الوقتيّة. وأمّا التفصيل للباقين من أفراد هذه السلسلة فموجود في التواريخ المتداولة، وقد أعرضنا عن ذكرهم رعاية للاختصار.

الجند السادس

في قدماء السادات أصحاب السعادات الذين حكموا «گيلان»

الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل جالب الحجارة بن الحسن بن زيد ابن الحسن المجتبى عليه السلام

لمّا ضاق أهالي طبرستان من سلوك وكلاء الطاهريّة ذرعاً لاسيّما محمّد بن إدريس، أرسلوا إلى السيّد وطلبوا منه القدوم عليهم للحكم فيهم، وبايعوه في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة خمس ومأتين، ولقّبوه بداعي الخلق إلى الحقّ، ورفع السيّد في سلطانه شعار التشيّع، ونهض فيه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن كثير الشامي في تاريخه: وكان الحسن بن زيد هذا كريماً جواداً، يعرف الفقه والعربيّة، وقال له مرّة شاعر من الشعراء في جملة قصيدة مدحه بها (وقال في شطر منها): «الله فرد وابن زيد فرد»، فقال له: أُسكت سدّ الله فاك، ألا قلت: «الله فرد وابن زيد عبد»، ثمّ نزل عن سريره وخرّ للّه ساجداً وألصق خدّه بالتراب ولم يعط ذلك الشاعر شيئاً.

وامتدحه بعضهم في أوّل قصيدة:

لا تقل بُشرىٰ ولكن بُشريان ... غُرّة الداعي ويوم المهرجان

فقال له الحسن: لو ابتدأت بالمصراع الثاني كان أحسن وأبعد لك أن تبتدء شعرك بحرف «لا».

فقال له الشاعر: ليس في الدنيا أجلّ من قول «لا إله إلّا الله».

فقال: أصبت، وأمر له بجائزة سنيّة[1].

وبعد أن حكم تسعة عشر عاماً وثمانية أشهر وستّة أيّام لبّى نداء ربّه يوم الاثنين الثالث من رجب سنة سبعين ومأتين، فجلس من بعده على مسند الحكم أخوه محمّد بن زيد وهو أوّل من بنى قبّة على قبر أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان يرسل في كلّ سنة اثنين وثلاثين ألف دينار نقداً على سبيل السرّ والخفاء إلى «محمّد بن ورد العطّار» أحد أُمناء الشيعة هناك لينفقها على السادة العلويّين. وفي سنة اثنين وثمانين ومأتين قبض عليه شحنة بغداد وأرسله إلى المعتضد العبّاسي وظنّ أنّه قاتله ولكن المعتضد العبّاسي أنّبه وأمره بتقسيمها طبقاً لما عهد إليه محمّد.

وجاء في تاريخ ابن كثير: وقد كان محمّد بن زيد هذا فاضلاً ديّناً حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد وكان فيه تشيّع.. تقدّم إليه يوماً خصمان اسم أحدهما معاوية واسم الآخر علي، فقال محمّد بن علي: إنّ الحكم بينكما ظاهر.

فقال معاوية: لا يغترّنّ بنا فإنّ أبي كان من كبار الشيعة وإنّما سمّاني معاوية مداراة لمن ببلدنا من أهل السنة. وهذا كان أبوه من كبار النواصب فسمّاه عليّاً تقاة لكم؛ فتبسّم محمّد وأحسن إليهما[2].

ولمّا كان محمّد ذا همّة عالية نزعت به همّته إلى انتزاع الملك فأفلت من

---

(١) ابن كثير الشامي: البداية النهاية ج ١١ ص ٥٥.

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٩٥.

عمرو بن الليث واتّجه شطر خراسان لاحتلالها، فسرّح إليه الأمير إسماعيل الساماني محمّد ابن هارون السرخسي ليقف في وجهه، ودارت بينهما معركة في ظاهر استرآباد في شوّال سنة سبع وثمانين ومأتين، فقُتل وأُسر ولده زيد وحُمِل إلى بخارىٰ، وبقي في القيد قرابة السنتين ثمّ أُطلق بعد ذلك وأقام عند إسماعيل بن أحمد الساماني معزّزاً ومكرّماً، فطلبه المكتفي العبّاسي من إسماعيل فامتنع من تسليمه وصار حموّه، وكان من أعيان الملك على ابنته، وينتهي نسب السادات رفيعي الدرجات من أهل شيراز إلى زيد المذكور هذا، وهذه الأبيات الثلاثة التي وردت في تاريخ الملوك من نظمه.

شعر

ولقد تقول عصابة ملعونة	غوغاء ما خلقوا لغير جهنّم
من لم يسبّ بني النبيّ محمّد	ويرىٰ قتالهم فليس بمسلم
عجباً لأُمّة جدّنا يجفوننا	ويجيرنا منهم رجال الديلم[1]

الحسن بن القاسم بن الحسن بن عليّ بن عبدالرحمن الشجري ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

نال القيادة في سنة أربع وثلثمائة، ولُقّب بالداعي الصغير كما صرّح بذلك صاحب تاريخ «جهان آرا»، وما نقل عنه في لقب محمّد بن زيد والحسن بن زيد سابقاً يخالف ما قرّره خاتم النسّابين المير محمّد قاسم السبزواري رحمه الله في الرسالة الأسديّة التي كتبها باسم المرحوم صاحب السيادة والصدارة أسد الله الشوشتري لأنّه عبّر عن الحسن بن زيد بالداعي الكبير وعن محمّد بن زيد

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات ج١٥ ص٣٠.

بالداعي الصغير، وعبارته كما يلي:

وعقب محمّد بن إسماعيل المذكور ينتهي بالداعي الكبير محمّد بن زيد بن محمّد المذكور أخي الداعي الصغير الحسن، وقد انقرض عقب الداعي الكبير، وللداعي الصغير عقب منه السيّدان الفاضلان الحسيبان النسيبان الأمير المرتضى والأمير السيّد الشريف، وهما من الأولاد الأمجاد للسيّد الفاضل الأمير السيّد الشريف صدر شيراز ابن تاج الدين عليّ بن جلال الدين المرتضى بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن عبدالله بن طاهر بن هاشم بن عربشاه بن ناصر بن عبدالله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن وهو الداعي الصغير المذكور، انتهى.

وعلى أيّة حال، فالحسن بن القاسم الملقّب بالداعي الصغير بناءاً على ما يعتقده صاحب «تاريخ جهان آرا» انتقل إلى آمل يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر رمضان سنة ستّ عشرة وثلثمائة وقُتِلص عصر الثلاثاء السابع والعشرون من الشهر آنف الذكر بظاهر آمل في القتال الذي دار بينه وبين أسفار بن شيرويه على يد «مرداويج بن زيار».

محمّد بن الحسن

كان يقطن بغداد وهو مفتيها في الفروع والأُصول، وكان يخشى معزّ الدولة فلم يغادرها، ولكنّه خرج إلى واسط متنكّراً ومنها ذهب إلى بلاد الديلم وهو على تنكّره، وسعى سعياً جادّاً حتّى بلغ سدّة الحكم ولقّب بالمهدي باللّه، وكانت وفاته في أحد شهور سنة تسع وستّين وثلثمائة، وولادته سنة أربع وثلثمائة.

الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل الأرقط ابن محمّد بن الإمام زين العابدين المشهور بالكوكبي

الذي خرج في أحد الشهور من سنة إحدى ومأتين، وأنقذ قزوين وأبهر

وزنجان من براثن الوكلاء العبّاسيّين، ولُقِّب بالداعي إلى الحق، وفي قزوين دارت بينه وبين موسى بن بغا رحى معركة هائلة في سنة ثلاث وخمسين، فانهزم الكوكبي على أثرها إلى الديلمان[1] والتجأ إلى الحسن بن زيد، ولكنّه بناءاً على قول لا أصل له: أمر بإغراقه في بركة ماء وانطفأت شعلة حياته.

الحسن الأُطروش ابن عليّ بن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين عليه السلام

كان في خدمة محمّد بن زيد وقاتل معه فأُصيب بضربة على رأسه أصمّته وذهبت بسمعه ولذا عُرِف بالأُطروش، ظهر في الديلمان في أحد الشهور من سنة إحدى وثلثمائة وحكم أكثر طبرستان، ولُقِّب بناصر الحقّ، وكان جُلّ أهالي المنطقة الذين تشرّفوا بالإسلام في تلك الحقبة انضمّوا إلى مملكته لأنّها السبب في هدايتهم إلى الإسلام، وبما أنّه محيط بفقه الزيديّة فقد أثرت عنه عدّة تصانيف في هذا الفنّ، ومال جمهور الناس في «گيلان» إلى هذا المذهب حتّى جائت هذه الأيّام التي هي للسعادة قوام، فاهتدى الشريف والوضيع والغنيّ والفقير إلى المذهب الإثني عشري بيُمن توجّه السلطان، وبه خرجت السعادة من دائرة الاستحالة إلى دائرة الإمكان.

قال الشيخ النجاشي في كتاب رجاله: وصنّف فيها ـ في الإمامة ـ كتاب في الإمامة صغير، (كتاب الطلاق)، كتاب في الإمامة كبير، كتاب فدك والخمس، وكتاب فصاحة أبي طالب، وكتاب معاذير بني هاشم فيما نقم عليهم، وكتاب الشهداء وفضل أهل الفضل منهم، وكتاب أنساب الأئمّة ومواليدهم إلى صاحب الأمر عليهم السلام.

---

(١) قال ياقوت: كأنّه نسبة إلى الديلم أو جمعه بلغة الفرس من قرى اصفهان بناحية خرجان، ينسب إليها أبو محمّد عبدالله بن إسحاق بن يوسف الديلماني / معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٢ آلي.

وتوفّي في آمل يوم الثالث والعشرين من شعبان سنة أربع وثلثمائة..!

أبوالحسن أحمد وأبوالقاسم وأبو جعفر أولاد ناصر الحق

اتفقوا على ولايته على طبرستان وسمّاه الأهالي هناك بالناصر، وكان بينه وبين الداعي الصغير وهو صهره على ابنته منازعات في بعض الأيّام حتّى أقام أحمد في «آمل» وتوفّي في رجب سنة إحدى عشرة وثلثمائة، وانتقل إلى العالم الآخر.

أباالقاسم ابن أبي الحسن أحمد المكنّىٰ بأبي علي

ولّي على آمل بعد وفاة أبيه ولكنّ «ماكان بن كاكي» وكان من عظماء أُمراء الأُطروش أعطى السلطنة إلى ابن أُخته إسماعيل بن أبي القاسم جعفر بن الأُطروش وهاجمه بدون إنذار في آمل ثمّ قيّده وحمله إلى ابن أخيه عليّ بن الحسين الكاكي في جرجان، وكان عليّ مخموراً ذات ليلة فأراد قتله ولكن القضيّة تمّت بعكس ما أراد فقد قُتِل عليّ وأمّر الديلم محمّداً واختار للقيادة عليّاً بن خورشيد، وعندما أصبح الصباح نشبت معركة بين أسفار بن شيرويه مع «ماكان» فانتزع منه طبرستان قهراً ولكنّه وقع من ظهر جواده وهو يلعب الكرة في الميدان ومات سنة خمس عشرة وثلثمائة، وهلك عليّ بن خورشيد أيضاً، فعاد ماكان واستردّ طبرستان من يد أسفار بن شيرويه.

محمّد بن أبي الحسين الملقّب بأبي جعفر

صاحب القلنسوة، تولّى الحكم بعد أخيه وقُتِل في موضع يُدعىٰ دلارة رود لارجان في معركة جرت بينه وبين «ماكان بن كاكي».

الحسن بن أبي القاسم جعفر بن الأُطروش

ابن أُخت «ماكان»، جلس على العرش الذي ورثه من والده والأمر كلّه بيد

«ماكان» إلى أن خدعت أُمّ أبي جعفر قلنسوة إحدى جواريه فوضعت له في طعامه سمّاً قاتلاً وأهلكته به وختمت بذلك حياته إلّا أنّ أشعّة نور تلكم الدولة انعكست على البلاد فتخرّج بها فوج نالوا الرتب العالية ووصلوا إلى مناصب شاهقة في الدولة مثل آل بويه، وستأتي تفاصيل حياتهم إن شاء الله تعالى.

وآل زيار ومقدّمه «مرداويج» بن زيار من ذريّه الأرغش الذي كان في عهد كيخسرو والياً على «گيلان» وكان مرداويج في بدء أمره ملازماً لما كان، ولكن في نهاية الأمر قتل «ماكان» وأسفار بن شيرويه الديلمي اللَّذَين تسلّطا على مدينة الري وما يليها قتلا على يد مرداويج، فأقبل من قزوين إلى الري واستدعى أخاه «وشمگير» من گيلان إلى الري فتقوّىٰ به وشدّ أزره، ومرداويج هو ذلك الرجل الذي قتل أهل همدان حقداً عليهم من أجل جماعة «من الديلمان» وبعث من همدان خمسين «خروار»[١] إلى الرى من خناصر أهل همدان وصارت عادة وتقليداً لهم أن يبعث العرّيس بمقدار من الذهب، ومن يومئذٍ إلى اليوم كانت نساء همدان أكثر من رجالها.

ونال السلطان من بعده أخوه وشمگير ابن زيار وكان معاصراً لركن الدولة بن بويه ومنافساً له، واصطلح بعده «سيفور (كذا)» بن وشمگير مع ركن الدولة وبفضل معاضدته له قام مقام والده، وجلس من بعده على مسند حكومة «جرجان وتوابعه» قابوس بن وشمگير الملقّب بشمس المعالي.

وجاء في كتاب «خلاصة الأخبار»: إنّ قابوساً بن وشمگير كان مبرّءاً من الأقوال غير اللّائقة والأفعال الدنيئة، ومن ارتكاب المناهي والملاهي، ومنزّهاً من كلّ ساقطة بشرف نفسه وحلية عقله من بين أمثاله وأقرانه، واشتهر جمال

---

(١) الخروار يعادل ثلاثمائة كيلو غرام ولم أجد ما يعادلها في العربيّة فأثبتُّها كما هي.

خطّه (خطّ النسخ) من بين المجيدين في الآفاق، وطار له صيت في كمال الفصاحة والبلاغة في الأكناف والأطراف، وكان الصاحب بن عبّاس إذا وقعت عينه على سطر منه قال: هذا خطّ قابوس أم جناح طاووس[١].

وجاء في كتاب تاريخ الملوك: إنّ قابوساً جبّار غشوم، كان شديد الرفض، و كانت خالة فخر الدولة في بيته، وابنته في بيت فخر الدولة، وبناءاً على هذه الروابط فقد لجأ اليد حين قصده إخوانه بالسوء وأرادوا به الشرّ ونهض قابوس في الذبّ عنه ولم يألوا جهداً في الدفاع عنه، ولكنّه بآخرة ثار به «الطبقات» غاضبين ممّا فيه من حدّه الطباع وحبسوه في إحدى القلاع وقتلوه في أحد الشهور من سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وكان قابوس فصيح اللسانين، ينظم الشعر بكليهما، ونكتفي بذكر بيتين من شعره العربي طلباً للاختصار:

خطرات ذكرك تستثير مودّتي فأحسّ منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لي إلّا وفيه صبابة فكأنّ أعضائي خُلِقن قلوبا

وهذه الرباعيّة من أشعاره الفارسيّة:

گل شاه نشاط آمد و می میر طرب

زان روی بدین دو می‌کنم عیش و طرب

خواهی که در آن بدانی ای ماه سبب

گل رنگ رخت آمد و می طعم طرب

خطر الورد وهو باعث عزمي ونشاطي ولذّتي وسروري

---

(١) الثعالبي: المضاف والمنسوب: بلغني عن الصاحب أنّه كان إذا نظر في خطّ الأمير شمس المعالي وهو نهاية في استيفاء أقسام الحسن قال: هذا جناح طاووس أم خطّ قابوس؟ ج ١ ص ١٤٤ آلي.

والطـــلا شـــيخ نشـــوتي تـــتجلّى بكـــؤوس كـــغادة فـــي الخـــدور
وعـــلى ذيـــن فـــي اللـــذاذات يـــغدو طـــربي زاخـــر بـــعيش طـــرير
أيّـــــها البـــدر إن أردت يـــقيناً فـــيه تســـمو عـــلى جـــميع البـــدور
قد حكى الورد وجنتيك وفي الخمر كـــبرد الشـــفاه يـــخبو ســـعيري

منوچهر بن قابوس الملقّب بفلك المعالي

كان قد تأثّر بالواقعة تأثّراً شديدا ولكن لا حيلة له في الأمر بعد اتفاق أهل الحلّ والعقد في بلده على ذلك وفي حبس والده، وبعد وفاته نال الحكم، وكان معاصراً يومئذٍ للسلطان محمود الغزنوي، وبناء على على اقتضاء المصلحة أظهر له الإخلاص وتأمّر بعده الأمير كالنجار نوشيران بن منوچهر الملقّب بشرف المعالي، ومن بعده قام بالأمر كاوس بن اسكندر بن قاوبس، و«كاوس نامه» من مؤلّفاته، وهو آخر الطبقة، وتوفّي سنة سبعين وأربعمائة، ووقعت قلاعه من بعده بيد الحسن ابن الصبّاح!

الجند السابع
في آل بويه ويقال لهم الديالمة

يقال: إنّهم من ذريّة «بهرام جور» بناءاً على تحقيق بعض المؤرّخين.

وذكر أبو علي ابن مسكويه في تجارب الأُمم: إنّ ملوك الديلم يزعمون بأنّهم من أولاد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك العجم، وهرب بعض أولاد يزدجرد في أوّل ظهور الإسلام إلى گيلان وينسب ملوك الديلم أنفسهم إليه ولذلك يقولون بأنّهم أقاموا مدّة مديدة في الديلمان من گيلان.

وذكر صاحب تاريخ «جهان آرا» أنّ «بويه بن قبا خسرو» كان مقيماً في قرية «كليش» بالديلمان وكان مضيّقاً عليه ويعيش في الجهد والضنك إلّا أنّ له أولاداً ثلاثة أذكياء ذوي همّة: فعماد الدين علي كان في بدو أمره على خيل مرداويج ففوّض إليه «كرهرود» ومعه جماعة من قادة الجيش، ولمّا ذهب عليّ إلى لقاء وشمگير وكانت له بغلة حمراء وقد دنى من الريّ فعرضها على البيع لسوء حاله فاشتراها منه الحسين بن العميد وزير وشمگير ـ والد أبي الفضل ابن العميد ـ بمأتي دينار وبعثها إليه، فتناول منها عشرة دنانير وردّ الباقي عليه ومعها هديّة تليق بمقام الرجل.

ومن القضاء أنّ مرداويج ندم على تفويض العمل إلى عليّ فكتب إلى أخيه عبارتين يأمر باعتقاله، فوصلتا إلى الحسين عند صلاة العشاء فأرسل قاصداً إلى

الحسين وأخبره بما جرى وبالغ في حثّه على الخروج، ولمّا أصبح الصباح وعلم بحكم أخيه في عليّ قبض على أصحاب عليّ وأراد أن يرسل إليه من يتعقّبه، ومنعه حسين من ذلك، ولمّا بلغ عليّ مقصده اتّخذ حسن السلوك ذريعة لبلوغ أهدافه فأطاعه الأقربون والعشائر وانضووا تحت لوائه.

وفي سنة اثنين وعشرين وثلثمائة خرج قاصداً اصفهان فاستقبله المظفّر بن ياقوت وهو مولى العبّاسيّين بعشرة آلاف مقاتل ولكن عليّاً ظهر عليه بتسعمائة مقاتل ليس إلّا وتمكّن من احتلال اصفهان، فلمّا بلغ الخبر مرداويج حمل الأمر على محمل الجدّ وحسب لعليّ حسابه وتوجّه شطر اصفهان، فلم يثبت عليّ في وجهه وتحمّل إلى فارس بإشارة من أبي طالب زيد بن عليّ نوبنده جاني، وذهب إلى أُورجان[1]، ومنها إلى شيراز، وكان يحتال لنفسه من التعرّض لشرّ مرداويج.

وفي السنة الثالثة والعشرين والثلثمائة لمّا نمىٰ إليه خبر الواقعة[2] تقدّم بعساكره إلى شيراز وبعد قتال ضارٍ انتزع تلكم الديار من يد ياقوت نائب الخليفة ببغداد وقد قتل من عسكره خلقاً كثيراً، وأسر جماعة منهم واستبقاهم في الأسر، ولمّا تربّع على مسند السلطان في فارس استدعى الأسرىٰ وأطلق سراحهم وأحسن إليهم وخلع عليهم وقبلهم، ولشدّة كرمه وجوده وذلك طبع جبل عليه أنفق جميع الأموال الكثيرة التي قدم بها من اصفهان معه في مدّة يسيرة على العسكر، وبعد مضيّ أيّام على ذلك طلب العسكر عطائه فرأى عماد الدولة أنّ خزانته فارغة وسوف يؤدّي ذلك إلى اختلال أمر مملكته، فضاقت بعينه الدنيا وطرأ السئم على قلبه، ولشدّة اضطرابه استلقى على قفاه وشرع يجيل الرأي في

(١) لعلّه يريد «أرّجان» وهي مدينة بهبهان اليوم.

(٢) لم يسبق لها ذكر وأنا ترجمت العبارة كما وردت.

نفسه ويقلّب وجوهه وهو غارق في الفكر وعينه مشدودة إلى سقف البيت، وإذا به يبصر حيّة قد خرجت من السقف واتّجهت ناحية أُخرى في البيت، فأمر برفع السقف وقتل الحيّة وإذا به يبصر مالاً جمّاً من الذهب الأحمر يلوح في السقف قد بلغ خمسمائة ألف دينار ذهباً، فشكر عماد الدولة ربّه على ذلك فأعطى منه الجند وأدخل الباقي إلى خزانته..

وكان راكباً جواده في تلك الأيّام وهو يجول بطرفه هنا وهناك يتفرّج على ما حوله وينظر إلى ما شاده السلاطين قبله ويعتبر به وإذا بجواده تخسف الأرض بيده وتغوص في حفرة عميقة، فأمر أن يحفر ذلك الموضع وإذا به يعبر على أموال طائلة.

ومن جملة تأييدات الله له أنّه أعطىٰ بزّاً لخيّاط في شيراز ليخيطه له، فأبطأ في العمل، فاستدعاه وهدّده، وكان الخيّاط أصمّ فظنّ أنّ التهديد جائه من قبل مال ياقوت حاكم شيراز السابق الذي أودعه عنده، فأقسم له في الحال قائلاً: والله أيّها الملك ليس عندي أكثر من اثني عشر صندوقاً من ماله وإلى الآن لا أدري ماذا بداخلها، فأمر عماد الدولة بإحضارها فأخرج منها ثلاثمائة ألف دينار وعروضاً أُخرى، وهذه الدفائن والخزائن هي من مخلّفات يعقوب بن ليث وأخيه عمرو بن الليث اللذين كانا ملوك فارس والعراق وخراسان، وليس لها عدٌّ أو حصر، فوقعت كلّها بيده فتقوّى بها فنهض بأمر المملكة نهضة واحدة، وأمر أخويه الحسن وأحمد بفتح العالم، وجعل هو شيراز حاضرة ملكه، وكان أمير الأُمراء بنصّ من الخليفة، واستولى على عراق العرب واحتوى أمواله كلّها، وقرنوا اسمه باسم الخليفة في دعاء الخطبة ببغداد. وسبب ذلك أنّ الخلفاء تذمّروا من سلوك مماليك الأتراك وتسلّطهم على الخلفاء، وعزلهم ونصبهم من

شاؤوا، وأحياناً يقتلون الخليفة ويقضون عليه بأنواع الحيل.

وكان الراضي يوماً قد بلغ منتهى العجز والذلّ ولمّا علم باستيلاء عماد الدولة على ملك فارس وخوزستان استمدّه ليستعين به على التخلّص من تسلّط الأتراك وتلاعبهم، لذلك أمر عماد الدولة أخاه معزّ الدولة بالتوجّه إلى بغداد وصيّره أمير الأُمراء هناك.

قال ابن كثير الشامي: كان من خيار الملوك في زمانه، وكان ممّن حاز قصب السبق دون أقرانه، وكان هو أمير الأُمراء وبذلك كان يكاتبه الخلفاء، ولكن أخوه معزّ الدولة كان ينوب عنه في العراق والسواد[1].

وفي سنة ستّ وثلاثين وثلثمائة خرج معزّ الدولة بصحبة الخليفة المطيع من بغداد إلى البصرة ولمّا فرغ من المهمّات المنوطة به في البصرة استأذن الخليفة أن يزور أخاه عماد الدولة وكان يومها في الأهواز، فأذن له، ولمّا وصل إلى مجلس أخيه عماد الدولة قبّل الأرض ووقف أمامه، وكلّما طلب منه عماد الدولة الجلوس أباه رعاية للأدب.

وقال أيضاً: وفي سنة خمس وأربعين وثلثمائة وقعت فتنة عظيمة بين أهل اصبهان وأهل قم بسبب سبّ الصحابة من أهل قم، فثاروا عليهم أهل اصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ونهبوا أموال التجّار، فغضب ركن الدولة لأهل قم لأنّه كان شيعيّاً فصادر أهل اصبهان بأموال كثيرة..[2]

وتوفّي في شيراز في جمادى الأُخرىٰ سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ولم يكن له ولد لذلك جعل وليّ عهده عضد الدولة ابن ركن الدولة الحسن.

---

(١) البداية والنهاية ج١١ ص٢٥٠.

(٢) نفسه ج١١ ص٢٦١.

واستولى الحسن الملقّب بركن الدولة ابن بويه على اصفهان وقم وكاشان، وكان وشمگير ينازعه السلطان دائماً إلى أن حشد له في آخر أيّامه جيشاً ضارياً عرمرماً وقصد به ركن الدولة وكان هذا الرجل حولاً قلباً وقد حالفه الحظّ لذلك عرض لفرس وشمگير خنزير برّيّ فأجفل منه الفرس فألقاه عن ظهره إلى الأرض وكان ابن العميد وزير ركن الدولة وهو عميد فضلاء العصر وسيّد فصحائهم كتب في مطلع «الفتح نامه» هذه العبارة: «الحمد للّه الذي كفىٰ بالوحوش عن الجيوش ..».

وكان معاصره من مجتهدي الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة الشيخ الأجل الأفضل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي، ورجاه ركن الدولة من أجل ترويج مذهب التشيّع على القدوم إلى دار الخلافة، فأجابه على ذلك، فاستجازه السلطان أن يسأله، وفي المجلس الأوّل سأله عدّة أسئلة كانت تجول في ذهن السلطان تتعلّق في تحقيق مذهب الحقّ، وقد مرّ تفصيلها في ترجمة الشيخ، فأجابه الشيخ جواباً كافياً شافياً، فبالغ في تعظيم الشيخ وتكريمه، وأعطاه جوائز كثيرة، وقطع له إقطاعات وفيرة.

وهنا يظهر السلطان غاية في الفهم والذكاء، وقد أظهر للعيان أحقّيّه مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولبّى النداء في المحرّم سنة ستّ وثلاثين وثلثمائة، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور هم: عضد الدولة، مؤيّد الدولة، وفخر الدولة.

أحمد الملقّب بمعزّ الدولة بن بويه

احتلّ كرمان وخوزستان في عهد أخيه وذهب إلى بغداد فنال لقب «أمير الأُمراء» وسمّي بالسلطان، وخلع المكتفي العبّاسي وأقام مقامه المطيع، ولمّا

تمكّن من الإمرة وأطاعته البلاد والعباد جهر بمذهب الآباء والأجداد، وجدّ في ترويج المذهب الحقّ للأئمّة الاثني عشر، فأمر أن يكتب على أبواب المساجد في دار السلام ببغداد وسائر العمارات والبيوت: لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن الله من غصب فدكاً، ولعن الله من منع أن يدفن الحسن عند قبر جدّه عليه السلام، ومن نفى أباذر الغفاري، و من أخرج العبّاس عن الشورى.

ولمّا كان المطيع تابعاً لأمر معزّ الدولة، ومع هذا فقد كان يضمر في نفسه العقيدة ذاتها، كما ذكر آنفاً، لم يستطع مع هذا الفعل الجديد، وحدثت فتنة عظيمة بين مَن يسمّىٰ بأهل السنة في بغداد، ولمّا جنّ الليل على بغداد عمدوا إلى بعض الكتابات المرسومة على الجدر فحكّوها، فأمر معزّ الدولة بكتابتها كرّة أُخرى، وبلغ الأمر حدّاً أن عزم معزّ الدولة على قتل أهل بغداد ولكن وزيره محمّد بن الملهّبي رجاه أن لا يذكر باللعن إلّا معاوية وأن يكتبوا مكان ذلك الكلام هذه الجملة: لعن الله الظالمين لآل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسكنت تلكم الضجّة التي أثارها الغوغاء بحسن رأي الوزير.

وكان معزّ الدولة في بغداد أمير الأُمراء بل خليفة الخلفاء إحدى وعشرين سنة. نقل صاحب الطبقات الناصريّة عن تاريخ الطبري أنّه قال: إنّ معزّ الدولة استولى على أُمور الخلافة كلّها وليس للمطيع منها إلّا الاسم، وكان الملك يسوقه أينما أراد ويأتمر بأمره، وكان بيده الملك والحلّ والعقد، وقد وضع آثاراً طيّبةً، فعمّر بغداد، وكان في كلّ محلّة من بغداد رسوم مذمومة فألغاها، وأقطع ولده الموصل، ولقّب أخاه عليّاً بن بويه بعماد الدولة، وأخاه الثاني الحسن بركن الدولة، وتوفّي في ربيع الآخر الثالث عشر منه سنة ستّ وخمسين وثلثمائة، وتصدّق في مرضه هذا بصدقات لا تعدّ ولا تحصىٰ، وأعتق جميع مماليكه.

بختيار بن معزّ الدولة الملقّب بعزّ الدولة

جاء في تاريخ مصر والقاهرة بأنّه شابٌ شجاع وقويّ حتّى أنّه ليمسك بقرني ثور عظيم فيمنعه من الحركة.

ذكر ابن كثير الشامي في تاريخه: إنّ أبا الفضل الشيرازي كان شديد التعصّب للسنّة وكانت في بعض الحروب التي تحدث بين الشيعة وأهل السنة ببغداد الغلبة لأهل السنة بسببه، فبلغ سمع عزّ الدولة أنّ غلبة أهل السنة بإعانة الوزير لهم والفتنة قامت أساساً بسببه، فعزله واستوزر مكانه محمّداً بن بقيّه، ووقعت بين عزّ الدولة وعضد الدولة فتن ومنازعات وانتهى الأمر في سنة ستّ وستّين وثلثمائة أن وقع عزّ الدين أسيراً بيد عضد الدولة فقتله وانتهت به دوحة آل بويه.

عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن الحسن عضد اليمين

كان ساعد سعادة آل بويه وأوّل من لُقّب بشاهنشاه منهم، وكان غاية في الفضل وراعياً للفضيلة، لا يدانيه أحد من ملوك الأرض في العلم والفنّ، وقد كتبت الكتب في مآثره ومناقبه.

وقال اليافعي: هو أوّل من خوطب بـ«شاهنشاه» في الإسلام، وأوّل من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، وكان أديباً فاضلاً محبّاً للفضلاء، وكان شيعيّاً غالياً شهماً مطاعاً حازماً ذكيّاً متيقّظاً مهيباً سفّاكاً للدماء، له عيون كثيرة تأتيه بأخبار البلاد القاصية، وليس في بني عمّه مثله..[١].

وذكر صاحب روضة الصفا بأنّ عضد الدولة هو طاهر سلاطين الديلم وخلاصتهم، وقد كتبوا في مناقبه ومآثره المجلّدات.

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ٣٧٥ آلي.

وذكر الشيخ السيوطي وهو من أعاظم علماء الشافعيّة في كتابه «بغية الوعاة في طبقات النحاة» فقال: أحد العلماء بالعربيّة والأدب وكان فاضلاً نحويّاً شيعيّاً، له مشاركة في عدّة فنون، وله في العربيّة أبحاث حسنة، نقل عنه ابن هشام الخضراوي في الإفصاح أشياءاً، وكان كامل العقل، غزير الفضل، حسن السياسة، شديد الهيبة، بعيد الهمّة، ذا رأي ثاقب، محبّاً للفضائل، تاركاً للرذائل، باذلاً في أماكن العطاء، ممسكاً في أماكن الحزم[1].

وجاء في باب من يكنّىٰ بأبي علي الفارسي، قوله: وتقدّم عند عضد الدولة، وله صنّف الإيضاح في النحو والتكملة في التصريف، ويقال: إنّه لمّا عمل الإيضاح استقصره وقال: ما زدت على ما أعرف شيئاً وإنّما يصلح هذا للصبيان، فمضى وصنّف التكملة فلمّا وقف عليها قال: غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو.

وذكر الشيخ السيوطي أيضاً: إنّه كان معه في الميدان فقال له: بم ينتصب المستثنى؟ فقال: بتقدير «استثنى». فقال له: لم قدّرت استثنى فنصبت؟ هلّا قدّرت «امتنع زيد» فرفعت! فقال: هذا جواب ميدانيّ فإذا رجعت قلت الجواب الصحيح[2].

وتوجد نبذة من مآثره في معرفته العربيّة عند الفالي في شرح اللباب وهي قوله: «أوّل ما أقول أنّي أحمد الله».

معاصره من علماء الشيعة الاثني عشريّة شيخ الطائفة الحقّة محمّد بن النعمان الملقّب بالمفيد، وكان يعظّم الشيخ ويكرمه غاية التعظيم والتكريم، وقد ذكرنا

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة ج٢ ص٢٤٧.

(٢) طبقات النُحاة، ج١ ص٤٩٦ وص٤٩٧.

فيما تقدّم من الأحاديث بأنّه أهدى للشيخ فرساً أصيلاً محلّىٰ بقلادة ذهبيّة وخلعاً نفيسة، وأعطاه عدداً من القرى في ضواحي بغداد، وذلك عندما ظهر الشيخ على القاضي عبدالجبّار المعتزلي في مبحث الإمامة وألزمه بالحجّة.

وجاء في تاريخ ابن كثير الشامي وغيره: إنّ عضد الدولة مات في شوّال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة عن سبع أو ثمان وأربعين سنة، وحمل إلى مشهد الإمام عليّ فدفن فيه، وكان فيه رفض وتشيّع، وقد كتب على قبره في تربته عند مشهد عليّ: هذا قبر عضد الدولة، وتاج الملّة أبي شجاع ابن ركن الدولة، أحبّ مجاورة هذا الإمام المعصوم (المتّقي ـ ابن كثير[١]) لطمعه في الخلاص يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها (النحل: ١١١) [والحمد للّه] وصلواته على محمّد وعترته الطاهرة[٢].

ومن مآثره تجديده عمارة المشهد المقدّس لأميرالمؤمنين عليه السلام، والمارستان العضدي ببغداد، وقنطرة «بند مير» (كذا) التي يعجز التصوير والشرح عن بيان عظمتها.

وذكر العلّامة الدواني في رسالته الخاصّة بعرض عسكر السلطان خليل «بايندري» والي شيراز الواقعة في تلك الأصقاع، فقال: الحقّ يقال، إنّ هذا الموضع من أعاجيب الزمان ونوادر الأوان لأنّه عبّأه بين حضن الجبل والبحر وعلى هذا الأساس بنىٰ حصناً حصيناً كأنّه الفلك محكم ورصين على مثال الربع المسكون لأنّه محاط من جهاته الأربع بالماء فكأنّه الجزيرة في البحر، ونظير

---

(١) لا أشكّ بأنّ التحريف من ابن كثير فقد استبدل المتّقي بالمعصوم وهذا دأبهم وديدنهم في التحريف إذا لم يوافق الحدث أو القول هواهم.

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٤٠.

القلعة الدائرة صنع قصراً رفيعاً بحيط بها، وقد جاء متواتراً أنّ هذه العمارة البديعة من آثار دولة سلطان الدين وملجأ المساكين عضد الدولة الديلمي الذي كان في عهده غرّة السلاطين السعداء، وقدوة الأساطين المعروفين، وكان له قصب السبق على أقرانه في تقوية دين سيّد الأنبياء وتعظيم السادات والعلماء وتقريبهم والترحيب بهم، وكانت صحائف الزمان بنقوش مناقبه ومدائحه مرقومة، وصحائف الأرض بآثار مكارمه مرسومة، وما أكثر خيراته الجليلة ومبرّاته النبيلة التي هي أثر من آثار ذلك السلطان الذي هو للدين أمان، بقيت على صفحة الزمان ظاهرة، وقد أشاد أهل التواريخ في ذكر خواصّه وقالوا: إنّه الجبل على ساحل البحر أو البحر في حضن الجبل من حيث اقتداره القاهر ومجده الزاهر، ومراده من قلعة «بند امير» وبركة قلعة «اصطخر» وكلاهما من عجائب الزمان.

مؤيّد الدولة بن الحسن بن بويه

كان في عهد أبيه بإصبهان، ولمّا توفّي والده خرج إلى الري وحلّ محلّ أبيه، وبأمر أخيه عضد الدولة قصد «الكاي (كذا)» فخر الدولة، فالتجأ إلى قابوس، فأخذ مؤيّد الدولة جرجان منه وجعل فيها سرير ملكه، وتوفّي بمرض الخناق في اليوم الثالث عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة هناك.

علي الملقّب بفخر الدولة

كان مقيماً بإصبهان بموجب وصيّة أبيه، ولمّا أخرجه مؤيّد الدولة بإعانة عضد الدولة إيّاه أقام في نيسابور، ولمّا كان الصاحب بن عبّاد لا يرى من هو كفؤ للإمارة سواه بعد مؤيّد الدولة أرسل قاصداً إلى نيسابور واستقدمه إلى جرجان وأجلسه على سرير الملك إلى أن توفّي في قلعة «طبرك» في شعبان سنة سبع

وثمانين وثلثمائة، وترك أولاداً ثلاثة: مجد الدولة أبوطالب رستم، وشمس الدولة أبو طاهر، وعزّ الدولة أبو شجاع.

المرزبان بن عضد الدولة لقبه صمصام الدولة

كان في بغداد عند وفاة أبيه فأمّروه مكانه وبعد مضي أربع سنين وستّة أشهر زحف أخوه شرف الدولة والي كرمان بجيشه على بغداد واحتلّها وأغلق باب القلعة ثمّ خلص من بعد ذلك وحكم فارس تسعة أشهر وستّة أيّام، وفي ذي الحجّة سنة ثمانين وثلثمائة حوصر في قرية «دودمان» بشيراز حتّى قتل على يد أبي نصر ابن عزّ الدولة بختيار وختمت حياته.

شريك بن عضد الدولة المشهور بشرف الدولة

أبو الفوارس، كان في عهد أبيه والياً على كرمان، فطمع بأخذ بغداد ووردها سنة ستّ وسبعين وثلثمائة، فلمّا قاربها فاستقبله صمصام الدولة وضاق به ذرعاً وأخذ الحكومة منه.

قال ابن كثير الشامي[1]: وكان يحبّ الخير ويبغض الشرّ، وأمر بترك المصادرات، وكانت مدّة ملكه سنتين وثمانية أشهر، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثاني من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بمرض الاستسقاء، وحمل تابوته إلى تربة أبيه بمشهد عليّ عليه السلام[2].

---

(١) وفيها وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة فاقتتلا فغلبه شرف الدولة ودخل بغداد فتلقّاه الخليفة وهنّأه بالسلامة. البداية والنهاية ج ١١ ص٣٤٧، وبهذا تصلح عبارة سيّدنا المؤلّف.

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٥١.

خسرو فيروز بن عضد الدولة

المشهور بكنيته «أبو النصر» بهاء الدولة، وصل إلى رتبة أمير الأُمراء في بغداد وأنعم عليه القادر العبّاسي بلقب الشاهنشاه قوام الدين.

ومذكور في «تاريخ گزيده» أنّه اصطلح مع السلطان محمود الغزنوي وخطب منه ابنته ولكنّه توفّي في «أرّجان» بمرض الصرع في الخامس من جمادى الأُخرىٰ سنة ثلاث وأربعمائة وحُمِل إلى النجف الأشرف ودفن فيها، وكانت مدّة ملكه أربع وعشرين سنة، وبلغ من العمر اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصف الشهر.

مجد الدولة أبوطالب رستم بن فخر الدولة

تأمّر بعد أبيه وعهد إلى أخيه بحكومة همدان، وأُمّه سيّدة ابنة شيرويه بن مرزبان والي مازندران هي صاحبة الاختيار، وكانت تقدّم في الملك شرائط المعدّلة وتمهّد قواعد الجهاد، وتجلس نهاراً وراء ستر رقيق تحدّث الوزير والخادم، وكانت تؤكّد على وجود التمايز بين العسكر والرعيّة، وتجيب الرسل القادمين من الأطراف دون أن يلقّنها الجواب أحد من أفراد المملكة، منهم السلطان محمود الغزنوي فقدكتب إليها يطلب منها ضرب السكّة أن تكون باسمه، وكذلك الخطبة وأن تؤدّي إليه الخراج، وإذا لم تفعل فعليها أن تعدّ العدّة للحرب، فأجابته: أمّا في حياة زوجي فخر الدولة فقد كنت أتخوّف من هذا الذي هدّدني به الملك وأقول: ما العمل إذا طلب السلطان هذا؟ وما وجه الحيلة والتدبير؟ ولكن بالي اليوم فارغ من هذا كلّه لأنّ السلطان محمود ملك عادل وعاقل وهو يعلم أنّ نتيجة الحرب غيبيّة، فلو أنّه قصدني بالحرب وانتصر علَيّ فليس له في ذلك فخر يُذكَر لأنّه غلب امرأة أرملة، وإذا دحرته وانقلب على

أعقابه مهزوماً فسوف يكون عليه ذلك عاراً وسبّة لا يغسلها الدهر إلى يوم القيامة.

چو از راستى بگذرى خم بود　　چو مردى بود كز زنى كم بود

وأنا الان على يقين بأنّ الملك لن يلقي بالاً لمثل هذه الولاية المحقّرة. وبهذا الجواب المسكت صرفت ملكاً في وزن الملك محمود عن الحرب، وبوفاتها في سنة تسع عشرة وأربعمائة انفرط عقد الملك لأنّ مجد الدولة كان غرّاً غبيّاً فاضطرب حبل المملكة وكان الأُمراء لا يطيعونه، وبناءاً على هذا فقد أرسل إلى السلطان محمود الغزنوي يستدعيه، فأقبل إلى الري صباح يوم الإثنين الثاني عشر من جمادى الأُولى سنة عشرين وأربعمائة ونزلها ولم ير عيباً في نقض العهد لوجود الفوارق الدينيّة بينهما، ولم ير حرجاً عليه في ذلك، فقبض عليه وعلى ولده أبي دلف وأرسلهما إلى خراسان ولم يسمع لهما بذكر إلى اليوم، ولم يسمع لهما بذكر إلى اليوم، وانتهت سلسلة آل بويه بهما.

وذكر الشيخ عبدالجليل الرازي ﷺ في كتابه أنّ بعض المخالفين قال: جنى على آل بويه في ابتلائهم بالسلطان محمود شؤم رفضهم، وهذا طعن عجيب منهم، بل غاية في العجب لأنّهم لا يرون غضاضة على العبّاسي خليفتهم حين تمّ القضاء عليه بيد البساسيري الشيعي، ولا يرون ذلك نقصاً فيه، ويرون القبض على ملك من ملوك الشيعة بواسطة السلطان محمود قدحاً في مذهب التشيّع.. وقتل المقتدر بأيدي الملاحدة لا يرون فيه عاراً ولا عيباً، ولكن قتل زيد بن عليّ بأيدي السنيّين يرون غرامة ذلك ونقصانه على الروافض، ولست أدري لماذا قعد السنيّون عن نصرة المقتدر حتّى قبض عليه وقُتِل، ويجيزون للخليفة أن يكون محبوساً ولا ينال خلافته النقص ولكن الإمام الغائب تكون غيبته نقصاً لإمامته، ويرون طغرل الذي خلّص الخليفة المقتدر من سجن البساسيري

مستحقاً للثناء والدعاء، أمّا السلطان محمّد الذي كسر الحصار عن الخليفة فإنّهم يثلبونه ويطلقون ألسنتهم بذمّه.

وهذه المواقف الشاذّة لها أمثال وأشباه، فقد لقّبوا معاوية بخال المؤمنين من أجل أُخته «أُمّ حبيبة» لأنّه خصم عليّ، ولا يلقّبون محمّداً بن أبي بكر بخال المؤمنين وأُخته عائشة لأنّه يحبّ أميرالمؤمنين عليه السلام، ويسمّون الروافض كفّاراً وملحدين لأنّهم يبغضون أبابكر وعمر وينكرون إمامتهما، أمّا معاوية الذي سلّ السيف في وجه أميرالمؤمنين في سبعة وعشرين موقفاً فإنّهم يوالونه ويروون في حقّه الكذب والموضوعات.

والروافض لا تقبل لهم توبة مطلقاً لأنّهم لا يوالون الشيخين، ولكن يزيد الذي أمر بقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وحمل رأسه إليه، يرونه تاب وقبلت توبته وإنّه شابّ تائب.

والعجيب في الأمر أنّهم يرون قبول توبة المنكر لوجود الله والجاحد لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يرون قبول توبة المنكر لإمامة الشيخين فيكون الصحابة أعلى منزلة من الله ورسوله عندهم، ويذرون على وجوههم وأذقانهم رماد التيه والضلال ببغضهم أهل بيت المصطفى نعوذ باللّه من شرّ الضلال وسوء المقال.

لا عجب من صدر يكتضّ ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن لا تحالف صاحبه الهداية والسعادة والإقبال والشريعة والكمال والبصيرة والضياء والإنصاف لكن يطبع ما يقوله وما يفعله بطابع الرياء والانحراف «خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين».

وذكر صاحب روضة الصفا أنّ السلطان محمود لمّا أسر مجد الدولة كتب إلى الخليفة كتاباً وفيه: إنّنا قدمنا الريّ وقبضنا على مجد الدولة ووجدنا في قصره

خمسين امرأه فأطلقناهنّ ومنهنّ نيّف وثلاثون امرأة صرن أُمّهات أولاد، فسألنا: على أيّ مذهب حجزت هؤلاء النسوة؟ فقال: على مذهب أسلافنا، فقد كانت تجيز ذلك.

قال مؤلّف الكتاب: لا يخفىٰ أنّ مراد مجد الدولة من مذهب أسلافه هو المذهب الإمامي الاثني عشري الذي يستبيح نكاح المتعة بنصّ الكتاب المبين وسنّة سيّد المرسلين، ويجوز في نكاح المتعة أن يكون لأربع وأكثر، ولمّا كان السلطان محمود سنّيّاً بل ناصبيّاً وكان من أتباع عمر بن الخطّاب وعمر هذا هو الذي نهى عن المتعة وحرّمها لذلك استقبح فعل مجد الدولة، وكأنّه ما رأى صاحب هداية الفقه الحنفي يسند استباحة نكاح المتعة إلى مالك وهو من عظماء أهل السنة والجماعة، وما سمع ما رواه صاحب الاستيعاب عن ابن عبّاس أنّه قال: نكاح المتعة رحمة رحم الله بها أُمّة محمّد، ولو لم ينه عمر عنها لما زنىٰ إلّا شقي، ومن أراد الوقوف على دلائل الشيعة وبراهينها في إباحتهم المتعة وعلى جهل أهل السنة وخزعبلاتهم في إبطالها فعليه الرجوع إلى مصنّفات الشيعة في هذا الشأن، فإذا بقيت عنده شبهة في إباحة المتعة فليرجع إلى فقه أبي حنيفة وليستعن به على طغيان الغريزة فيأخذ خرقة من الحرير يربطها على إحليله ثمّ يعقد على إحدى محارمه «أُمّه» أو «أُخته» وليباشرها بعد ذلك فإنّه لا حدّ عليه حينئذٍ وهو في أمن من العقاب وأمان من السلطان.. ونحن ذكرنا موجزاً من كلمات الشيعة واستدلالاتهم حول المسألة، وبحثناها دون الرجوع إلى كتاب بل اعتمدنا في ذلك على الخاطر الفاتر وذلك في ترجمة المأمون قبلاً وهو كاف في فهم أهل الفهم والانصاف، والله كاشف الغواشي.

سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة

وصل إلى عرش السلطنة بعد وفاة ابيه، فأرسل أخاه أبا الفوارس إلى كرمان وأخاه الآخر إلى البصرة، وتوفّي سلخ شوّال سنة خمس عشرة وأربعمائة في شيراز وكان عمره اثنين وعشرين عاماً وخمسة أشهر.

أبو علي الحسن بن بهاء الدولة

المشهور بمشرّف الدين، استولى على بغداد وامتدّ حكمه إلى خمس سنين وخمس وعشرين يوماً، وتوفّي في ربيع الأوّل سنة ستّ عشرة وأربعمائة، وعمره ثلاث وعشرون سنة، وولد في ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة.

أبو الفوارس بن بهاء الدولة

المعروف بقوام الدولة، طمع في فارس ووقع بينه وبين ابن أخيه أبي كاليجار تنازع إلى أن هلك في ذي القعدة سنة تسع عشرة وأربعمائة.

أبو طاهر بن بهاء الدولة الملقّب بجلال الدولة

حكم بغداد بعد أخيه «مشرّف الدولة».

قال صاحب تاريخ مصر: وكان ملكاً محبّباً للرعيّة، حسن السيرة، وكان يحبّ الصالحين، وهو أحسن آل بويه حالاً إن لم يكن رافضيّاً على قاعدتهم...[١].

وذكر ابن كثير في تاريخه: إنّ جلال الدولة خرج سنة ثلاثين وأربعمائة متوجّهاً إلى زيارة مشهد النجف وكربلاء ومشى أكثر الطريق حافياً، وتوفّي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

---

(١) النجوم الزاهرة ج١ ص٤٩٦.

مرزبان بن سلطان الدولة

لقّبه بعضهم بعزّ الملوك، وفريق آخر بعماد الدولة، وكنيته أبو كاليجار، وكان في البصرة عندما توفّي والده، وانتصر على عمّه أبي الفوارس مراراً، وأضاف إقليم فارس إلى متصرّفاته، وضمّ كرمان إلى ملكه بعد هلاك عمّه، وأضاف حكومة بغداد إلى سلطانه بعد وفاة عمّه الآخر، وأخيراً هلك في الرابع عشر من جمادىٰ الأُولىٰ سنة أربعين وأربعمائة في مدينة الحباب بكرمان وعمره أربعون عاماً وأشهراً، وامتدّ ملكه في بغداد أربعة أعوام ونيّفاً.

أبو منصور فولاذ بن أبي كاليجار

كان بينه وبين إخوانه لاسيّما «الرحيم» منهم خلاف، وتدور عليه الدائرة في أغلب الأوقات، ولمّا قتل «عادل بن مافيه»[1] أباه قام في وجهه فضلويه شبانكاره وكان صديقاً لعادل، فقبض عليه سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وحبسه في أحد القلاع واستولى على فارس.

خسرو فيروز بن أبي كاليجار

اشتهر بلقب «الملك الرحيم»، استنابه أبوه على إمارة بغداد في حياته، وبعد وفاته استقلّ بالملك واستولى على فارس وخوزستان والبصرة، وأسره السلطان السلجوقي في سنة سبع وأربعين وأربعمائة، ونقله إلى قلعة طبرك وختمت به

(١) لا أقدر على ضبط الأسماء إلّا بالرجوع إلى كتب التاريخ وقراءتها سطراً سطراً وما يخصّ الموضوع على أقلّ تقدير وذلك متعذّر ومجهد ومتلف للوقت، فأُحيط القارئ علماً بأنّ أكثر الأسماء المجهولة غير مضبوطة ضبطاً رافعاً للشكّ فأرجوه أن يتحمّل هو تعب ذلك الضبط بالرجوع إلى المصادر وله منّي الشكر ومن الله سبحانه الأجر.

حكومة آل بويه، وصار أخوه «أبو كيخسرو ـ كذا» في طاعة السلاجقة، وكان معزّزاً مكرّماً عندهم، وأقطعوه «نوبندجان فارس» وكان ألب ارسلان يحترمه ويجلسه إلى جانبه إذا أقبل لزيارته، وأخيراً توفّي الملك الرحيم سنة خمسين وأربعمائة وانتهى ذكر هذه الطبقة[١]، ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[٢].

فرعٌ في بيان حال كاكويه

وهم وإن لم يشاركوا آل بويه بالنسب ولكن لقربهم القريب يعدّون منهم.

محمّد الملقّب بحسام الدين علاء الدولة

يكنّىٰ بأبي جعفر كاكويه، ولمّا كان ابن خال السيّدة والدة مجد الدولة بن فخر الدولة والخال يُدعىٰ بلغة الديلم «كاكويه» لذلك اكتسب هذا اللقب. وقصد السيّدة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فأكرمته وأظهرت تعظيمه واقطعته اصفهان فكانت مقرّه لعدّة سنين. وكان أبو جعفر هذا فاضلاً محبّاً لأهل الفضل، عادلاً حسن السياسة، وقد أظهر إكرام الشيخ الرئيس أبي علي لاتفاقهما في المذهب وقد قصده أبو علي من أجل ذلك ولجأ إليه، وأمر في شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وأربعمائة أن يكتب لوح في باب «آب وادي جزوار ترك قزوين»[٣] ويُدعى بلوح اللعنة «لعنت نامه» وإلى الآن مدار أمر أهل قزوين عليه.

---

(١) وقع في العبارة خلط، فقد جاءت على النحو التالي: وآخر او در سنهٔ سبع و ثمانين، و ملك الرحيم در خمسين و اربعمائه فوت شد الخ، فاقتصرت على ترجمة الجملة الأخيرة لخفاء ما قبلها عليّ.

(٢) آل عمران/١٤٠.

(٣) تركنا العبارة المحصورة على حالها لخفاء معناها وأوكلنا أمرها إلى القارئ فقد أعياني الحصول على معناها الصحيح.

وتطاول محمود الغزنوي إلى خطبة أُخته وطلبها منه مراراً فنشأ بين الغزنوي وعلاء الدولة منازعات إلى أن توفّي بأجله الطبيعي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

ظهير الدين أبو منصور فرامرز

وهو أسنّ أولاد علاء الدولة، فأُقيم مقامه ولكن أخاه «كرشاسف» تمكّن من الاستيلاء على نهاوند وتوابعها، وعصى أخوه الآخر عندما تمكّن من قذف نفسه في القلعة (قلعه نطنز)[١] وكان أحياناً يلجأ إلى السلاجقة أصحاب الريّ، ولجأ أبو حرب إلى أبي كاليجار صاحب شيراز فحمله إلى اصبهان إلى أن تمّ الصلح بين الإخوان، وأرسل إلى طغرل يظهر الطاعة والتبعيّة ولكنّه في الباطن متفق مع «الملك الرحيم» على خلافه، فعلم بهذا الأمر طغرل بك فحاصر اصفهان سنة اثنين وأربعين وأربعمائة، وضيّق الحصار عليهم حتّى جاء محرّم الحرام سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة أعطوه عوض ذلك «يزد» و«أبرقو»[٢] فانتقل إلى يزد واستوطنها.

أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة

كان في زمن أبيه صاحب همدان وتوابعها حتّى أخذها منه السلاجقة في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة فذهب إلى شيراز عند «فولاد ستون»[٣] فأرسله إلى حكومة الأهواز وتوفّي هناك سنة تسع وستّين وأربعمائة.

---

(١) وسبب عصيانه أنّ أبا منصور أرسل إليه يطلب شيئاً ممّا عنده من الأموال والذخائر فامتنع وأظهر العصيان فسار إليه أبو منصور وأخوه الأصغر أبو حرب ليأخذ القلعة منه كيف أمكن، فصعد أبو حرب إليها ورافق المستحفظ على العصيان الخ. الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٣٢ آلي.

(٢) أبرقوه وأهل فارس يسمّونها وركوه ومعناها فوق الجبل وهو بلد مشهور بأرض فارس قرب يزد.

(٣) لم أقع لهذا المخلوق على عين ولا أثر.

الأمير علاء بن الأمير فرامرز بن علاء الدولة

حكم يزد وتوابعها بعد وفاة أبيه وفي سنة تسع وستّين وأربعمائة عملت «أرسلان خاتون» بنت جعفر بيك عمّة السلطان ملك شاه أرملة القائم بأمر الله العبّاسي قناة تحت الأرض بحيث لا تضرّ المسلمين، وأخيراً قتل الأمير علاء في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة في الحرب التي دارت بين «تنش»[(١)] و«بركيارق»[(٢)] على يد تنش هذا.

فرامرز بن علي

والدته أرسلان خاتون، آنفة الذكر، كانت غاية في الفضل وفيلسوفة، ولها عند السلاطين السلاجقة لاسيّما السلطان سنجر منزلة عظمى. كان مع سنجر في حربه على «قراخطاي» وقتل في المعركة سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة، ومن آثاره المشهد المقدّس الرضوي على ساكنه أفضل السلام والتحيّات الذي بناه سنة خمس عشرة وخمسمائة، وترك من الذريّة ابنتين وأطعهما السلطان سنجر نظراً لجميل الخدمة ولصوق اللحمة يزد، وكان أتابكهما بسام ابن دردان وأخاه عزّ الدين اللذين كانا من الملازمين لكاكويه، و كانا يحكمان يزد نيابة عن السيّدتين المذكورتين، ووصل إلى الحكم خلق كثير من نسلهما، وتجد تفصيل ذلك في كتاب «جهان آرا» وغيره من الكتب.

---

(١) تنش هو ابن الب ارسلان ويلقّب بتاج الدولة، ملك دمشق سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

(٢) الملك بركيارق ابن السلطان ملكشاه، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

الجند الثامن

في بيان تاريخ آل حمدان وشرح نسبهم على الوتيرة المتقدّمة

أبو السجّاد عبدالله

ابن حمدان «بن سرقة» بن حمدون بن الحارث بن النعمان بن راشد بن دلم بن عطف بن سراقة بن الحارث بن مخترمة بن قاسط بن ولب بن قصي بن ربيعة[1]. أعطاه المكتفي العبّاسي سنة اثنين وتسعين ومأتين ولاية الموصل ليصدّ عنه عادية الأكراد اليزيديّين، ولمّا تلكّأ في أداء ما عليه من المال بعث مؤنس الخادم إليه ليقاتله واستطاع أن يقيّدهم في سنة ثلاث وثلثمائة هو وإخوانه ويسوقهم إلى بغداد وحبسهم في دار الخلافة، وخلص من الحبس في سنة خمس وثلثمائة، وفي سنة ثمان جعلوه على طريق خراسان والدينور، وقتل في الفتنة التي قتل فيها المقتدر سنة سبع عشرة وثلثمائة.

الحسن بن عبدالله

الملقّب بـ«ناصر الدولة» والمكنّى بأبي محمّد، وتشيّعه مع أُسرته وآبائه غنيّ عن التعريف، وكان يدمن حضور مجلس الشيخ الأجل محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد رحمه الله ليأخذ عليه علوم الأُصول والفروع، ويبالغ في إعزازه وإكرامه،

---

(١) يوجد اختلاف في أعلام النسب بين المؤلّف وكتب التاريخ.

وكتب له الشيخ رسالة في مباحث الإمامة باسم ناصر الدولة، وقد مرّ ذلك في المجلس الخامس من هذا الكتاب في ثبت كتب الشيخ كما مرّ شطر من دلائل إيمانه في ذكر أحوال دار المؤمنين قم قبلاً.

تمكّن من الاستيلاء على ولاية ديار ربيعة في المحرّم سنة ثماني عشرة وثلثمائة، فاتّسعت قوّته وزادت سطوته، وما فتئت الفتنة متّقدة بينه وبين معزّ الدولة الديلمي على ولاية بغداد وبما أنّه كان شديد الوطأة على أولاده، وأخلاقه سيّئة جدّاً، وأضاف إلى هذا الطبع الأصيل في نفسه طبعاً مستجدّاً حين بلغه نبأ وفاة أخيه سيف الدولة، فاستولى عليه الحزن والملل فاختلط، لذلك عمد ولده أبو تغلب إلى حبسه في أحد القلاع وأحضر بين يديه جميع ما يحتاج إليه إلى أن لبّى نداء ربّه في ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين وثلثمائة.

الغضنفر بن ناصر الدولة

يكنّى بأبي تغلب، ولقبه عدّة الدولة، نال أبوه الولاية في ليلة الثلاثاء الرابع والعشرين من الشهر نفسه وتقدّم لطلب يد ابنة عزّ الدولة بختيار وأمهرها مأة ألف دينار، ولمّا قصد عضد الدولة أبناء عمّه أمدّه بالجيش لوجود المصاهرة المذكورة، ولكنّ عضد الدولة قصد ولايته، فلجأ أبو تغلب إلى المصريّين خوفاً منه، وقُتِل وهو متوجّه شطر المصريّين سنة تسع وستّين وثلثمائة على يد معرج بن دغفل.

عليّ بن عبدالله

كنيته أبوالحسن ولقبه سيف الدولة، كان ملكاً عظيم الجاه، استولى على دمشق وحلب بعد واقعة الأخشيد، واشتغل طيلة حكمه بقتال الروم، وهو غاية في الفضل وكان يحبّ الفضلاء، فلابدع أن يؤمّ قصده أفاضل العلماء ونالوا فضله

ورعايته، منهم الحكيم أبو نصر الفارابي الذي يُدعىٰ بالمعلّم الثاني، أقبل على مجلسه يوماً والمجلس غاصّ بالفضلاء وهو متنكّر، وظهرت عليه في المجلس تصرّفات غريبة، ولمّا عرفه سيف الدولة أجلسه معه على سريره وبالغ في إكرامه واحترامه. ومنهم ابن خالويه النحوي وأبوالفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني.

يقال: إنّ سيف الدولة كان إذا خرج إلى سفر يحمل معه حمل ثلاثين بعيراً كتباً، ولمأّا أهدى أبوالفرج كتابه الأغاني له استغنى عن حملها به واكتفى بالأغاني عنها.

وكان المتنبّي أحد شعرائه وندمانه، ونظم في مدائحه غرر قصائده، توفّي في صفر سنة ستّ وخمسين وثلثمائة.

جاء في تاريخ الملوك: إنّ سيف الدولة استدعىٰ أخاه ناصر الدولة للزيارة، فكتب إليه ناصر الدولة: إنّ ولاية الشام اليوم ليس لها راع يرعاها ولا وال يحميها فازحف عليها بعسكرك فإنّك تملكها حتماً. وصادف في ذلك الأوان أنّ الوالي عثمان ابن سعيد الكلابي ولّي على حلب وإنطاكيّة من قبل كافور الأخشيدي، ولمّا كان أهله وذووه يحسدونه فقد كتبوا إلى سيف الدولة كتاباً: إنّك إن قدمت إلى هذه النواحي فسوف تملك ولاية حلب بسهولة فائقة ونعينك على ذلك، وأدرك سيف الدولة يومئذٍ الاختلاف بين بني كلاب وضعف الوالي عثمان المذكور، فزحف بجيشه على حلب ولمّا بلغ الفرات تحمّل إليه إخوان عثمان وخفّوا لاستقباله، ولمّا عبر الفرات أخذ يسأل عثمان عن كلّ قرية يمرّ بها وعثمان يجيبه حتّى وصل إلى قرية تُدعىٰ «أبرم» فسأل سيف الدولة عثمان عن اسمها فأجابه «أبرم» فأدرك أنّها كناية عن كونه قد أبرمه من كثرة السؤال فلم يسأله عن أسماء القرىٰ الأُخرى. ولاحظ عثمان أنّ سيف الدولة اجتاز بعدد من

القرى ولم يسأله عنها، فعرف أنّ الأمير عرف من لفظ «أبرم» أنّه كنّى بها عن الإبرام، لذلك اندفع يخاطب سيف الدولة لرفع ظنّ السوء عنه، فقال: يا سيّدي يا سيف الدولة، أُقسم برأسك أنّ اسم تلك القرية التي عبرنا عليها توّاً هو «أبرم»، سل من تشاء من الناس لتقف على حقيقة ما أقول لك. فعجب سيف الدولة من ذكائه وفطنته. ولمّا وصل إلى حلب رفعه معه على سريره.

وذكر ابن كثير الشامي في تاريخه: لمّا أمر معزّ الدين بن بويه وهو أمير أُمراء خليفة بغداد بلعن معاوية صريحاً، ولعن أعداء آل البيت بالكناية، وأن يكتب ذلك على أبواب بغداد، أمر سيف الدولة أيضاً بكتابة ذلك على أبواب حلب لتشيّعه رحمه الله تعالى.

أبو المعالي شريف بن سيف الدولة

قام مقام أبيه ولُقِّب بسعد الدولة، وخرج عليه مملوك أبيه «قوعويه» واستلب منه حلب ثمّ تصالحا في آخر الأمر في سنة تسع وخمسين، وأمر قوعويه بقرائة الخطبة باسم أبي المعالي، وتوفّي في رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة.

أبوالفضل الملقّب بسعد الدولة

قام مقام أبيه وكان طفلاً لم يدرك بعد، فعهد به أبوه إلى لؤلؤ الجراحي، فطمع العزيز الإسماعيلي بذلك الملك فزحف عليه بجيش لجب، فلجأ لؤلؤ إلى روميّة فخرج القيصر بنفسه فانهزم منه قائد مصر (محويكتن ـ كذا) ولمّا بلغ العزيز الخبر نهض بنفسه. وأخيراً مات أبوالفضل في منتصف صفر سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالسّمّ، فحمل لؤلؤ ولديه أبا الحسن علي وأبا المعالي شريف على سرير الملك أيّاماً ثمّ خلعهم وسيّرهم إلى مصر، وانتهت دولتهم بذلك.

وجاء في تاريخ ابن خلّكان: أبو المطاع ذوالقرنين ابن المظفّر حمدان بن

ناصر الدولة أبي محمّد الحسن بن عبدالله بن حمدان التغلبي الملقّب وجيه الدولة (وقد تقدّم ذكر جدّه ناصر الدولة في حرف الحاء)... كان أبوالمطاع المذكور شاعراً ظريفاً حسن السبك، جميل المقاصد، توفّي أبوالمطاع في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وكان قد وصل إلى مصر في أيّام الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحبها فقلّده ولاية الاسكندريّة وأعمالها في رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة وأقام بها مقدار سنة ثمّ رجع إلى دمشق..[١]

فرع آل حمدان

أتابك لؤلؤ

كانت ابنته تحت سعد الدولة وليس له غير الاسم ومع ذلك لم يسلم من شرّ لؤلؤ، فقد سقته ابنته مع جاريتها سمّاً ناقعاً فقضى عليه، وبعد مدّة قليلة أخرج ولديه واستقلّ بالملك إلى أن هلك في ذي الحجّة سنة تسع وتسعين وثلثمائة.

أبو منصور بن لؤلؤ

تأمّر بعده ولقّب نفسه مرتضى الدولة، وقاتل بني كلاب سنة خمس وأربعمائة، واستناب على حلب غلام أبيه «فتح»، وأسر في هذه المعركة بأيدي بني كلاب حتّى فدىٰ نفسه بمال، ولمّا قدم إلى حلب لم يأذن له فتح بدخولها فذهب إلى الروم وسقط الملك بأيدي الإسماعيليّة، وبعد مدّة قليلة صار طعمة لبني كلاب.

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨١ وفي النصّ جملٌ لم ترد عند المؤلّف وإنّما أحببت أن لا أتصرّف بنصّ ابن خلّكان ثمّ أعتذر لسيّدي المؤلّف من ذكري جملاً اختصر بها النصّ.

الجند التاسع
الصفّاريّة

وجميعهم شيعة كما قال صاحب «تاريخ گزيده» في أثناء كلامه عن ترجمة شئون السلاجقة، وكان مدّة ملكهم ستّاً وخمسين سنة، وعددهم سبعة أشخاص كما ذكر ذلك مفصّلاً في كتب التاريخ، وأوّلهم:

يعقوب بن ليث السيستاني

قال مؤلّف «حبيب السير»: لم أعثر على رواية صحيحة عن نسبهم في الكتب المتداولة بأيدينا، ولكن شهريار المغفور له قال ذات مرّة أنّ الملك شاه يحيى الذي كان حيّاً في دولة أبي سعيد وكان في أيّام السلطان ذي الجاه الرفيع السلطان حسين ميرزا والياً على سيستان سنين طويلة، قال: ينتهي نسبي إلى الليث الصفّار، ويمتدّ حتّى يتّصل بالملك أنوشيروان العادل.

ومن مؤيّدات علوّ نسبه ورفيع حسبه أنّه ـ أي يعقوب ـ في بدء تنسّمه لنسيم الصبا ومبادي أحوال النشوء والارتقاء حين لم يكن له صاحب ولا أهل، وكان مستهلكاً لحوادث الأيّام، ما فتئ يرسم في خاطره خارطة الاستيلاء على العالم، وفي صغر سنّه ينزع إلى علوّ الهمّة ورفع لواء العالم بيديه.

روى الرواة: اجتمع لمّة من أحداث سيستان يسمرون ويخوضون في الطرائف

واللطائف بينهم، وكان يعقوب بينهم لم ينهض بعد لطلب الملك ولم ينشر راية الرجولة والبطولة، فقال أحدهم: أحسن الثياب «أطلس الخطا»، وقال الآخر: بل أحسنها وأحسن التيجان «الطاقية الروميّة»، وقال ثالث: خير من سكنى المنازل الروض الأريض المزهر بصنوف الورود والرياحين، وقال آخر من بعده: بل الخمر المعتقة أيضاً فيه خير من هذا وذاك، وقال من بعده: أحسن من كلّ حسن القيلولة تحت ظلّ الصفصاف، وقال آخر بعده: خير النغمات نغمة العود فإنّه أكثر انسجاماً مع الروح، وقال آخر من بعده: الأحداث ذووا الوجوه الحسنة والسيرة الزكيّة والسريرة الذكيّة أفضل للمنادمة من كلّ أحد.

فلمّا وصلت النوبة إلى يعقوب، قيل له: تكلّم أنت، فمالك صامت هكذا؟! فقال: أحسن اللباس الدرع، وأحسن التيجان الخوذ، وأحسن المنازل ميدان المعارك، وأشهى الأشربة دم الأعداء، وأرقّ الظلال ظلّ الرماح، وأعلى الرجال الأبطال في ميادين القتال.

وجاء في كتاب لطايف الطوايف: إنّ يعقوب بن ليث كان جالساً مع أحداث قومه وهو حدث مثلهم إذ أقبل عليهم شيخ مسنٌّ من أقربائه وذوي لحمته، فقال: أنت يا يعقوب شابّ حدث رشيق ورشيد، وقد بلغت السنّ التي تؤهّلك للزواج، فهلمّ يدك وجهّز نفسك لأخطب لك عروساً حسناء من أعيان قومك.

فأجابه يعقوب: يا أبتاه، إنّ هذه العروس قد اخترتها أنا وأعطيتها عهدي وميثاقي.

فقال الشيخ: ومَن هي يا تُرىٰ؟!

فاستلّ يعقوب سيفه من غمده وقال: إنّي خطبت عروس ممالك الشرق والغرب، ومددت لها يد العهد والميثاق بهذا السيف الجراز والصارم الحاد.

عروس ملك كسى در كنار گيرد چست   كه بوسه بر لب شمشير آبدار زند

عروس المجد يخطبها عظيم   يقبّل شفرة البتّار فوه

وكان ابتداء أمره أنّه وأخاه عمراً بن الليث كانا في خدمة «درهم بن نصر» في سيستان، وكان درهم منشغلاً بقتال الخوارج ولذلك اكتظّت ساحته بالغوغاء وعوام الناس، ثمّ إنّ درهم بن نصر جمع جيشاً لجباً منهم وأمّر عليه يعقوب بن ليث وأمره بقتال عمّار عامل الشراة، فسار بهم يعقوب وقاتل حتّى انتصر وقبض على العمّال كلّهم، وتوقّف بجيشه هناك وراح يخادع جند درهم بن نصر حتّى مالوا إليه بأجمعهم وأخذوا يقطعون الطرق، ولكن يعقوب جعل الإنصاف همّه الأكبر في ذلك العمل حتّى حاز أموالاً طائلة صارت سبباً في اجتماع الأوباش عليه، حتّى تمكّن من الأمر وأقبل إلى سيستان فاحتلّها، وطمع في خراسان لضعف خلفاء بني العبّاس وتسلّط الأتراك عليهم وانقطاع عبدالله بن طاهر عن خراسان، فسار إليها وقبض عليها وكان أميرها يومئذٍ محمّد بن عبدالله بن طاهر من قبل الخليفة المعتمد على الله وكان قد كتب إلى دار الخلافة مراراً بما آل إليه أمر يعقوب بن ليث ولكن لم يصله جواب منهم إلى أن ذهب بنفسه إلى بغداد حاضرة الخلافة وعرض الوضع على الخليفة ولكنّه شغل نفسه باللهو اللعب والقيان والمخانيث فلم يعنه من أمر الخلافة شيء.

ولمّا طال مكث محمّد بن عبدالله هناك ولم يأذن له الخليفة بالعودة، اختصّ بأحد خواص الخليفة فقال له: عليك أن تلجأ إلى «شاذان» المخنّث، وأغراه بعطاء ممتاز ليقضي لك حاجتك، فعمل محمّد بن طاهر بنصيحته فخرج له الإذن في اليوم التالي وعاد إلى خراسان واشتغل بقتال يعقوب، فأسره يعقوب وقوي أمره وزاد طمعه في خراسان فاحتلّها بأجمعها، واتّخذ من نيشابور دار

القرار إلى أن وافاه الأجل المحتوم في سنة أربع وأربعين وثلثمائة.

ومن دلائل تشيّعه المذكورة في تاريخ ابن كثير وكتاب معجم البلدان و تاريخ روضة الصفا المذكور ما يلي: بلغه عن أبي يوسف يعقوب بن سفيان بن معقل الأموي يقع في عثمان بن عفّان ويطعن فيه، فأمر يعقوب بن ليث بإحضاره ليؤدّبه، فقال له الوزير: أيّها الأمير، إنّه لا يطعن في عثمان بن عفّان السنجري شيخك بل في عثمان بن عفّان الصحابي، فقال يعقوب: إذن دعوه فلا حاجة لنا في الصحابة، إنّي ظننت أنّه يطعن في شيخي السنجري.

ومن آثاره ترجمة «تاريخ ملوك العجم» الذي جمعه من تواريخ متفرّقة دهقان مؤبد وهو شابّ شجاع ومن سلسلة الدهاقيق ومن أعلام المدائن ويُعرَف بالحكمة ويوصف بالعلم، وكتب تاريخ هرمز بن أنوشيروان إلى ختام ملك خسرو برويز مرتّباً، وألحق به ما ذكره الحكيم الفردوسي في هذا الباب.

مثنوي

یکی نامه بود از گه باستان　　فراوان بدی اندر او داستان
پراکنده بر دست هر موبدی　　ازو بهره نزدیک هر بخردی
یکی پهلوان بود دهقان نژاد　　دلیر و بزرگ و خداوند راد
پژوهندهٔ روزگار نخست　　گذشته سخنها همه باز جست
زهر کشوری موبدی سالخورد　　بیاورد کین نامه را یاد کرد
بپرسیدشان از کیان جهان　　از آن نامداران فرّخ مهان
که گیتی به آغاز چون داشتند　　که ایدون بما خوار بگذاشتند
چگونه سرآمد بنیک اختری　　بدیشان چنان روزکُندآوری
بگفتند پیشش یکایک مهان　　سخنها زشاهان و گشت جهان

چو بشنيد ازيشان سپهبد سخن | يكى نامور نامه افكند بن
چنين يادگارى شد اندر جهان | بدو آفرين از كهان و مهان[1]

ولمّا وقع الكتاب بأيدي المسلمين حين فتحوا المدائن واستخرجوا الدفائن، وكان الكتاب في بيت يزدگرد وهو آخر ملوك العجم، ولمّا اقتسم الجيش الغنائم صار الكتاب في سهم أهل الحبشة فأخذوه هديّة إلى ملك الحبشة فأمر بترجمته وأنس بمطالعته أُنساً عظيماً، وشاع في بلاد الحبشة، وتداولته الأيدي في أكثر بلاد الحبشة، وخرج منها إلى الدكن وباقي بلاد الهند، وتداولته الأيدي في تلك الأصقاع أيضاً إلى خراسان.

ولمّا استولى يعقوب بن الليث على خراسان أرسل قاصداً إلى الهند وأقبلوا بالكتاب إليه، فأمر أبا منصور عبدالرزّاق بن عبدالله فرّخ أن ينقله من البهلويّة إلى لغة الفرس المتداولة ويلحق به جميع الأحداث التي وقعت من عهد خسرو ابرويز إلى ختام ملك يزدجرد بن شهريار، ثمّ أمر أبا منصور عبدالرزّاق بن عبدالله فرّخ وكان معتمد الدولة في عهده وسعد بن منصور العمري مع أربع آخرين وهم التاج ابن الخراساني من هرات، الثاني: يزدان داد بن شابور من سيستان، الثالث: ماهور بن خورشيد من نيشابور، الرابع: سليمان بن برزين من طوس، في سنة ستّين وثلثمائة الهجريّة أن يتمّوه ففعلوا، استنسخ منه نسختان لخراسان والعراق، وزادت النسخ المنسوخة من هاتين النسختين.

ولمّا آلت الدولة من آل يعقوب إلى آل سامان اعتنى هؤلاء بالكتاب وأقبلوا على قرائته بحيث أمر الأمير إسماعيل أحمد الساماني «دقيقي الشاعر» أن ينظمه

---

(١) أعتذر إلى القارئ من ترجمة هذه القطعة إلى الشعر لأنّي عالجت ذلك فلم يتيسّر لي وأرجو مخلصاً قبول عذري.

شعراً فنظم منه ألف بيت وبلغ به إلى ملك گشتاسب وحربه مع أرجاسب ولكنّه لم يوفّق لإتمامه لأنّه قُتِل بيد مولاه إلى أن انقضت دولة السامانيّين واستند السلطان محمود بن سبكتكين على عرش الملك وبما أنّه نشأ في الدولة السامانيّة وكان مملوكاً لها وكانت طريقتهم في الحياة تعجبه وتثير اهتمامه، مِن ثَمّ اقتدى بهم واقتفى آثارهم الحسنة من ذلك اشتعال الرغبة في نفسه بمطالعة تاريخ ملوك العجم، فأراد أن يضيف إلى ذلك التاريخ فصولاً ويترك أثراً له مشاهداً لم يصدر من أحد من الليثيّين أو السامانيّين، وارتسمت في ذهنه حكاية الدقيقي الشاعر وما تحمّله من النظم وقتله بيد مولاه قبل أن يتمّ مشروعه، لذلك بقي الأمل يراوده زماناً أن يجمع تلك الغرر والدرر ويؤلّف منثورها في سلك واحد، ورأى أنّ العهدة ينبغي أن تلقىٰ على عاتق «العنصري» الشاعر لأنّه ملك الكلام والقابض على أزمّته وابن بجدته، وكان الرجل قد نظم حكاية «رستم وسهراب» نظماً جميلاً، وأخيراً كلّ ما يذكر في شرح أحوال الفردوسي المذكور آنفاً سوف يتمّ على يد هذين الرجلين.

عمرو بن ليث

لمّا توفّي أخوه أُقيم مقامه واستولى على ممالك خراسان كلّها، وبلغ درجة عليا أن كان يخطب باسمه في بغداد، وكانوا قبلاً لا يذكرون إلّا الخليفة، ولا يدعون لغيره، وقصد العراق سنة سبع وثمانين ومأتين لتقويض الخلافة العبّاسيّة وتوجّه نحو بغداد بجيش لجب، ولمّا كان المعتضد العبّاسي هو الخليفة يومئذٍ وعلم بخبر عمرو هذا عمد إلى استعمال الحيلة بإشارة من وزيره عبدالله بن وهب لدفع شرّ عمرو، ورأى المكيدة أنفع والمكر أنجع، وذلك مشهور في كتب التاريخ.

وصفوة القول أنّ عمراً هزم في هذه المعركة وتوجّه صوب خراسان، ودارت بينه وبين الأمير إسماعيل الساماني الذي كان سيّد الموقف في ماوراء النهر معارك ضارية في بلخ، فأُسر عمرو فيها وأرسلوه إلى الخليفة في بغداد، وتوفّي في محبسه.

ومن آثار عمرو المسجد الجامع في شيراز.

ذكروا بأنّ عمرو بن الليث كانت له قاعدة سار عليها في جيشه بأن يعطي كلّ قائد يعرض عليه ألفاً من الجنود هراوة من ذهب، وذات يوم عرضوا عليه العسكر فرأى في ديوانه اسم مائة وعشرين أميراً، ومع كلّ أمير هراوة ذهبيّة قد كتبت أسمائهم في ذلك الديوان لأنّ كلّ أمير قد أكمل النصاب ألف جندي، ولمّا شاهد ذلك انتحب باكياً ورمى بنفسه عن الفرس على الأرض ووضع وجهه على التراب وظلّ يبكي وينتحب طويلاً حتّى مضت برهة من الوقف وعاد الأمير إلى سكونه، وعاودته السكينة، سأله أحد ندمانه ممّن كان يجرأ على سؤاله فقال: أيّها الأمير، ليس وقتك هذا وقت بكاء وصياح، فما الذي جرى لك؛ ملك واسع، ووزير طائع، وأُمراء مؤتمرون بأمرك، وعملك ماضٍ وأمرك نافذ على عمّالك، ولك مأة ألف وعشرون ألف فارس مجهَّزون بالعتاد، وزرعك في روض اقتدارك قد استوى على سوقه، فما معنى بكاؤك؟

فقال عمرو: لمّا رأيت الجيش بين يدي، والألوية والرايات تخفق علَيّ، والخدم والحشم يطوفون بي وهم مستعدّون للانقضاض على العدوّ تذكّرت واقعة الطفّ وقلت في نفسي: لماذا لم أكن حاضراً يومئذٍ بهذا الجيش في تلك الساحة المدمّاة حين كان الحسين وحيداً فريداً، فياليتني كنت حاضراً كربلاء بهذا الجيش وأُغبّر في وجوه أعداء أل البيت وآخذ بثأرهم وأنصرهم على عدوّهم، فإمّا الشهادة وإمّا الظفر.

وتمام الحكاية أنّهم رأوه في المنام وعلى رأسه تاج مرصّع وجبّة مزركشة قد لفّ وسطه عليها محلّاة بالجواهر والدرر وهو على كرسيّ من كراسي الجنّة ومن حوله المماليك اللطاف والولدان اللّامعة غررهم كاللجين عن اليمين وعن الشمال، فقيل له: الى مَ آل إليه أمرك بعد الوفاة؟ فقال: رحمني الله وأرضى عنّي خصومي بسبب تلك النيّة التي كانت في نفسي يوم عرض العسكر[1]، وما أضمرته من حبّ الشهادة مع سيّدالشهداء، وما داخلني من الرقّة للشهداء والمظلومين يوم كربلاء.

قال صاحب روضة الشهداء عليه الرحمة: نستنبط من هذا الحديث نكتة دقيقة وهي ما يدلّ عليه المفهوم أنّ تمنّي نصر الإمام الحسين عليه السلام في القلب يكفي في النجاة ويكون جزاء المتمنّي الارتفاق في الغرفات وعلوّ الدرجات.

شعر

شهيدان را بچشم كم مبين كايشان به هر زخمى
كه اينجا يافتند آنجا زرحمت مرهمى يابند

لا ترمقنّ شهيداً قضى بعين هوان
جراحه ستداوىٰ غداً بخفض الجنان
وسوف يلقىٰ جزاءاً من ربّه الرحمان

وهرب طاهر بن محمّد بن عمرو بعد أسر عمرو إلى سيستان وتوفّي هناك، وبقي جماعة في تلك الديار منهم يملكون جهات منها ولكن أتى عليهم ذواتىٰ بعد زمان قصير وهلكوا بالجملة وانقرضت دولة آل الصفّار.

---

(١) أنا أقلّ من أن أعترض على مولاي وسيّدي الشهيد الثالث ولكنّي أحسبه أخذها من كتاب «روضة الشهداء».

الجند العاشر
في بيان حكّام بني عقيل

حسام الدولة مقلّد بن مسيّب بن جعفر بن عمرو بن مهنّا

ويُدعى «الأعور» وهو معاصر للقادر العبّاسي وكان هو الذي لقّبه به، وكان في عسكره ثلاثة آلاف جندي من الترك والديلم سوى قبيلتي بني عقيل وعرب خفاجة، وكان حاكماً على الموصل وبعض أقاليم العرب مدّة من الزمان.

وقال صاحب تاريخ مصر «النجوم الزاهرة»: كان ينظم الشعر الجيّد وهو ذو رفض فاحش حتّى نقل عنه أنّه أوصى أحد الحجّاج فقال: إذا وصلت إلى المدينة بلّغ سلامي على رسول الله ﷺ وقل له: لولا أنّ أبابكر وعمر مدفونان عندك لأكثرت من زيارتك على الرأس والعين.

مصراع

*** همسايهٔ بد مباد كس را ***

*** ترك الحبيب لجاره الملعون ***

وفي سنة إحدى وتسعين وثلثمائة قُتِل على يد أحد مماليكه. يقول اليافعي: وللسيّد رضي الدين قصيدة يرثيه بها.

معتمد الدولة أبو المقنع قرواش بن مقلّد

قام من بعده وهو كما جاء في تاريخ ابن خلّكان: شابٌ أديب ظريف شاعر، وكان كريماً وهّاباً نهّاباً. وفي سنة إحدى وأربعمائة قبل الدعوة الإسماعيليّة ودخل فيها وأجرى في ولايته كالموصل والمدائن والكوفة الخطبة باسم الحاكم لدين الله الإسماعيلي وتصدّر بهذه العبارة: (الحمد للّه الذي انجلت بنوره غمرات الغضب، وانهدمت بقدرته أركان النصب، واطّلع بنوره شمس الحقّ من المغرب).

والفقرة الأُولى ناظرة إلى أنّ الخلافة الحقّة هي الخلافة العلويّة، وبنو العبّاس غاصبون لها، والفقرة الثانية ناظرة إلى أنّ قوّة الخلفاء الإسماعيليّين ومن تابعهم هدمت أركان النصب والعداوة لأهل البيت الذي هو أساس مذهب أهل السنة والجماعة، والفقرة الثالثة ناظرة إلى تعريف الخلفاء الإسماعيليّين بأنّهم سلاطين المغرب وهم شموس طلعت من جهة المغرب، ولكنّه غيّر الخطبة بواسطة غلبة أهل السنة والجماعة واستدعاء القادر العبّاسي، لذلك حكم قرواش خمسين عاماً ولكن أخاه زعيم الدولة قبض عليه وقيّده وحبسه في القلعة الجراحية بالموصل إلى أن توفّي في مستهلّ رجب سنة أربع وأربعمائة.

زعيم الدولة أبو كابل بركة بن مقلّد

وقع بين وبين أخيه قرواش في سنة أربعين وأربعمائة نزاع شديد واصطلحا في سنة إحدى وأربعين ولكنّهما عادا إلى النزاع مرّة ثانية فقبض عليه أخوه سنة اثنين وأربعين وفي شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ودّع هو الحياة.

بدران بن مقلّد

تقلّد الحكم بعده، وفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة استولى على نصيبين.

علم الدين قريش بن بدران

حكم بعد عمّه زعيم الدولة وكان مشاركاً في واقعة البساسيري والقبض على القائم العبّاسي، ونـهب دار الخـلافة ولجأ إليـه رئـيس الرؤسـاء وزيـر القـائم العبّاسي، وكان يُعرف الوزير بالتعصّب الشديد لأهل السنة على الشيعة، وقـد لقي منه أهل بغداد أذىً كثيراً لذلك لم يلق إليه بالاً وتركه حتّى قُتِل على أقبح وجه، وأخيراً مات قريش في نصيبين.

شرف الدولة بن قريش

حكم بعد أبيه واستولى في سنة ثمان وخمسين على الشام وحلب والموصل والأنبار، وفي سنة اثنين وستّين وأربعمائة خطب أُخت السلطان ألب ارسلان «صفيّة»، وخلّص حلب في سنة ثلاث وسبعين من أيدي بني مرداس، وتوجّه بعسكره إلى الشام، وحاصر دمشق مدّة من الزمن، ولمّا دنىٰ فتحها وردت إليه أخبار عن شغب أهل حرّان عليه فتحوّل من هناك إليهم وبعد ذلك تغلغل في بلاد الروم وانتزع عدّة ولايات منهم وأضافها إلى ملكه، ونازعته نفسه للاستيلاء على بغداد.

قال ابن خلّكان: ولم يكن من أهل بيته من ملك مثله، وكانت سيرته مـن أحسن السير وأعدلها، وكانت الطرقات آمنة فـي بـلاده.. وجـرى بـينه وبـين سليمان بن قتامش (قتلمش ـوفيات) السلجوقي صاحب الروم مصاف قُتِل فيه على باب انطاكيّة في خامس عشر صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة يوم الجمعة. وقال بعضهم (وذكر المأموني ـ وفيات في تاريخه) أنّه وثب عليه خـادم مـن خواصّه فخنقه في الحمّام[1].

(١) وفيات الأعيان ج٥ ص٢٦٨.

وجاء في كتاب «تاريخ الملوك»: إنّ شرف الدولة ملك فاضل كريم حليم شاعر، وذكره العماد الكاتب في كتاب «الخريدة» قائلاً: وكان لقبه مجد الدين سلطان الأُمراء سيف أميرالمؤمنين، ملك بلاد الشام صلحاً وعنوة [وفتح لهم باب العدل والإنصاف، وبلغ كرمه به حدّاً أنّه لمّا مدحه] ابن حيّوس في آخر عمره أقطعه الموصل، ولم يلبث ابن حيّوس بعدها إلّا ستّة أشهر وإلى جوار ربّه انتقل(١).

وترك بعد وفاته مالاً وكراعاً كثيرة جدّاً، وعرض بعض أركان الدولة صورة أمواله على شرف الدولة وقال له: إنّ هذه الأموال مصيرها إلى خزانة الدولة، فغضب شرف الدولة من قوله وهمّ بقتله وقال له: ويلٌ لك، تريدني أن أطمع بمال سمحت له به نفوس الناس ووهبته له أكفّ الكرماء، وجمع من فواضل عطاياهم، وأن أجعله في خزانتي، فابعد عن خدمتي لأنّك لا تليق لها، ثمّ أمر بعزل المال في موضع حتّى يعرف له وارث، وبقي هذا المال زماناً محصوراً ولم يعرف له وارث، وقيل لشرف الدولة أخيراً: إنّ له بحرّان ابنة أُخت لو أمرت بدفع المال لها، فأمر بذلك.

وذكر الرواة: إنّ ابن حيّوس لمّا قصد خدمة شرف الدولة، استأذن له بعض الندمان لدخول المجلس وقالوا: إنّه شاعر متكبّر ويسمّي نفسه الأمير ويقرأ شعره جالساً وإن كان في مدح الملوك وشأن السلطان أرفع من ذلك أن يقتدي بغيره من الملوك في هذا المكان، والتدبير يقتضي أن يقرأ شعره في مكان خال من الفراش إلّا من كرسيّ واحد يجلس عليه السلطان فسوف يضطرّ ابن حيّوس إلى القرائة واقفاً، وعملوا بهذا الرأي، ولمّا دخل ابن حيّوس إلى المجلس ولم يجد مكاناً للجلوس قرأ شعره واستهلّه بهذه القصيدة التي أوّلها:

(١) العماد الاصفهاني: ج ٢ ص ١١ آلي.

ما أدرك العـزمات[1] مثل مصمّم إن أقدمت أعداءه لم يحجم

حتّى إذا بلغ إلى هذا البيت:

أنت الذي نفق الثناء بسوقه وجرى الندى بعروقه قبل الدم

قام شرف الدولة على قدميه وأمر بالفراش فبسطوه بالمكان وقال له: اجلس، فجلس وأتمّ القصيدة جالساً، وبعد ذلك أقطعه الموصل.

ومن محاسن عهده أنّه طلبت منه حاجة ذات يوم وكان راكباً معه إلى أن بلغ مقرّ استراحته، ولمّا همّ شرف الدولة أن يدلف إلى محلّ أُنسه، قال له ذلك الرجل: أيّها الأمير، لا تنس حاجتي. فقال له شرف الدولة: إذا قضيتها نسيتها.

ومن مكارمه أنّه حين حاصر ابن منقذ في قلعة سيرز[2] اشتدّ الحصار على أهل القلعة، فخرج نساء ابن منقذ خارج القلعة وقصدن حرم شرف الدولة حتّى إذا بلغنه توسّلن بزوجة شرف الدولة وجرت لفظة الجار على ألسنهنّ وتشفّعن بها لشرف الدولة أن يفكّ الحصار عنهنّ، فقبل شرف الدولة لحلمه وحياءه ورحمته رجاءهنّ ومع قدرته على اقتحام القلعة وقد سمع أيّام الحصار منهم سبّاً مقذعاً له ولحرمه إلّا أنّه عفى عنهم وسار بجيشه من القلعة وترك حصارها.

إبراهيم بن قريش

أخرجه أعيان بني عقيل من سجنه وأجلسوه على مسند الحكومة ولكن طول مدّة السجن أثّرت على سلوكه فلم يدر كيف يداري الحكم، ولكن صفيّة خاتون بنت جعفر بيك زوجة أخيه استعان بها فنظمت أُموره إلى سنة اثنين وثمانين حيث استدعاه السلطان ملكشاه إلى إجراء الحساب في ديوانه فقيّده

---

(١) الطلبات ـ الخريدة.

(٢) وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم.

وحمله معه في هجومه على سمرقند، بعد ذلك أطلقته السلطانة تركان خاتون فذهب إلى الموصل وجلس على سرير حكومته حتّى أزمع السلطان تنش بن أرسلان على غزو العراق وبدأ بالموصل وجرت بينهما في ربيع الأوّل سنة ستّ وثمانين في موضع «منصع» معارك قتل فيها إبراهيم.

محمّد بن شرف الدولة

ربّاه السلطان ملكشاه واقترن سنة تسع وسبعين بشقيقته المسمّاة بزليخا، فوهب له جلّ ديار ربيعة التي كانت لأبيه، وله أخ اسمه عليّ من صفيّه خاتون المارّ لها ذكر، وجرت معارك بين الإخوان بعد رحيل السلطان، ظهر فيها عليّ عليهم، ولمّا خلص عمّه إبراهيم من الحبس عهد إليه بالملك، وأخيراً قُتِل في حرب كربوقا[1] سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

علي بن شرف الدولة

ولّي على الموصل بعد عمّه بتفويض ابن خالته «تنش» حتّى فتحها كربوقا بعد حصار طويل دام تسعة أشهر سنة تسع وثمانين وأربعمائة، فذهب عليٌّ من هناك إلى الأمير صدقة الأسدي وقُتِل بأيدي الأعراب من بني نمير في جمادى الأُولى سنة خمس وتسعين وأربعمائة وانتهت تلك السلسلة به.

(١) الملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا ملك الموصل سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

الجند الحادي عشر
في شرح حال بني أسد ويُدعَون المزيديّين أيضاً

وكانت هذه القبيلة شيعة أميرالمؤمنين منذ الزمن القديم، مع أنّ شوكتهم في هذه الأيّام قد خضدت إلّا أنّهم لهم وجود متميّز بين الأعراب في بلاد العرب وفي خوزستان، وقد تفرّقوا هاهنا وهاهنا، ولجأ كلّ فريق منهم إلى بني لام الذين كانوا على مذهب مالك ولكنّهم بقوا على تشيّعهم بل ازدادت عقيدة التشيّع رسوخاً فيهم ولكنّهم يستعملون التقيّة في إظهار التولّي والتبرّي، ويؤيّد هذا المذهب عناية آل بويه بهم.

أبوالحسن بن مزيد الأسدي

خلع عليه سلطان الدولة الديلمي في سنة ثلاث وأربعمائة وفوّض إليه إمارة أُولئك القوم، وفي سنة ثمان وأربعمائة في ذي القعدة لبّى نداء ربّه.

دبيس بن علي الملقّب بنور الدولة

قام مقام أبيه فخالفه أخوه «مقلّد» ولكن الغلبة كانت لدبيس.

ذكر في تاريخ مصر: إنّه كان جواداً ممدحاً وكان محطّ رحال الرافضة[1].

---

(١) النجوم الزاهرة ج٢ ص١٩ وختم قوله بعد ذكر الرافضة بلفظ: «أخزاهم الله». وأقول: كيف يخزي الله شيعة عليّ ولا يخزي شيعة معاوية ومؤلّف النجوم منهم.

وجاء في تاريخ ابن كثير: إنّه في عهد القائم بأمر الله خليفة بغداد تسلّط على الرافضة (شيعة باب الكرخ) عيّار يقال له القطيعي، وكان يتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة، وعظمت المحنة بسببه جدّاً، ولم يقدر عليه أحد، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر، ولمّا بلغ ذلك دبيس بن عليّ بن مزيد وكان رافضياً قطع خطبة الخليفة ثمّ روسل فأعادها[1].

وتوفّي في «مطارآباد» بعد حكم دام سبعاً وستّين سنة أو سبعاً وخمسين عن عمر ناهز الثمانين في شوّال سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

أبو كامل منصور بن دبيس الملقّب ببهاء الدولة

ذهب إلى لقاء السلطان ملكشاه في ذي القعدة فأسند إليه منصب أبيه وكان فاضلاً شاعراً واعتنى بطبقة أهل الفضل والشعر، حكم عراق العرب سبعاً وستّين سنة حتّى توفّي في ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

وفي كتاب تاريخ الملوك ذكرت له هذه الأبيات من أشعاره:

شعر

أُولئك قومي إن أعدّ الذي لهم ... أُكرَم وإن أفخر بهم لا أكذب
هم ملجأ الجاني إذا كان خائفاً ... ومأوى الضريك[2] والفقير المعصّب
بطاء عن الفحشاء لا يحضرونها ... سراع إلى داعي الصباح المثوب
مناعيش للمولىٰ مساميح بالقرىٰ ... مصاليت تحت العارض المتلهّب
وجدت أبي فيهم وخالي كليهما ... يطاع ويؤتىٰ أمره وهو محتبي
فلم أتعمّل للسيادة فيهم ... ولكن أتتني وادعاً غير متعب

(١) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٧٩.

(٢) الضريك: الفقير.

وأيضاً:

فإن أنا لم أحمل عظيماً ولم أقد لهاماً ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر للعاني وأمنع جوره علام أُنادى للفخار فأنتمي

وأيضاً:

ما لامني فيك أعدائي وعذّالي إلّا لغفلتهم عنّي وعن حالي
لا طيّب الله لي عيشاً أفوز به إن دبّ سكر سلوّ عنك في بالي[1]

سيف الدولة صدقة بن منصور

حكم البلاد وكان منزله دار الخائفين، وقد بنى الحلّة التي هي دار المؤمنين وموطن الأفاضل والمجتهدين من الشيعة منذ بناها في محرّم سنة خمس وتسعين وأربعمائة إلى اليوم، ولهذا اشتهرت بالحلّة السيفيّة، ويقال له: ملك العرب، وكان غاية في الفضل والفقه، وصاحب بأس وهيبة وسطوة.

وجاء في تاريخ مصر: إنّ سيف الدولة كان كريماً عفيفاً عن الفواحش، وكانت داره ببغداد حرماً للخائفين، لم يتزوّج غير امرأة واحدة في عمره ولا تسرّىٰ قطّ، وكانت سيرته مشكورة وخصاله محمودة، وإن لم يسلم من مذهب أهل الحلّة فإنّ أباه كان من كبار الرافضة[2].

وذكر اليافعي في تاريخه: إنّ سيف الدولة كان شيعيّاً معروفاً بمحاسن الأخلاق وعلوّ الهمّة والجود والحلم، تأمّر بعد أبيه على العرب اثنين وعشرين سنة وكان صاحب بأس وهيبة.

---

(١) ورد هذا الشطر عند المؤلّف هكذا: «إلّا دبّ شكر التسلّي عنك في بالي» وصحّحناه من الخريدة والشعر مذكور فيها ج ١ ص ١٨١ آلي.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٩ آلي.

وذكر صاحب تاريخ جهان آرا: إنّ سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب «آوه» أساء إلى السلطان محمّد شاه في خدمته، وارتكب جناية بحقّه فلجأ إليه بناءاً على اشتراكهما في التشيّع، وكلّما طلبه السلطان فلم يدفعه إليه ولكن خُتِم له بالقتل، فقد حشد صدقة خمسين ألف فارس وراجل واستقبل بها محمّد شاه فقُتِل في التاسع من رجب سنة إحدى وخمسمائة في هذه المعركة، ومن أشعاره هذه الأبيات اللطيفة:

هبني كما زعم الواشون لا رحموا ... أذنبت حاشاي مذ زلّت بي القدم[١]

وهبك ضاق عليك العفو عن جرم ... لم أجنه أيضيق العفو والكرم[٢]

ما أنصفتني في حكم الهوىٰ أُذنُ ... تصغي لواشٍ وفي[٣] عذري بها صمم

دبيس بن صدقة الملقّب بنور الدولة

قام مقام أبيه.

قال القاضي ابن خلّكان: كان (شابّاً) جواداً كريماً، عنده معرفة بالأدب والشعر (ونال منه النصيب الأوفر).. ودبيس المذكور هو الذي عناه الحريري صاحب المقامات لأنّه كان معاصره فرام التقرّب إليه بذكره في مقاماته[٤].

ولمّا وافق السلطان مسعود بن محمّد بن ملكشاه السلجوقي غضب منه المسترشد العبّاسي وأدّى ذلك إلى توتّر العلاقة بينهما، فخاف من المسترشد أن يقصده، وفي تلك الأيّام تمّ القضاء عليه بحكم السلطان مسعود السلجوقي في

---

(١) غرر الخصائص الواضحة: «إنّي أسأت وزلّت منّي القدم».

(٢) «ضاق منك العفو والكرم» ج ١ ص ٣١٤.

(٣) وعن.

(٤) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٦٣.

الواحد والعشرين من ذي الحجّة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بظاهر خوي على أثر الفتنة القائمة.

صدقة بن دبيس

أُقيم مقام والده، وفي سنة إحدى وثلاثين عندما قدم السلطان مسعود إلى بغداد أقبل إليه مذعناً ولكنّه في سنة اثنين وثلاثين اتفق مع داود بن محمود عداءاً للسلطان، وفي شعبان من السنة المذكورة قُتِل في تلك الحروب.

عليّ بن دبيس

صارت له السيادة على القوم بعد أخيه، وأخيراً توفّي في أسد آباد من همدان في شهور سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

قال صاحب تاريخ مصر: كان (عليّ بن دبيس) شجاعاً جواداً إلّا أنّه كان على عادة أهل الحلّة رافضيّاً خبيثاً[1]، اتّهم أصحابه محمّد بن صالح فيه فمات خوفاً من ذلك وانتهت به سلسلتهم.

(١) النجوم الزاهرة ج٢ ص٨٢ آلي.

الجند الثاني عشر
في شرح أحوال الإيلخانيّة أصحاب ايران والروم

هلاكوخان بن تولي خان بن چنكيز خان

توجّه إلى إحكام السيطرة على ايران في ربيع الأوّل سنة إحدى وخمسين وستّمائة بأمر أخيه «منكوقاآن» ونزل في سمرقند سنة ثلاث وخمسين، وفي «كان» منها، وعبر جيحون في العام نفسه، وبناءاً على إرادة الربّ القدير وحسن التدبير للعالم النحرير عديم النظير الخواجه نصير الدين محمّد الطوسي طيّب الله مشهده وكان يقيم مضطرّاً في القلعة الميمونة «الدز» من قلاع الملاحدة، فأرسله صاحبها إلى «هلاكوخان» بكتاب، فسهل على الخان احتلال تلكم القلاع وقتل الملاحدة.

وفي سلخ شوّال سنة أربع وخمسين وستّمائة تمكّن السلطان خورشاه من محاصرة الملاحدة والقضاء على طائفة «الخنديّة». ومن الصدف الحسنة أنّ لفظ الخنديّة يوافق التاريخ[1]. وفي أثناء هذه النهضة بلغ تقرّب «الخواجه» حدّاً أن أصبح محرماً في الحرم الإيلخاني الرفيع، وعهد إلى «البيجوم» أن تتّفق معه في قبول الإسلام، فأسلم الإيلخان والبيجوم سرّاً من أعلام العسكر، واشتهر عنه

---

(١) لعلّه يشير إلى التاريخ بالحروف الأبجديّة.

بأنّه أعذر له. وما يراه بعض القاصرين من استبعاد إسلامه فهو من قبيل السخائف والأوهام «وليس هذا أوّل قارورة كُسِرت في الإسلام» لأنّه من الثابت أنّ بعض القدماء من هذه الأُسرة تشرّفوا بالإسلام كما صرّح بذلك صاحب حبيب السير وقال: إنّ «مغول» اسم أوّل سلطان نسب إليه طبقةالمغول وأسلم أرغون خان بن قراخان وهو ابن أخيه.

وجاء في روضة الصفا: إنّ «اوكتاي قاآن» بن چنكيز خان رجّح دين الإسلام على سائر الأديان وزرع بذور محبّة نبيّ آخر الزمان في فضاء العرفان. وكذلك جاء في أحوال منكوقاآن وهو الأخ الأكبر لهلاكوخان، مع أنّه كان تابعاً لملّة عيسى عليه السلام فقد اجتهد في تشييد وتأييد الشرع المصطفوي، وخصّص لأئمّة الإسلام والمشايخ العظام عطاياً ضخاماً وإنعامات عظاماً كلّ ذلك كان بتدبير وإيعاز من الخواجه نصيرالدين الطوسي، وآخر الأمر تكفّل الخواجه بعد تشييد إسلام الإيلخانيّين بتدبير «الأوراد»[1].

ولمّا علم مؤيّد الدين محمّد بن العلقمي القمّي وزير المستعصم العبّاسي أنّ الخواجه يدير مالك الإيلخانيّين، أرسل إليه كتباً وإلى الإيلخان ورغّبهما في غزو بغداد دار السلام وتطويعها والانتقام من تنمّر العبّاسيّين على عترة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام. فعزم الإيلخان بتحسين الخواجه على قصد تلك الديار، وأمر الجيش بالاستعداد للهجوم على بغداد، وبعد طيّ المنازل وقطع المراحل وإرسال الرسائل والتي قد ورد جملتها في كتب الأوائل. وفي يوم الأحد الرابع من صفر سنة ستّ وخمسين وستّمائة خرج الخليفة مع الأُمراء وولديه أبي بكر

---

(١) يقصد بهذا الجمع «دخل الدولة» وإنّي آثرته على غيره خشية أن يكون أشار به إلى معنىً آخر لم ينفتح له ذهني.

وعبدالرحمن وطائفة من العلويّين والعلماء وخواصّ مواليه من جادة بلاد العدم يعني درب بغداد وصدر الحكم على الخليفة أن يقيّد ثلاثة أيّام على أحد قوائم عرش الإيلخان، وبعد ذلك شاور الإيلخان الخواجه نصير الدين في القضاء عليه.

فقال له الخواجه: إنّ أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم لأُمّة الإسلام يرون الخليفة إمام الحقّ وقائد الصدق وله الإمامة المطلقة على نفوسهم وأموالهم، ولا يمكن أن يسبقه سابق أو يلحق به لاحق، فلو تخلّصنا من هذه الورطة فليس من البعيد أن تعود الحيّة من جديد حيّةً، وتأتيه العساكر من الأطراف والأكناف، وتقوم الحرب كرّة أُخرى على قدم وساق، ونضطرّ إلى تجشّم الركوب وتكلّف الإنفاق على الأسفار، والرجل العاقل لا يدع الفرصة تفلت من يديه، ولا يترك الحبل ينتزع منه على أمل العودة إليه، ولا يتصوّر للعدوّ حبساً أحسن من حبس العدم.

شعر

رخنه گر ملک سرافكنده به　　　لشكر بد عهد پراكنده به

ولمّا علم الإيلخان أنّ نصيحة الخواجه مبرّأة من الأغراض الفاسدة أمر عند ذلك بقتل الخليفة فانبرىٰ حسام الدين المنجّم وكان في باطنه يوالي بني العبّاس بعد سماعه الخبر فقال للسلطان: إذا قتل الخليفة يطبق الظلام على العالم وتظهر علامات يوم القيامة وأماراتها، وكال له من هذا النوع من الجملات المرعبة والكلمات المخرّبة حتّى لابس الإيلخان الوهم فرجع مرّة ثانية إلى الخواجه فأجابه: لقد قتلوا زكريّا النبي ويحيى ابنه المعصومان عليهما السلام فلم تبدو في السماوات ولا في الأرضين مثل هذه العلامات، وما قاله حسام الدين من هذه الأحوال لا يقبل، ولا يحدث في قتل بني العبّاس، لأنّ فدائيي الإسماعيليّة قتلوا

عدداً من هؤلاء وما زال الفلك الدوّار يدور والدهر الغدّار يثور فلم تنكسف الشمس ولا انخسف القمر.

وطلب الإيلخان من حسام الدين موعداً لذلك فأعطاه لشدّة تعصّبه، عند ذلك جزم الإيلخان بأمر الخواجه بقتل الخليفة، ولمّا صدر الأمر الملكي بقتل الخليفة تقدّمت القبيلة إلى الإيلخان وطلبوا منه بناءاً على دعوى حسام الدين أن يتمّ الاحتياط التامّ في قتل الخليفة وسقيه الحمام فلا يغمس السيف بدمه ولا يقضوا عليه مرّة واحدة، فلاقى هذا التدبير أُذناً سميعة ونفساً مطيعة، وعملا بما أوحاه لهم الخواجه بأن يلفّ في لبّادة وأن يضرب كما تضرب اللبّادة في أوّل عهدها حتّى تسقط أعضاءه من الحسّ عضواً أثر عضو، وأن يقبض على أولاده، وجمع بني العبّاس وآله الذين يحسب لهم حساب ويرسلوا بأجمعهم إلى مهلكة العذاب، ثمّ قتلوا حسام الدين ببغداد في ليلة الخميس الثامن من المحرّم سنة ستّين وستّمائة من أجل الموعد الذي ضربه لنزول العذاب وظهور إرهاصات القيامة فلم يظهر من ذلك شيء عند قتل الخليفة، ولم يسودّ العالم.

ومن جملة مؤيّدات «هلاكوخان» أنّ قدوة المجتهدين الشيخ جمال الدين رحمه الله ذكر في كتاب «كشف الحق» أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا أخبر باستيلاء المغول والتتار وانقراض ملك بنى العبّاس وقتلهم على يد هلاكو، لذلك لمّا دنى هلاكو من بغداد كتب والدي الشيخ سديد الدين والسيّد ابن طاووس وجماعة آخرون من أفاضل مشهد النجف والكوفة والحلّة كتاباً إلى هلاكو وطلبوا منه الأمان، فاستدعاهم هلاكو إلى نفسه وخافه القوم على أنفسهم أن يذهبوا إليه بدون أمان منه، وذهب أبي وحده إليه، فسأله هلاكو: ما الذي حدىٰ بكم أن تكتبوا لي كتاباً قبل أن أستولي على بغداد وأظفر بأهلها وتطلبوا منّي الأمان؟

فقال له: السبب هو أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أخبرنا عن ظهورك وغزوك لنا وقال لنا: إنّ الترك سوف يظهرون على آخر خلفاء بني العبّاس، وسلطانهم رجل عظيم، رفيع الصوت، وصاحب حظّ وإقبال، لا يمرّ بقلعة أو باب إلّا فتحه، ولا تقوم راية في وجه رايته إلّا وينكّسها، ويل لمن عاداه وناواه.

ولمّا فرغ من أداء هذا الخبر كريم الأثر، عظّمه هلاكو وعامله باللطف، وكتب لأهل مشهد النجف والكوفة والحلّة كتاب أمان، وبقيت تلك الأرض المقدّسة والبقعة المكرّمة سالمة من هجمات المغول على رغم أُنوف أهل السنة المنافقين.

ووجه تأييد هذا الموقف أنّه لولا علمهم السابق بإسلام هلاكو فمن كان يجرأ على ملاقاته ومحاججته؟ وكيف يجعلون قول أميرالمؤمنين حجّة عليه ويأخذون الأمان من هذا البلاء النازل والشرّ الواصل؟

وفيما نظمه القاضي نظام الدين الاصفهاني في بعض قصائده التي ذكرت في فصل ترجمته قبلاً إشارة إلى هذا المعنى، وصدّره بمدح أهل البيت عليهم السلام وذيّله بوصف الخواجه بهاء الدين محمّد الجويني، فقد قال:

قل للنواصب كفّوا لا أباً لكم   لشيعة الحقّ يأبى الله تهوينا

أعاد أهل ملوك الترك رونقهم   وزادهم ببهاء الدين تمكينا[1]

ومن آثار هلاكو «رصد مراغه» الذي أخذ موقعه اللّائق به بتوجيه من النحرير عديم النظير الخواجه نصير الدين الطوسي طيّب الله مشهده، ويُعرف بـ«الزيج الخاني».

وأخيراً توفّي هلاكو في التاسع من ربيع الآخر سنة ثلاث وستّين، وكانت تبريز قاعدة ملكه.

---

(١) الذريعة ج١٤ ص١٨٠ وفيه بيت ثالث لم يذكره المؤلّف:

يرىٰ عليّاً وليّ الله مدّخراً   للحشر أولاده الغرّ الميامينا

السلطان أحمد بن هلاكوخان

وكان اسمه في الأصل «نكو دار»، ولمّا أسلم بمساعي صاحبه الأعظم الخواجه شمس الدين محمّد الجويني الحميدة غيّروا اسمه إلى «السلطان أحمد» وهو ملك ذو أخلاق حميدة وسيرة مجيدة، ونشأ بينه وبين أرغون خان بن أباقا خان وهو ابن أخيه نزاع، وكان في خراسان ولم يرض بسلطنة عمّه ويقول: كان أبي وليّاً للعهد، وجمع بعد سنتين عسكراً وقصد خراسان ولكن جنده هزم مراراً، وتحصّن هو بالقلاع وحاصره السلطان أحمد مدّة من الزمان حتّى مشى جماعة من أهل الصلة بهم بالصلح فأتمّوه، وعند ذلك نزل أرغون خان من قلعته وجاء إلى السلطان أحمد واعتذر منه عمّا مضى فأدركته رحمة النسب وشفقة العمومة فلم يؤذه وأحسن إليه وعهد إليه بملك خراسان، وأمّره على عسكر خراسان ووجّهه إليه.

وعمد جماعة من مفسدي المغول الذين كانوا يعادون السلطان أحمد لإسلامه فأفسدوه عليه مرّة أُخرى وحملوه على مخالفة السلطان أحمد، وفي هذه المرّة قبض السلطان أحمد عليه أيضاً وسلّمه لفرقة من عسكره وعاد هو، وأمر بإلحاق أرغون خان به، فاجتمع الأُمراء على تخليصه من الأسر ومبايعته وقصدوا السلطان أحمد بالشرّ، ولمّا علم بغدرهم فتعجّل إلى موافاة أُمّه في أذربيجان وهناك اعتقله العسكر وانتظروا به وصول راية أرغون خان وقتله، فختمت بذلك أيّام سلطنته، وهذه الواقعة حدثت سنة ثمانين وستّمائة.

السلطان غازان بن أرغون خان بن أباقا خان ابن هلاكوخان

جلس على عرشه الموروث في سنّ الخامسة والعشرين سلخ ذي الحجّة سنة أربع وتسعين وستّمائة، وكان قبل ذلك في شعبان من هذه السنة قد أسلم

على يد الشيخ إبراهيم الحموي وتبعه على الإسلام ما يقرب من ثمانين ألف إنسان من كبير وصغير من المغول، وبلغوا هذه السعادة، وتسمّى غازان بمحمود وأخوه «خدابنده» تسمّى بمحمّد.

وفي سنة اثنتين وسبعمائة كما صرّح بذلك حافظ أبرو وجد نفرة في نفسه من مذهب أهل السنة الباطل وتحوّل منه إلى مذهب الحقّ الإمامي الاثني عشري.

وذكر الخواجه رشيد المشهور وكان وزير السلطان غازان في التاريخ الغازاني الذي كتبه بنفسه أنّ سبب محبّة سلطان الإسلام خلّد الله سلطانه لآل الرسول ﷺ وإعزاز السادات رفيعي الدرجات هو أنّه رأى سيّد الكائنات عليه أفضل الصلوات بالمنام ووعده النبي ﷺ بالمواعيد الطيّبة وعرّفه بالإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام فتعانق معهما وعقدوا بينهم ميثاقاً للأُخوّة، وفتح الله عليه البلاد منذ ذلك التاريخ، ومنها ما هو فتح مبين معتبر وهو ما شاع على يده من الخيرات وضبط الأُمور وترتيب العدل والسياسة في العالم، ووفّقه الله لينال السّمعة الطيّبة ودعا له النبيّ ﷺ وكان هذا الدعاء ذخيرة صالحة له، وأيّ سعادة أكبر من هذا الذي ناله، وأيّة هبة أعظم من هذه الهبات التي أدركها، ومن تلك السنة زادت محبّته لأهل بيت النبوّة عليهم السلام، وما زال يتعهّد سبل الحاج بالإمدادات الصالحة والمبرّات الحسنة، ويكثر من زيارة مراقد أهل البيت، ويقدّم لها النذور والقرابين، وكان يبجّل السادة الأشراف وبعتزّ بهم ويحترمهم، ويدرّ عليهم النعم المدرارة، ويبني الخوانق والمساجد والمدارس وما شابه ذلك من أبواب البرّ في كلّ موضع، ويوقف عليها الأوقاف الحسنة، واستحضر وظائف كلّ طائفة وما يدفع إليها في كلّ شهر ممّا اصطلح عليه بـ«المشاهرات»، وقال: لماذا يدفع كلّ هذا إلى الفقهاء والمتصوّفة والطوائف الأُخرى ويحرم منه السادات الأشراف،

فأمر أن تبنىٰ دار السيادة في الولايات المهمّة المعتبرة مثل اصفهان وشيراز وبغداد وأمثالها لكي يرتادها السادة وتدفع لهم الوجوه التي تقوم بسدّ عوزهم وإصلاح نواقصهم بناءاً على المصلحة الموجبة لذلك التي يكشفها الوقف وتنصّ عليها مادّة الوقف حتّى يستفيد هؤلاء الأشراف من هذه الخيرات والمبرّات.

وجاء في العبارة قوله: إنّي لا أُنكر أحداً وأقرّ بفضل الصحابة ولكنّي لمّا رأيت النبيّ في المنام وعقد بيني وبين أولاده ميثاق المحبّة لذلك ما أزال أحمل لهم الودّ والحبّ، وحاشاي أن أكون منكراً لفضل الصحابة.

وأمر أن يجرىٰ نهر للمشهد المبارك المختصّ بأميرالمؤمنين (كذا) الحسين عليه‌السلام وما فتئ يشيد بفضل أهل البيت دونما تعصّب وعناد لأنّه ـ وللّه الحمد والمنّة ـ حكيم كامل، وما قلناه ظاهر بيّن، ومن نضجت في دماغه الفكرة فله أُذنٌ في كلّ شعرة»[1].

وأخيراً توفّي السلطان عصر يوم الأحد الحادي عشر من شهر شوّال سنة ثلاث وسبعمائة، وولد في سحر ليلة الجمعة الثالث من ربيع الأوّل سنة سبعين وستّمائة في حدود مازندران. وقال ابن يمين هذين البيتين في تاريخ وفاته:

بسال هفت و سه زهجرت از شوّال	بروز يافتم وقت عصر يكشنبه
شد از نواحى قزوين شه جهان غازان	بسوى خلد كه باد آن جهان ازينش به

السلطان محمّد خدابنده الملقّب بـ«ألجايتو»

أي السعيد كان وليّ عهد أخيه السلطان غازان، ولذلك أقبل من خراسان يوم السبت ثاني ذي الحجّة ووصل إلى العسكر في «أوجان»، وفي يوم الإثنين

---

(١) هركه را هوشى است، هر موى در تن او گوشى است» ترجمتها بالعبارة أعلاه ولكنّها لا تبلغ جمال الجملة الفارسيّة.

السادس عشر منه تمّ جلوسه على العرش، وفي سنة خمس وسبعمائة وضع التخطيط لبلد السلطانيّة وقلعتها، وفي سنة سبع جرت مباحثات بين «صدر جهان» البخاري الحنفي والخواجه عبدالملك الشافعي قاضي القضاة في ممالك السلطان في المذهب فتسابّا وتشاتما، وهزأ أحدها بالآخر، وبلغت بهم الحال أن تعطّلت شعائر الإسلام مدّة من الزمان إلى أن كانت سنة ثمان وذهب السلطان إلى المشتي في بغداد وزار النجف وطاف بالمشهد المقدّس ورأى رؤياً اختار مذهب الإماميّة بجهود الأمير «طرمطا» رحمه الله وفضل صحبة الشيخ العلّامة آية الله على الخاصّة والعامّة جمال الملّة والدين الحسن بن المطهّر الحلّي أحلّه الله دار المقامة، وأصدر حكمه بذلك إلى جميع الممالك أن يعتنقوا هذا المذهب، وأمر بالخطبة أن تكون بأسماء الأئمّة، وتضرب السكّة كذلك بأسماءهم السامية، فأدانت الدنيا بأئمّة الهدى عليهم السلام كما أُثبتت على ناصية الدنانير الكلمة الطيّبة «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله» في ثلاثة أسطر متوازية الأبعاض، متكافية الأجزاء، وأثبتوا أسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام على الترتيب في دائرة مخمّسة الأضلاع.

تفصيل هذا الإجمال: والسبب في تحوّل السلطان غازان والسلطان أُلجايتوا إلى مذهب أهل البيت الحقّ عليهم السلام على الوجه الذي ذكره الحافظ أبرو الشافعي الهمداني في تاريخه، فقد قال: إنّه في سنة اثنتين وسبعمائة وكان السلطان غازان في بغداد، صلّى علويّ في المسجد الجامع ببغداد صلاة الجمعة مع الناس ثمّ استأنف الصلاة وأقام الفرض مرّة ثانية، وكانت دعواه أنّ الصلاة لا تصحّ وراء هؤلاء الأئمّة، فثار عليه الهمج والغوغاء والعوام حتّى قتلوه في المكان، فاستغاث أقرباء العلوي وأصحابه بالسلطان غازان وذهبوا إليه وعرضوا الأمر عليه.

فتألّم الشاه من هذا الوضع غاية الألم وقال: أيُقتَل إنسان من أجل إعادته الصلاة لاسيّما إذا كان هذا الإنسان علويّاً وأقلع من هنالك قاصداً عانه والحديثة[١] ليذهب منها إلى الشام، وما زال باحثاً متفحّصاً عن أحوال الدين والملّة، ويسأل عن الأئمّة، وجماعة من أُمراء «الإيناق» الذين مذهبهم التشيّع ومنهم «طرمطا» بن «يانجوبخشي» ـ الذي ربّي في حجر غازان منذ الصغر و كان جريئاً، وكان قد نشأ في ولاية الريّ بين الشيعة ـ ما فتئ يأتي بالدليل تلو الدليل عند غازان لتقوية هذا المذهب، وبما أنّ الشاه قد ثقل مزاجه وتألّم خاطره من فعل الغوغاء في حادثة السيّد العلوي كان لأقوال طرمطا وقع جميل في نفسه، وتقع منه موقع القبول، وكان قد أمر ببناء عدد من دور السيادة في البلاد الكبيرة مثل اصفهان وكاشان وسيواس[٢] وغيرها، وأوقف عليها أملاكاً كثيرة، وفي مشهد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وفي «شنب»[٣] تبريز وغيره، وما يزال بعضها قائماً إلى هذا العهد، وكان للسلطان غازان انعطاف تامّ إلى هذه الطائفة ولكنّه كتم ذلك لكفائته في الحكم ولرعايته المصلحة العامّة، ولم يُطلع على ذلك أحداً حتّى توفّاه الله إليه.

ولمّا جلس السلطان أُلجايتو على عرش الملك حفّ به جماعة من أئمّة الأحناف عندما كان في خراسان واستطاعوا أن يجذبوا السلطان إليهم ويحرفوه

(١) حديثة الموصل: وهي بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى، وفي بعض الآثار: إنّ حديثة الموصل كانت هي قصبة كورة الموصل الموجودة الآن. معجم البلدان ج٢ ص٦٣. وفي مجالس المؤمنين ورد اسمها هكذا: الحديبيّة، وهو تصحيف لأنّ هذه بين مكّة والمدينة.

(٢) بلدة في أرض الروم تقع بينها وبين قونيا بلدة توقات.

(٣) لم أعثر في كتب البلدان على بلد بهذا الاسم اللهمّ إلّا على شنب الذي هو بطن يعرف بآل أبي شنب من ثقيف. الارتسامات اللطاف ص ٢٧١.

عمّن عداهم، وحين عاد السلطان من خراسان شرع في تقوية مذهب أبي حنيفة ورفع منزلة هذه الطائفة بالإعزاز والإكرام، ومال إلى المذهب الحنفي بشدّة، وتعهّد بمذهب أهل السنة والجماعة بالحماية والصيانة، حتى كتب أسماء الخلفاء الأربعة على الدرهم والدينار (الذهب والفضّة) وبالغ في تعظيم الأحناف وتعصّب لهم حتّى آذى بذلك أكابر الوزراء.

وكان الخواجه رشيد الدين على مذهب الشافعي وولائه الشديد لأئمّة الشافعيّة وما فتئ يجالسهم ويباحثهم، وكان نافراً من تعصّبات الأحناف ولكنّه يكتم ذلك رعاية لخاطر السلطان، وكان مولانا قاضي القضاة نظام الدين عبدالملك المراغيّ الذي كان في علوم المعقول والمنقول وحيد عصره وفريد دهره وقد تفوّق بالبحث والمناظرة على أهل عصره، فنقل أخباره إلى السلطان الخواجه رشيد وعرّفه به فطلبه السلطان وأمره بملازمته وفوّض إليه القضاء في أقاليم ايران وصار عين السلطان ويده والمتقدّم عنده، وكان الرجل شافعيّاً وقد دخل مع الأحناف في مناظرات كثيرة، وفي كلّ مرّة يلزمهم الحجّة وتعجز تلك الطائفة عن مناظرته، وكان السلطان يلتذّ بتقاريره ومناظراته، ويفهم من فحوى مناظراتهم أحقيّة المذهب الشافعي.

وهناك حكاية مشهورة جدّاً وهي أنّ أحدهم سأل مولانا قطب الدين الشيرازي عن الحنفي إذا أراد التحوّل إلى مذهب الشافعي فما الذي يصنع؟ فقال: يقول: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله».

ومجمل القول أنّ السلطان أنعم عليه بأنواع الهدايا والطُرَف، ولطائف العطايا ممّا لا يوصف، ولا يعدّ ولا يحدّ، وخلع عليه خلعاً نفيسة، وأسبغ عليه من عواطفه ما لا يقوم به التصوير، وصار يلازم السلطان ولا يفارقه حتّى سنة سبع

وسبعمائة حتّى قدم فيها ابن صدر العالم من بخارىٰ على السلطان فشكى إليه الحنفيّة مولانا نظام الدين وقالوا: إنّه استهان بنا أمام السلطان وأماله عنّا إليهم، وفي يوم الجمعة حوّل وجهه بمحضر السلطان إلى مولانانظام الدين وسأله على سبيل الهزء والسخريّة عن مسألة نكاح المخلوقة من ماء الزنا، فأجاب مولانا من دون أن يعمل فكره ويجيل خاطره أنّ المسألة في مذهب الشافعيّ ليست على هذا الوجه الذي قرّرته ومع هذا معارضة بنكاح الأُمّ والأُخت، ودام النزاع بين الفريقين حول المسألة وتمادىٰ، فأنكر أن تكون هـذه المسألة مـوجودة فـي مذهب الحنفي واستشهد مولانا بشعر المنظومة وهي أكثر كتب الفقه الحـنفي إيجازاً، وأنشد هذا البيت:

وليس فـي لواطـة مـن حـدّ ولا بوطي الأُخت بعد العقد

فبهت الجميع وثار ضحك السلطان والأُمراء والوزراء على هذه المناظرات الباطلة، وسكتوا برهة من الوقت، وبعضهم ينظر للبعض الآخر، فنهض السلطان من المجلس غاضباً فقال «قتلغشاه ـ كذا» لباقي الأُمراء: مـا هـذا العـمل الذي صنعناه بأيدينا؟ تركنا «ساديسون» چنكيزخان وآبائه وأسلافنا وأخـذنا بـدين العرب الذي له عدّة وجوه وألوان وينقسم إلى عدّة أقسام، وهذا العار قائم فيهم مِن أنّهم يضاجعون الأُمّ والأُخت والبنات، والآن علينا أن نعود إلى دين الأسلاف.

وشاع هذا الخبر بين جميع الأُمراء والخوانين وأصحاب المعسكرات فتفرّقوا وأخذوا يسخرون من أصحاب العمائم إذا ظهروا عليهم، ويطنزون بهم، ونفرت طباع الأتراك كلّهم من هذه القضيّة.

ومن الصدف السيّئة أنّ هذه المسألة احتدمت بينهم في وقت عودتهم من ايران إلى «گلستان» واشتغلوا بالقصف في ذلك القصر الذي أقامه غازان خان في تلك

الرياض، فلمّا جنّ عليهم الليل حدث في السماء رعد وبرق عظيمان وأرسلت عزاليها وهلك عدد من مقرّبي السلطان في تلك الصواعق فاستشعر السلطان الخوف من هذهالظاهرة فتحمّل عن ذلك المكان مسرعاً وتوجّه تلقاء «السلطانيّة».

وقال بعض الأُمراء: إنّ السلطان في هذه الحالة حسب ما أقرّته «ياسة چنكيزخان» وقواعد المغول أن يعبر على النار، وأحضروا المسئولين عن هذا الفنّ فقالوا: إنّ هذه الواقعة هي من شؤم المسلمين ولو أنّ هذا الشؤم علق بالسلطان فإنّ الذي ينفذه منه هو اجتياز النار، ومرّ على هذا الحادث ثلاثة أشهر وهم في فتور وتذبذب، والسلطان يطفو ويرسب في هذا الفكر المضطرب ويقول للأُمراء والخاصّة: إنّي تعبت من دين الإسلام وما فيه من عبادات صعبة، فهل أستطيع تركه؟

فقال له الأمير «طرمطا» وهو في حيرته: إنّ غازان خان ـ وهو أعقل مَن في الوجود وأكمل أهل العالم ـ مال إلى مذهب الشيعة من قبح هذه الاعتقادات، وعلى السلطان أن يختار هذا المذهب.

فقال السلطان: وما هو مذهب الشيعة؟

فقال طرمطا: هو ما يُعرَف اليوم بالرفض.

فزبره وقال: أيّها الشقي، تريد أن ترفضني!

فأطرق «طرمطا» ليمهّد للموضوع بعذر وأخذ يُحسّن مذهب الشيعة في سمع السلطان، وكان رجلاً فصيحاً بليغاً، واستطاع أن يظهر زيف مذهب أهل السنة والجماعة، وقال للسلطان: إنّ الشيعة هم الذين يقولون أنّ السلطان بعد «چنكيزخان» يختصّ بأولاده، والسنّي هو القائل: إنّ السلطان بعد چنكيزخان لأُمراء «القراجو» أقرباء چنكيز خان، وأمثال هذه الخزعبلات أخذ يمليها عليه

حتّى قلّب السلطان من حسن الاعتقاد وجنوح فطرته إلى دين الإسلام واتّباع محمّد رسول الله ﷺ إلى التوجّه إلى الجهة الأُخرى. وفي هذه الأثناء نزل بساحته السيّد تاج الدين الأوجي مع جماعة من أئمّة الشيعة فوقعوا في مذهب أهل السنة والجماعة وراحوا يقبّحونه بحضرة السلطان ويدعون السلطان إلى مذهب الشيعة ويحرّضونه على اتّباعه.

فهبّ مولانا نظام الدين عبدالملك إلى مناظرتهم وكانت له مع أئمّة الشيعة بحوث ومناظرات مستمرّة، وما فتئ يكشف عن زيف قواعدهم أمام الملك ويضعها في أُذنه ويعيب الشيعة، ولم تكن بهم قوّة على ردّه أو مناظرته، وصادف في شتاء ذلك العام أن يغيب عن السلطان بسبب العمل في أوقاف أذربيجان، وعزم السلطان في تلك السنة سنة تسع وسبعمائة على زيارة بغداد ومنها قصد مشهد أميرالمؤمنين عليه السلام وفي المشهد رأى رؤياً تدلّ على قوّة دين الإسلام، فلمّا قصّها على الأُمراء أخذ المتشيّعون منهم يحرّضونه على قبول مذهب الشيعة، فاختاره على غيره من المذاهب، وغالى غلوّاً عظيماً في هذا الباب، وكان يحثّ الأُمراء وبطانته خاصّة بجدّ ودأب أن يختاروا بأجمعهم هذا المذهب، فمال أكثرهم إلى هذا المذهب منهم رعاية للسلطان، ومنهم من لا يعنيه الدين إلى أيّ مذهب انتمى لضعف دينه، ومنهم من كان متشيّعاً على الحقيقة، فرجحت كفّة الشيعة على غيرهم.

وكان الأُمراء «سعيد چوبان» و«اتسن قتلغ» من المتصلّبين في مذهب أهل السنة ولم يبن على اعتقادهم لون من التراخي حتّى بلغت الحال بالأُمراء الذين مالوا إلى مذهب الشيعة واعتنقوه أن صار لا ينبسون ببنت شفة بين أيديهم بل استولى على الشيعة وجماعة الأشراف السادة منهم الذين لزموا الركاب خوف

عظيم منهم، وكلّما حاولوا أن يستدرجوهم إلى المذهب بأنواع اللطائف وحسن الحيل فلم يتيسّر ذلك لهم.

ومضى الحكم في جميع الأصقاع الإيرانيّة أن تطرح أسماء الصحابة من الخطابة ـ أعني الثلاثة منهم ـ وأن يقتضب الكلام باسم أميرالمؤمنين عليّ والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام.

وفي سنة تسع وسبعمائة غيّروا ضرب السكّة واقتصروا على اسم أميرالمؤمنين دون الثلاثة، وجهروا بحيّ على خير العمل في الأذان، وأمر السلطان أن يُعلن ذلك في جميع ممالك «أُلجايتو» إلّا في قزوين، وأخذ مذهب الشيعة يبرز من جديد ويبدو عليه البهاء والرونق، وينال الرواج في تلك البلاد، وأمر السلطان بإحضار أئمّة الشيعة وعلماء مذهبهم، فحضر عنده الشيخ جمال الدين الحسن بن المطهّر الحلّي وكان رجلاً عالماً متبحّراً من تلاميذ الخواجه نصير الدين الطوسي في علمي المنقول المعقول، وصارت له شهرة عالميّة، وله مؤلّفات كثيرة. ولمّا قدم على الشاه حمل معه نسختين من كتابي «نهج الحق وكشف الصدق» في علم الكلام، والثاني «منهاج الكرامة» في باب الإمامة ومذهب التشيّع، وكان بمعيّته ولده مولانا فخر الدين وهو شابّ عالم كبير له استعداد فائق ومجد رائق وأخلاق محبّبة مستطابة وخصال مختارة، وانتسبوا إلى مجموعة السلطان ومثلهم آخرون مثل «جمال الدين وراميني» و«كمال الدين السنجاري» وغيرهم، وأذن لهؤلاء أن يعودوا إلى ديارهم.

وكانت المناظرة محتدمة بين الشيخ جمال الدين ابن المطهّر ومولانا نظام الدين عبدالملك، وكان نظام الدين يجلّ العلّامة ويحترمه ويكنّ له التقدير اللّائق، وكانت مناظراتهم باعثها الإفادة والاستفادة وليس الجدل واللجاج

والعناد، ولم يكن الشيخ جمال الدين يتّخذ التعصّب سنداً في مناظراته، وكان يعظّم الصحابة ويجلّهم، ومن تناول الصحابة بقول ردعه وآخذه، وكانت له خلوة مع السلطان سعيد بحضور ولده وكان يحثّ السلطان على موالاة الصحابة ويحرّضه على ذلك، وكان ينكر الكلمات التي تتردّد على ألسن الشيعة عنهم إنكاراً جازماً شديداً، وكان يخصُّهُ السلطان بأنواع العواطف والمراحم والإرادات والمراسيم والمسامحات في ولاية الحلّة، وكان حيّاً حتّى تاريخ سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

ولازم السيّد بدر الدين في مشهد طوس ومعه جماعة من الأشراف السادة السلطان، والتزم بحسن الهدي وكمال السمت، فلم يصدر منه ما ينافي منصبه أو شرفه، ولكن أهل الفتنة لم يستقرّوا وما زالوا يوقدون نائرة الفتنة، ويؤذون المسلمين في البلاد، ويصل أهل السنة منهم ما يحملهم على الانفعال، وكان راسخاً في الاعتقاد الصحيح النزيه، وكذلك كان ثابت القدم في مودّة صحابة المصطفى وأهل بيته، وتعظيم أميرالمؤمنين عليه السلام وأولاده، ومهما صدر من المذهبين من التعصّب أو المهاجات أو المماحكات فإنّه لم يبلغ الهدف الذي أطلق من أجله.

وكان السلطان سعيد لشدّة محبّته لدين الإسلام وولائه لمحمّد وأهل بيته صلّى الله عليه وعلى أهل بيته ما فتئ يناظر العلماء ويباحثهم، فاكتسب أهل العلم رونقاً زائداً، وكان يحبّ العلم إلى درجة بحيث أمر بصنع مدرسة سيّارة من سرادق من خيوط القطن مفتولة باليد، وكان يحضر المدرسة بنفسه، وعيّن لها مدرّسين أمثال: جمال الدين ابن المطهّر ومولانا نظام الدين عبدالملك ومولانا بدر الدين الشوشتري ومولانا عضد الدين الإيجي والسيّد برهن الدين

العبري، وأثبت في سجلّها ما يقرب من مأة طالب علم، وأتاح لهم كلّ ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس وكراع وغير ذلك من اللوازم المعاشيّة حتّى يتسنّى لهم البقاء في حضرته. وفي السلطانيّة بنى مدرسة من أبواب البرّ المبارك وأثبت في سجلّها ستّة عشر مدرّساً ومفيداً ومأتي طالب علم حتّى راج في زمنه سوق الفضل والعلم رواجاً تامّاً، وكان جميع هذه المساعي الجميلة قد تمّت بجهد الخواجه سعيد رشيد الدين الذي كان يحمل السلطان على فعل ذلك؛ وهذا ما أورده «الحافظ أبرو» في تاريخه على طريق الاختصار.

وذكر ابن هلال في تاريخه الذي كتبه باسم «شاه شجاع»: أنّ «أُلجايتو» السلطان محمّد خدابنده جلس على سرير الملك يوم الإثنين منتصف ذي الحجّة سنة ثلاث وسبعمائة وكانت قدمه قدم خير وبركة كما ظهر ذلك عند ولادته، وذلك أنّ أباه «أرغون خان» نزل في موضع واقع بين مرو وسرخس لا ماء فيه ولا نبات، فكاد الناس أن يهلكهم العطش وتفرّقوا يطلبون الماء في كلّ حدب وصوب حتّى وُلِد، وإذا بالسماء تجلّل بالسحاب، وإذا بالسحاب ترسل عزاليها حتّى غمر الصحراء ماءاً، فأقام أبوه هناك سبعة أيّام، ولهذا السبب سمّوه «لجابوقا» وبعد مدّة كما هي عادة المغول أن يلقّبوا أعزّ أولادهم بـ«عين الكمال» لقّبوه بذلك، ثمّ لقّبوه بعد ذلك بـ«خر بنده» واشتهر بهذا اللقب، ولمّا سيطر على سرير السلطنة سمّاه أُمراء الدولة وأعيانها وأركانها بـ«أُلجايتو سلطان محمّد خدابنده».

وكان في عهده يعمّ الرخاء بلاد ايران كلّها، وقد ساد فيها العمران، وأصبح رعاياه في السرور والرفاه، وانقاد له جميع القبائل من الجيل والديلم وأُمرائهم، وأطاعوه، وألقىٰ إليه العرب والعجم زمام القيادة، وكان له في العالم من المدن والقلاع وأبواب الخير والمساجد والمدارس والعمارات العالية شيء كثير، وكان

يحبّ الأشراف من السادة، وثبتت له معرفة خاصّة بآل الرسول ﷺ ولذلك اختار مذهبهم وجعل الخطبة والسكّة باسمهم، وله في أكثر الأوقات مباحثات عليّة مع كثرة شواغله في قيادة العالم و موانعه الملكيّة، وكان يجالس العلماء والصلحاء ويصحبهم ويعرض عليهم المسائل الصعبة ويطلب منهم حلّها، ويعرض عليهم أفكاره اللطيفة ويبادلهم ما يدور في خواطره من السوانح الجليلة:

منها أنّه كان حاضراً في جامع السلطانيّة في مجلس وعظ وكان الواعظ يتكلّم في فضيلة الصلاة، فسأل السلطان هذا السؤال: لماذا لا يذكر في الصلاة على الأنبياء آلهم ويقولن في الصلاة على النبيّ: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وبدون ذكر الآل لا يذكرون الصلاة؟ فعجز الواعظ عن الجواب، فقال السلطان: يبدو لي في المسألة وجهان أعرضهما الآن عليكم؛ فإن قبلتموه فانصفوني وإلّا فغرّموني:

الوجه الأوّل: أنّ عدوّه لمّا نعته بالأبتر، إنّ الله تعالى قلب الأبتريّة على عدوّه فقطع نسلهم، ولو كان لهم نسل فإنّهم غير معروفين ولا يُذكَرون بوجه من الوجوه ولا يسمّيهم أحد ولا يعرفهم، بخلاف آل النبيّ وعترته ﷺ الذين يزداد عددهم يوماً بعد يوم ويتكاثرون في العالم كلّه بحيث صار النبيّ لا يذكر بدونهم.

الوجه الثاني: أنّ أديان الأنبياء وملل الرسل المتقدّمين لمّا كانت في عرض النسخ والزوال والتبدّل والانتقال، لذلك كانت أحكامهم دائماً غير لازمة للوارث ولا محتمّة عليه بخلاف دين محمّد ﷺ الذي لا يتغيّر بتغيير الحقب ولا يتبدّل بتبدّل الدول والعهود والعصور، ولا يعتري صورته الناصعة زوال أبداً، لذلك حتم على أتباعه أخذ الدين من أولاده من ثَمّ قرن ذكره في الصلوات عليه بذكرهم صلّى الله عليه وعليهم لتعلم الأُمّة بأنّهم حماة الشرع المحمّدي، وأنّ اتّباعهم من جملة الفروض الدينيّة.

فلمّا فرغ السلطان من ذكر هذين الوجهين انطلقت الألسن بمدحه والثناء عليه، وأظهروا التعجّب من علمه وحسن فهمه وكمال تخريجه.

وذكر ابن هلال أيضاً: إنّ السلطان كان شديد الخشية للّه تعالى حتّى بلغت خشيته حدّاً إنّه التقى يوماً في حدود «بادكوبه» بدرويش من أصحاب القلوب، فقام الدرويش بأداء واجب الخدمة التي عليه، وجاء السلطان بتحفة يتبرّك بها، فأراد السلطان أن ينعم عليه فأبى الدرويش قبول ذلك، ولمّا أصرّ عليه السلطان أن يقبلها فقال: ليس بي من حاجة إلى الذهب والفضّه والعروض الأُخرى، ولكن ليأمر السلطان أن لا يتعرّضوا للدراويش إذا احتفروا بئراً من أجل إصابة «الزيت» (كذا)، فأمر أن يكتبوا له حكماً بذلك وقبض على يده بأُخوّة صافية، وقال للدرويش: لا تنسني. وكان الدرويش يرسل له بناءاً على عهد الأُخوة في كلّ عام تحفاً ومتبرّكات وهدايا، وكان السلطان يودعها إلى أحد مقرّبيه المسمّى بـ«قرامحمّد» وادّخر هذا مجموع التحف والهدايا وأمر أن تصرف يوم وفاته في مخارج دفنه وتجهيزه.

وكذلك يُذكر من خشيته أنّهم نصبوا ذات يوم في ديوان السلطانيّة سريراً رصّعوه بأنواع الجواهر واللئالي وزيّنوه بأصناف الحُلي والحلل، وحضر جميع «الخوانين» والأُمراء وأبناء الملوك وملوك العالم لتهنئته، فاعتلى السلطان على السرير ولمّا فكّر في هذه الزينة والتزاويق والطقوس الملكيّة وعظمة الملك والحكم ألقىٰ بنفسه من على السرير إلى الأرض وسجد للّه وقال: إلهي، العظمة والملك والممالك والسلطانات لك وحدك، وخربنده أقلّ عبيدك شأناً، ولكنّك لمّا توّجته بتاج العزّة وكسوته بقباء السلطنة فمن يكون هو حتّى لا يلتفت إلى نعمتك ويشكر إنعامك عليه وفضلك.

ومن فوائده الرسالة التي نظمت عنه وفيها من كلامه الجمل التالية: يستحقّ السلطان الذي يقدر على استبعاد الأحرار بالإحسان وتحرير العبيد بالفضل والكرم.

الثوب الذي لا يبلى هو السمعة الطيّبة.

الزينة التي تليق بالرجل والمرأة هي الصدق.

الشربة التي من شربها لا يفنى هي معرفه الله ومعرفة النفس والعلم.

أعلم الناس من يحجبه علمه عن الزنا، وأعقل الناس هو القادر على قمع شهوته وغضبه.

الشهوة شراب محبّب ولكنّ من شربه هلك.

العشق بلاء وتعب، ولكن لا يهرب منه أحد ويتعلّقون به بالمال والقوّة.

العلم قوّة لا تستحيل إلى مسكنة قطّ، ولا يكون صاحبه غريباً أينما حلّ. والجهل مسكين وصاحبه فقير وإن ملك المال الوفير، وهو غريب في وطنه.

الغاية من الصلاة ذكر الله، والغاية من الصوم قهر القوّة الغضبيّة والشهويّة، والغاية من الزكاة تنظيف القلب من عشق المال وتدليل الفقراء، والغاية من السفر إلى الحجّ تذكّر سفر الآخرة ومعرفة قدرة الله في مشاهدة الغرائب والعجائب، واصطحاب أهل العلم والمعرفة، واكتساب الآداب ومكارم الأخلاق المحمودة، وتتّضح له في أداء المناسك أحوال القيامة وعقبات الآخرة؛ فمن تعلّق بالحقّ فهو المصلّي، ومن قهر شهوته وغضبه فهو الصائم، ومن أخرج محبّة المال من قلبه وأكرم الفقراء وقضى حاجات الناس فهو المزكّي، ومن كان في جُلّ أوقاته يتذكّر سفر الآخرة ويهيّأ زاده ويتفكّر في عجائب الأرض والسماء ويتأمّل قدرة الله وكمال خلقه وحُسن صنعه ويصحب أهل العلم

والمعرفة ويكتسب الآداب ومكارم الأخلاق فهو الذي حجّ وسعىٰ وطاف في البيت ولبّىٰ.

وأخيراً انتقل السلطان ليلة عيد الفطر سنة عشر وسبعمائة إلى جوار رحمة ربّه، وكانت مدّة حكه اثني عشر سنة قضاها بالعدل والصدق، وكان عمره الشريف خمساً وثلاثين سنة وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ولد في مفاوز مرو وسرخس في اليوم الثاني عشر من المحرّم سنة ثمانين وستّمائة «بطالع الجوزا».

السلطان أبو سعيد بن السلطان محمّد

أقبل من خراسان على أثر ولاية العهد التي أُعطيها وأُقيم على العرش في السلطانيّة غرّة صفر وهو ابن الثانية عشرة، وكان مدار الأمر من ملك ومال على يد الأمير «چوبان» وكان هو السلطان، وللسلطان أبي سعيد الاسم فحسب، وصبر على هذه الحال مدّة من الزمان، ولمّا كان ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة أعلن بعضٰ الأُمراء الحرب على چوبان لاستحواذه على الملك من قبيل «قورمش» وغيره، حمله الخواجه تاج الدين علي شاه الذي كان وزيراً للسلطان على أن يكون بجانب الأمير «چوبان» وباشر القتال بنفسه، ولقّب بـ«بهادر خان» وأخيراً غضب السلطان من استحاذ كلاب السنة التابعين لچوبان فأمر بتصفيته وتصفية أولاده، وأن تنهب دوره ودور أولاده ومن ينتسب إليهم وخدّامهم وأركان دولتهم، فأخرجوا من كلّ دار خزانة من المال وأمر بعد ذلك بقتل كلّ من اعتزى إليهم في جميع الولايات، وأن ينهبوا ماله.

ولمّا استقلّ أبو سعيد بالملك أعطى الوزارة للخواجه غياث الدين محمّد بن الخواجه رشيد الدين، وخلد إلى القصف ومدّ بساط العدل، وأغمد سيف الحقد في جفنه، واستراح العالم في فراش الأمن والدعة كما ذكر ذلك الشيخ

الأوحدي وهو من موحّدي ذلك العهد الشاهاني ذي العدل والإنصاف في كتابه «جام جم»، فقد عبّر عن مدح عدله وإحسانه ورفاهيّة ذلك الزمان وأمانه فقال:

در جهان تا كه سايهٔ شاهست جور مانند سايه در چاهست
دو جهان را صلاى عيد زدند سكّه بر نام بو سعيد زدند
شاه كشور طراز والا طرز شاه دانا نواز دانش ورز
آنكه زين شاه روى چون برتافت هر كجا رخ نهاد جاى نيافت
زنده‌اى راكه او نخواست نزيست گر كرامات نيست پس اين چيست
بر جبينش زعصمت مهدى گشته پيدا ظهور هم عهدى
از دلش جمله داد و دين زايد ملك خود را ملك چنين بايد
در چمن گفته بلبل و قمرى مدح اين گلبن اولى الامرى
جاودان بار و بر خورد از تخت شاه ايران سراى كسرى تخت
ايمنى يافتم زايّامش بده اى حق به ايمنى كامش
گرچه زان دولتم نصيب نبود بدعا رأى من مصيب نبود
ملكى كو بعدل فاش بود در و ديوار در دعاش بود

تقريب المعنى بالعربيّة:

ما دام عدل الملك الحبيب فالظلم مثل الظلّ في القليب
في العالمين والنداء صادح يقول: هيّا يا حياة طيبي
فالذهب المسبوك حلّاه اسمه أبو سعيد زينة القلوب
ملك البلاد حلّة رفيعه في العلم مثل المطر الصبيب
من استدار عنه عاف حظّه لم يلق في دنياه من مجيب
وعصمة المهديّ في جبينه كلاهما يشرق من مغيب

مـن قـلبه الخـصيب ظـلّ ديـننا ... يعيش في روض الهدى الخصيب
وأنشـد البـلبل فـوق غـصنه ... لدوحـة الورود والطـيوب
مـا لأُولي الأمـر سـواك دوحـة ... فاح شذاها فـي المـدى الرحـيب
ليـبق تـاجه يـخلد اسـمه ... بـعرش كسـرى المـلك الأريب
لم نـر غـير الأمـن فـي أيّامه ... فـامدد له يـا كـاشف الكـروب
لو لم أنـل مـنه نـصيباً وافـرا ... مـا كـنت فـي الدعـاء بـالمصيب
فأيّ سـلطان قـضى بـعدله ... مـا العـدل إلّا شـيمة النـجيب
وكـلّ مـن فـي أرضـه يـدعو له ... تـضرّعاً للـخالق المـجيب
يـا ربّ خـلّد مـلكه واغـفر له ... ذنـوبه يـا غـافر الذنـوب

ولمّا بلغت أيّام عدله التمام والكمال استلم من يد ساقي الأجل قدح «كلّ نفس ذائقة الموت»، وشرب كأس «كلّ من عليها فان».

ومجمل القول أنّه لبّى نداء ربّه في الثالث عشر من ربيع الأوّل سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة في «بيلقان»، وحمل إلى السلطانيّة، وفي الوهلة الأُولى دفن في «قبّة قورق» ولمّا هدم تلك العمارة الميرزا ميرانشاه ابن أمير تيمور گوركان حمل في المرّة الثانية إلى قبّة أبواب البرّ ودفن إلى جانب والده، وكانت ولادته في «أرّجان» بعد مضي خمس ساعات من ليل الإثنين في شهر ذي القعدة سنة أربع وسبعمائة، وقوّض من بعده عهد الرفاه والخير، وأطلّت الفتن برؤوسها.

فرع في ملوك سربداران..

الأمير عبدالرزّاق بن الأمير فضل الله الباشتيني

لازم السلطان أبا سعيد لحسن وجاهته وشجاعته، وفي أُخريات أيّامه بعثه إلى كرمان، ولمّا كان قصّافاً كسولاً فقد أنفق كلّ ما يملك، ورأى الذهاب إلى

سبزوار أولى به، لذلك هاجر إلى هناك ليجعل له رأس مال من المواريث التي باعها، وفي الطريق بلغه نبأ أبي سعيد، ولمّا بلغ باشتين تلقّاه فوج من المهتوّرين الذين كانوا في تلك القرية وقتلوا أصحاب علاء الدين الفرومدي الذين كانوا يطلبون الشراب والحسان الوجوه في تلك القرية، فعاد العسكر إلى الخواجه علاء الدين بفرومد واستطاع الهرب منه، وفي أثناء هربه وقع في شدّة. وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة قتل الخواجه وحصل المترجم على مال وفير وكسب كثير، ولمّا عاد إلى سبزوار سمّاه أصحابه «سربدار» وارتقى أمره شيئاً فشيئاً إلى أن قُتِل أخيراً بيد أخيه وجيه الدين مسعود في ذي الحجّة سنة ثمان وثلاثين..[1]

الأمير وجيه الدين مسعود

صارت السيادة بعد أخيه له وأصبح صاحبقرانهم[2]، واستطاع أن ينتزع من يد طائفة «جاني قرباني» كثيراً من بلاد خراسان مثل طوس ونيشابور ونسا وأبيورد، واستطاع في يوم واحد أن يظهر بألفين أو ثلاثة آلاف شخص على سبعين ألفاً فارساً وراجلاً من طائفة جاني قرباني مِن ثَمّ طار له صيت وسمعة في البلاد، ثمّ طمع في «رستمدار» وهناك قضى عليه قتيلا سلخ ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

آقا محمّد تيمور

كان من خدمة الأمير وجيه الدين مسعود واستطاع أن ينمو ويزداد حتّى بلغ

(١) لعلّ القارئ لا يفوته الغموض الموجود في هذا النصّ وهو ناشئ عن اضطراب العبارة عند المؤلّف واختصارها، وقد ترجمت العبارة كما وردت.

(٢) صاحبقران: لها عدّة معاني ومن معانيها أنّها تقال للملك طويل الأمر في الحكم، وللملك عظيم الشأن والعادل، وللشخص المبرّز في مهنته ومركزه، وأحسب المعنى الثالث هو المقصود.

رتبة الحكومة، ولكنّه قُتِل في سنة سبع وأربعين وسبعمائة بيد الأمير شمس الدين.

كلو اسفنديار

حكم من بعده وفي الرابع عشر من جمادىٰ الأُخرىٰ سنة تسع وأربعين وسبعمائة، تجرّع كأس الموت قتلاً.

الأمير شمس الدين فضل الله

أخو الأمير مسعود، حكم سبعة أشهر نيابة عن الأمير لطف الله ابن أخيه وخلع نفسه في ذي الحجّة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد أخذه عدداً من حمولة الأبريسم من الخزانة.

الخواجه علي شمس الدين

استعمل مكان شمس الدين علي طبقاً للمثل المعروف «چه خواجه علي چه علي خواجه» (خواجه علي وعلي خواجه واحد)، وكان عالماً وحكيماً، وصالح طغا تيمورخان وأعطى ثمانية عشر ألفاً من الرجال رواتب، وكان مصرّاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخيراً قُتِل بيد حيدر القصّاب في أحد شهور سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

خواجه يحيى كراتي

قبض على الأُمور بيد من حديد وانتزع طوس من أيدي قبيلة «جاني قرباني» وذهب إلى بيت طغا تيمور ومعه من الرجال عدد نزر ودخل عسكره بهذا العدد ولمّا رأى البيت خالياً من الجند تهوّر وقتل الخان واستطاع أن يتقدّم بهذا العمل الكبير، وأخيراً قصده بالقتل ختنه علاء الدين سنة تسع وخمسين وسبعمائة، في الوقت الذي أقبل الخواجه راكباً إلى دهليز البيت، فوثب ختنه على كفل

الدابّة وطعنه بخنجر واستطاع الخواجه أن يسدّد إليه طعنة وهو على هذه الحال، فخرّ كلاهما على الأرض صريعين وأسلما الروح.

الخواجه ظهير

قام مقام أخيه، وبما أنّه كسول الطبع ومسالماً لا يؤذي أحداً فقد هبط مستوى الجماعة إلى أدنى حدّ حتّى عزل الرجل سنة ستّين وسبعمائة في الثالث عشر من رجب من هذه المهمّة.

حيدر القصّاب

حكم من بعده وعصى عليه نصر الله الباشيتيني في اسفراين فنهض لمحاصرته حيدر بخمسة آلاف مقاتل ولكن قتله «السربداران) هناك في ربيع الثاني سنة إحدى وستّين وسبعمائة.

الأمير لطف الله ابن خواجه مسعود

المشتهر باسم الميرزا، جلس على السرير المورروث بإسناد من الخواجه حسن الدامغاني ونصر الله الباشتيني، فشتمه ذات يوم الحسن المذكور فحقدها عليه، فلمّا جنّ عليه الليل ذهب إليه ووقف عند رأسه وقبض عليه وأرسله إلى قلعة «دستجردان» وحبسه هناك، وفي رجب سنة اثنين وسين وسبعمائة قتله.

البهلوان حسن الدامغاني

قصد الأمير ولي بالحرب في ستّة آلاف فارس وهزم هزيمة منكرة وخرج عليه في هذه الأثناء الخواجه علي وأقبل إلى سبزوار بألف فارس، ولمّا كان أقرباء الملازمين لحسن جميعهم في سبزوار فقد قطعوا رأسه وبعثوا به إلى خواجه علي المؤيّد خوفاً من بطشه.

السلطان علي المؤيّد

جلس على سرير السلطنة وتمكّن من الأُمور غاية التمكّن، وكان غاية في الكرم والتقوى والورع، وكان مروّجاً لمذهب الأئمّة الاثني عشر، وجرت بينه وبين الشهيد الأوّل وهو من أكابر علماء الشيعة ويقطن الشام مكاتبات ومراسلات إلى أن بعث إليه رجلاً من أعيان دولته ومعه هدايا نفيسة وتحف لائقة وكتب تشتمل على إظهار الحاجة لوجود الشيخ بين ظهراني شيعة خراسان، واحتجّ عليه بحجّة لا يمكنه التخلّص منها وهي عدم وجود مرشد في خراسان يرشد الشيعة ويعلّمهم الأحكام الشرعيّة ويرجعون إليه بالفتوى «فكان الواجب يملي عليك التوجّه إلى هذه الديار وتعليم أهلها وإرشادهم وإلّا فسنشكوك أنا وجميع شيعة خراسان إلى النبيّ المصطفى ﷺ والأئمّة الطاهرين».

ولمّا عرف الشيخ مضمون الكتاب لم يكن لينشط للذهاب إلى خراسان ولكنّه كتب باسم السلطان كتاب اللمعة الدمشقيّة وأرسله بيد المير شمس الدين محمّد إلى خراسان وأجاب السلطان على احتجاجه بأنّ أمر الشيعة سوف ينتظم بالعلم في هذا الكتاب لأنّه يحتوي على الفتاوىٰ التي أفتي بها وعندئذٍ يسقط عنّي وجوب الذهاب إلى تلك الديار، وسوف أُعذر إن شاء الله.

وجاء في كتاب «حبيب السير» أنّ السلطان علي المؤيّد بتأييد الله لمّا جلس في سبزوار على عرش الملك بذل أقصى الجهد في إشاعة شعائر مذهب أهل البيت وعقائد الإماميّة الرفيعة، وبالغ في تعظيم السادة العظام، وفي كلّ صباح يسرج فرساً ويلجمها استعداداً لظهور الإمام صاحب الزمان، وما كان لكرمه ولطفه غاية وحدّ ولا نهاية وعدّ، ولم يقرب المخدّر أو المسكر رعاية للشرع الشريف، ولمّا قدم الأمير تيمور إلى خراسان في أحد شهور سنة اثنين وثمانين

قصده السلطان بقدم الإخلاص فعهد إليه الأمير تيمور بولاية سربدار وكان مصاحباً له في جميع الغزوات والفتوح إلى أن نالته جراحة في سنة ثمان وثمانين في خرّم آباد من بلاد «لرستان» ومات على أثرها، وبموته انتهى أمد تلك الفرقة.

ولا يخفى على القاري بأنّ جميع سلاطين هذه الطائفة بل حتّى مخدّراتهم هم من الشيعة المخلصين لأهل البيت كما يدلّ على ذلك نقوش عقود «آرايش بيگم» وحليه بنات السلطان الاسكندر بن قرايوسف لأنّ كتابة عقد إحداهنّ هي:

شعر

در مشغلهٔ دنيا، در معركهٔ محشر　　از آل على گويد آرايش اسكندر
كتبنا على عقدنا آية　　الولاء لسيّدنا حيدر
فداء لآل نبيّ الهدى　　يكون غداً آل اسكندر

وكتابة العقد الآخر كما يلي:

بود از جان محبّ آل حيدر　　اوراق سلطان بنت شه سكندر
تحبّ بالروح آل حيدر　　عبيدهم أُسرة السكندر

وكانت نق شخاتم ميرزا پير بوداغ بن ميرزا جهان شاه بن قرا يوسف كالتالي:

نامم بُداغ، بندهٔ با داغ حيدرم
هرجا شهى است در همه عالم غلام ماست

ولمّا شغل قدماءهم بحرب مخالفيهم لم تمكنهم الفرصة من ترك أثر يذكر في الدعوة وترويجها لذلك نقتصر على ترجمة الميرزا اسبند وهو شابّ ذو دين وتقيّ وصاحب آثار مشهورة.

الميرزا اسبند بن قرا يوسف بن قرا محمّد

شعر

شاهي است شير زاده كه خون عدوى اوست
در ريـــختن حـــلال‌تر از خـــون گـــوسفند
مـــالک نـــهد در انـــجمن روز رســـتخيز
در مـــجمر جـــهنّم از اعـــداى او ســـپند

ملك هو الأسـد الهـصور بـطبعه ودمـاء مـبغضه حـلال سـفكها
إن أسلمت أو أشركت في ربّـها عـندي سـواء ديـنها أو شـركها
وغـداً سـيجعلها بـنار جـهنّم خـــزّانـــها ويـــهدّها ويـدكّها

بلغ درجة من العزّ والكمال أنّ حملة مجامر النور في السماء تـحرق فـيها الحرمل على بساط جلاله، وأهل الأرض يقنتون بدعاء «إن يكاد» لصيانة جماله.

ولا يخفى بأنّ قرا محمّد من أُمراء السلطان محمّد جلاير وكانت ابنته في بيته وغدا ملازماً للسلطان أويس الايلكاني، وصار بعد هلاكه مقدّماً على «أويماقه»[1] وانظمّ إلى جماعته القبائل الأُخرى ليـحتموا بـه وانـتسبوا إليـه، وتـمكّن مـن الاستيلاء على ولايات سنجار والموصل وأرجيس، ومنه نشأت تـلك الفـرقة ونمت، وأمّا «قرايوسف» فكان غاية في الشجاعة البطولة والرجولة والحكـمة كما أنّه اختلف مع الأمير تيمور كراراً ومراراً وذهب إلى الروم مع السلطان أحمد جلاير، ومن هناك دخلا الشام ولكن سلطان الشام الملك الأشرف بناءاً عـلى تفادي غضب الأمير تيمور ورعاية لمزاجه قيّدهما كليهما وتمكّن «قرايوسف»

---

(١) هذه المفردة التركيّة لم أجدها في القواميس الفارسيّه ولا يبيّن معناها من القرائـن وخشـيت أن أتركها أو أُترجمها بما يحلولي فأُسيء إلى المعنى.

من الخلاص بعد موت الأمير تيمور واجتمع عليه فرسانه الألف الذين قدموا معه وقد تفرّقوا في البلاد بعد القبض عليه، وفرّ من هناك حتّى بلغ حافة نهر الفرات وقاتل مائة وثمانين مرّة مع أصحاب الحدود والموكّلين بالثغور، وفي كلّها تكون الغلبة له.

وفي غرّة جمادىٰ الأُولىٰ سنة تسع وثمانمائة نشبت بينه وبين الميرزا أبي بكر بن الأمير تيمور حرب بالقرب من نخجوان كان الظفر فيها له، ولمّا نشبت الحرب مرّة أُخرى بينهما قُتِل الميرزا ميرانشاه وعند ذلك استولى على أذربيجان وعراق العرب وقسماً من عراق العجم، وأقبل الميرزا شاهرخ ومعه مئتا ألف لصدّه وردعه ختم حفّاظ القرآن الذين كانوا مع شاهرخ من أجل تصفية الخصم سورة «إنّا فتحنا» اثني عشر ألف مرّة إلى أن مرض قرايوسف وتحمّل من شدّة مرضه لكمال غيرته من تبريز إلى أوجان وتوفّي فيها يوم الخميس السابع من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وجلس على سرير العرش بعد وفاة والده «قرا اسكندر بن قرا يوسف» وكان غاية في الشجاعة ونهاية في قوّة القلب.

وقاتل الميرزا شاهرخ في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة في موضع يُدعىٰ «بخشي» يومين وأظهر منتهى الشجاعة والبطولة ولكن انهت الحرب بهزيمته على أثر المكر الذي دبّره أحد أُمراء شاهرخ، فذهب إلى الروم وبعد عودة الميرزا رجع إلى أذربيجان واستقرّ على عرش ملكه.

شعر

سكندر خود شه ما را زدو جست　　　شه ما مملكت بگرفت و بگريخت

وعاد الميرزا مرّة أُخرى فأجلب عليه جيشاً ضارياً ونشب القتال بينهما يوم الاثنين السابع عشر من ذي الحجّة سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة بظاهر سلماس، وأظهر «اسكندر» في يومين جهداً بطوليّاً ولكن الحظّ لم يكن مساعداً له، فهزم هزيمة أُخرى وعاد إلى الروم واستولى على أذربيجان بعد غياب الميرزا، ولمّا كرّ عليه الميرزا مرّة أُخرى لردعه في أحد شهور سنة تسع وثلاثين، جاء الميرزا جهانشاه بن قرايوسف إلى خدمته وعرض نفسه عليه وأوكل دفع شرّ «سكندر» إليه.

مصرع

*** بدمست را بغمزهٔ ساقى حواله كش ***

ولمّا فوّض الميرزا شاهرخ ولاية أذربيجان إلى جهانشاه المذكور، عاد أخوه اسكندر من الروم واحتلّ تبريز فذهب أخوه جهانشاه الذي كان في مشتي «قزل آغاج طالش» نازلاً إلى ردعه ومنعه ونشبت حرب بين الأخوين في مطلع سنة أربعين وثمانمائة في صوفي آباد من تبريز، هزم فيها «اسكندر» ولجأ إلى قلعة آنجور إلى أن قتل بيد ولده «قباد» واقتصّ لابن الأخ من العمّ ولم يبق له مخالف في أذربيجان كلّها. أمّا عراق العرب فكان بيد أخيه «أسپند» المذكور، ودياربكر تحت سيطرة ابن أخيه الوند بن اسكندر، وكانت حروب جمّة قد وقعت بينهما ذكرتها كتب التاريخ المتداولة.

ومجمل القول أنّ الميرزا اسپند الذي هو شقيق «اسكندر» تمكّن من حكومة العرب بعد موت أخيه وكان خلافاً لسلاطين سلسلته غاية في العفّة، واكتفى في عمره كلّه بزوجة واحدة، وكان ينكر كثرة «الطروقة» وكثرة الأكل والنهمة في الجماعة والأكل، وآثار بطولته ـ الميرزا اسپند ـ وحروبه وما جرىٰ فيها من بطولات ذلك البطل الغالي:

شعر

بشمشير و خنجر بگرز و كمند برونست از حيطهٔ چون و چند

ومن شواهد ذلك أنّه لمّا قاد الميرزا شاهرخ العساكر إلى أذربيجان لدفع «اسكندر» وردعه في سلخ رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ودنىٰ تلاقي الجيشين، قامت القيامة بينهما ثلاثة أيّام واستبسل الطرفان وقاتلا بجدّ ودأب، وحمل الميرزا «اسپند» حملات متواترة ووصل إلى موقع الميرزا «شاهرخ» فقتل جماعة من الأبطال الشاهرخيّين وجزرهم كما تجزر النحائر وقلب الصفّ على الصفّ والميمنة على الميسرة وكاد حسامه يصل إلى حرس شاهرخ ويعمل فيهم السيف، وبناءاً على هذا فقد اضطرّ أُمراء شاهرخ إلى استعمال المكر والحيلة لأنّ الحرب خدعة، فاجتمعا لتدبير وسيلة يقلبون وجه الحرب لصالحهم بها.

وذلك أنّ المير شاه ملك وهو من الأعاظم والمتقدّمين من أُمراء الميرزا شاهرخ والحرب دائرة على أشدّها والسيف يحزّ النحور، والرمح الصدور، والسهام تمزّق كأجنحة الطيور، لمّا رأى نكاية حملات «الميرزا اسپند» بالجيش بالعسكر وما يلقاه من التمزّق والتشرذم على يديه، لمع في ذهنه خاطر غريب فأمر بضرب «نقّارات الفرح» و«كوسات البشائر» وارتفعت الأغاريد والأهازيج، ونادى المنادي: لقد أسرنا «ميرزا اسپند» فتحيّر «اسكندر» من سماع هذا الخبر ولاذ بالفرار بعد أن أدار الشكيمة نحو الهزيمة.

وحكم «الميرزا اسپند» بغداد ونواحيها على الاستقلال اثني عشر سنة وقد استدعى الشيخ أحمد بن فهد الحلّي وإخوانه من علماء الشيعة من الحلّة وغيرها من مواضع تواجدهم وأمرهم بمناظرة علماء السنة في بغداد وذلك في سنة أربعين وثمانمائة، ولمّا ظهر علماء الشيعة على خصومهم وأثبتوا أحقّيّة

مذهب أهل البيت عليهم السلام شرع «اسپند ميرزا» في ترويج المذهب فأمر بضرب السكّة وإنشاء الخطبة بأسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، وفي هذه السنة ظهر للسيّد محمّد بن فلاح الموسوي وهو أوّل سلاطين المشعشعيّين وجود.

وكان الميرزا اسپند في أيّام حكومته على بغداد قد خاض حروباً عدّة مع إخوانه وأولاد إخوانه وأُمراء «آق قوينلو» الذين كانوا هناك وفي أكثرها يحالفه الظفر ويلازمه السعد والنصر، ولم يخرج جهانشاه وهو والي أذربيجان مع قوّته وعظمته عن عهدته، وكان يرسل إلى شاهرخ ميرزا لخوفه من الميرزا اسپند كتباً ورسائل استغاثة ويظهر العجز عن مقارعة اسپند ميرزا ومقاومته وردعه، ويضمّن كتبه هذا البيت من الشعر وهو من نظم أحد ندمانه من الشعراء:

كوس رحلت را سوى بغداد بايد كوفتن — بهر دفع درد سر اسپند بايد سوختن

لنضرب الطبول نزمع السفر — لأرض بغداد وننجو من خطر

اسبند أو تحرق رأسه سقر

وأخيراً توفّي بمرض «القولنج»[١] سلخ صفر من سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، ومن غرائب بغداد أنّها منذ أُسّست إلى وفات «اسپند» لم يمت خليفة فيها ولا سلطان إلّا اسپند هذا فقد مات فيها ودفن في داخل البلد على شاطئ دجلة في البستان الذي دعاه «عيش آباد»[٢] في القبّة التي بناها لنفسه في حياته وأمر أن يدفن فيها بعد وفاته.

---

(١) القولنج: وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللّام ويفتح القاف ويضمّ مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح.

(٢) أحسبها عيساباذ: محلّة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسىٰ بن المهدي وأُمّه أمّ الرشيد والهادي الخيزران، وهو أخوهما لأُمّهما وأبيهما، وكانت أقطاعاً له.. الخ. معجم البلدان ج٣ ص٢٦٥.

الجند الثالث عشر

في تراجم المتأخّرين من سلاطين علويّة گيلان[١] رحم الله[٢] أسلافهم وأيّد أخلافهم الذين يقال لهم بلسان التعظيم «كاركيا»[٣]

السيّد علي

الذي ينتهي نسبه الشريف إلى الدوحة الطيّبة العليّة العلويّة على النحو التالي: علي كيا بن أمير كيا وهذا حصلت في نفسه دغدغة السلطنة فأراد حكّام گيلان قتله وبناءاً على هذا تحمّل بأهل بيته إلى «رستمدار» وهناك قضى نحبه في أحد شهور سنة ثلاث وستّين وسبعمائة.

ابن حسن كيا بن سيّد علي[٤]: وسكن قرية «ملاط» بعد أن انتقل إليها وسكن فيها من قرية «كشام كويدم».

ابن سيّد أحمد بن سيّد علي الغزنوي: ولُقِّب بلقب الغزنوي لأنّه أقام مدّة من الزمان في مدرسة مولانا عبدالوهّاب الغزنوي ولذلك لصق به هذا اللقب..

---

(١) استاد گرامی، شما لفظ «گیلان» را ترجمه ننموده بوديد كه جسارتاً بنده بـدين شكـل اصـلاح نمودم، اگر صحيح است ابقا و الّا امحا بفرماييد.

(٢) عبارة الكتاب: غفر أسلافهم، وهي غير صحيحة لأنّ «غفر» تتعدّى بالحرف فاستبدلنا بها «رحم» ليسلم السجع.

(٣) وتعني كاركيا بالفارسيّة: صاحب عمل، حاكم، ملك.

(٤) لعلّها أبو حسن، والله أعلم.

ابن محمّد بن أبو زيد: انتقل من أبهر إلى گيلان وأقام في قرية «قسام كويدم».

ابن أبي محمّد الحسن بن أحمد الأكبر المشهور بالعقيقي الكوكبي بن عيسى الكوفي: وكان غاية في الفضل، عفيفاً، وانتقل من الكوفة إلى واسط خوفاً من العبّاسيّين ثمّ تحمّل إلى أبهر واتّخذها موطناً.

ابن عليّ بن الحسن الأصغر بن الإمام الهمام عليّ زين العابدين عليه السلام. ذهب إلى مازندران بعد وفاة أبيه مع إخوانه ووصل إلى السيّد قوام الدين الوالي فأعزّه إعزازاً زائداً عن الوصف.

وفي زمن الأمير تيمور گوركان استدعاه أهالي «جيلان» وأجلسوه على سرير الملك وساق جيشه إلى گيلان «پيه پس» بصحبة أخيه مهدي كيا، واستولى على «رشت» واستشهد هو وأخوه يوم الجمعة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وخرجت «گيلان» كلّها من أيديهم ما عدا «تنكابن» وكانت حكومة «رانكو» في زمانه إلى أخيه مهدي كيا.

ومجمل القول أنّ السيّد علي كيا كان معروفاً بحلية الفضل والفصاحة وعلوّ الهمّة والشجاعة، ولمّا كانت كتابته المشهورة في جواب كتاب الأمير «تيمور گوركان» من دلائل فضله وعظمته وعلوّ همّته وتديّنه، رأينا من المناسب نقل الكتابين في هذا المقام.

صورة كتاب الأمير تيمور

السيّد علي كيا نخصّه بالتحيّات الوافية والرأفة الوافرة وتتأكّد العناية الهمايونيّة بتمهيد قواعد الاشتياق وسلوك الأوضاع على نهج الوفاق للجميع.

أمّا بعد، لمّا كان إرسال الرسل والرسائل سواء في أيّام الموافقة أو أيّام المخالفة سنّة ربّانيّة لربّ العزّة جلّ وعلا من أجل نيل قبول الطاعة وإلزام

الحجّة، وبناء على اتّباع هذه السنّة الإلهيّة كانت رسائلنا على كيفيّتين:

الكيفيّة الأُولى أنّ المرسل إليهم منذ البداية التزموا بطريقة المطاوعة وسلكوا سبيل المتابعة فقد ألهمنا الله في حقّ هؤلاء نظر العناية والشفقة إلى أعلى مدارج الكمال، ولمّا لم يكن ظاهراً منهم ما يوجب ثلم بنيان الانقياد وامتثال الأوامر، ولم يبدو منهم سبب يدعو إلى استعمال العنف والقسوة، لذلك رحمناهم واستمعنا إلى ظلاماتهم وشملت عنايتنا ورحمتنا.

والكيفيّة الثانية: أنّ الأمر لمّا آل إلى حمل الرايات فقد توجّهت الرايات الملكيّة إلى ممالك ايران بنهضة فائقة وبهذا العزم استطعنا أن نتدارك بالميامن الإلهيّة حال جماعة المعاندين والمتمرّدين على الصورة المعهودة فنذكر أحوال عزّالدين لر والسلطان أحمد وملوك كردستان الآخرين وأُمراء شيروان «وشكي - كذا» وملك بقراط وتفليس الذين نزع كلّ واحد منهم إلى الخلاف وتمرّدوا على أوامر مطاع العالم «حضرت سلطان الإسلام» خلّد الله ملكه، واستحضر أحوالهم لمّا انحرفوا عن جادّة الصواب بأيّ نوع من الآداب أدّبناهم، إذ إنّ الرايات المباركة الهمايونيّة لمّا توجّهت إلى جهة اللر الصغرىٰ فقد حلّ الدمار والخراب في ولاية عزّ الدين ونواحي ملكه دماراً شاملاً وخراباً مقيماً، واستأصل من رأس، وحبس هو وأولاده ومواليه.. وملوك «كردستان» من عصى منهم فقد خذل ونكب، وأمّا أحمد فهو وإن بذلنا له النصح ووعظناه ونبّهناه إلى حقيقة الأمر فلم يتّعظ ولم يجد نصحنا معه نفعاً حتّى حلّت به الهزيمة واختلّت أحواله بصورة تامّة ولكن إمارة «شيروان» وولاية «وشكى»[1] من تمرّد منهم وعصى فقد أحضرنا

(١) الظاهر أنّها موضع في أرمينيا وتسبق بلفظ خيزان فيقال: خيزان وشكى، هكذا وجدتها في كتاب المسالك والممالك.

لهم العصىٰ وسللنا عليهم سيف القهر، ومن لجأ منهم إلى ديوان السلطنة فقد خوّلناه ما بيديه من النواحي والولايات، وخصصناه بأنواع اللطائف والعنايات.

وأمّا ملك بقراط وتفليس الذي استقلّ بسلطنة ديار تفليس وبخارىٰ وممالك گرجستان مدّة مديدة وتمكّن منها بصفة فريدة، وكان لعظمته وصولته وبسطة يده صدىً واسع في تلك الأطراف والأكناف، ودعوناه إلى قبول الإسلام وإلى الطاعة، ولكنّه تقاعس عن ذلك وامتنع، فتحرّكت عساكرنا المنصورة نحو تفليس لكي تتدارك أمره، فنصرنا الله عليه واستطعنا بمدّة قياسيّة وبفضل الله وعنايته أن نستخلص القلاع والحصون والولايات منه، وأن يؤتىٰ به مخفوراً إلى «العتبة» التي يلوذ بها العالم، ومع كونه أظهر الصدود عن الإسلام وكشف عن روح مخالفة وكان قد تحمّل إصر محاربتنا، فقد آمنّاه، ثمّ بعد ذلك كلّه حين آمن بالدين المحمّدي صلوات الله على صاحبه، وتقبّل شروط الإذعان والامتثال فقد ركن إلى حوزتنا، ومشى تحت ظلّنا، لذلك رددناه إلى سرير ملكه وسلّمناه الديار على ذلك القرار.

والغرض من كلّ هذا أنّ نحيطك علماً بأنّ تلك الجماعة التي سبق ذكرها أحكم بلاداً وأقوى قلاعاً وأشدّ مراساً وأعظم بأساً منك، وقلاعها أشدّ استحكاماً من جيلان وأماكنك ومساكنك، وأصعب مراماً منك ومن قلاعك، ولكنّهم حين أخلّوا بشروط الانقياد والطاعة، ولم يؤدّوا مراسم العبوديّة لملك الإسلام خلّد الله تعالى ملكه وسلطانه، فقد تمّ دفعهم ومنعهم ورفعهم بأحسن وجه وأيسر سبيل.

والعجب كلّ العجب منك حيث لم تعتبر بأحوال هذه الجماعة لاسيّما جيرانك منهم «وليتذكّر أُولوا الألباب» والذين بذلوا الطاعة ولازموا الجماعة من سادات

مازندران وكوهستان فقد أقرّوا على سرر ممالكهم وما زالت تتوالى عليهم مننا وعناياتنا يوماً فيوماً، وما الذي لاقاه والي استرآباد وملوك رستمدار الذين خالفوا وعصوا من المصير المحتوم واليوم الأسود، وهذه القضايا مع قوم آخرين لا تستوجب الانتباه والاعتبار؟!

ولم يبق خافياً أحوال ولاية خوارزم وخراسان وتبريز حيث قدّموا النفاق على الوفاق، ورفضوا نصح الناصحين إلى أيّ شيء آل أمرهم، وعلى أيّ نحس جرى قدرهم، وكيف خذلوا وقهروا «جزاءاً بما كانوا يعملون».

وإنّ المقصود من تفهّم هذه المعاني والاستقصاء في تمهيد هذه المباني هو أنّ رواية «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» لمّا صحّت روايتها عن صاحب الرسالة ﷺ صحّة مؤكّدة ورواية معتمدة وإهمال قاعدة العقل والنقل ورفض شروط الطاعة الموجبة لانتظام الأُمور، وشقّ العصىٰ وابتغاء الفتنة والخراب الذي يؤدّي إلى الاستئصال التام، وانتهاج نهج المخاصمة والمعاندة يجرّ إلى وخامة الأوضاع كما جرى التذكير بمن تقدّم من أهل التمرّد والعصيان، وما أدّت إليهم مقاماتهم من جرّ البلاء عليهم، واستئصال شأفتهم، ويظهر من سلوك العجب في النفس والرضا عن التصرّف أنّ ذلك ممنوع شرعاً وعقلاً وعرفاً.

والآن إن كنت تبغي بقاء النظام واستقامة الأحوال فعليك أن ترضى بالنهضة الملوكيّة الفيّاضة، وتقبل بعنايتنا وألطافنا الملكيّة، وتقبل علينا حاسراً، وتقف بأعتابنا حافياً مع واحد من أنجالك، وترضىٰ بأوامر ملك الإسلام الجارية في الولايات، والشائعة بين الناس لكي يعفو عنك نظراً لسيادتك، ويغضي عن جرائرك وجرائمك اتّباعاً لقوله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾[1]

(١) آل عمران/١٣٤.

ويأذن بالعودة إلى الولايات والمواضع التي كانت تحت تصرّفك، ولو أنّك خالفت ما سطرناه وعصيت ما رسمناه، ولم تعتبر بمن تقدّمك ممّن ذاق مرارة العصيان والتمرّد فعليك أن تلبس للحرب لبوسها، وتستعدّ لخوض غمراتها، لأنّنا سوف نقصد بعد قضاء الملك العلّام ملكك، ونأمّ ولايتك، لكي يظهر على صفحة الوجود ما خطّ لوح التقدير، ولمّا كنت لم تقبل مزيد المواعظ والنصائح، والملاطفات والمطايبات، وآثرت الفتنة والحرب فإنّ ما يستجد من سفك الدماء والخراب والغارات وتقع على الناس من هذه البلايا العظام والشرور الجسام يعود عليك ويرجع إليك، وهو نابت في عنقك، وإنّك آثم الاثم كلّه والإصر يقع عليك، والسلام.

وهذا وجه كتاب جواب الأمير تيمور الذي كتبه السيّد علي كيا

الواثق بالملك الغني عليّ بن الأمير الحسيني، معيّن ومبرهن على أصحاب العقل والفراسة أنّ الخالق جلّت كبريائه وتقدّست أسمائه بقدرته التامّة خلق الطوائف كلّها والطبائع المختلفة في الناس على نوع البشريّة الواحدة والصنعة المتّحدة والصورة الواحدة، وساوى بين الوالي والموالي، وجعل الأعلى والأدنى في ميزان واحد، وما حصل من التفاوت والتمايز إنّما هو جزء من عطايا الفضل لربّ الأرباب، وهدية اللطف من مسبّب الأسباب، حيث إنّه «يرزق من يشاء بغير حساب» فما من غنىً وثروة أو فقر وفاقة وعطيّة وعطل من العوارض إلّا وجعله جهةً للابتلاء والامتحان، ومحكاً لمعيار النوع بين هؤلاء لكي يرسخ قدم كلّ واحد في العبوديّة على الشكل الذي أُوتيه، والحظّ الذي قسم له، ويتقبّل بارتياح ورضى الأوامر والنواهي الإلهيّة، فلا تتزلزل قدم الفقير لشدّة

البأساء والضرّاء، ولا قدم الغني لما يجد من السرّاء، وكلّ منهما يقيم واجبات الشكر ووظائف الامتنان.

وفرض على العباد أن يعدّوا أنّ النقد في الدولة والنعمة هو من واهب العطايا، فيخضعون له في مقام التذلّل والتخشّع، وأن يلقوا بالاً إلى الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[1] فلا يدخلوا محيط دائرة الطغيان والعصيان، ولا يحتقر عباد الله أو ينظروا إليهم بعين الزراية والهوان، وإذا ما أحاطوا بخزائن الأسرار الربّانيّة فلن يروا مخلوقاً أقلّ منهم شأناً، ولا يتّكلوا على قواهم الجسميّة التي مدارها على نفس واحدة ليس إلّا، وأن يجتنبوا من إيذاء المسلمين الذين هم إخوانهم في الدين «إنّما المؤمنون إخوة»، ويرون ذلك فرضاً عليهم لكي لا يروا في مرآة أعمالهم إلّا الغرر المشرقة والوجوه المرضيّة، ولا يقطفوا من شجرة الإقبال إلّا ثمرة السعادة.

وهذه المقدّمات تنبئ عن جواب الكتاب الذي أرسله «أمير تيمور» وهو منبئ عن السفاهة الكثيرة والنخوة المريرة والكلمات المنبوذة والعبارات التي لم يجر الفكر بها، وقد ادّعى فيها الربوبيّة، فإنّ الشخص الموصوف بصفة: «أوّله نطفة وآخره جيفة» وهو محتاج في اليوم مرّتين إلى الأكل والشرب، ودخول ذلك الموضع المعتاد، فكيف يستعمل خطاباً مع الناس «وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً» ويجريه على لسانه، ويضيف إلى نفسه الخوارة الضعيفة، العفو والرضوان والمغفرة والإحسان، وهي محلّ الزلل والنسيان، وقابلة للفناء النقصان، ومع ذلك هو ما برح يردّد: «إنّا كذلك نجزي المحسنين» ويتحدّث بكلمات لا يقولها إلّا المقتدر العزيز مثل جنابنا وحضرتنا ومستقرّ عزّنا وجلالنا،

(١) الشورى/٢٧.

ويمحو من ذاكرته «خلق الإنسان ضعيفاً وإنّه كان ظلوماً جهولاً».

ومهما تأمّلنا في هذا الباب فلن ينكشف لنا إلّا حُمق صاحب الكتاب لأنّ رعاية الأدب أمرٌ واجبٌ على الأنام كافّة من الخواص والعوام، ولا يجوز إطلاق الكلام السفهي مع الفقراء والذين يبيعون أنفسهم بالدرهم ولا الكلام الباطل، ليسلم من الخلل والزلل.

إنّ الصورة التي صوّرها قلمه وما أظهره من التحكّم والتكبّر بالعبارة التالية: من أنّه خطّ على الجرائر والجرائم بقلمه، وأُقاسمه باللّه لو كان من كاتبه من السوّاس والحكّام الموضعيين[١] الذين حضوا بإنعامه وإكرامه ثمّ بدى منهم تمرّد وعصيان أكان يخاطبهم بهذا الخطاب ويبلغ به العقاب إلى هذا الحدّ؟

ومجمل القول، إنّي أعذره هذه المدّة لأنّ الدماغ الذي يفرز مثل هذه اللفائف خلوّ من العقل حقّاً لو كان له أدنى إدراك لهذا المعنى لما أذن للكاتب أن يكتب، وعرف أنّ مؤدّى ما كتب هو محض كفر وشرّ مطلق، بل كان عليه أن يضع الآية نصب عينيه: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢] ويجدّ في توقير أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أحفاد البتول عليها السلام، وبناء على الحديث الصحيح المرفوع: إنّي تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٣] لما كان يقدم على إيذاء السادات وهم الوديعة عند الله، وبموجب الحديث الشريف: من أكرم أولادي فقد أكرمني، ومن أهانهم فقد أهانني[٤] لم يترك إكرامهم ولم يقدم على

(١) لفظ «الموضعيين» معنى عبارت «از قِبَل او حاكم موضعى باشد» را نمى‌رساند، اگر صلاح مى‌دانيد عوض شود.

(٢) الشورى/٢٣.

(٣) لتواتر الحديث وشهرته لم أجد موجباً لتخريجه.

(٤) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٧٧ واقتصر على الجزء الأوّل من الحديث، جامع أحاديث الشيعة ⇐

إهانتهم، ولم يرسل إليهم بمثل هذه المقالات والكتب، ولم يتلوّث فكره بغبار كراهيّتهم.

ما ذكرت في الكتاب من الوعد والوعيد والتخفيف والتهديد وصور الفتح التي جرت هذه المدّة والمواعظ والتنبيهات التي ذكرت على التفضيل، قد عُرفت لأنّ ما أوجب التباعد أو التجانب مرّة أو مرّتين كان قد حدث قبل ذلك وورد في صحبه الخواجه شمس‌الدين محمّد كتاب يشتمل على كيفيّات مجيء والي «رستمدار» الذي كانت مقدّمة المكاتبات والمراسلات منه، وإرجاع «بيك بوقا» من تلك الديار صار سبباً لمخالفته ومخاصمته، وقد ذكر ذلك مرّة فلا حاجة للتكرار والتذكار، وهذا المعنى «أظهر من الشمس وأبين من الأمس» ويعرفه القريب والبعيد، والترك والتاجيك، ومع أنّ الاعتقاد حاصل أنّ العدوّ لا يكون صديقاً، وأنّ تولية العدوّ لا تحيله إلى صديق ولا تقربه إلى النفس فإنّ طلب المتابعة من هذه الجماعة والموافقة من هذه الطبقة نظير طلب الماء بالغربال، وبالظفر قلع الجبال، ولا يخلو قبول الدعوة التي يريدها والأمر بالطاعة والانقياد الذي يطلبه من أحد أمرين: إمّا من جهة المصالح الدينيّة أو الفوائد الدنيويّة.

إنّ الأفعال التي ارتكبها مع مسلمي الأطراف والأكناف، والصورة التي بانت له مع عباد الله، من القتل والغارات والإحراق والنهب والأسر وغير ذلك قد أظهرت أن لا ربط له بالدين والديانة، لأنّ حدوث مثل هذه الأعمال لا تجوز مع الكفّار ولم يأذن الأنبياء والأولياء أن نرتكبها مع الكفّار الذين هم على غير هذه

ج ١٢ ص ١٩٣ مثله، مستدرك السفينة الحديث كلّه ص ١٠٥، الشهيد الأوّل: الدرّة الباهرة ص ٣، معجم المحاسن والمساوئ ص ٣٨١.

الملّة فما بالك بالمسلمين الذين هم أهل القبلة وفي عصمة الدين المحمّدي على صاحبه أفضل الصلاة وهم في دار الإسلام وليسوا في دار الحرب، وقد وُلِدوا على الإسلام وانقادوا للشرع وأطاعوه ولم يرتكبوا ذنباً، ولم يأتوا ببدعة، ولم ينكروا ضرورة، فكيف استحقّوا القتل وشنّت الغارات عليهم، وجاز استئصالهم.

وأمّا لو كان الغرض الفوائد الدنيويّة فاستحضر قصّة عادل خطائي الذي جرت له بعد الخدمة والملازمة والمطاوعة والمتابعة فإنّها كافية لاعتبار الكافّة «فاعتبروا يا أُولي الأبصار».

وإذن، فقد كلّف بما لا يطاق، وعرض السادات وأهل بيت صاحب الرسالة لطائلة اللوم وتهديد عقول أصحاب الدين وتخويفهم وترويع أصحاب الديانة وأرباب الملك والملّة وتأنيبهم، وهذا من علامات وهن الدين وأمارات ضعف اليقين، ومنذو غضارة الإهاب ولين العود وعنفوان الشباب لم أخضع لحكم حاكم إلى يومنا هذا، وإنّي لأرىٰ فيما بقي من عمري الفاني من المستحيلات أن أُقيم على الذلّ والهوان، والضعة والامتهان، وأن أمتثل أوامر الظلمة والفسقة «النار ولا العار، والمنيّة ولا الدنيّة». ومن هنا حيث الحميّة العلويّة والعصبيّة الهاشميّة، إعطاء الرضا من نفسي من أجل كسب أيّام من المهلة في هذا العالم الفاني الذي مكثه عين السرعة، وبقائه عين الفناء، «وليس للمؤمن أن يذلّ نفسه»(١).

إنّ ما منّ به المهيمن المتعال من الأيّام الممنوحة من ساحة قدسه بوثيقة «تعزّمن تشاء» موقعةً «تؤتي الملك من تشاء» وما أعطاني من أعنّة الاختيار

(١) منتهى الطلب ج ٢ ص ٩٩٣، التحفة السنيّة (مخطوط) ص ٦٠ إلّا للّه، جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٦٩، واقع التقيّة لثامر العميدي ص ٨٥ رفعه عن ابن عمر، المبسوط للسرخسي ج ٥ ص ٢٤، المحاسن ج ٢ ص ٣٦٠، الكافي ج ٥ ص ٦٤.

لأفواج من عباده ووضع ذلك في قبضة يد هذا الضعيف فقد سعيت جهدي على حسب إمكاني ومقدرتي في إعلاء الدين وإمضاء أحكام الشرع المبين، واتّباع أمر سيّد المرسلين ﷺ، وبذلت وسعي في استقامة أحوال الرعايا والخاضعين والمصابين بجور تيمور والمهاجمين بغاراته، خالصاً مخلصاً لوجه الله، وحقّقنا ما قدرنا عليه ممّا طمحنا إليه، وسوف نثبت على هذا الأمر حتّى آخر نفس في الحياة، ونستمرّ بالجهاد على هذه الوتيرة إلى آخر رمق، واعتمادنا على حول الحقّ وقوّته بحكم نصّ الآية ﴿**كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[1]، ولا يداخل نفوسنا هلع أو فزع من كثرة الخصوم، وإنّ «كثرة الغنم لا تهول القصّاب».

وإيّاك أن تعتبر بالقضيّة التي أوردتها على خوارزم وسيستان وهرات، كذلك لا تؤخذ بما جرى على خراسان والعراق وشيروان ونواحيها، وإيّاك أن تعتبر تلك من الكرامات ومن النصرالموهوب لك. وإنّما سبب هلاكهم وفنائهم واستئصالهم هو الفسق والفجور وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم تقيّدهم بضوابط الشرع الشريف، كما دلّت الآية على ذلك: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2] ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾[3].

كما كان جدّكم «چنكيز خان» من قبل مع كفره فقد سلّط على بعض الفجّار لدفعهم، ونشر لواء القتال والاحتلال، وكثير من أمثال هذه القضايا، وربّما قضى

(١) البقرة/٢٤٩.

(٢) الأنعام/١٢٩.

(٣) الأنعام/٦٥.

على المتكبّرين والجبّارين والمتنمّرين والفاسقين وذوي المال والقدرة والعزّة والأُبّهة والشوكة بيد محبّي آل الرسول ومواليهم، واستأصلت شأفتهم، وخضدت شوكتهم، وأُبيدت خضرائهم، والآن يهتف بنا الهاتف الغيبي لنستقبل المخالفين والمعاندين الذين قصدونا ويريدون إيذاء الصلحاء والأتقياء والعلماء والفقهاء والفقراء في هذه الديار من غير ذنب جنوه ولا إثم ارتكبوه، ونسمع هذا الهاتف بسمع الروح لا الجارحة وهو يهتف: ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ** ﴾[1]، فرحنا بالملاك كما دهشنا، وأوقفنا أنفسنا على مدلول الآية ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾[2] وتهيّأنا لخوض المعارك، واستعدّ قومنا للجهاد، ووقفنا على أُهبة الاستعداد، ونحن والحمد للّه قواعدنا ثابتة، ومحاربونا أهل بسالة مستميتون، وما دامت الحياة فينا ورؤوسنا على أبداننا سوف نجدّ ونؤدّي حقّ ﴿ **جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾[3] وهي وراثة آبائنا وأجدادنا، ونقيم ذلك على خير وجه، ويتحقّق مضمون الآية: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ** ﴾[4] ونجريه على صعيد الواقع، «والله يؤيّد بنصره من يشاء»، «وما النصر إلّا من عند الله»، ومن كثر فكره في العواقب لم يستجمع[5]، وأتمنّى من الله أن يظهر من القوّة إلى الفعل ما سطرناه بالقلم، وأن يكشفه من الخفاء إلى الظهور «وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

---

(١) التوبة/١٤.

(٢) الطلاق/٣.

(٣) الحجّ/٧٨.

(٤) محمّد ﷺ/٣١.

(٥) هذه الجملة من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ألحقها في الآية وفيها: لم يشجع. الأنوار العلويّة لجعفر نقدي ص٤٨٩، المناقب للموفّق ص٣٧٦.

وأمّا ما ذكره في آخر كتابه من قوله: إن لم تتّبع وتطع فسوف تقصدك العساكر وأُسرح إليك الفيالق، وستدمّر بلادك تدميراً، وتوقع الخراب والقتل والغارات والأسر فإنّ إثم ذلك عليك.. وأنا أقول له: اسأل العلماء الذين معك عن هذه القضيّة: من الذي يتحمّل وزرها ونكالها ووبالها، ومن أولى وأحقّ بذلك منّي ومنه؟ فلا يتهدّدني بمثل هذا الكلام فإنّ عالم الأسرار على علم تامّ بأقوال الخصوم وهو مطّلع عليها، ولا يؤاخذ عمراً بجناية زيد «ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى».

كاركيا رضا كيا بن علي كيا

جلس بعد أبيه على سرير السلطنة واسترجع ما أخذه أهل رشت من الولايات، وأخيراً توفّي يوم الاثنين غرّة جمادىٰ الأُخرىٰ سنة تسع وعشرين وثمانمائة الموافق ليوم النوروز، ولمّا كان لم يعقب فقد أسند الأمر إلى ابن عمّه.

كاركيا سيّد محمّد المشهور بمير سيّد بن مهدي كيا

ابن أخي السيّد علي كيا، ورث الملك من بعده واستطاع السيطرة على «پشت كوه» وعلى «گيلان» مرّة أُخرى، إلى أن استطاع أمير أحمد وحفيده أمير كيا بن ضارب الركاب اتفقا على حبسه في قلعة «ألموت» وسلب الاختيار منه، وتوفّي يوم الجمعة الثالث من جمادىٰ الأُولىٰ سنة سبع وثلاثين وثمانمائة في قلعة ألموت، وحمل إلى «ملاطه» ودفن فيها.

كاركيا ناصر كيا بن أمير سيّد «كذا»

تولّى السلطنة بعد أبيه وسلّم إليه «جهانشاه ميرزا» ولاية الطالقان، وحكم أربعة عشر سنة، وفاته عصر الجمعة الثاني عشر من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة.

كاركيا سلطان محمّد بن كاركيا ناصر

تولّى السلطنة بعد أبيه وبعد واقعة السلطان أبي سعيد بأربع سنين، ضبط قزوين مع الأمير عضد السيفي، وكنز اللغة محلّىٰ باسمه، ولد في قلعة رودبار في سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وتوفّي في سلخ ربيع الأوآل سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة.

كاركيا ميرزا علي بن السلطان محمّد

كان غاية في الفضل والتقوى والعدل، وكان السادات والموالي يتمتّعون بفواضل إحسانه، وكان في حسن إخلاصه وحراسته لحضرة الشاه الذي حضي بمغفرة الله إسماعيل أنار الله برهانه ظاهراً للعالمين، ولا حاجة بنا لذكر ذلك.

كاركيا سلطان حسين بن كاركيا سلطان محمّد

في سنة عشر وتسعمائة شرع وأخوه في الحكم بنواحي ديلمان، ولكن قتل «كيا فريدون» أمير الأُمراء في شلندرود من الديلمان، وسلّمه ميرزا كاركيا على أمر الحكومة واشتغل هو بالعبادة واعتزل الناس واستقلّ السلطان حسين بالحكم، ولكنّ جماعة من شياطين الإنس وسوسوا له وحملوه على قصد أخيه في «رانكو» وحملوا عليه وهو في ثياب النوم وقتلوه، وفي نفس الليلة عندما ذهب السيّد العظيم رفيع الشأن إلى الرفيق الأعلى من روض رضوان وهي الخامس من شهر رمضان الخميس سنة إحدى عشرة وتسعمائة، علم أُمراء السلطان حسين بالواقعة فحملوا «الإيلغار» من لاهيجان إلى رانكوه وقتلوا السلطان المرحوم كاركيا في رانكوه في يوم الخميس الخامس من شهر رمضان

المذكور، وكانت ولادته يوم الجمعة التاسع عشر[١] سنة سبع وأربعين وثمانمائة في رانكوه ولم يعقّب، وكانت مدّة حكمه سنة واحدة.

كاركيا سلطان أحمد بن كاركيا سلطان حسين

تولّى السلطنة بعد موت أبيه وعمّه، تحوّل من مذهب الشيعة الزيديّة الجاروديّة الذي كان مذهب أهل «گيلان» إلى مذهب الإماميّة الاثني عشريّة، ولا بدع أن ينال القدرّة التامّة من الإمدادات الغيبيّة لأئمّة الاثني عشريّة، ويمن توجّه الملك الغفور، ودخل إلى مصيف «همايون» الواقع في قزوين في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فتعلّقت به القلوب، وأظلّته العواطف، وازدادت رتبته ارتفاعاً من الواحد إلى المائة.

وفي الثامن عشر من رجب عاد إلى گيلان وقد بلغ مرامه ونال بغيته، «وصنع من قاسم الذي ارتقى من مهنة حلّاق إلى رتبة الوكالة «حملة الملك»[٢] حيث لم يبق من السلطنة إلّا الاسم.

وفي يوم الأحد الرابع عشر من ذي القعدة سنة ستّ وثلاثين تعرّض للغضب فقتلوه هو وأولاده وأخيراً انتقل «الخان» في يوم الاثنين من شعبان سنة أربعين وتسعمائة إلى عالم الخلود وكانت ولادته السعيدة في أحد شهور سنة أربع وتسعين وثمانمائة، ودام سلطانه عشرين سنة وشهرين.

كاركيا سيّد علي كيا بن كاريا أحمد

كان غاية في سلامة القلب ويحبّ العافية، لذلك مالت فرق الجيش عنه إلى

(١) لم يذكر الشهر وربّما كان شهر رمضان فاستغنى عن ذكره لتقدّمه بالذكر.

(٢) الترجمة هنا غير دقيقة والعبارة الفارسيّة هكذا: «ور سر قاسم را كه از مرتبهٔ سر تراشى برتبهٔ وكالت رسانيده حملة الملك ساخته بود.. الخ».

حكومة أخيه الأصغر كاركيا السلطان حسن الذي لم يعرف مثله في قيادة الجيوش والبطولة في تلك الطبقة، والتحقوا به فاختلف مع أخيه، وبعد القيل والقال قُتِل، وفي مطلع سنة إحدى وأربعين وتسعمائة وقع السيّد علي كيا ومعه عدد من إخوانه بأيدي القوم وتوجّه إلى دار السلام.

كاركيا سلطان حسن

تولّى السلطنة بعد أخيه واستولى على گيلان وبيه پس لعظم شجاعته، وترك الأمير «دباج» الحاكم تائباً لاجئاً، وانتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الجمعة الخامس من جمادى الأُخرى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة بمرض الطاعون.

كاركيا خان أحمد بن كاركيا السلطان حسن

أعلى رجل في تلك الطبقة العليّة، وأفضل وأكرم حيّ في الدوحة السامية، ونال الشهرة بالافتخار حتّى حظي بإرثه من الحكم على ملكه الموروث، وحصلت له النجاة باليمن، والإقبال والحظّ السعيد من كثير من الورطات، فكان صاحب التاج والتخت وجعل من مقدّمات أعماله ترويج مذهب أئمّة الهدى الحقّ عليهم التحيّة والثناء، وكان نقش خاتمه هذا البيت الذي هو نتاج طبعه الوقّاد وقريحة سيّد أرباب السداد:

تا شد سعادت ابدى راهبر مرا　　شد رهنمون به مذهب اثنى عشر مرا

حالفتني السعادة الأبديّه　　فهداني للحقّ ربّ البريّه

فتبعت الهداة من آل طه　　وتمذهبت مذهب الجعفريّه

وقال أحد الشعراء في وصف هذا البيت:

تا شد اين بيت ترا نقش نگين خانهٔ دين

گشت معمور از اين بيت چو بيت معمور

لو كـان بـيتك هـذا لخاتم الدين نـقشا
لكان ملكك لوحـاً وكان بـيتك عـرشا

وهذه القطعة من مئآثر خاطره العاطر:

مــــرا رســـيد زفـقر رســول مــيراثــى
چنانكه نيست حقيقت زهيچكس پنهان
از آنكه داده زر و مال دهر را سه طـلاق
على كـه حـامى ديـن بـود و هـادى ايـمان
بطور شـرع نـبى ايـن نـمى‌شود كـه شـود
طــــلاق داده والد حـــلال فـــرزندان

أتـــانا الفـقر مـيراثـاً لنا من جـدّنا الهـادي
وهذا الأمر لا يـخفى على الحاضر والبادي
وقـــد طـلّق مـولانا عــلي سـيّد النــادي
لدنــــيا كـــلّها هـــم لأهل الشرف البـادي
ومــن طـلّقها الوالد هـــل حــلّت لأولاد

هذا وقد دخلت جميع الولايات مثل «پيه پس» و«كسكر» و«فومن» التي كانت مستقرّ السلاطين أصحاب التاج والصولجان المعبّر عنه بإسحاق آوند وأمير دبّاج وقد كتب مولانا قطب الدين العلّامة الشيرازي كتاب «درّة التاج» باسم أحدهم لاتفاقهم في الديني والدنيوي مع البيت الأبدي العلوي الصفوي، وصار جميعها في تصرّفهم، ونطاق ممتلكاتهم، وقد ذهب كالدخان بريح الفناء الأمير المشهور بمظفّر السلطان بشؤم كفران النعمة وخلاف الدين والدولة لهذه العترة الخالدة،

وصدق فيه قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وفي قبال هذه الألطاف التي أشرقت عليه من تلك الدولة الراسية في ساحة الخلود جرى عليه ما جرى ممّا هو ظاهر واضح لأهل العالم، وما الذي كان عليه وما الذي وصل إليه، من اتحاده مع مخالفي الدولة، وهذا موجز لحاله التي جرّت إلى اختلافه.

وكما قدّره عليه القضاء والقدر فقد شنّ الهجوم عليه «حضرة» كاركيا السلطان حسن ومعه الولاة من أطراف ولايته، وكان يقبع في المركب، وظلّ تائهاً في البحر حيران مدّة من الزمان، وأخيراً رست سفينته قريباً من «بادكوبه» في بحر الإدبار وأخذه السلطان خليل والي شروان الذي كان له عزّ مصاهرة السلطان السعيد كصاحب الترجمة إلى «شماخي»[٢] عنده وكان يعمل على رأب الصدع وإصلاح الوضع، ولكن شؤمه أصاب السلطان خليل في هذه الأيّام بمرض عضال، وفي يوم الجمعة الثامن عشر من شعبان سنة اثنين وأربعين وتسعمائة أُحرق بنار الغضب الشاهنشاهيّة في ميدان «صاحب آباد» من تبريز وصار عبرة لكلّ معتبر، وصارت «كيلانات» كلّها «بيه پس» و «بيه پيش» مستقرّاً لإقبال ذلك السلطان كثير الإفضال، ولمّا كان آخر أمره نزوعه إلى مذهب الهوى والهوس وارتكاب المحرّمات والمنهيّات وصل إليه ما وصل، وحصل فيه ما حصل.

---

(١) الأنعام/٤٥.

(٢) شماخي: بفتح أوّله وتخفيف ثانيه وخاء معجمة مكسورة وياء مثنّاة من تحت مدينة عامرة وهي قصبة شروان في طرف أران تعدّ من أعمال باب الأبواب.

الجند الرابع عشر
في تراجم السلاطين العلويّة القوّاميّة المرعشيّة أصحاب مازندران

مير قوام الدين المشهور بـ«مير بزرك»

من سادات المرعشيّة ذوي السموّ والرفعة والعلوّ والمنعة، وهذا نسبهم الشريف: السيّد قوام الدين بن السيّد صادق بن السيّد عبدالله بن السيّد محمّد ابن السيّد أبو هاشم ابن السيّد علي ابن السيّد حسن ابن السيّد علي المرعش ابن السيّد عبدالله ابن السيّد محمّد الأكبر ابن حسن بن حسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، ذهب حضرته إلى خراسان وصار مريداً للسيّد عزّ الدين السوغندي، اشتغل مدّة بعلم السلوك، ثمّ عاد إلى وطنه الأصلي وهو مازندران، وفي سنة ستّين وسبعمائة بالسبب الذي سوف نذكره في ترجمة «افراسياب» صار قائداً لمازندران وظلّ في القيادة قائماً بأعباء هذا الأمر الخطير مدّة عشرين عاماً، وأخيراً وافاه الأجل المحتوم في المحرّم سنة إحدى وثمانين وسبعمائة، ودفن في آمل، وترك عدداً من الأولاد الأمجاد منهم السيّد رضي الدين والي آمل، والسيّد فخرالدين رئيس «رستمدار»، والسيّد كمال الدين قائد قوّات «ساري». كان السيّد كمال الدين وليّاً للعهد بموجب الوصيّة.

وأقبل الأمير تيمور گوركان في سنة أربع وتسعين وسبعمائة لاحتلال مازندران فتحصّن السادات منه بقلعة «ماهانه سر» وبعد مرور أيّام على الحصار عشرة أيّام

أو اثنا عشر يوماً خرج قاصداً أمير تيمور، فلم يحسن أمير تيمور خطابه لمخالفة المذهب، ولكن السيّد أحسن الجواب وشرع في إقامة حوار جيّد جدّاً مع العلماء، ثمّ أخرجوا السادات خارج المنزل وطلب «اسكندر» شيخي بدم أبيه، فقال له المير: لست وحدك من يطلب القصاص فإنّ ملك سعد «رستمداري» يطلب القصاص أيضاً، فقال «ملت» ليس هؤلاء طلبتي وثأري لأنّ أخي قتل في الحرب ولا يدرىٰ من الذي قتله، وكلّ من يسعىٰ بدم هؤلاء السادة اليوم فإنّه مؤاخذ غداً من جدّهم، فوقع هذا القول موقعاً حسناً من قلب المير، لذلك حمل «السادات» في المركب وأرسلهم إلى خوارزم ومن هناك سيّرهم إلى أقاصي تركستان وظلّ السيّد كمال الدين وإخوانه وقومه في تلك الغربة وقسّم أمير تيمور البلاد فأعطىٰ ساري إلى جمشيد قارن، وآمل إلى الاسكندر شيخي، وأعطى «رستمدار» إلى ملك سعد الدولة.

السيّد علي بن السيّد كمال الدين

ولمّا عصى اسكندر شيخي على أمير تيمور، وظهرت للسيّد علي مساع جميلة، أُعجبت الأمير تيمور، ردّ إليه حكومة آمل وما زال ساري في قبضة جمشيد، ومات هذا الأخير سنة خمس وثمانمائة، فقام مقامه شمس الدين غوري، وعاد السادات من تركستان بأمر الميرزا شاهرخ إلى مازندران، وقبل ذلك قتل العامّة شمس الدين الغوري وعاد السيّد علي والياً على ساري وقسّم بقيّة الولايات بين السادة، ولكن العامّة نازعوه منازعة شديدة إلى أن أدركته الوفاة بالنقرس في أواخر سنة عشرين وثمانمائة.

السيّد مرتضى بن السيّد علي

تولّى السلطنة لكونه وليّاً للعهد ونجم قرن رجل يدعىٰ اسكندر في مازندران

وادّعى الملك واستعان بطائفة تدعىٰ: «روز افزونيّه» لذلك غار قومه من ذلك وأعلنوا الخلاف، والسيّد مرتضى توفّي في الرابع من صفر سنة سبع وثلاثين وثمانمائة.

السيّد محمّد بن السيّد مرتضى

ولمّا كان وحيد أبويه ولم يكن لأبيه ولد غيره لذلك تولّى الحكم يوم الثلاثاء السابع عشر من ربيع الأوّل من السنة نفسها، وكان قد نظروا له في «زيج عبدالقادري» وبايعه الساريّون وكان عادلاً ومن ذوي الخلق والصفات الحسنة، ولكنّ الميرزا باير طمع في ساري فزحف على ساري بعسكره واحتلّ ساري وإن هزم عسكره في الصدام الأوّل وآخر الأمر تقدّم جماعة لطلب يد السيّدة بنت السيّد محمّد للميرزا وترك الميرزا البلاد له في سنة احدى وخمسين وأعاده عليه، واستفحل في عهده أمر بهرام بن اسكندر بقوّة وأخيراً توفّي السيّد محمّد في سنة ستّ وخمسين وثمانمائة حتف أنفه.

السيّد عبدالكريم بن السيّد محمّد

كان عند موت أبيه في معسكر «جهانشاه» أميراً، ولمّا سمع بموت أبيه عاد إلى ساري على جناح السرعة وتولّى الأمر بعده، وفي عهده ازداد بهرام قوّة على قوّته ولكنّه قتل عندما نشبت الخصومة بينه وبين سادات بابلكان، وأخيراً توفّي السيّد عبدالكريم يوم الأربعاء الخامس من ربيع الثاني خردادماه (القديم ـ كذا) سنة خمس وستّين.

السيّد عبدالله بن السيّد عبدالكريم

أُقيم مقام والده، وفي زمنه تنامت قوّة عليّ بن بهروز افزون تنامياً مشهوراً فحسده أقرانه، ولكنّه قتل السيّد شمس الدين البابلكاني على باب الديوان مِن

ثَمّ قتل على يد السادة البابلكانيّة قبل بلوغ ساري بنصف فرسخ، فشالت كفّة السيّد عبدالله وتحمّل هزيمة صعبة، ومع كلّ الذي جرىٰ كان لا يفارق السكر، مِن ثَمّ رأى السيّد زين العابدين بن سيّد كمال الدين بن سيّد محمّد ـ الذي ألقى والده السيّد عبدالله في قعر السجون وتوفّي هناك ـ الفرصة سانحة فقتله هو وجماعة أعانوه في الحمّام في الخامس من ربيع الأوّل سنة اثنين وسبعين وثمانمائة، وتغلّب الأمير زين العابدين على الحكم واستولى على أموال الولاية، واستلب من الديوان مائة وعشرين «خروار» من الأبريسم[1] ولكن كانت الحرب بينه وبين عبدالكريم سجالاً؛ فتارة يغلب هذا وأُخرى يغلب ذاك، إلى أن توفّي أحد شهور سنة ...[2]

الأمير شمس الدين

أخو السيّد زين العابدين، وحكم من بعده فأخرج الأمير عبدالكريم ولاذ بالسلطان يعقوب وشكى إليه كاركيا ميرزا علي الذي كان يمدّه لذلك أمر القائد «بكر بيك موصلو» صاحب الريّ بأخذ العسكر وإعانته إلّا أنّ الكاركيا أخرج الأمير عبدالكريم مرّة أُخرى بعد عودة العسكر فشكى السيّد شمس الدين الكيلانيّين إلى يعقوب بيك وكتب إليه يشكوهم ويتذمّر منهم فأمدّه يعقوب بسليمان بيك المرأة العجوز ومعها جيش كثير، وأقرّها على «رودبار الطالقان» مِن ثمّ وقع في جانبه اضطراب كبير وكان «آقا رستم» في مجموعة السيّد شمس الدين الإداريّة يزداد ارتفاعاً من حضيض المذلّة إلى أوج الرفعة، أخيراً قبض عليه السيّد وحبسه في القلعة إلى أن توفّي السيّد في نفس السنة.

---

(١) الخروار ما يعادل حمولة الحمار أو ثلاثمائة كيلو غرام.

(٢) وقع ذكر السنة من الناسخ.

المير كمال الدين بن السيّد شمس الدين

أُقيم مقامه وقُتِل على يد «آقا رستم» في النة التي تولّىٰ فيها الأمر، واستولى على ولايته.

المير عبدالكريم بن السيّد عبدالله

كان عند وفاة والده في الرابعة من العمر، وكان في عسكر السلطان أبي سعيد فطلبه كاركيا السلطان محمّد من هناك وأرسله إلى مازندران بصحبة العسكر، ومشت الرسل بينه وبين السيّد زين العابدين وتبودلت الرسائل، وأخيراً تقرّر أن تكون تلك الولاية له في سنة ثمانين وثمانمائة، وذهب السيّد زين العابدين إلى هزارجريب[1] فسكن فيها، واتّخذ تلك الولاية بينه وبين السيّد شمس الدين سمة مشتركة، وتوفّي المير السيّد عبدالكريم في سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة.

المير شاهي بن عبدالكريم

تولّى السلطنة بعد أبيه في ولايته فأخرجه «الآقا محمّد روز افزون» ولجأ إلى عتبة إله العالم، وأعان متبوعه في إحكام أمر الحكومة ولكنّه قُتِل في دماوند على يد مظفّر بيك التركماني ملازم آقا محمّد في سنة تسع وثلاثين وتسعمائة.

مير عبدالله بن مير سلطان محمود بن مير عبدالكريم

نال الإمارة في دولة «روز افزون» وتأمّر عليهم حتّى أصبح والياً على تلك الديار وتمكّن من الاستقلال بعد وفاة «آقا محمّد»، ولمّا كان سفّاكاً للدم مستهتراً بقتل النفوس أخرجوه من الديوان الأعلى وأُقيم مقامه السلطان مراد خان بن مير شاهى الذي اشتهر بالأخلاق الرضيّة وتحلّى بالإنصاف ولم ير مثله في تلك

---

(١) قرية من قرى مازندران، وهزار جريب كلمة فارسيّة معناها ألف جريب.

السلالة المحسنة وارثاً بعد المير الكبير ﷺ، ولمّا بلغه هذا الخبر في يوم السبت الحادي عشر من جمادىٰ الأُولىٰ سنة تسع وستّين وتسعمائة سارع بإيصال نفسه إلى ملجأ العالم وتعهّد له بمبلغ كلّيّ ممّا بقي على من قبله أن يوصله إليه مِن ثَمّ أرجع تحصيل هذا الوجه إلى عهدة عليخان بيك حفيد ورون سلطان تكلو، ففرّ منه المير عبدالله سالكاً نهر «جاجرود» ولكنّه قبض عليه مرّة أُخرى وقيّدوه في قلعة «أولاكليس» وفي هذه الأثناء عدىٰ عليه جماعة يطالبونه بدم قتلاهم فقتلوه واستقلّ السلطان مراد هناك بالدولة أبديّة الاتصال.

مير عبدالكريم بن مير عبدالله خان

اشترك مع الأمير مراد خان بناءاً على الحكم الهمايوني في الحكم، ولمّا كانت أعماله خارجة عن وجوه الصواب لذلك عزلوه وحملوه إلى قزوين فانتحر سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ليلة الجمعة من شوّال بأكل الأفيون.

الجند الخامس عشر
في ترجمة ملوك طبرستان ورستمدار[1]

ونوضّح ذلك في طائفتين: الطائفة الأُولى ملوك مازندران المعبّر عنهم بالباونديّة، ويفترقون إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأُولى

أربعة عشر شخصاً يتقدّمهم:

كيوس بن كيقباد

الأخ الأكبر لأنوشيروان الذي صار بحكم أبيه سلطان العجم فولّي على مازندران فاختلف هو وأخوه بعد أن حكم سبع سنين وقُتِل على يديه، وكانت السلسلة التي حكمت البلاد من كيكاوس إلى قارن بن شهريار سلسلة كافرة لذلك أعرضنا عن ذكرهم ونشرع بذكر الجماعة التي كانت مؤمنة مسلمة.

قارن بن شهريار

قضى ثلاثين سنة الحظّ مقبل عليه وهو أوّل مسلم شيعيّ من تلك الطبقة كما

---

(١) يقول حمد الله مستوفي في ذكر ولايات مازندران: الرابع: آمل ورستمدار.. رستمدار ولاية يتبعها ثلاثمائة قرية وقصبة، ومناخها أقرب إلى الحرارة، وجميع هذه الولايات تستقي من شاهرود.

صرّح بذلك الشيخ عبدالجليل الرازي في كتاب النقض وله ولدان «سرخاب» و«مازيار».

رستم بن سرخاب بن قارن

حكم بعد جدّه تسعاً وعشرين سنة، وفي زمنه زحف رافع بن هرثمة بإغراء منه وتصويب على البلاد في مازندران وقبض عليه في هذه الأثناء في «سرخون» ووجّهوا به إلى إحدى قلاعها، وتوفّي هناك في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومأتين.

شيروين ابن رستم

ولّي على مازندران بعد حبس والده بمدد من السامانيّين ومات بعد أن قضى في الحكم خمساً وثلاثين سنه وكانت للشيخ أبي ريحان البيروني معه صحبة، ويروي عنه في «الآثار الباقية» وهو مذكور في معجم ياقوت الحموي، وإنّه قوي أمره فاستولى على طبرستان كلّها والديلمان وفومن، وفي زمنه توجّه الأمير نصر بن أحمد الساماني يريد بلاد الري ووصل إلى «هزار جريب» وأراد أن يخلص هذه المنطقة منه ولكن الاصبهبذ قطع عليه طريقه وقدّم له ثلاثين ألف دينار فلم تقع منه موقع القبول.

الاصبهبذ بن شهريار بن شيروين

كان معاصراً لركن الدولة بن بويه وحكم سبعاً وثلاثين سنة، وكانت زوجة فخر الدولة بن ركن الدولة بنت شيروين بن مرزبان بن رستم بن شيروين الذي ألّف جدّه المرزبان كتاب «مرزبان نامه» من بني عمومته.

دارا بن رستم

استولى، وتوفّي بعد ثماني سنوات.

اصبهبذ شهريار بن دارا

حكم خمساً وثلاثين سنة وأعانه قابوس بن وشمگير حتّى وصل إلى ملكه ووقع الخلاف بينه وبين قابوس، واستولى قابوس على الأمر. قيل: إنّ الحكيم الفردوسي ﷺ أراد وضع «الشاهنامه» باسمه ولذلك سافر إلى مازندران وقرأ عليه أبياتاً يهجو بها السلطان وسوف يجيء ذلك في المجلس الخامس، فلم يجز له ذلك فسكت الفردوسي بعد أن راعىٰ خاطره.

رستم بن شهريار

في سنة ثماني عشرة واربعمائة حارب علاء الدولة فوقع في شدّة وسجن وضيّق عليه، وفي رجب التاسع عشر منه مات في السجن وانقرضت بموته الفرقة الباونديّة.

الفرقة الثانية

ثمانية أشخاص من الباونديّة:

الاصبهبذ حسام الدولة

هو شهريار بن قارن بن سرخاب بن شهريار بن دارا، كان أبوه سيّئ الحال عند استيلاء آل زيار على الأمر، وتمكّن من القبض على بعض القلاع وكان أحياناً يغير على ولاية العدوّ فتكون له الغلبة إلى أن مات سنة ستّ وستّين وأربعمائة وحصل على ملكه الموروث.

وبعد وفاة ذلك السلطان العظيم حمل السلطان محمّد ملكشاه سنقر على بخارى بخمسة آلاف فارس لقتاله فحلّت الهزيمة بالسلاجقة وأراد السلطان محمّد أن يتفادى الأمر ويصالحه، فزوّج ابنته لنجم الدولة قارن وهو وليّ عهد

أبيه ومات الاصبهبذ بعد ثلاث وثلاثين سنة من الحكم وعن عمر ناهز الثمانين عاماً.

نجم الدولة قارن بن شهريار

تولّى الحكم من حيث كونه وليّاً للعهد ولكنّه مات بعد ثماني سنوات.

رستم بن قارن

تولّى الحكم بعد أبيه ووقع بينه وبين عمّه «علاء الدولة علي» الذي لجأ إلى السلطان سنجر من مطاردة أخيه له وذهب إلى حضرة السلطان محمّد من هناك فأمدّه فغلبه علاء الدولة وتجرّع رستم السمّ على يد ابنة السلطان محمّد زوجة أبيه وكان ملكه أربع سنين، وتزوّج علاء الدولة ابن شهريار زوجة أخيه وذهب إلى مازندران بحكم السلطان محمود بن محمّد في أحد شهور سنة اثنى عشرة وخمسمائة، وعاد ملكه الموروث له، وحكم إحدى وعشرين سنة وأخيراً ترك الحكم واشتغل بالعبادة بسبب ما حلّ به من مرض النقرس.

الشاه الغازي رستم بن علي

تولّى السلطنة لكونه وارثاً لها، وفي أحد الشهور من سنة اثنين وخمسين حمل على ولاية «ألموت» بدون سابق إنذار بجيش عرمرم فقتل الملاحدة ونهب قلاعهم وحصونهم، وباع ذراريهم في سوق النخاسة، وأتلف عدداً من الأماكن بحيث بقي الخراب فيها إلى سنين عدّة.

وكان الشيخ عبدالجليل الرازي ﷺ معاصراً له، وعبّر عنه بكتاب النقض بملك الملوك، وقال: إنّ ملك الملوك وشرف الملوك رستم بن علي وأبوه مالك مازندران وأسلافه هم جميعاً نوّاب المهدي صاحب الزمان، وقد قتلوا ١٢٧ ألفاً

من الملحدين ويضربون السكك باسم المهدي صاحب الزمان، وفي هذه الأثناء قصد الأمير «ايناق بقبه سنجر» بلاد مازندران فوقع أخو الشاه غازي على الذي ما فتئ في حرب سجال مع أخيه بيد «ايناق» فقتله وبعث برأسه إلى أخيه غازي فكانت تلك الحركة شديدة عليه جدّاً ولكنّه في سنة خمس وخمسين قاتل مع ايناق جموع «الغازان» لحمايته وغلبهم خمس مرّات، وفي المرّة الأخيرة سدّ طريق الفرار ايناق عليه بناءاً على «الفرار ممّا لا يطاق من سنن المرسلين» ووقعت الهزيمة عليه فقتل من جنده سبعة آلاف مقاتل.. ثمّ وافاه الأجل المحتوم بعد حكم دام أربعاً وعشرين سنة وعمر ناهز الستّين عاماً في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ولكن صاحب الكامل ذكر في تاريخه بأنّ وفاته كانت في الثامن من شهر ربيع الأوّل سنة ستّين. على أيّ حال فقد قيل في رثاه هذين البيتين:

اى پرده دار پرده فروهِل كه بار نيست **بر تخت رستم ابن على شهريار نيست**

ديو سفيد سر زدماوندكن برون **كاندر زمانه رستم مازندران نماند**

يا حامل السُتُر العظيمة ألقها **ما رستم في عرشه موجودا**

أخرج هيا عفريت راسك إذ غدا **مازندران بفقده مفقودا**

علاء الدين حسن بن رستم

قام مقام أبيه وكان جبّاراً سفّاكاً، وقد أحاط نفسه بما يقرب من ثلاثمائة أو أربعمائة غلام أمرد جميل يغار أحدهم من الآخر وكانوا يركبون رؤوسهم وأخيراً بعد أن حكم تسعة سنين توفّي وهو لا يعي سكراً قتيلاً بيد أحد مماليكه.

الشاه أردشير بن حسن

كان متمرّساً بضروب الحيل المقبولة، واستطاع قتل قتلة أبيه بلطايف الحيل، وبعد حكم دام أربعاً وثلاثين سنة وثمانية أشهر وصل إلى اصفهان بسبب من الأسباب في سنة اثنتين وستّمائة. يقول «كمال إسماعيل» في مدحه:

پساهان را به هريک چند دولتها جوان گردد
هوايش عنبر افشاند زمينش گلستان گردد
بگويم گرچه مى‌خيزد سپاهان را چنين دولت
از آن كارامگاه تخت شاه نوجوان گردد
ملک اصپهبذ عادل كه هرجائى كه رو آرد
سعادت هم‌ركاب او دو اسبه در عنان گردد

أضحت بلاد اصبهان جنّة كأنّها الفتاة في دلالها
هوائها من عنبر وأرضها روض حكى الجنان في خصالها
أقول حين أخرجت كنوزها لتفتدي عرشاً لخير آلها
هو المليك الشاب أينما سرى سرىٰ الهنا ينيخ في رحالها

والظاهر أنّ ظهيراً استعمل إيماءاً في هذا البيت:

شايد كه بعد خدمت سى سال در عراق نانم هنوز خسرو مازندران دهد

لعلّي بعد أن قضّيت دهراً أُعاني الجهد في أرض العراق
أنال الخبز من ملك مفدّىٰ بآمل كي يخفّف ما أُلاقي

ويظهر تشيّع الشاه أردشير من كلام ظهير ظهوراً بيّناً:

عزم آن كرده‌ام كه برتابم سوى مازندران عنان سفر
كه بوجه معاش نشنيده مهر بوبكر و دوستىّ عمر

نويت أن أقصد في سفرة مازندراناً وأُعاني السفر
كي لا أرى أبحث عن كسرة بمعول يهدم دين البشر
يصنع من حبّ أبي بكرهم أو حبّ تاليه المسمّىٰ عمر

شمس الملوك ابن شاه أردشير

كان في حكم أبيه في قلعة «دارا دربند» وافترع مقعد الحكم بعد موت أبيه بإجماع من أركان الدولة، وقُتِل بعد أربع سنوات في سنة ستّ وستّمائة كما ذكر ذلك السيّد أبو رضا الحسين بن محمّد بن أبي الرضا الماطري العلوي ولم يعقّب.

الفرقة الثالثة

من الماونديّة سبعة أشخاص:

حسام الدولة أردشير

ويُدعىٰ أبو الملوك وبذلك يتّصل بالحكّام السابقين، وفي أحد الشهور من سنة خمس وثلاثين وستّمائة خرج في مازندران أردشير «كند خوار» بن شهريار «كند خوار» بن رستم بن دارا بن شهريار بن قارن بن سرخاب وهو ابن أُخت شمس الملوك، واتخذ آمل عاصمة له فتلافىٰ الخراب الذي أحدثه التتار، ومات سنة سبع وأربعين وستّمائة.

شمس الملوك محمّد بن حسام الدولة

تولّى السلطنة بعد أبيه مقدّم هلاكو خان إلى ايران فحاصره وحاصر «شهراكم» (كذا) حاكم «رستمدار» واسترجع الجبل وعادا قبل أن يستأذنا إلى ولايتهما فغضب عليهما وقُتِل بأمر «ابقا خان» سنة خمس وستّين وستّمائة.

عماد الدولة عليّ بن حسام الدولة

وصل أردشير إلى الحكم بعد أخيه باتفاق المغول وتوفّي سنة خمس وتسعين وستّمائة.

تاج الدولة يزدجرد بن شهريار بن أردشير

قام مقام عمّه وعمرت في عهده مازندران حتّى بنيت في آمل وحدها سبعون مدرسة، توفّي في سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وتولّى من بعده نصير الملّة شهريار بن يزدجرد وتوفّي سنة أربع عشرة وسبعمائة في عهد أُلجايتو خدابنده.

ركن الدولة شاه كيخسرو بن تاج الدولة

قام مقامه وتوفّي سنة ثمان وعشرين.

شرف الملوك بن ركن الدولة

نال الحكومة سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وتوفّي في هذه السنة.

فخر الدولة حسن بن ركن الدولة

تولّى السلطنة بعد ذلك وفي عهده توفّي الأمير وجيه الدين مسعود «سربدار» وفي زمنه حدث طاعون مريع وهلك فيه أكثر آل ماوند ولم يبق غيره وبعض أطفاله، وتقدّم لطلب يد أُخت أفراسياب الجلاوي وكان هذا الرجل قد استولىٰ على الملك والمال وطمع بالسلطنة وبما أنّ أُخته لأُمّه وهي من رجل آخر لذلك قذفه أفراسياب بها مستعيناً بأُخت فخر الدولة على قذف فخر الدولة بتلك المرأة المحرّمة عليه شرعاً، واستحصل فتوىٰ من العلماء بإباحة دمه، وفي يوم السبت السابع والعشرين من المحرّم سنة خمسين وسبعمائة دخل فخر الدولة الحمّام ولمّا خرج منه طلب كيا علي وكيا محمّد ولدي أفراسياب وكانا شابّين

رخيمي الصوت في مكان خلع الثياب الذي يقال له «المسلخ» ففتحا الشاهنامه وشرعا في قراءتها بأداء حسن وقد وضع فخر الدولة خنجره على الكتاب فتناول أحدهما الخنجر موهماً أنّه يريد قلب الصفحة ولكنّه غرسه في قلب فخر الدولة وقضى عليه حالاً وانقرض بموته تلك السلسلة القديمة.

فرعٌ في شرح الطائفة الجلاويّة

أفراسياب الجلاوي

تولّى السلطنة بعد فخر الدولة فنزع ما كان عليه الأُسر القديمة من الالتزام بالأدب والدين، واتّخذ الفسق ديدناً، والفجور مألفاً، وفي هذه الأثناء أخذ «كيا حسن» الضامن الذي كان بعهد من فخر الدولة «حامي القلعة» قلعة اللّارجان وهو ختن أفراسياب على أُخته فبلغت الحال قوام الدين المرعشي وكان في ذلك الوقت قد أُقعد على مسند الإرشاد وانضمّ إليه كيا حسن وصار مريداً له وغالى في ذلك حتّى وسمه بـ«شيخي» ولكنّه انقلب عليه بآخرة وصار يذمّه ويُسيء القول فيه، واستعان بفقهاء المنطقة وآذى السيّد إيذاءاً كثيراً حتّى سجنه وصادف أنّ ولده كيا يوسف في تلك الليلة أُصيب بالقولنج[1] فأُطلق السيّد عندئذٍ فكان سبباً في ازدياد عقيدة الناس بالسيّد، وانهال الناس على حلقته، ولم يجد أفراسياب حيلة يقابل بها هذا التوجّه إلّا دفع السيّد، فأقبل ومعه فوج من المقاتلين إلى صومعة السيّد وكانت في القرية المسمّاة بـ«دابويه» ونشأ قتال بين الجهتين وأصابت أفراسياب رمية في مقتله فهلك.

(١) قال في البرهان القاطع: معرب كولنج وهو وجع يصيب البطن أو الجانب.

كيا فخر الدين جلاوي

حكم ساري دهراً ولكنّه قصد السيّد عبدالله وولده الأكبر سيّد قوام الدين بدون جريرة، وكان السيّد قوام الدين معروفاً بالزهد والانزواء حتّى صار لا نظير له بذلك ولكنّه ـ أي الجلاوي ـ لم يلبث حتّى اقتُصّ منه ومن أولاده الأربعة في حرب المير قوام الدين.

كيا اشتادسف

الذي كان ختن فخر الدولة على أُخته وتقصّد السيّد عبدالله من غير جريرة أتاها، وكان فخر الدولة حسن حاكماً على مازندران وشارك في سفك دم السيّد عبدالله وأخيراً قُتِل مع أولاده السبعة في قلعة «لوحي».

اسكندر شيخي بن أفراسياب

مات في واقعة أبيه وكان ملازماً لملك هراة وبعده تحوّل إلى خدمة أمير تيمور، وصار صاحب آمل وناحية جلاوية، وفي سنة ستّ وثمانمائة أظهر التمرّد والعصيان على الأمير تيمور فزحف عليه الأمير تيمور بعسكره وأزاله عن صفحة الوجود.

مير حسين كيا بن المير علي

جدّه الأعلى لهراسب بن أفراسياب الجلاوي، طغى طغياناً زائداً في أواخر دولة الأتراك وعصى جناب السلطان المغفور له ومعه جماعة من موالي السلطان، وفي سنة تسع وتسعمائة قبضوا عليه وقُتِل على أقبح وجه وانقرضت تلك الطائفة به.

الطائفة الثانية

في ترجمة ملوك «رستمدار» المعروفين بملوك «گاو باره»

وأوّلهم فيروز عمّ اسفنديار ونحن رعاية للإيجاز نقتصر على ذكر بعض المسلمين المؤمنين منهم:

شهريوش بن هزار اسب بن فخر الدولة

وكان عادلاً عاقلاً عالي الهمّة وتحته أُخت الشاه غازي رستم والي مازندران، وكان بينهما اتحاد تامّ، وعلى هذا الأساس كانت المملكتان تداران بينهما بالمشاركة حتّى بلغت طبرستان في عهدهما إلى أوج رقيّها وعمرانها، وقال المظفّري الشاعر في حقّه:

جنّت‌عدن است گوئی کشور مازندران　　در حریم حرمت اصپهبد اصپهبدان

كأنّما مازندران جنّة　　محميّة بملك الملوك

ملك ثلاث عشرة سنة.

اسپندار كيكاوس بن هزار اسب

تسلّط بعد أخيه ونشأ بينه وبين السلطان غازي خلاف فعهد بولاية العهد إلى ولده حسنان إلّا أنّه درج في عهد والده وترك ولداً ابن عام واحد يُدعىٰ «زرّين كمر» ومات كيكاووس في سنة ستّين وخمسمائة وحكم سبع سنين.

اسپندار هزار اسب بن شهريوش بن هزار اسب

حكم بعد عمّه وطال أمد الحرب والمناوشات بينه وبين «شاه أردشير» والي مازندران وأخيراً تنازل لأردشير وذهب إلى ساحته، وبسبب من الأسباب حاول الهروب فقُتِل بيد هزبر الدين خورشيد وهو أحد أعمامه، وكان مدّة ملكه عشرين عاماً.

زرّين كمر بن حسنان بن كيكاووس

ولمّا بعث أردشير بعد قتل «هزار أسب» رجلاً يُدعى «الباشا علي» على حكومة «رستمدار» ثمّ تنامىٰ إلى سمعه أنّ «زرّين كمر» بلغ الحلم فأراد أن يعقد له على أُخته ويوليه ولكن أهل «رستمدار» امتنعوا من قبول ذلك فولّوا رجلاً يُدعىٰ «بيستون» وقتلوا «الباشا علي» فاستخفى «زرّين كمر» فزحف أردشير عليهم وهرب «بيستون» إلى قلاع «رودبار» وعهد أردشير بالحكم إلى «زرّين كمر» ودام حكمه أربعاً وعشرين سنة وتوفّي سنة عشر وستّمائة.

بيستون بن زرّين كمر

قام مقام أبيه واحتزم بنطاق السرور وتوشّح بوشاح الحبور وبعد سنوات عشر لبّى نداء الحمام في سنة عشرين وستّمائة.

فخر الدولة نامور بن بيستون

جلس على عرشه الموروث ومات بعد حكم دام عشرين سنة.

حسام الدولة أردشير بن بيستون

حكم في حدود گيلان وولّي أخوه الأصغر المدعوّ بالاسكندر وأُمّه من خوارزمشاه على «ناقل».

اسپندار شهراكيم

أخو «أردشير» الثاني وقام مقامه بعد موته، وفي العام الحادي عشر من حكومته جلس «منكوقا آن» على العرش، ومات شهراكيم سنة إحدى وسبعين وستّمائة.

ملك اسپندار فخر الدولة نام آور بن شهراكيم الملقّب بـ«شاه غازي»

كان عادلاً ومتشرّعاً ورحيماً، كان ما فتأ يحرّض الناس على الطاعة ويرغّبهم في العبادة إلى الحدّ الذي أمر برفع النداء أنّ الفرق بين الناس يكمن في مقتضى هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[1]، وعمل بالآية فمنع يوم الجمعة من البيع والشراء وسائر الأعمال الأُخرى وأمرهم بالذهاب إلى المسجد الجامع لأداء الصلاة ورفع الدعاء، وقصده جماعة من ضعفاء الصنّاع وأهل الحرف ووقفوا بساحته وقالوا: ما العمل ولنا عيال وأطفال وعلينا أن نكسب يومنا كلّه لإمرار معاشنا، فلو أوقفنا العمل بناءاً على الأمر السامي يوم الجمعة لتعرّضنا للجوع والمخمصة، وإذا لم نذهب إلى المسجد تعرّضنا لعسف الحكّام والمأمورين، فما الذي نعمل؟ وما هو حكمنا؟!

فأمر الشاه غازي بتعيين عمل للضعفاء من الناس وأصحاب المهن والصناعات ذات الدخل المحدود وأمر برصد مبلغ معيّن في الديوان يستوفونه في كلّ عام لئلّا يتساهلوا في حضور الجمعة والجماعة، وعمل الديوانيّون بما أمر السلطان بعد ذلك علم المحتسب أنّ شخصاً يقيم الصلاة مع الناس ولكن دون أن يتطهّر فأمر بتأديبه، فقال ذلك الرجل: إنّ ما تدفعونه لي ثمن الصلاة وحدها وينبغي مضاعفة الثمن إن أردتم منّي الوضوء، وكان الشاه غازي يسمع ما يقوله، فأمر بإعطائه مبلغاً زائداً على ما يتقاضاه بمقدار الثلث.

وتوفّي سنة إحدى وسبعمائة بعد ثلاثين سنة من الحكم.

---

(١) الجمعة/٩.

الملك كيخسرو بن شهراكيم

حكم بعد أخيه أحد عشر سنة ومات سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

شمس الملوك محمّد كيخسرو

حكم خمس سنين ونيّفاً وتوفّي سنة سبع عشرة وسبعمائة.

نصير الدولة شهريار بن كيخسرو

حكم بعد أخيه وقتل سنة سبع وعشرين على يد ابن أخيه اسكندر.

تاج الدولة زيار بن كيخسرو

حكم بعد أبيه وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة مات في موضع كور.

جلال الدولة اسكندر بن تاج الدولة زيار بن كيخسرو

تولّى الحكم بعد أبيه وفي عهده قُتِل الأمير مسعود «سربدار» في تلك الديار، وكان العامّة هناك لا يحلقون رؤوسهم ويتركون شعورها مسترسلة، فلمّا مات حلقوا رؤوسهم ووضعوا عليها المناديل، وعمد جلال الدولة صباح السبت الواحد والعشرين من ذي الحجّة سنة ستّ وأربيعن وستّمائة إلى هدم قلعة «كجور» وبنائها، وقُتِل سنة إحدى وستّين وسبعمائة بعد حكم دام سبعاً وعشرين سنة، وصورة الواقعة على النحو التالي:

إنّه كان للملك نديم من أهل قزوين، فنشأ نزاع في إحدى الليالي بينه وبين آخر من أهل المجلس وكان النزاع حادّاً، فانتزع النديم سكّيناً وضرب بها ذلك الشخص فارتبك المجلس وأُطفأ المصباح وأراد الملك الخروج فوقع طرف السكّين في يده وعلم أحدهم بذلك، فقال: لقد جرحوا الملك، قالها والملك

يحاول الخروج وقد مدّ رأسه من الباب، فظنّ الحارس أنّه هو الضارب فأعمد خنجره في خاصرته وقضى عليه.

فخر الدولة الشاه غازي بن زيار

وصل إلى سدّة الحكم بعد أخيه ومات سنة ثمانين وسبعمائة.

سعد الدولة طوس بن تاج الدولة زيار

وصل إلى الحكم بعد قتل قباد ووصل إلى حضرة الأمير تيمور في مازندران.

الملك كيومرث بن بيستون بن گستهم بن تاج الدولة زيار

قتل أبوه ملك بيستون في سبع وثلاثين وسبعمائة على أيدي الملاحدة في طالقان، وصار هو حارس قلعة النور بأمر تيمور، ولمّا كانت العداوة مستحكمة بينه وبين اسكندر شيخي وفي واقعة العصيان على «اسكندر» من أمير زاده رستم ابن عمر فإنّه قبض على شيخ ملك وساقه مخفوراً إلى اسكندر فحمله اسكندر على فرس وأعطاه قدراً من المال وقال: اذهب حيثما شئت، فقصد شيراز فنزل على الشيخ (پير[1]) محمّد عمر وبقي زماناً محصوراً هناك محجوراً عليه إلى أن تخلّص من الأسر، فتزيّا بزي الدراويش وقصد «رستمدار»!! وهناك ركب الأخطار وتهوّر حتّى استولى على قلعة «نور» وكان قد نذر وهو في سجن شيراز إن خلّصه الله من الوثاق وأوصله إلى الحكم مرّة أُخرى سوف يوقف نفسه على الدعوة لمذهب أهل البيت والأئمّة الاثني عشر وكان أهل «رستمدار» قوماً من أهل السنة فدعاهم إلى مذهب الحقّ وراج التشيّع في تلك الديار من يومئذٍ.

---

(١) يطلق هذا اللفظ على عدّة معاني وهو المرشد والدليل والقطب وشيخ الطريقة ويقابله المريد والسالك وإمام الطريقة الصوفيّة وإمام أهل التصوّف ومقتداهم وشيخ التصوّف.

توفّي «ملك» في شهر رجب سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتقاسم ولداه الملك من بعده وما زالت هذه القسمة إلى اليوم (وهو سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة) معتبرة، وقسم منها يختصّ بولاية قلعة نور وتوابعها، والقسم الآخر يختصّ بناحية «كجور»[1] وما يضاف إليها وقد تولّى السلطنة منهم إلى هذا اليوم ثمانية أشخاص وما زالت السلطنة بأيديهم.

الملك كاوس بن ملك كيومرث

قام مقام أبيه وكان وصيّه وكانت له السلطنة على إخوانه الثمانية بأمر والده ولكن سائت علاقة إخوانه معه لكثرة سفكه للدماء، فلجأوا إلى ملك «اسكندر أخيه»، توفّي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

الملك جهانگير بن الملك كاوس

حلّ محلّ أبيه المغفور له في قلعة «نور» ونشأ نزاع بينه وبين عمّه «اسكندر» وأصلح ما بينهما كاركيا السلطان محمّد طيّب الله ثراه سنة إحدى وثمانين وثمانمائة إلى أن توفّي في أحد شهور سنة أربع وتسعمائة.

الملك كاوس بن جهانگير

تولّى الأمر بولاية العهد التي كانت له، أخيراً قُتِل في حرب أخيه ببيستون.

الملك كيومرث بن جهانگير

ضبط قلاع نور بعد حادثة أخيه وقطع عليه طريقه أخوه الملك بيستون هناك

---

(١) اسم ولاية من ولايات طبرستان وكانت تُدعىٰ قديماً بـ(رويان) تقرب منها منطقة «تنكابن» وربّما اعتبرت إحدى مناطق تنكابن الثلاث وموقعها الآن الناحية المركزيّة لمدينة نوشهر وتتألّف من اثني عشر قرية وقصبة.

حتّى نشبت بينهما الحرب وقُتِل على يد بيستون، وبلغ الملك بيستون بن جهانگير بعد قتل أخيه وأعمامه وأراد أن يحكم «رستمدار» كلّها وبناءاً على هذا فقد زحف على «كجور» بجيشه سنة عشر وتسعمائة فأخضع الولاية كلّها إلّا القلعة، وأخيراً في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة السادس من صفر قضي عليه بيد قيّمته وهو سكران وكان قد قتل قومها.

الملك بهمن

ورث ملك أبيه من بعده وأحسن السلوك مع حكّام الولايات المجاورة وتزوّج أُخت الملك ذي الجاه الرفيع السلطان أحمد خان ورضيعة الأمير عبدالكريم والي مازندران وحكم ثلاثاً وعشرين سنة وتوفّي في أحد شهور سنة سبع وخمسين وتسعمائة وهذا الشطر موافق لتاريخ وفاته.

مصرع

* مزيد بقاى كيومرث باد *

الملك كيومرث بن بهمن

حكم بعد أبيه وقد زار مراراً عتبة ملجأ العالم فشمله بلطفه العميم ورعاه بخلقه القويم. ولّي على «نور»، وهو ابن أُخت الأمير عبدالكريم ملك أُويس بن ملك گستهم بن ملك بيستون، هو لؤلؤة ثمينة في أصداف ملوك صرّة المسك «رستمدار» والآن بلغني أنّه متمكّن من بساط الثروة، والله أعلم.

ملوك كجور

وممّن يحمل هذا الاستم ستّة أشخاص حكموا هذه المنطقة إلى هذا التاريخ:

الملك اسكندر بن كيومرث

وقع بيد أخيه الملك كاوس ولكنّه خلص منه بسلام وتوفّي بعد مدّة يسيرة فقام مقامه الملك تاج الدولة بن اسكندر واستقلّ بالحكم هناك مدّة من الزمان.

الملك أشرف بن تاج الدولة

وصل إلى سدّة الملك بعد أبيه وكان في ذلك الحين يستعدّ الملك بيستون لغزو بلاده ولمّا رأى العجز بادياً من نفسه في مقارعة خصمه أقام ولده الأكبر الملك كاوس في القلعة ورحل هو إلى «گيلان» ولمّا هلك الملك بيستون عاد إلى بلاده ولكن الملك كاوس لم يمكنه من العودة فلم يُبدِ أيّة مقاومة، وتوفّي في أحد شهور سنة إحدى وعشرين وتسعمائة.

الملك بيستون بن الملك أشرف

لا يعدّ شيئاً قياساً إلى من تقدّم عليه من سلاطين العصر من حيث الفهم والإدراك والاطّلاع على أخبار السلاطين ومراعات أهل الفضل، وكان بيستون في زمنه الحدّ الفاصل، وأخيراً في أحد شهور سنة خمس وتسعمائة هلك ولده جهانگير في طلب الملك وكان الملك اسكندر قد قصد أخاه وهو ابن أُخت الملك السلطان أحمد خان في عهد أبيه، وكان أهل تلك الديار قد كرهوه فأقعدوا الملك كيومرث على سرير الملك[1].

ملك كيومرث بن ملك كاوس

قضى ثمانية عشر عاماً في الأسر بحكم والده، وأخيراً ورث ملك أبيه بمدد

---

(١) وأُحيط القارئ علماً أنّ عبارة هذه الفقرة مشوّشة ولذلك جاءت الترجمة غير دقيقة وتحتاج إلى إعادة نظر ممّن له علم بالموضوع.

من «آقا محمّد روزافزون»[١] وتوفّي في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستّين وتسعمائة.

ملك كاوس

جلس على عرش الملك بعد أخيه وتشرّف بزيارة الحرم الرضوي على صاحبه التحيّة والثناء، فكان هو حاكماً لـ«كجور» والملك بهمن بن الملك كيومرث حاكماً على «لارجان»[٢].

(١) صفة تختصّ بالسلاطين وتستعمل في شعر الشعراء وكأنّها دعاء للملك بالترقّي والعلوّ.

(٢) بليدة من الريّ وآمل من طبرستان على بُعد ثمانية عشر فرسخاً وهي بالنسبة لكلا البلدين قلعة حصينة ويُنسب إليها محمّد اللّاريجاني الطبري أبو يوسف الفقيه.

الجند السادس عشر
في بيان أحوال السادات المشعشعيّين حكّام خوزستان

السيّد محمّد بن السيّد فلاح

ابن هيبة الله بن الحسن بن عليّ المرتضى بن السيّد عبدالحميد النسّابة ابن أبي عليّ فخار بن أحمد بن أبي الغنائم بن أبي عبدالله الحسين بن محمّد بن إبراهيم المجاب ابن محمّد الصالح ابن الإمام الكاظم عليه السلام، كان مسقط رأسه في «واسط»[1] وهو من تلامذة الشيخ أحمد بن فهد من أكابر الصوفيّة، وأعاظم مجتهدي الشيعة الاثني عشريّة، وكان للشيخ كتاب في «العلوم الغريبة» فسلّمه إلى أحد خاصّته ليرميه في نهر الفرات ولكن السيّد احتال عليه وأخذه منه واستطاع أن يجذب إليه من خلال استعمال العلوم الغريبة عرب خوزستان وعلّمهم ذكراً يشتمل على اسم الإمام عليّ عليه السلام وتنشأ عندهم حالة أثناء قرائته غريبة وذلك عندما يعلنون كيفيّة تشيّعهم وهم يمدّون إليه أيديهم تتحجّر أبدانهم ويقدمون على ارتكاب أفعال خطيرة نظير وضع حدّ السيف المشحوذ

---

(١) مدينة متوسّطة بين البصرة والكوفة، بناها الحجّاج، ومنها إلى كلّ واحدة منهما خمسون فرسخاً لا قول فيه غير ذلك إلّا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبي أنّه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمّى واسط قصب فلمّا عمر الحجّاج مدينته سمّاها باسمها، والله أعلم. معجم البلدان ج ٤ ص ٢٧٧.

على بطونهم ثمّ ينحنون عليه مع أشياء أُخرى عجيبة، وارتفع صيته بينهم فلقّبوه بالمهدي وكان ظهوره في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، واستولى على خوزستان كلّها بما في ذلك «شوشتر» و«دزفول» و«الحويزه».

وتفصيل حياة السيّد محمّد بن فلاح على الوجه الذي ذكره بعض المؤرّخين من أهل العراق في التاريخ المسمّى بـ«تاريخ غياثي» على النحو التالي: إنّ السيّد محمّد ظهر في سنة عشرين وثمانمائة وأعلن دعوى المهدويّة وكان القران الذي ظهر في ذلك العام يدلّ على ظهوره(١) وكذلك كان من تأثير قران هذه السنة أنّ «اسپند ميرزا بن قرايوسف التركماني» وكان والياً على العراق استدعىٰ فقهاء الشيعة وأمرهم أن يناظروا فقهاء بغداد، ولمّا ظهر فقهاء الشيعة على فقهاء السنة اختار الميرزا المذكور مذهب الشيعة وأمر بضرب السكّة باسم الأئمّة الاثني عشر.

وكان السيّد محمّد هذا من أولاد عبدالله بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليهم السلام، واشتغل في بدء أمره بطلب العلوم وتوصّل في مدرسة الحلّة لخدمة الشيخ أحمد بن فهد الحلّي وكان يومذاك مجتهد الشيعة، وأفاد من ذلك المحضر وكان في تلك الأوقات تطفو على لسانه كلمات مثل: إنّي سوف أظهر وأنا المهدي الموعود، فبلغت الشيخ هذه الأقوال فأنكر على السيّد محمّد أشدّ الإنكار ومنعه من تردادها منعاً باتّاً لأنّ تلكم الكلمات تنافي مذهب الشيعة الاثني عشريّة.

والسيّد المذكور جامع للمعقول والمنقول، صوفيّ وصاحب رياضة ومكاشفة

---

(١) القران عند المنجّمين: هو من أنواع النظر ويُسمّى مقارنة ويقول في كشف اللغات: القران اتصال كوكبين في برج وما يقال: فلان صاحب قران معناه أنّ ولادته كانت في وقت اقتران زحل والمشتري / كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ١ ص١٣١٣ ط لبنان ناشرون، أولىٰ ١٩٩٦م بتصرّف بسيط.

وما كان يخبره عن ظهوره فهو على نحو المكاشفة.

ومن جملة رياضاته أنّه اعتكف في مسجد الكوفة حولاً بأكمله وكان قوته في تلك المدّة عبارة عن حفنة من دقيق الشعير، ويكثر من البكاء، فإذا سُئل عن علّة بكائه أجاب: إنّما أبكي على قوم يقتلون على يدي.

وكانت واسط وطنه الأصليّ ودار إقامته، وأقام في الحلّة برهة من الوقت كما قال في إحدى قصائده الطويلة التي شرح بها حاله:

إقامتنا بأرض العراق بواسط　　　مدينة أهل العلم والحلم والبرّ[1]

وكان مصاحباً لأُمراء تلك النواحي، وإذا ما عزموا على إجراء الرماية عهدوا بها إليه، فيقول في جوابهم: إنّي سوف أُقيم الرماية، بحيث يدعو أمام رميّتي عدد من الناس، فإذا ما جالس أهله وعشيرته قال لهم: سوف أُخضع العالم كلّه وأنا المهديّ الموعود، وسنقتسم البلاد والقرىٰ أنا وعشيرتي وأصحابي.

ولمّا تكرّرت أقواله على سمع الشيخ أحمد بن فهد أفتى بإباحة دمه وكتب إلى الأمير منصور بن قيان بن إدريس العبادي شيئاً في إباحة دمه، ولمّا وصل الكتاب إلى الأمير منصور قبض على السيّد محمّد وأراد قتله، فقال له: أنا سيّد صوفيّ من أهل السنة لذلك عاداني الشيعة وأرادوا قتلي، وأخرج المصحف الشريف وأقسم به، وما زال يتكلّم بين يدي الأمير منصور بهذا ونحوه حتّى أطلقه، وما أن تخلّص من قيده حتّى عاد إلى موضع (كسيد.. كذا)، وأوّل من آمن به من قبائل المعدان المتواجدين هناك «فرقة بني سلامة» فتفأل بهم خيراً واستدلّ بهم على سلامته في العاقبة وانهالت عليه بعد ذلك قبائل العرب من النساء والسودان وبني علي النازلين في البثق ونازور والغاضري وهي أنهار

---

(١) بحذف باء الجرّ في الصدر يستقيم الوزن.

ترفدها دجلة بغداد، وقال لهم: أنا المهدي، وأظهر لهم بعض الخوارق.

ولمّا جلىٰ من ذلك الموضع ذهب إلى موضع شوقه من قرى «حـصان»(١) فخرج عليهم الحاكم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر منهم جماعة، ووقعت هذه الواقعة سنة أربع وأربعين وثمانمائة، ولمّا حلّت بهم الهزيمة عادوا إلى موضعهم القديم وهو البثق والنازور والغاضري وسار بعد مدّة إلى موضع الذوب موطن القبيلة التي تدعىٰ «قبيلة معاوية» الواقع بين نهر دجلة والحويزة، ولمّا استقرّ به المقام بعث ولده السيّد علي الملقّب بـ«المولى علي» إلى أصحابه المتواجدين في البثق والنازور والغاضري واستدعاهم إلى والده وذهب معهم وأغار على قافلة كانت تسير معهم فرجع إلى أبيه بالمال الجمّ وبالرجال.

ثمّ أمر طائفة معاوية المشهورة في تلك الأوساط بطائفة نيس، ببيع ماشيتهم وشراء الأصلحة فكان أحدهم يبيع «جاموسه» بسيف وعشرة دراهم، ولمّا تجهّزوا بالسلاح التام تحرّك صوب أبي الشول وهي قرية من قرى الحويزة ووصلها صباح يوم الجمعة السابع من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثمانمائة، وقتل في ذلك اليوم من أهل الجزائر والحويزة خلق كثير، ذلك أنّ الأمير الفضل بن عليان التبعي الطائي حاكم الجزائر وقع بينه وبين إخوانه منازعة حملته على الرحيل إلى جهة الحويزة من الجزائر ونزل في ناحية أبي الشول وتحمّل معه قومه من أهل الجزائر فقتل منهم خلق كثير حين أعانوا أهل الحويزة فلم يـر السيّد محمّد البقاء حيث هو من المصلحة، لذلك عاد إلى «الذوب» وتوقّف

(١) لم أعثر على موضع بهذا الاسم إلّا عند ياقوت في معجم البلدان ولكنّه قال: حـصان بـالكسر، جبل من برمه من أعراض المدينة وقيل هي قارة هناك، ويروىٰ بفتح الحاء وآخره راء، قال ذلك نصر / معجم البلدان ج٢ ص٨٧ وأنا غير واثق من ضبط هذه الأسماء كلّها إلّا المشهور منها.

هناك مدّة من الزمان حتّى فاجئه القحط والمجاعة في ماشيته وكراعه وخدمه وحشمه وضاقت عليه الأُمور فاتّخذ جيشاً وسار نحو واسط ونشأت بينه وبين أُمراء المغول الذين كانوا يقيمون بواسط ونواحيها حرب قتل فيها من المغول أربعون رجلاً وهزموا في وجهه. ومال السيّد محمّد وأصحابه على أهل البادية واكتسحهم ونهب أموالهم وغار على غلّاتهم، واستطاع أن يداوي جانباً من مجاعتهم ويُزيل عنهم حال الاضطرار والجوع، وكان وقوع هذه الطامّة في الثالث عشر من شوّال من نفس السنة. وبعد استراحته وأصحابه أيّاماً من هذه الواقعة عاد السيّد محمّد فزحف على الجزائر بجماعته.

ولمّا كانت الأُمور غير متّسقة بين رؤساء الجزائر وقد دبّ الخلاف فيما بينهم واعتراهم الوهن من ذلك، أقبل رجل منهم يُدعىٰ «شحل» وهو من رؤساء القوم بأصحابه إلى السيّد محمّد ودعاه إلى الجزائر وصيّره حاكماً هناك وكان السيّد محمّد يركب في كلّ يوم إلى أعدائه ويقتل منهم جماعة حتّى لم يبق في الجزائر إلّا من يوافقه وقضى على أعدائه ومخالفيه، ولم يسلم منه أصحابه بل عدىٰ عليهم وقتلهم واستأصل شأفتهم، ثمّ جهّز ثلاثة آلاف محارب إلى واسط وأمرهم بالإغارة عليها وتمّ الظفر بها للحاكم في هذه الواقعة وقتل ثمانمائة شخص من المشعشعيّين وهلك منهم جمع كبير في العودة.

ولمّا بلغت السيّد محمّد هذه الأنباء المحزنة خرج من الجزائر إلى الحويزة وعفّى على القرىٰ الواقعة في مسيره وقتل كلّ من وجده في طريقه، ووقعت هذه الواقعة في رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة، وكان الحاكم على تلك المناطق من قبل عبدالله السلطان بن الميرزا إبراهيم بن الميرزا شاهرخ هو الشيخ جلال الدين بن الشيخ أبي الخير بن الشيخ محمّد الجزيري، فكتب الشيخ

جلال كتاباً في الموضوع إلى والده المقيم في شيراز وعرض والده الواقعة على السلطان عبدالله حتّى بعث السلطان المذكور الأمير خداقلي برلاس إلى الحويزة وأعقبه الأمير أبو الخير وتدافعت الجموع على الحويزة من شوشتر ودزفول والدورق وأقاموا في الحويزة شهراً بكامله والسيّد محمّد مرابط في موضعه من أبي الشول.

ولمّا كان الشيخ أبو الخير وتر الناس بقتل جماعة من رؤساء تلك الحدود من غير جريرة ارتكبها ولا جريمة اجترحها فقد تنفّرت منه القلوب وتفرّق كثير منهم عنه، فاغتنم السيّد محمّد الفرصة ولم يكن معه إلّا قليل من الناس ولكنّه عمد إلى حيلة طريفة وذلك أنّه أمر النساء باعتمار العمائم وأن تسوق الجواميس أمامهنّ من وراء الرجال ويتقدّمهنّ الرجال وبأيديهم السيوف مسلولة، ولمّا شاهد أصحاب أبي الخير هذه الجموع الغفيرة الزاحفة نحوهم لاذوا بالفرار ثمّ خرجوا بصحبة مير خداقلي وأصحابه وكثير من أهل الحويزة وهربوا لا يلوون على شيء، ولمّا علم السيّد بهربهم تعقّبهم حتّى «ولاية مشكوك» وقتل كلّ من وجده في طريقه ثمّ عاد بعد ذلك إلى الحويزة وحاصرها.

ولمّا بلغ الخبر إلى اسپند ميرزا ابن قرايوسف حاكم بغداد تجهّز بجيشه وقصد الحويزة ولمّا وصل إلى واسط استقبله أُمراء الحويزة ومنهم أمير قبيلة مزرعة وأمير بني «مغيزل» وطلبوا منه المدد لتخليص قلعة الحويزة من يد المشعشعيّين، فوافق اسپند ميرزا على ذلك وأمدّهم ببعض أُمرائه وسرّحهم معهم يتقدّمونه إلى الحويزة وقال لهم: أنا ورائكم.

وكان الشيخ أبو الخير قد جمع في هذه الأثناء جيشاً يريد أن ينقض على الحويزة ولمّا سمع بقدوم الميرزا اسپند عاد إلى شوشتر، ولمّا تقدّم جيش اسپند

ميرزا إلى الحويزة اشتبك مع طلائع جيش السيّد محمّد فحلّت الهزيمة بجيش السيّد محمّد، ولمّا بلغت أخبار الهزيمة السيّد محمّد تحمّل من الحويزة ونزل في موضع يقال له: الطويلة ودخل الميرزا اسپند قلعة الحويزة واستوفىٰ من أهل الحويزة أموالاً جزيلة واتّجه ناحية «الطويلة» وقتل جماعة كثيرة من المشعشعيّين وأرسل السيّد محمّد رسولاً بتحف وهدايا وأموال انتزعها من الشيخ أبي الخير إلى الميرزا اسپند واعتذر إليه وأظهر له أنّه سرّ بنصره وأنّه جذل مسرور فأرسل الميرزا اسپند إلى السيّد محمّد كنانة مرصّعة ومعها قوسُها وحمولة من الأُرزّ الكثير ورحّل أهل الحويزة من طريق البرّ - شلوه - إلى البصرة.

وبعد رجوع الميرزا اسپند عاد السيّد محمّد إلى الحويزة وأغار على من تخلّف عن الميرزا اسپند وحمل المشعشيّون بعد ذلك على سفن الميرزا اسپند المحمّلة بأنواع البرّ وأصناف المأكولات ويريد إرسالها من البصرة إلى واسط فاستولوا عليها وقتلوا من فيها، ولمّا علم اسپند ميرزا بالخبر خرج من البصرة إلى بغداد وفي هذا الوقت زحف السيّد محمّد على واسط وحاصر قلعة بندوان وهي من القلاع التي أحدثها اسپند ميرزا ثلاثة أيّام ولم يفعل شيئاً فعاد أدارجه وأخيراً التفّ حوله الأعراب من سكّان تلك النواحي قبيلة عبادة وبني ليث وبني خطيط (كذا) وبني سعد وبني أسد فازدادت بهم قوّته وعظمت شوكته حتّى حفزه ذلك على الزحف على البصرة ولم يتمكّن منها واحتلّ «الرماحيّة» وبنى هناك قلعة حصينة، ولمّا خرج پير بداغ[1] من بغداد إلى شيراز وخلىٰ العراق من سلاطين المغول، فأزمع المولى علي ابن السيّد محمّد على الذهاب إلى واسط

---

(١) لعلّه يقصد پير بداق بن ميرزا جهانشاه بن يوسف التركماني من سلسلة «قراوينلو» المغوليّة.. نزل بغداد حاكماً مدّة من الزمان.

وحاصرها عقر النخل هناك ومات في هذا الحصار أكثر الناس جوعاً حتّى رأى أهل واسط الخروج منها إلى البصرة بعد أن اتفقوا من الأمير أفندي الذي كان حاكمها من قبل «پير بداغ» وتركوا واسط خرائب، فولّى المولى علي رجلاً يدعىٰ الدراجي على واسط وكان ذلك قد تمّ سنة ثمان وخمسين وثمانمائة.

بعد ذلك قصد المولى علي شطر النجف الأشرف وأغار على قوافل الحجيج فقتلهم بأجمعهم، ومن هناك ذهب إلى قريب من بغداد وأقام في المكان تسعة أيّام ينهب ويقتل ويأسر، ووصل الجيش الذي بعثه «جهانشاه» ميرزا مدداً لأهل بغداد وهو مقيم بالمكان المذكور فعاد المولى علي إلى الحويزة وزحف من هناك إلى «كوهكيلويه»[١] وحاصر قلاع بهبهان، وبينما المولى علي على هذه الحالة إذ جائه سهم غرب لا يعرف راميه فقضىٰ عليه، وكان ذلك في سنة إحدى وستّين وثلاثمائة. وبعد وفاته جاء إلى بغداد الأمير ناصر بن فرج الله العبادي وحمل جيش بغداد مع ما انضمّ إليه من الأعراب إلى السيّد محمّد فاستقبلهم السيّد محمّد إلى واسط ودارت بينهما معركة رهيبة كانت الغلبة فيها للسيّد محمّد وقضىٰ على الجماعة كلّها في هذه الحرب، ولم ينج منهم أحد أبداً، وكانت الواقعة قد وقعت في أواخر السنة المذكورة.

وتوفّي السيّد محمّد في يوم الأربعاء سنة سبعين وثمانمائة، وكان المولى علي قد استولى على شئون أبيه في أواخر ايّامه وأخذ منه زمام المبادرة، وكان سيّد القوم يومئذٍ، وكان الرجل يعتقد بأنّ روح أميرالمؤمنين عليه السلام قد حلّت فيه

---

(١) اسم ناحية من نواحي بهبهان (أرّجان سابقاً) وهي جبليّة ومناخها حار ويبرد في بعض جبالها وجمع قراها خمساً وتسعين وثلاثمائة قرية ويسكنها في عصر العلّامة دهخدا خمسة وثمانون ألف شخص. راجع لغتنامهٔ دهخدا.

وهو الآن حيّ، فما الداعي لوجود القبر المنسوب إليه، لذلك هجم على العراق وأغار على العتبات المقدّسة، وعبث فيها عبثاً خارجاً عن الحدّ، وارتكب أعمالاً خارجة عن الأدب، وعجز أبوه عن كبح جماحه فعاتبه الأُمراء والسلاطين جيرانه فأظهر العجز عن ردعه، وجمع الكلام والكتابات التي دارت بينه وبين حكّام العراق في كتاب وسمّاه «كلام المهدي».

وأيضاً يُروى عن المولى علي بأنّه لم يكتف بهذا الفعل الشائن حتّى ادّعى الربوبيّة وتدلّ على ذلك المطايبة التي جرت بين السيّد إدريس المشعشعي والسيّد قاسم نوربخش في مجلس السلطان «حسين ميرزا» في هرات وقد مرّ ذكرها آنفاً في المجلس الخامس.

وأخيراً زحف بجيشه إلى كوهكيلويه لمقابلة «پير بداغ» ابن جهانشاه السلطان ولمّا رأى «پير بداغ» أن لا جدوىٰ من الحرب معه، حمل أحد الرماة من «كوهكيلويه» على قصده واتفق معه على استهدافه بطريقته المعهودة في نهر «كردستان» عندما يأتي للاغتسال، وصادف أنّ الطلقة أصابت منه مقتلاً وقضى عليه هذا التدبير الصائب وخلص پير بداغ من لوم الناس ومعتبتهم، وذهب المولى علي إلى المكان المعدّ له.

السلطان محسن بن السيّد محمّد

تسلطن بعد أخيه وأبيه وارتفع أمرهم وعلا شأنهم، واستولى على ولاية الجزائر، وحكم جلّ النواحي من بغداد، وساق الأُمراء بعصاه، فكان البختياري والفيلي من أتباعه، ولمّا كان محبّاً للفضل وسخيّاً سمحاً ومقرّباً للعلماء فقد وردت عليه الكتب والرسائل من جهات شتّىٰ من علماء الشيعة، ولمّا شاهد مولانا شمس الدين محمّد الاسترابادي وكان معاصراً للمير صدر الدين محمّد

الشيرازي ولمولانا جلال الدين محمّد الدواني أنّ المير كتب حاشيته الجديدة باسم السلطان ايلدرم البايزيدي الرومي والملّا كتب حاشيته القديمة باسم السلطان يعقوب البايندري كتب هو حاشيته المتضمّنة لردّ أقوال الملّا باسم السلطان محسن، فأرسل المذكور مبلغاً من المال بعنوان الهديّة إلى الملّا شمس الدين محمّد.

وينقل أيضاً من مآثر كرمه أنّ أحد الأفاضل من سادات فارس وكان نديماً للسلطان وكان يرتدي زيّ السادات المشعشعين من الثوب الهاشمي ذي الأردان العريضة أنّه حضر ذات يوم مجلس السلطان إذ أقبل بعضهم بطبق مليء بالنارج هديّة للسلطان شبيهاً بالتحفة، فعمد السلطان على نحو الظرف بتعبئة النارج كلّه في جيوب السيّد المذكور واحدة إثر الأُخرى، فاستوعبته جيوبه ولم تغادر منه واحدة فاستحال إلى شكل غريب وهيئة مستغربة، وثقل عن القيام بهذا العبأ الباهض، وعند ذلك أمره بالنهوض، ولمّا علم السيّد أن لا قدرة له على القيام ومع ذلك تعلّقت نفسه بالفرس المسرجة الملجمة والمرصّع سرجها ولجامها بالجواهر والحجارة الكريمة التي لا تفارق باب السلطان ليلاً أو نهاراً، فنطق السيّد بالمثل المشهور: «لا يحمل عطاياكم إلّا مطاياكم» فاستحسن السلطان جوابه وأمر له بالفرس بسرجها ولجامها وأمر بحمل النارنج على الفرس إلى بيته.

السيّد علي والسيّد أيّوب

وهما أولاد السلطان محسن وقد صارا بعده سيّدي القوم وقد انتشرت الشريعة المصطفويّة ومآثر الطريقة المرتضويّة في زمانهما انتشاراً عجيباً بيُمن إرشاد السيّد العظيم صاحب القدر الجليل السيّد نور الله المرعشي، وقد قدّمنا سلفاً نبذة من مآثر فضله وكبر قدره، وكان وزيره المفوّض أو من يُسمّى بـ«الصدر

الأعظم» كما ذكرنا سابقاً القاضي عبدالله الشوشتري المعروف بكمال العقل ووفور الفضل ووكيله أخوه أو صاحبه الأعظم الشيخ محمّد، الذي من آثاره الطاق الحجري المقام في قبل روضة السيّد عبدالله، الواجب تعظيمه، وقد كتب عليه هذا البيت:

تمام گشت بحمد الله اين بنا بی شين بسعی صاحب اعظم محمّد بن حسين

قد تمّ بنيان قدس منزّه من شين

بسعي صاحب فضل محمّد بن حسين

ولمّا كان الشيخ حسن أخوه الأصغر متحلّياً بموفور الشجاعة والبسالة، فقد أُسندت إليه قيادة العسكر، والواقع أنّ كلّ واحد من هؤلاء الإخوة الثلاثة كان وحيداً في عمله وكان سكّان شوشتر يفتخرون بهم، ولمّا أشرقت شمس الدولة العظمى وظهر نيّر السلطنة الكبرى من المشرق على يد السلسلة العليّة الصفويّة، وكان يعيش في كنفها قوم من أصحاب الأطماع والنزوع إلى تطلّب الجاه والجلال، أخذوا بإيغار صدر السلطان عليهما وزعموا أنّهما من الغلاة كعمّهما، ولمّا قصد الملك بغداد لاحتلالها بإيعاز من المير الحاج محمّد والشيخ محمّد الرعناشي وهما معلّمان لأولاد السيّد محمّد، فنهض السلطان إلى تلك الجهات والتحق به السيّد علي لمعاضدته باعتبار علقة التشيّع بينهما، ولمّا كان غلوّ هذه الطائفة قد استقرّ في الخاطر الشريف أمر بقتل هذين الأخوين مع أهلهما وأعلام طائفتهما وذلك في سنة أربع عشرة وتسعمائة، وانضوت الحويزة وشوشتر وسائر أصقاع خوزستان تحت لواء الدولة يوم ذاك..

السيّد فلاح بن السيّد محسن

قام مقامهما بعد أن عاد الشاه المغفور له من شوشتر إلى أرض «فارس»

فاستولى على الحويزة وبعث إلى الشاه تحفاً قيّمة وهدايا لائقة، فـفوّض إليـه ولاية الحويزة.

وكان السيّد بدران ابن السيّد فلاح غاية في الشجاعة والكرم، ويعتبر وحيداً في هاتين الخصلتين بين الناس جميعاً، وتسلطن بعد أبيه، وخضع في سلطانه للأوامر والنواهي الشاهانيّة وأطاعها وانقاد لها، وكان يخشى السلطان خشـية عظيمة إلّا أنّ شعبه بحجّة أنّهم من آل السلاطين الذين كانوا تابعين لوالي الروم، نهبوا شوشتر ودزفول وكنسوا أموال البلدين كنساً، وصـار ضـعفائهم يـبلغون الديوان العالي[1] بما يطرأ على البلاد من ضعف..

(١) أحسبه يعني بالديوانالعالي: سلاطين آل عثمان.

المجلس التاسع
في ذكر الأُمراء المشهورين والقادة ذوي الرتب العالية والأُصول السامية سمحاء الدهر وأبطال ميادين القتال

الأمير الشجاع المظفّر والليث بن الغضنفر
إبراهيم بن مالك الأشتر رضي الله عنهما

كان كأبيه مشهوراً بالشجاعة والبطولة، له صولات كصولات رستم، وزهادة كزهادة إبراهيم بن الأدهم، وقد أغنت عن الإشادة والشهادة مجاهداته الجليلة، وتدابيره الجميلة، في ردع أعداء أهل البيت الأطهار مع المختار لوضوحها واشتهارها وسطوعها ومنارها.

وكما جاء في كتاب «مختار نامه» أنّ العدوّ المتّصف بعناد عاد، والملتحف لكفر ثمود، والمنحدر من سلالة فرعون ذي الأوتاد، التابع ليزيد البليد وعبيدالله بن زياد قد عقرهم بضرب حسامه المشابه لذي الفقار، وشتّتهم في بواد الخسار ومهامه البوار، وكان تتعاقب حملاته الثقيلة بشقّ السنان، ورشق السهام وضرب الحسام الريان بالدم، قد مزّق صدور أهل الشام وأطاح برؤوسهم المنحوسة في فضاء الهيجاء، واحتوتهم العناية الربّانيّة وسيطرت على ذلك الغريق الذي فارقه التوفيق فصيّرته طعمة السهام والنبال والسيف والعسّال، وجعلته ضجيع التراب

وأكيل الغراب، وتطبيقاً لقوله تعالى: ﴿لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[١] طهّر ساحة العراق من رجسهم، وقرع مسامع أهل العظة والتدبير والذكاء والتقدير بالنداء الحبيب الذي سمعه البعيد والقريب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢] وكذلك ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

ومن حسن تدبيره في مقاتلة طغام الشام ـ ممّا أظهره من معاضدة الأجناد ﴿وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٤]، وقسّم جنود أهل الاستبصار إلى اليمين واليسار حتّى ليخالهم الناظر إليهم من حسن تعبئتهم أنّهم جاؤوا مدداً للمعاضدة ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٥] ـ ما أورده صاحب كتاب «لطايف الطوائف» أنّ إبراهيم بن مالك الأشتر لمّا ذهب إلى حرب ابن زياد لعنهما الله عمد إلى حمائم قد درّبهنّ على مهمّات خاصّة فأودعهنّ سرّاً عند ذي حرمة ممّن يعتمد عليهم ويوثق بهم وقال له: إذا رأيت الضعف قد بدئ على عسكري ورأيت الغلبة بادية لعسكر الخصم أطلق هذه الحمائم في سماء المعركة دون أن يشعر بك أحد، ثمّ أوحى إلى عسكره قائلاً: بلغني عن الكتب السالفة السماويّة أنّنا في معركتنا هذه تمدّنا الملائكة وتنزل على شكل حمائم من السماء بيضاء لنصرتنا، فقويت قلوب أهل العسكر بهذه البشارة إلى أن حمي الوطيس وبان الضعف في جيش إبراهيم وكادت تحلّ بهم الهزيمة، ولمّا رأى ذلك الرجل الذي استودعه إبراهيم سرّه ما حلّ بالناس أطلق الحمائم البيض فرفرفت في سماء المعركة

---

(١) نوح/٢٦.

(٢) الشعراء/٢٢٧.

(٣) الأنعام/٤٥.

(٤) الأحزاب/٩.

(٥) آل عمران/١٢٥.

على رؤوس الناس وحامت بأجنحتها على العسكرين، ولمّا رأى عسكر إبراهيم هذا المشهد كبّروا بصوت واحد وحملوا عليهم بقلوب أشدّ من الحديد، ونادى إبراهيم برفيع صوته: ألا أيّها الأصحاب جاهدوا أحسن الجهاد، وأخلصوا للّه نيّتكم وأعمالكم فقد وافتنا الملائكة لتُعيننا، في هذه الحملة بذلوا النفس والنفيس، وألحقوا الهزيمة بجيش العدوّ، وقطفوا رأس ابن زياد الخبيث لعنه الله.

أبو السرايا السري بن منصور الشيباني

كان كالبلاء المنصبّ على هدم قواعد المخالفين المبنيّة على الضلال، وكالقهر السماوي، استطاع في السنة الثامنة والتسعين أن يجذب أهل الكوفة إليه ويجمعهم معه، وجعل محمّداً بن إسماعيل بن إبراهيم بن الإمام الحسن عليه السلام قائد القوم وخرج يدعو الناس إلى الرضا من آل محمّد..[1] وإلى العمل بكتاب الله وسنّة رسوله، واجتمع عنده الأعراب المقيمون حول الكوفة، وكان حاكم الكوفة سليمان بن المنصور[2] من قِبَل الحسن بن سهل، ولمّا بلغ الحسن بن سهل ذلك وكان والياً على بغداد من قبل المأمون العبّاسي، كتب إلى سليمان كتاباً يلومه فيه ويقرعه أشدّ تقريع، وأرسل إليه عشرة آلاف مقاتل وعليهم زاهر بن زهير بن المسيّب، وأمرهم بحرب أبي السرايا، ودارت معركة بين الفريقين قريباً من الكوفة ودارت الدائرة على زاهر فانكشف عنهم مهزوماً وفرّ أصحابه، فوقعت أموالهم بيد الكوفيّين، ولكن الموت عاجل محمّداً المعروف بابن طباطبا وأُصيب بالنوبة القلبيّة فأقام أبو السرايا مقامه شابّاً أمرد شبيهاً به، فسرّح

---

(١) عند المؤلّف يدعو إلى إمام الإمام الرضا عليه السلام وهو خطأ لأنّ الدعوة لم تكن يومئذٍ للإمام الرضا عليه السلام. راجع مقاتل الطالبيّين ص٣٤٨.

(٢) ذكر المؤلّف أنّ المنصور هذا الدوانيقي وليس صحيحاً.

الحسن بن سهل إليه بعبدوس بن محمّد ومعه أربعة آلاف مقاتل مدداً لزاهر فهزمهم أبو السرايا أيضاً وقتلوا بأجمعهم، وتمكّن يوماً من ضرب السكّة من دراهم ودنانير باسم الإمام الرضا عليه السلام بعد أن اجتمع عليه العلويّة من كلّ حدب وصوب لنصرة أبي السرايا، وعند ذلك سرّح أبو السرايا بفرق من الجيش إلى واسط والبصرة والمدائن فهرب عمّال الخليفة المتواجدون هناك وتركوا الولايات لأبي السرايا فقوي أمره، وعمد العلويّون إلى نهب بيوت العبّاسيّين في الكوفة وأتلفوا ضياعهم وخرّبوا أملاكهم وقتلوا كثيراً ممّن لم يهرب منهم.

وبالغ زيد بن موسى بن جعفر بن عليّ بن الإمام الحسين عليه السلام حين كانت البصرة بيده في تخريب بيوت العبّاسيّين وأهل البصرة، وإشعالها بالنار حتّى لُقِّب يومئذٍ بزيد النار، ولمّا قرب موسم الحجّ أرسل أبو السرايا الحسين بن الحسن الأفطس ابن عليّ بن الإمام الحسين عليهما السلام إلى أهل مكّة ليقيم الحجّ باسمه، ولمّا علم داود بن عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس المُأَمَّر على مكّة من قِبَل المأمون بقدومه عليهم فرّ من مكّة إلى العراق ودخل الحسين بن الحسن الأفطس مكّة وأجرىٰ مناسك الحجّ ثمّ استند خلف المقام وأمر بنزع ثياب الكعبة التي كساها إيّاها بنو العبّاس وألبسها ثوبين صفراوين كتب عليهما اسم أبي السرايا. وقبض على الأموال المودعة في خزانة مكّة وقسّمها بين أتباعه، ولمّا علم بقتل أبي السرايا في حرب الحسن بن سهل لاذ بالفرار من مكّة.

الأمير المؤيّد باللُّطف الخفي والجلي
أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي

من بيت الجود الكرم، وأكابر الأُمراء في عهد المأمون والمعتصم. كان خلفاء

الزمان وسلاطين العالم يقتبسون من رأيه الصائب فنون السلطنة وقيادة العالم، ويستأنس الأساطين الفضلاء وذووا الأبصار الفصحاء ما يفيضون من النكات الدقيقة والإشارات العميقة من طبعه الذي تحلّ به المشكلات وتستضيء الظلمات، ومع ما حُبِي به من انتظام الحياة وحازه من بلهنيّة العيش ونال من السعادة القصوىٰ فإنّه جعل صحبة أذكياء الأنام عنده من أهمّ المهام، ومع ما أُحيط به من عوائق السلطنة والحكم والقيادة والتدبير لم يفارق حياة الدراويش والاستفاضة من نبع قلوبهم وينابيع ضمائرهم ليستفيد فائدة كبرىٰ ويحظى بالخير الجسيم والفضل العميم.

إنّ لسان سنانه الصاعق ترجمان آيات فتحه وظفره، وبنان يده المدرّ للجوهر محرّك أقلام الفضلاء الصادعين بفضله والشعراء المادحون لإنعامه وإفضاله، وكان ينفق من وجوه الحلال لا من مال المظلومين ومن ليس لهم حال، كما هي عادة أهل ذلك الزمان، الذين إن تطاير الدخان من مطابخهم إلى عقابيل الأُفق، فقد أوقدوا ببيادر المسلمين النيران، وإن وضعوا على خوانهم رغيف خبز فقد أسالوا المياه على قواعد بيوت الفقراء الذين لا ذنب لهم لهدمها، وإن وضعوا في قدرهم قبضة ملح فقد ذرّوا على الجروح أطناناً لتلتهب منها، وإن أوقدوا ناراً في جزل فقد ألهبوا ظهور المساكين بسياط العذاب واللوعة.

آثار شجاعته مشتهرة، وأخبار كرمه وجوده على الألسنة مذكورة، واحتوتها مطامير كتب الجمهور. كان أديباً فاضلاً وموسيقيّاً كاملاً، له كتاب في معرفة البازيّ والصيد، وكتاب في قوانين سياسة الملوك وغير ذلك، وكان مدّاحوه خيرة شعراء زمانه كأبي تمّام الطائي وبكر بن النطاح وعليّ بن جبلة، وهذان البيتان نظمهما بكر بن النطاح في مدحه:

يـــا طـالباً للكـيمياء وعـلمه مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلّا درهـم ومــدحته لأتــاك ذاك الدرهــم

قال ابن خلّكان: ويحكىٰ أنّه أعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم فأغفله قليلاً ثمّ دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة فأنشده:

بك ابتعت في نهر الابلّة قرية عـليها قـصير بـالرخـام مشيّد
إلى جنبها أُخت لها يعرضونها وعــندك مــال للـهبات عـتيد

فقال له: كم ثمن الأُخت؟ فقال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، ثمّ قال له: تعلم أنّ نهر الابلة عظيم وفيه قرىً كثيرة، وكلّ أُخت إلى جنبها أُخرى، وإن فتحت هذا الباب اتّسع عليّ الخرق، فـاقنع بـهذه ونـصطلح عـليها، فـدعا له وانصرف.

ومن مآثر شجاعته أنّه قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله فطعن فارساً فنفذت الطعنة إلى أن وصلت إلى فارس آخر ورائه رفـيقه فـنفذ فـيه السـنان فقتلهما، وفي ذلك يقول بكر بن النطاح:

قالوا وينظم فـارسين بـطعنة يــوم الهـياج ولا تـراه كـليلا
لا تعجبوا فلو أنّ طول قناته ميل إذاً نظم الفوارس ميلا(١)

وجاء في تاريخ اليافعي أنّ أحمد بن أبي الصلاح (أبي فنن صالح ـ الوفيات) مولى بني هاشم كان أسود مشوّه الخلق وكان فقيراً (وكان لقبح وجهه لا يقدر على الجلوس على مائدة أحد) فقالت له امرأته: يا هذا، إنّ الأدب أراه قد سقط نجمه وطاش سهمه، فاعمد إلى سيفك ورمحك وفرسك وادخل مع الناس في غزواتهم عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً، فأنشد:

---

(١) وفيات الأعيان ج٤ ص٧٤.

مـالي ومـالك قـد كـلفتني شـططاً حمل السلاح وقول الدارعين قـف
أمن رجـال المـنايا خـلتني رجـلاً أمسى وأصبح مشـتاقاً إلى التـلف
تمشي المنايا إلى غـيري فأكـرهها فكيف أمشـي إليـها بـارز الكـتف
ظننت أنّ نزال النـاس مـن خـلقي أو إنّ قـلبي فـي جـنبي أبـي دلف

فبلغ خبره أبا دلف فوجّه إليه بألف دينار[١].

وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون واشتهر ذلك عنه، فدخل عليه بعضهم وأنشده:

أيـا ربّ المـنايح والعـطايا ويـا طـلق المـحيّا واليـدين
لقـد خـبّرت أنّ عـليك ديـناً فزد في رقم دينك واقض ديني[٢]

وكان أبو دلف يقترض لعظم كرمه وسخائه ويوفّي دينه، ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده:

اللّـه أجرىٰ مـن الأرزاق أكـثرها عـلى يـديك تـعلم يـا أبـا دلف
ما خطّ «لا» كـاتباه فـي صـحيفته كما تخطّط «لا» في سائر الصحف
بارى الرياح فأعطى وهـي جـارية حـتّى إذا وقـفت أعـطى ولم يـقف

فأعطاه أبو دلف مبلغاً من المال.

وروي أيضاً أنّ أبا دلف دخل على المأمون، فقال له المأمـون: أنت الذي يقول فيك الشاعر:

إنّما الدنـيا أبـو دلف بين باديه ومحتضره
فـإذا ولّـى أبـو دلف ولّت الدنيا على أثره

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص٢٤٦ آلي، وفيات الأعيان ج ٤ ص ٧٥.

(٢) نفسه.

فقال أبو دلف: لا أتذكّر هذا الشعر يا أميرالمؤمنين، ولكنّي أعلم أنّني هو الرجل الذي قال عليّ بن جبلة بشأنه:

أبا دلف يا أكذب الناس كلّهم   سواي فإنّي في مديحك أكذب

فعجب المأمون من حسن جوابه وأدركه البهر من جودة فهمه وذكائه.

ومن المآثر التي تدلّ على شدّة معرفته للحديث وتشجيع أربابه أنّ أبا تمّام زاره ذات يوم فطلب منه أن ينشده قصيدته التي رثىٰ محمّداً بن حميد بن قحطبة الطائي، فلمّا أنشده وبلغ هذه الأبيات:

توفّيت الآمال بعد محمّد   وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلّا مال من قلّ ماله   وذخراً لمن آوى[1] وليس له ذخر

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى   لها الليل إلّا وهي من سندس خضر

كأنّ بني نبهان يوم وفاته   نجوم سماء خرّ من بينها البدر

فبكى أبو دلف وقال: تمنّيت أن يكون هذا الرثاء لي. فقال أبو تمّام: يبقي الله الأمير وأفديه بنفسي، ويمدّ له في العمر.

فقال أبو دلف: إنّه لم يمت من رثي بهذا الشعر.

وجاء في تذكرة ابن المعتز: عن عليّ بن جبلّة وكان واحداً من أهل الأدب أنّه قال: قصدت مراراً زيارة أبي دلف وكلّما دخلت إلى مجلسه استقبلني بحرارة وبغرّة ضاحكة مستبشرة، فإذا عدت من مجلسه أتبعني بصلة لائقة، ولمّا رأيت إحسانه يزداد علَيّ يوماً بعد يوم قعدت عن قصده أيّاماً، فأرسل خلفي أخاً له يدعىٰ معقل، وقال لي: يقول لك الأمير: مالك تركت زيارتنا؟ فإن كانت منّا إسائة إليك فأعذرنا فسوف نتلافاها فيما يجد من الدهر ونزدك إحساناً وبرّاً،

---

(١) لمن أمسى ـ أعيان الشيعة ج ٤ ص ٤٤٣.

فأرسلت إليه هذه الأبيات أقول:

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجىٰ نيل الزيادة بالكفر
ولكنّني لمّا أتيتك زائراً ... فأفرطتَ في برّي عجزت عن الشكر
فالآن لا آتيك إلّا مسلّماً ... أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فإن زدتني برّاً تزيّدت جفوةً ... فلا نلتقي طول الحياة إلى الحشر

ولمّا ألقى معقل نظرة على هذه الأبيات وكان أديباً شاعراً وهو أفضل من أبي دلف في العلوم العربيّة، قال: والله لقد أجاد وأحسن في هذه الأبيات وقد أتحف الأمير بمعانٍ نادرة، ولمّا أوصل الشعر إلى أبي دلف وقعت من نفسه موقعاً حسناً وأسرع في إجابته، فقال:

ألا رُبّ ضيف طارق قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القرى والعرف من نائل ستري
رأيت[١] له فضلاً عليّ بقصده ... إليّ وبرّاً لا يعادله[٢] شكري
فلم أعدُ إن أدنيته وابتدأته ... ببشر وإكرامٍ وبرٍّ على برٍّ
وزوّدته مالاً سريعاً نفاده[٣] ... وزوّدني مدحاً يقيم على الدهر[٤]

ثمّ وجّه بهذه الأبيات ومع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار، فمدحته بقصيدة غرّاء اشتهرت بين العرب والعجم وفيها هذان البيتان في مدحه:

إنّما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دلف ... ولّت الدنيا على أثره

---

(١) وجدت.

(٢) يستحقّ.

(٣) الأغاني: قليل بقائه.

(٤) الأغاني: يدوم الخ.

ونقل الرواة أنّه لمّا بلغ المأمون ما قاله عليّ بن جبلّة في أبي دلف هذه القصيدة وفيها:

كلّ مَن في الأرض من عرب بين باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

استشاط من ذلك غضباً وقال: ويلي على ابن الفاعلة يزعم أنّا لا نعرف مكرمة مستعارة من أبي دلف، وطلبه فهرب إلى الجزيرة، فكتب في طلبه وأخذه فحمل إليه، فلمّا صار بين يديه قال: يا ابن اللخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسىٰ: كلّ من في الأرض من عرب الخ. فزعمت أنّنا نستعير المكارم منه؟

فقال عليّ بن جبلّة ک يا أميرالمؤمنين، عنيت أشكال القاسم وأشباهه من الناس، فأمّا أنتم فقد آتاكم الله بالفضل عن سائر عباده لأنّه اختصّكم بالفضل والنبوّة والكتاب والحكمة، وجمع لكم إلى ذلك الخلافة والصلاة والملك، وما زال يستعطفه حتّى عفىٰ عنه. وقال بعض الرواة: بل قتله وذلك أنّه قال: أمّا إنّي لا أستحلّ دمك بهذا القول ولكن أستحلّ بكفرك وجرأتك على الله إذ تقول في عبد مهين تسوّي بينه وبين ربّ العالمين حين تقول:

أنت الذي تُنزِل الأيّام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلّا قضيت بأرزاق وآجال

قال: فأمر فأُخرج لسانه من قفاه ثمّ قتله. والأُولى عندنا أثبت؛ هكذا يقول عبدالله بن المعتزّ. ومات عليّ بن جبلّة حتف أنفه...

ومن مآثر شجاعته ما ذكره ابن المعتزّ في تذكرته أنّ صعلوكاً كان يدعىٰ قرقوراً في اصفهان وكان يقطع حوالي عمل أبي دلف وكان شجاعاً بطلاً لا يقاومه أحد، وكان قطع على مالٍ جليل كان حمل إلى أبي دلف من بعض النواحي وقتل

فرساناً كانوا مع ذلك المال، فطلبه أبو دلف فلم يقدر عليه وذلك أنّه لم يكن يقيم في موضع ينسب إليه أو يعرف به إنّما يصبح بمكان ويُمسي بمكان غيره، فضلّت فيه حيلة أبي دلف وطال عليه أمره، وكان أكثر ما يقطع وحده وليس معه غير غلامين.

وخرج يوماً أبو دلف يتصيّد وانقطع عن أصحابه في وحش طرده حتّى دفع إلى ثنيّة الجبل، فلم يشعر حتّى أقبل «قرقور» على فرس جواد يخرق الأرض خرقاً، فلمّا نظر إليه أبو دلف سقط في يده فإنّه كان وحده، وكان قرقور لا تقوم له فوارس مثل أبي دلف وعلم أنّه إن ولّى عنه هلك، فحمل عليه أبو دلف ونادى: يا فتيان، اليمين اليمين، فظنّ قرقور أنّ معه خيلاً قد كمنوا له فدهش وولّى هارباً وأتبعه أبو دلف حتّى وضع رمحه في ظهره واعتمد عليه حتّى أخرجه من صدره ثمّ صرعه ثمّ نزل إليه وأدخله الكرج[1] على رأس رمح. وذكره عليّ بن جبلّة في قصيدته المشهورة التي ذكرتها قبلاً وقالها في مدح أبي دلف وأشار في بعض أبياتها إلى قتل قرقور هذا، وأعطاه أبو دلف عليها مالاً جليلاً[2].

ومن مآثره جوده وتتبّعه الدقائق والنكات ما جاء في تذكرة ابن المعتز عن بكر ابن النطاح وكان يكنّى بأبي وائل، قال: وحدّثت أنّ أبا بكر لمّا ورد على أبي دلف وقد مدحه، دعا به وقال: أنشدني، فأنشده حتّى إذا بلغ الموضع الذي يستمنحه فيه ويسأله، قال: فأين ما قلت:

ومن يفتقر منّا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

---

(١) وكرج هذا من أعمال أبي دلف في عراق العجم وليس كرج القريب من طهران.

(٢) وفيها يشير إلى قرقور بالبيت التالي:

وطغى حتّى رفعت له ... خطّه شنعاء من ذكره

فخجل بكر وأطرق مليّاً ثمّ قال: يا أيّها الأمير، لو كان تحتي فرس من خيلك وفي يدي قناة من رماحك وتقلّدت سيفاً من سيوفك لما قمت هذا المقام.

قال: فدعا بجميع ما ذكره وهميان فيه خمسمائة دينار ثمّ قال: امض فصدِّق قولك بفعلك، فخرج من بين يديه وأخذ طريق همدان يريد الجزيرة، فلمّا كان على سيرة ثلاث من الكرج استقبله مال عظيم قد حمل إلى أبي دلف من بعض نواحي أعماله ومعه فرسان من رجاله، فشدّ عليهم فقتل بعضهم وهزم الباقين واستولى على المال فذهب به، فلمّا بلغ الخبر أبا دلف ضحك وقال: لا نلوم إلّا أنفسنا، نحن بعثناه على ذلك.

وممّا يختار من شعره قوله لأبي دلف:

فكفّك قوس والندىٰ وتر لها وسهمك فيه اليسر فارم به عسري

وله هذان البيتان:

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التي عوّدتنا أو لا فأرشدنا إلى من نذهب

ومن بدايع أشعاره في مدح أبي دلف هذه الأبيات:

بطل بصدر حسامه وسنانه أجلان من صدر ومن إيراد
ورث المكارم وابتناها قاسم بصفائح وأسنّة وجياد
يا عصمة العرب التي لو لم تكن حيّاً إذا كانت بغير عماد
إنّ العيون إذا رأتك حدادها رجعت من الإجلال غير حداد
وإذا رميت الثغر منك بعزمة فتّحت منه مواضع الإسداد
وكأنّ رمحك منقع في عصفر وكأنّ سيفك سلّ من فرصاد
لو صال من غضب أبو دلف على بيض السيوف لذبن في الأغماد

أذكى ونوّر للعداوة والقرىٰ　　ناريـن نـار وغـىً ونـار رماد

ولبكربن النطاح قصائد أُخرى من نفائس شعره قالها في مدح أبي دلف وذكر ابن المعتز في التذكرة وإن لم يعتر القاري هنا ملل ممّا قيل فليرجع إليها هناك.

ومن مآثر خلقه الكريم أنّه عندما زار الكرخ من بغداد دعاه ذات يوم عليّ بن عيسى بن هامان ـ وهو من أعاظم الأبرار ببغداد ـ إلى مأدبة وجاء معه جمع كبير من الطفليّين وبينما هم كذلك إذ وصل أبو دلف إلى بيت عليّ بن عيسىٰ، فراى شاعراً واقفاً على الباب والحاجب منعه من الدخول، فتأثر أبو دلف من هذا المنظر وقال: إنّ طعاماً يُمنَع منه الدراويش حرام علَيّ وأقسم أن لا يدخل بيت عيسىٰ ولا يأكل من طعامه، ورجع إلى بيته قبل أن يدخل.

ومن طرائف غلوّه في التشيّع أنّه قال ذات يوم في مجلسه: إنّ من لم يغلُ بتشيّعه فهو لغير رشدة.

فقال ابنه: أنا لست مغالياً في التشيّع ولست ابن زناً.

فقال له أبو دلف: إنّي لم أستبرأ أُمّك عندما اشتريتها وأنت ابن زنا من يومئذٍ.

وقال ابن كثير الشامي في تاريخه: إنّ أبا نصر بن ماكولا صاحب كتاب «الإكمال» من نسل أبي دلف ويظنّ أنّ القاضي جلال الدين القزويني خطيب دمشق من أولاده.

قال المؤلّف: والظاهر أنّ ابن كثير اعتبر كون القاضي جلال الدين من سفاح وأنّه لغير رشدة لقيامه بارتكاب الخطابة في دار النواصب بدمشق بناءاً على حكاية أبي دلف وولده ولم يجزم بصحّة ولادة القاضي على نهج أبي دلف ولذا قال: ويظنّ أنّ القاضي من نسله.

وروى ابن خلّكان وغيره هذه الرواية، قال: لمّا مرض مرض موته حجب

الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه فاتفق أنّه أفاق في بعض الأيّام، فقال لحاجبه: مَن بالباب من المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف، وقد وصلوا من خراسان ولهم بالباب عدّة أيّام لم يجدوا طريقاً، فقعد على فراشه واستدعاهم، فلمّا دخلوا رحّب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق وأخرج منه عشرين كيساً في كلّ كيس ألف دينار، ودفع لكلّ واحد منهم كيسين، ثمّ أعطى كلّ واحد مؤونة طريقه وقال لهم: لا تمسّوا الأكياس حتّى تصلوا بها سالمة إلى أهلِكم واصرفوا هذه في مصالح الطريق، ثمّ قال: ليكتب لي كلّ واحد منكم خطّه: إنّه فلان بن فلان حتّى ينتهي إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويذكر جدّته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ ليكتب: يا رسول الله، إنّي وجدت إضاقة وسوء حال في بلدي وقصدت أبا دلف العجلي فأعطاني ألفَي دينار كرامة لك وطلباً لمرضاتك، ورجاءاً لشفاعتك، فكتب كلّ واحد منهم ذلك وتسلّم الأوراق وأوصى من يتولّى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه حتّى يلقىٰ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعرضها عليه[1].

توفّي أبو دلف في بغداد في سنة ستّ وعشرين ومأتين..

الأمير الأعظم أبو فراس الحارث بن العلاء بن حمران الثعلبي

فارس ميدان العقل والفراسة، ومبارز مضمار الشجاعة والرياسة، كان السلطان سيف الدولة ابن حمدان ابن عمّه وهو وشاح محامد آل حمدان، وقلادة تزيّن أعناقهم.

---

(١) وفيات الأعيان ج٤ ص٧٣ قال ابن خلّكان: ومع هذا فقد حكي عنه أنّه قال يوماً: من لم يكن مغالياً في التشيّع فهو ولد زنا.

قال الثعالبي في نعته: كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً وكرماً ونُبلاً ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسيّة وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزّة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلّا في شعر عبدالله بن المعتز، وأبو فراس يُعَدّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام.

وكان الصاحب يقول: بدء الشعر بملك وختم بملك يعني امرء القيس وأبو فراس.

وكان المتنبّي ـ مع ما هو عليه من الفضل والكمال والشعر الذي هو السحر الحلال ـ يشهد له بالتقدّم والتبريز، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيّباً له وإجلالاً لا إغفالاً وإخلالاً.

وكان سيف الدولة يعجب جدّاً بمحاسن أبي فراس ويميّزه بالإكرام عن سائر قومه، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله[1].

ومن شعره اللطيف الدالّ على علوّ همّته وعظم بيته هذان البيتان:

ونحن أُناس لا توسّط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب العلياء[2] لم يغله المهر

أُسر أبو فراس مرّتين في حرب الروم الكفّار، ففي المرّة الأُولى فداه سيف الدولة بالمال الكثير، ولكن في المرّة الثانية ركب فرسه في القلعة التي

---

(١) الجزء الأوّل من يتيمة الدهر ص ١٠ آلي، والمؤلّف لم يزد على عبارة الثعالبي إلّا بتغيير السرد تغييراً لا يضرّ بالمعنى.

(٢) الحسناء.

حُبِس بها وهمزها فقفزت به من أعلا القلعة ووقع في بيت تحت القلعة وهو راكب فنجا بهذه الجرأة العجيبة وسلم من الأسر.

وذكر ابن خالويه فقال: لمّا توفّي سيف الدولة طمع أبو فراس بولاية «حمص» وقاتل على ذلك حتّى أُثخن بالجراح حتّى ارتُثَّ، وكان أبو المعالي ابن سيف الدولة قد وجّه إليه جماعة لإخماد الفتنة وجرت بينهم معارك، فحمل أبو فراس من المعركة على تلك الحال من الجراح فمات في أثناء الطريق، فتأثّر أبو المعالي غاية التأثّر له وآلمه موته، ولم يستطع دفع الموت عنه، وكانت الواقعة قد حدثت في سنة عشرين بعد الثلثمائة.

وكان لأبي فراس شعر كثير في مدح أهل البيت وذكر مناقبهم ومثالب أعداءهم ومن ذلك قصيدته الميميّة المسمّاة بـ«الشافيه» وقد شفىٰ بها غليله وسائر المؤمنين وقد ردّ قصيدة شرّ العباد عبدالله بن المعتز العبّاسي[1] التي تناول فيها سادات آل أبي طالب بالقدح رضي الله عنهم خير ردّ وأجابه أفضل جواب وأعطاه الجزاء الذي يستحقّه، والقصيدة هي:

الدين مخترم والحقّ مهتضم[2] ... وفيء آل رسول الله مقتسم
والناس عندك لا ناس فيحفظهم ... سوء الرعاء ولا شاء ولا نعم
إنّي أبيت قليل النوم أرّقني ... قلب تصارع فيه الهمّ والهمم
وعزمة لا ينام الليل[3] صاحبها ... إلّا على ظفر في طيّه كرم

---

(١) كأنّ مولانا يشير إلى قصيدة صفي الدين الحلّي رحمه الله تعالى التي ردّ بها على ابن المعتز:

ألا قل لشرّ عبيد الإله ... وطاغي قريش وكذّابها

(٢) جاء في الكتاب هذا الشطر على هذا النحو: «الحقّ مهتضم والدين مخترب» وهو خطأ من الناسخ، وصحّحنا القصيدة على أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٤١.

(٣) الدهر.

يصان مهري لأمر لا أبوح به ... والدرع والرمح والصمصامة الخذم
وكلّ مائرة الضبعين مسرحها ... رمث الجزيرة والخذراف والغدم[١]
وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا ... يوماً ورائهم رأي إذا عزموا
يا للرجال أما للّه منتصر ... من الطغاة وما للدين[٢] منتقم
بنو عليّ رعايا في ديارهم ... والأمر تملكه النسوان والخدم
محلّئون فأصفى شربهم[٣] وشل ... عند الورود وأوفىٰ وردهم لمم
فالأرض إلّا على ملّاكها سعة ... والمال إلّا على أربابه ديم
وما السعيد بها إلّا الذي ظلموا ... وما الشقيّ بها إلّا الذي حرموا
للمتقّين من الدنيا عواقبها ... وإن تعجّل فيه الظالم الأثم[٤]
لا يطغينّ بني العبّاس ملكهم ... بنو عليّ مواليهم وإن رغموا
أتفخرون عليهم لا أباً لكم ... حتّى كأنّ رسول الله جدّكم
وما توازن يوماً بينكم شرف ... ولا تساوت بكم في موطن قدم
ولا لجدّكم مسعاة جدّهم ... ولا نثيلتكم من أُمّهم أُمم[٥]
قام النبيّ بها يوم الغدير لهم ... والله يشهد والأملاك والأمم
حتّى إذا أصبحت في غير صاحبها ... باتت تنازعها الذؤبان والرخم
وصيّرت بينهم شورى كأنّهم ... لا يعلمون ولاة الحقّ أين هم

---

(١) أسماء نبات ترعاه الإبل.

(٢) للّه.

(٣) وردهم.

(٤) تعجّل منها ـ أعيان الشيعة.

(٥) بعد هذا البيت قوله في أعيان الشيعة:

ليس الرشيد كموسىٰ في القياس ولا ... مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

تـالله مـا جـهل الأقوام موضعها لكـنّهم ستروا وجـه الذي علموا
ثـمّ ادّعـاها بـنو العـبّاس مـلكهم ومـالهم قـدم فـيها ولا قـدم
لا يـذكرون إذا مـا معشر ذكـروا ولا يـحكّم فـي أمـر لهـم حكـم
ولا رآهـم أبـوبكر وصـاحبه أهـلاً لما طـلبوا منها ومـا زعموا
فـهل هـم مـدّعوها غـير واجـبة أم هـل أئـمّتهم فـي أخـذها ظـلموا
أمّـا عـليّ فـقد أدنـى قـرابـتكم عـند الولايـة إن لم تكـفر النـعم
هـل يـنكر[1] الجـدّ عبدالله نـعمته أبـوكم أم عـبيدالله أم قـثم
بئس الجزاء جزيتم فـي بـني حسـن أبـاهم العَـلَم الهـادي وأُمّـهم
لا بـيعة ردعـتكم عـن دمـائهم ولا يـمين ولا قُـربىٰ ولا ذمـم
هلّا صفحتم عن الأسرىٰ بـلا سـبب للـصافحين بـبدر عـن أسـيركم
هـلّاكـففتم عن الديـباج ألسـنكم وعـن بـنات رسـول الله شـتمكم
مـا نـزّهت لرسـول الله مـهجته عـن السـياط[2] فـهلّا نـزّه الحـرم
ما نال منهم بنو حرب وإن عـظمت تـلك الجـرائـم إلّا دون نـيلكم
كـم غـدرة لكـم فـي الديـن واضـحة وكـم دم لرسـول الله عـندكم
أأنـتم آلـه فـيما تـرون وفـي أظـفاركم مـن بـنيه الطـاهرين دم
هيهات لا قربت قـربىٰ ولا نسب[3] يـومـاً إذا أقـصت الأخـلاق والشِّـيَم
كـانت مـودّة سـلمان لهـم رحـماً ولم يكـن بـين نـوح وابـنه رحـم
يـا جـاهداً فـي مساويهم يكـتمها غـدر الرشـيد بـيحيىٰ كـيف يـنكتم

---

(١) أينكر.

(٢) السباب.

(٣) رحم.

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم
ذاق الزبيريّ غبّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتُّهم
باتوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم فعموا
يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا
لبئسما لقيت منهم وإن بليت بجانب الطفّ تلك الأعظم الرمم
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا ولا الهبيرىٰ نجّا الحلف والقسم
ولا الأمان لأزد[1] الموصل اعتمدوا فيه الوفاء ولا عن عمّهم حلموا
أبلغ لديك بني العبّاس مألكة لا يدّعوا ملكها ملّاكها العجم
أيّ المفاخر أضحت في منابركم وغيركم آمر فيهنّ محتكم
وهل يزيدكم من مفخر علم وبالخلاف عليكم يخفق العلم
يا باعة الخمر كفّوا عن مفاخركم لمعشر بيعهم يوم الهياج دم
خلّوا الفخار لعلّامين إن سئلوا يوم الفخار وعمّالين إن علموا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ولا يضيّعون حقّ[2] الله إن حكموا
تنشىٰ[3] التلاوة في أبياتهم أبداً وفي بيوتكم الأوتار والنغم[4]
منكم عليّة أم منهم وكان لكم شيخ المغنّين إبراهيم أم لهم
أمن تشاد له الألحان سائرة عليهم ذو المعالي أم عليكم
إذا تلوا سورة غنّى إمامكم[5] قف بالديار التي لم يعفها القدم

---

(١) لأهل.

(٢) حكم.

(٣) تبدو.

(٤) بعد هذا البيت في أعيان الشيعة بيت: يا باعة الخمر الخ.

(٥) خطيبكم.

ما في ديارهم[١] للخمر معتصر ولا بيوتهم للسوء[٢] معتصم
ولا تبيَّت لهم خنثى تنادمُهم ولا يرىٰ لهم قرد له حشم
الركن والبيت والأستار منزلهم وزمزم والصفا والحجر والحرم
صلّى الإله عليهم كلّما سجعت ورق فهم للورى كهف[٣] ومعتصم

ومن أشعار أبي فراس اللطيفة التي أنس بها الأفاضل ورضيها المحقّقون والناقدون هذان البيتان وهما في بلاغة القول يعتبران الأساس الذي عليه يقاس:

عليّ لربع العامريّة وقفة ليملي على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حبّ الديار وأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

القائد أبوالحسن جوهر بن عبدالله

ويعرف بالكاتب الرومي، كان جوهرة نفيسة، كان لخلافة العزيز عزيز مصر مولىً حاذق عارف مميّز، وهو قائد المعزّ الإسماعيلي، ليس له نظير، وأمير ذو رأي وتدبير.

وجاء في تاريخ اليافعي: لمّا توفّي كافور الأخشيدي والي مصر واضطرب العسكر لاستيلاء القحط يومئذٍ من فقد الأموال على الناس والتاث أمر العسكر على صاحبه واختلّت الأحوال، اجتمع قومٌ منهم على مكاتبة المعزّ لدين الله الخليفة الإسماعيلي الذي تربّع على عرش الخلافة في بلاد المغرب من أفريقيا، فكتبوا إليه ورجوه أن يبعث إليهم أحد أُمرائه ليسلّموا إليه أزمّة القيادة في مصر، فأمر القائد جوهراً أن يختار من الجيش من يرضيه ويجهّزه بأحسن الجهاز

(١) منازلهم.
(٢) للشرّ.
(٣) ذخر.

ويتوجّه تلقاء مصر، وأمر وزرائه أن لا يضنّوا على هذا الجيش بالمال والسلاح والرجال. فأطاع جوهر الأمر فخرج جوهر بجمع نيّف على المائة ألف من الرجال، وأخرج معه مئات الأُلوف من صناديق المال من العين والورق.

وخرج المعزّ لدين الله خارج البلد لوداعه وأمر أولاده أن يترجّلوا لوداعه كما فعل هو، وترجّل جميع أعضاء الدولة وجميع الأُمراء من دوابّهم لوداع جوهر، وكان المعزّ على ظهر جواده يذرف الدمع على فراق جوهر وهو واقف بين يديه يمتثل أمره، فأمره المعزّ بالركوب فامتثل، ودعا له صاحبه ثمّ انطلق بالجيش.

ولمّا عاد المعزّ إلى قصره خلع ثيابه كلّها والفرس التي تُقلّه وما يحتوي عليه ثيابه إلّا الخاتم والسراويل وبعث بها كلّها إلى جوهر، وكتب إلى مولاه «أفلح» وكان حاكماً على برقه ليستقبل جوهراً وأن يقبّل يده عند لقائه، وكان في أفلح نخوة وكبرياء، فأبى أن يقبّل يد جوهر وبذل للمعزّ مأة ألف دينار ليعفيه عن تقبيل يده، فلم يرض بذلك وأبىٰ إلّا أن يقبّل يده، ففعل.

ولمّا بلغ الخبر أهل مصر بمجيء جوهر اضطرب عسكر الأخشيد وطلبوا من جعفر بن الفرات أن يكتب إلى جوهر بالأمان لهم ورجوا السيّد الأجل أبا جعفر مسلم بن عبدالله الحسيني أن يصحب الرسول إليه. فقبل السيّد المذكور ذلك ومضى إليه مع الوفد ووصل إلى معسكر جوهر قريباً من الاسكندريّة وقام بتأدية الرسالة فأكرم جوهر السيّد وبالغ في تعظيمه وتقبّل منه ما عرضه عليه، وكتب لهم عهداً بذلك وبعثه مع السيّد.

ولمّا أوشك جوهر على دخول مصر خافه أُمراء الأخشيد على أنفسهم ونقضوا العهد والميثاق وعزموا على القتال وأقبلوا بجماعتهم إلى النيل وتجمهروا هناك، فلمّا رآهم جوهر يتأهّبون لقتاله عقد العزم على ذلك، فلمّا

بلغ الجسر رأى عسكر الأخشيد قد رفع الأعلام وتيقّنوا أنّ الحفاظ على الجسر صلاحاً لهم فسدّوا الطريق في وجهه، فنادى برجاله الأبطال وزأر بهم أن يحملوا عليهم فحملوا وقتلوا منهم جماعة وأسروا آخرين.

ولمّا راى العبور من الجسر متعذّراً خاطب جعفر بن فلاح وهو واحد من رجالهم الأشدّاء وفرسانهم الأقوياء وقال له: إنّ المعزّ كان قد أعدّك لمثل هذا اليوم فعليك أن تحمل عليهم كما يحمل تمساح النيل على فريسته، ففعل جعفر وكان بمثابة جوهر عند المعزّ قد اكتضّ صدره بجواهر الإخلاص، وأرسى سفينة الدولة وهواها في بحر الاختصاص، وسائر نحو العسكر كالسحب المتراكم، والقلزم المتلاطم[1] وكما يخترق التمساح الأمواج حمل عليهم وهو على فرسه عارياً إلّا من الرمح والسيف، وعبر بحر النيل واجتاز الماء، وأطفئ نائرة الفساد التي أوقدها نسل فرعون ذي الأوتاد على فحوىٰ ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾ بمياه البوارق والسيوف، وغيث السهام المنهمرة عليهم إلى الحدّ الذي ثارت به أمواج الدماء، وطفت عليها كؤوس الرؤوس كما تطفوا الفقاعات على سطح الماء، المتمثّل بالبواتر والبوارق.

ولمّا جنّ عليهم الليل «كالسيل بالليل لا تبقي ولا تذر» انقرط عقد اجتماعهم وطار جمعهم كأنّه الجراد المنتشر، وحلّت بهم الهزيمة في الليلة نفسها وعادوا إلى مصر وأسرعوا في حمل عيالهم وبعض أموالهم إلى العراق وعزموا على موافاته.

وخرج لاستقبال القائد جوهر في اليوم الثاني الشريف أبو جعفر والوزير

---

(١) القلزمة ابتلاع الشيء، يقال: تقلزمه إذا ابتلعه والتهمه، وبحر القلزم مشتقّ منه / راجع المادة في لسان لعرب.

وجماعة من الأشراف والعلماء وأعيان مصر، ولمّا دنوا من موكبه نادى مناديه بترجّل جميع الحاضرين ما عدا الشريف والوزير، فترجّلوا امتثالاً لأمره، وأقبلوا يسلّمون عليه الواحد بعد الآخر، وكان جوهر يسير وقد جعل الشريف عن يمينه والوزير عن يساره، ولمّا وصل إلى مصر وقد زالت الشمس لم يدخلها «جوهر» وأذن للأعيان بالعودة ونزل بعسكره في الموضع الذي يُدعىٰ اليوم بـ«القاهرة» وفي الليلة نفسها بنى سور القاهرة وأقام معالم بعض البيوت.

ومذ أصبح الصباح وأقبل المصريّون لتهنئته هالهم الأمر وعجبوا لسرعة ما قام به من الفعل العجيب. وبعد أن أقام جوهر قواعد الفتح والظفر والنصر أرسل كتاب الفتح ومعه رؤوس القتلى إلى مولاه وألغىٰ الخطبة وكانت باسم العبّاسيّين في مصر من على منابرها، وضرب السكّة من الدرهم والدينار باسم مولاه وزيّنه وحلّاه، وأقام الخطبة باسمه أيضاً، وأمر بنزع السواد وألبسهم البياض لاسيّما الخطباء منهم.

ولمّا كان يوم الجمعة أمر بأن ينادى بعد الخطبة بـ: «اللهمّ صلّ على محمّد المصطفى وعلى عليّ المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطَي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، اللهمّ صلّ على الأئمّة الطاهرين آباء أميرالمؤمنين».

وفي الجمعة التالية أمر بالنداء بـ«حيّ على خير العمل» ثمّ طفق يبني المسجد الجامع في القاهرة بمصر، وكان يحكم مصر باستقلال أربعة سنين حتّى جاء مولاه المعزّ من مصر إلى المغرب ثمّ وجّه به إلى فتح العالم، فأخضع جوهر بالفتح ولاية الشام وحلب والحرمين الشريفين وجلّ عراق العرب، وقدم إلى الأنبار وهي قصبة من قصبات المدائن وألقى خطبة المعزّ هناك، وكان قد عقد

العزم على قصد بغداد لمحاصرة الخليفة ولكنّه رأى المصلحة المستجدّة في ترك ذلك فعاد من الأنبار، وتوفّي في سنة ثمانين وثلثمائة.

الأمير جعفر بن فلاح الكناني

كان من أعاظم الأُمراء في عهد المعزّ لدين الله الفاطمي على الوجه الذي ذكرنا في ترجمة جوهر المذكور آنفاً، ولمّا كان فتح مصر قد تمّ بحسن ولاية جوهر هذا وصاحبه الأمير جعفر وخضعت لحكم المعزّ، وقدم المعزّ إلى مصر من المغرب، بعث الأمير جعفراً إلى الشام لفتحها.

وجاء في تاريخ مصر والقاهرة: إنّ جعفر بن فلاح، شابٌ أديب وشاعر فصيح، وأعلن المؤذّنون بدمشق بـ«حيّ على خير العمل» بأمره، ولم يجسر أحد على مخالفته.

وقال ابن خلّكان: فغلب على الرملة في ذي الحجّة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثمّ غلب على دمشق فملكها في المحرّم سنة تسع وخمسين بعد أن قاتل أهلها وقصده (الحسن بن أحمد القرمطي) المعروف بالأعصم، فخرج إليه جعفر المذكور وهو عليل فظفر به القرمطي فقتله وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً، وكان جعفر المذكور رئيساً جليل القدر ممدوحاً، وفيه يقول أبوالقاسم محمّد بن هاني الأندلسي الشاعر المشهور.. الخ[1]. وقال غيره في مدح جعفر قصائد كثيرة، وكانت واقعته قد. وقعت سنة ستّين وثلثمائة.

الأمير أبوالحسن سنان بن سليمان بن محمّد

الملقّب براشد الدين، أمير جليل فاضل، ورئيس شجاع من ذوي القلوب،

---

(١) وفيات الأعيان ج١ ص٣٦١ تحقيق إحسان عبّاس.

وكانت قلاع خلفاء الإسماعيليّة بيديه.

وجاء في تاريخ الملوك: إنّ سناناً هذا رجل عظيم بعيد الهمّة، خفيّ الكيد، وأصله من قرية من قرى البصرة تُدعىٰ «أيست» وتسمّى عقر السدن[1]، وخدم رؤساء الإسماعيليّة مدّة مديدة في قلعة ألموت، وقرأ كتب الجدل والمغالطة ورسائل إخوان الصفا، وأقام عدداً من الحصون الحصينة في ولاية الشام، وكان يخشاه ملوك زمانه. ولمّا فسد صلاح الدين الأيوبي وأنكر الملح من وليّ نعمته وغدر به وحبس العاضد وهو عليل مريض، وراح يدير مملكة مصر وحده ولم يخضع له سنان المذكور آنفاً ولم يطعه ولا نزل على حكه فلا بدع أن يجرّ الوضع القائم بينهما إلى الوعد والوعيد والحرب والتحديد، ويحلّ السيف والسنان محلّ القلم واللسان.

وكان سنان قد أجابه على إحدى رسائله بكلام فصيح وفيه هذه العبارة الفريدة: فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، فاقرأ أوّل النحل وآخر «ص».

وأرسل هذه الأشعار اللطيفة عن جواب كتاب كتبه له نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بهدّده به ويتوعّده ومعها هذه الفقرات البليغة:

يا ذا الذي بقراع السيف هدّدني لا قام مصرع خيب أنت تصرعه
قام الحمام إلى البازي يهدّده وكشّرت لأُسود الغاب أضبعه
أضحىٰ يسدّ فم الأفعىٰ بإصبعه يكفيه ماذا تلاقى منه إصبعه

وقفنا على تفصيله وإجماله، وهدّدنا به من قوله وعلمه، فيا للّه العجب من ذبابة تطنّ في أُذن الفيل، وبعوضة تعد في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم

---

(١) معجم البلدان ج٣ ص٤٠.

آخرون فدمّرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين، أو للحقّ تدحضون وللباطل تنصرون؟ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

وأمّا ما صدر من قولك، من قطع رأسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي فتلك أمانيّ كاذبة وخيالات غير صائبة، فإنّ الجواهر لا تدول بالأعراض، كما أنّ الأرواح لا تضمحلّ بالأمراض، كم من قويّ وضعيف ودنيّ وشريف فإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا من البواطن والمعقولات فلنا أُسوة برسول الله ﷺ في قوله: «ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت». وقد رأيتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال، والأمر ما زال، ولله الحمد في الآخرة والأُولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون، وإذا جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً.

وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفيّة رجالنا، وما يتمنّون من الفوت ويتقرّبون به إلى حياض الموت، قل **﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾**[1]، وفي أمثال العامّة السائرة: أَوَ للبطّ تهدّدون بالشط، فهي للبلايا جليّاً (جلباباً) وتدرع للرزايا ثوباً، فلأظهرهنّ عليك فيك منك، ولا يعيبهم فيك منك، فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفّه، وما ذلك على الله بعزيز.

(وفي رواية: فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، فاقرأ أوّل النحل وآخر صاد، والصحيح أنّه كتب هذا اللفظ إلى صلاح الدين بن أيّوب).

قال صاحب تاريخ الملوك: وتوفّي في المحرّم سنة تسع وثمانين

---

(١) الجمعة/٦ـ٧.

وخمسمائة في كهف، وله نثر جميل وشعر حسن، ومن أشعاره هذه الأبيات:

لو كنت تعلم كلّ ما علم الورىٰ ... طُرّاً لكنت صديق كلّ العالم

لكن جهلت فصرت تحسب أنّ مَن ... يهوىٰ خلاف هواك ليس بعالم

فاستحيي إنّ الحقّ أصبح ظاهراً ... عمّا تقول وأنت شبه النائم

ولا يخفى أنّه يظهر من الترجمة التي سبقت للخليل بن أحمد النحوي أنّ بعض الفضلاء ذكر له البيت الأوّل من الأبيات الثلاثة المذكورة، والله أعلم بحقائق الأُمور.

الأمير أبو الحارث أرسلان التركي البساسيري

جاء في كتاب الأنساب للسمعاني: هذه النسبة إلى بلدة بفارس يقال لها «بسا» وبالعربيّة «فسا» والنسبة بالعربيّة إليها «فسوي»، وأهل فارس ينسبون إليها: «البساسيري»، وهكذا يكتبون. والسيّد أرسلان التركي كان من «فسا» فنسب الغلام إليه واشتهر بالبساسيري..[(١)]

قال المؤلّف: الظاهر أنّ إلحاق «سير» باللفظ بناء على أنّ «فسا» من بلاد شيراز الحارّة وينبغي أن تكتب هكذا «گرم سير» على العادة ولكنّهم حذفوا لفظ «گرم» اختصاراً، فقالوا: البساسيري، وسياق كلام حبيب السير مُشعر بأنّ اللفظ هكذا: بساسري، بدون إلحاق الياء المتوسّط بين السين والراء، والظاهر أنّه احتمال خاطأ.

وجاء في روضة الصفا أنّ البساسيري «غلام بهاء الدولة الديلمي» المعروف بأرسلان والمكنّى بـ«أبي الحارث» وفي الأصل نسب إلى بساشيراز فسمّي البساسيري.

---

(١) أنساب السمعاني ج ١ ص٣٤٦ وفي النصّ زيادة على ماذكره المؤلّف لا يتمّ المعنى إلّا به.

وفي حبيب السير وغيره: إنّ البساسيري انتظم في سلك أُمراء الديلم وحدث بينه وبين رئيس الرؤساء وهو رئيس ذوي الأذناب ووزير القائم الخليفة مشاحنات للاختلاف في المذهب، والمباينة في المطلب، وارتفع بينهما عثير النفار، فخرج البساسيري من بغداد وقطع الطريق وصار يغير على القوافل وينهب الأموال، واستعان بالحاكم المصري المستنصر العلوي، وبما أنّ المستنصر قاطع بتشيّعه فقد أعانه فعمّت الفوضىٰ في بغداد لقطع الطرق عليها.

ولمّا بلغ طغرل السلجوقي الخبر وكان يومها يقيم في ممالك خراسان وعراق العجم وآذربيجان عاملاً عليها عزم على مغادرتها إلى دار الخلافة، وغادر بعد ذلك إلى موقع البساسيري وكان قد أحكم سيطرته على الموصل إلى أن هزمه، ولكن نجم قرن أخيه لأُمّه السلطان طغرل إبراهيم «نيال» وخرج على أخيه حتّى ملك همدان، فاستعدّ طغرل بك لدفعه، ولمّا علم البساسيري بذلك أسرع إلى احتلال بغداد وحبس الخليفة القائم بها وعمد إلى رئيس الرؤساء وهو سنّيّ متعصّب مع جماعة من خاصّة الخليفة فأركبهم الجمال ودار بهم في الأسواق ثمّ مثّلهم جميعاً ووضع الخليفة عند «بهارش العجلي» وقطع الخطبة عنه وخطب وجعلها باسم المستنصر العلوي، فأرسل القائم رقعة من محبسه بيد ثقة من ثقاته إلى طغرل بيك واستمدّه على البساسيري، فطلب طغرل بيك من صفي الدين أبي العلاء الكاتب أن يكتب على ظهر الرقعة شطراً فيه دلالة على قبول رجاء الخليفة، فكتب قوله تعالى: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُون ﴾[1].

---

(١) النمل/٣٧.

ولمّا وقعت عين السلطان على ظهر الرقعة استحسن ما كتبه وقال: نأمل أن يتحقّق مضمون الآية.

ولمّا أمن السلطان جانب إبراهيم نيال، واطمأنّ خاطره من جهته لوىٰ عنان عزيمته صوب بغداد، فاختار البساسيري الفرار على القرار مسرعاً وأرسل «مهارش العجلي» القائم لاستقبال طغرل بيك، فقبّل السلطان طغرل الأرض بين يدي الخليفة وسار راجلاً في ركبه، فقال له الخليفة: اركب يا ركن الدين، فلزمه لقب «ركن الدين» وأضافه الكتّاب إلى ألقابه (أي ألقاب طغرل بيك) وقصد طغرل بيك بغداد وأقام بها أواخر ذي القعدة سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة.

وفي نفس العام قصد البساسيري ووصلت مقدّمة عسكره اٍلى البساسيري في الكوفة فقبضوا عليه وضربوا عنقه.

وجاء في تاريخ ابن كثير الشامي: ولمّا ورد البساسيري مدينة بغداد رأى أعيان بغداد من المصلحة حفظ الخليفة في مكان آمن لقلّة العسكر، فانتقل الخليفة إلى ذلك الموضع الآمن فلم يرتض رئيس الرؤساء تلك المصلحة وكان وزيراً فعمد إلى العامّة وأوشاب الناس فاتّخذ منهم جيشاً وأعطاهم سلاحاً وقسّم بينهم الوظائف، وأحضرهم للحرب إلى أن دخل البساسيري بغداد يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من سنة مائة وخمسين وأربعمائة ومعه الرايات البيض المصريّة وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر باللّه أبي تميم معد أمير أمير المؤمنين، فتلقّاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم.

فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيّم بها والناس إذ ذاك (والناس إذ ذاك في مجاعة وضرّ شديد) ونزل قريش بن بدران (وكان معه) في نحو من مأتي فارس على مشرعة باب البصرة، وكان البساسيري قد جمع العيّارين

وأطمعهم في نهب دار الخلافة ونهب اهل الكرخ دور أهل السنّة بباب البصرة ونهبت دار قاضي القضاة الدامغاني وتملّك أكثر السجلّات والكتب الحكميّة (العلميّة) وبيعت للعطّارين، ونهب دور المتعلّقين بخدمة الخليفة، وأعادت الروافض الأذان بـ«حيّ على خير العمل» وأذّن به في سائر نواحي بغداد في الجمعات والجماعات، وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي (العلوي) على منابرها وغيرها، وضربت له السكّة على الذهب، وحوصرت دار الخلافة، فجاحف الوزير أبوالقاسم بن المسلمة الملقّب برئيس الرؤساء بمن معه من المستخدمين دونه فلم يفد ذلك شيئاً، فركب الخليفة بالسواد والبردة وعلى رأسه اللواء وبيده سيف مصلت وحوله زمرة من العبّاسيّين والجواري حاسرات عن وجوههنّ، ناشرات شعورهنّ، ومعهنّ المصاحف على رؤوس الرماح وبين يديه الخدم بالسيف.

ثمّ إنّ الخليفة أخذ ذماماً من أمير العرب قريش ليمنعه وأهله ووزير بن مسلمة فآمنه على ذلك كلّه وأنزله في خيمه، فلامه البساسيري على ذلك وقال: قد علمت ما كان وقع من الاتفاق عليه بيني وبينك، مِن أنّك لا تبتّ برأي دوني ولا أنا دونك، ومهما ملكنا بيني وبينك.

ثمّ إنّ البساسيري أخذ القاسم بن مسلمة فوبّخه توبيخاً مفضحاً ولامه لوماً شديداً ثمّ ضربه ضرباً مبرحاً واعتقله مهاناً عنده، ونهبت العامّة دار الخلافة فلا يحصىٰ ما أخذ منها من الجواهر والنفائس والديباج والذهب والفضّه والثياب والأثاث والدوابّ ممّا لا يحدّ ولا يوصف.

ثمّ اتفق رأي البساسيري وقريش على أن يسيّروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة وهو: مهارش بن الجلي (مهارش عجلي)... فلمّا بلغ ذلك الخليفة دخل على

قريش أن لا يخرج من بغداد فلم يفد ذلك شيئاً، وسيّره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانه، فكان عند مهارش حولاً كاملاً...

وأمّا البساسيري وما اعتمده في بغداد، فإنّه ركب يوم عيد الأضحى وألبس الخطباء والمؤذّنين البياض وكذلك أصحابه وعلى رأسه الألوية المصريّة، وخطب للخليفة المصري والروافض في غاية السرور (والأذان بسائر العراق بـ«حيّ على خير العمل») وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً، وغرّق خلقاً ممّن كان يعاديه وبسط على الآخرين الأرزاق ممّن كان يحبّه ويواليه، وأظهر العدل، ولمّا كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجّة أحضر الوزير ابن المسلمة الملقّب رئيس الرؤساء (رئيس ذوي الأذناب يعني وزير الخليفة الذي علامة غرّته «إنّ أشدّ العذاب» وضريبة عجيزته «إنّ شرّ الدواب») وعليه جبّة صوف وطرطور من لبد أحمر وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ، فأُركب جملاً أحمر وطيف به في البلد، وخلفه من يصفعه بقطعة جلد، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه، ولعنوه وسبّوه، وأُوقف بإزاء دار الخلافة، ثمّ لمّا فرغوا من التطواف به جيء به إلى المعسكر فأُلبس جلد ثور بقرنيه وعُلّق بكلوب في شدقيه، ورفع إلى الخشبة، فجعل يضطرب إلى آخر النهار فمات (رحمه الله ـ ابن كثير).

ثمّ لمّا كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، أحضر البساسيري القضاة أبا عبدالله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف (العلويّة والعبّاسيّة) وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر الفاطمي، ثمّ دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة... ثمّ ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة وعزم على عبور نهر جعفر ليسوق الحائر لوفاء

نذر كان عليه (ومن المشهد العلوي قصد زيارة المشهد الحسيني بكربلاء وأمر بحفر نهر من الفرات إلى كربلاء أداءاً لنذر كان قد نذره على نفسه).

ولمّا خلص السلطان طغرل بك من حصره بهمذان وأسر أخاه إبراهيم وقتله، وتمكّن من أمره وطابت نفسه، ولم يبق له في تلك البلاد منازع كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه وداره، وتوعّده على أنّه إن لم يفعل ذلك وإلّا أجلّ به بأساً شديداً.

فكتب إليه قريش يتلطّف به ويدخل عليه ويقول أنا معك على البساسيري بكلّ ما أقدر عليه حتّى يمكنك الله منه، ولكن أخشى أن تسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة أو تبدو إليه بادرة سوء يكون علَيّ عارها..[1]

ولمّا علم البساسيري بقرب السلطان طغرل وتبيّن له مراوغة قريش ونفاقه، لم ير مصلحة في مكوثه ببغداد فذهب منها إلى واسط ليتهيّأ للحرب، فرأى قريش الفرصة سانحة فاستقدم الخليفة من الحديثة إلى بغداد وخرج إلى البساسيري بصحبة السلطان فقتل البساسيري في الحرب.

وجاء في كتاب السير لعلاء الدين البكجري التركي المصري: إنّ البساسيري لمّا استولى على بغداد أكثر من نداء «حيّ على خير العمل» ونهب دار الخليفة وأخذ منها العصا والعمامة والرداء وأرسلها إلى الخليفة الفاطمي الإسماعيلي الذي كان يومئذٍ بمصر، وأجبر الخليفة على الكتابة أنّه مع وجود أبناء فاطمة لا حقّ لأحد في أمر الخلافة.

وجاء في تاريخ ابن كثير في أحوال سنة تسع وثلاثين وستّمائة: إنّ أرسلان البساسيري بنى في أيّام تغلّبه المشهد المنسوب إلى عليّ الهادي والحسن

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٩٦ وما بعدها بتصرّف من المؤلّف.

العسكري في حدود سنة خمسين وأربعمائة[١] رحمه الله تعالى.

وكان الأمير توزون الديلمي من أُمراء تلك الطائفة قد ارتقى أمره في عهد الخليفة المتّقي بالله العبّاسي حتّى استولى على الخليفة نفسه فهرب الخليفة منه إلى الموصل وعمّت الفتنة ببغداد، ونهبوا دار الخلافة، فأرسل «توزون» معتمداً لديه ليعيد الخليفة إلى بغداد وأقسم له بأنّه لا يضرّه ولا يؤذيه، فخدع به وعاد إلى بغداد، ولمّا دنى منها استقبله توزون وقبّل الأرض وأسرّ إلى جماعة من أتباعه بالقبض عليه وقتله وهكذا فعلوا.

وقال ابن كثير الشامي في تاريخه[٢]: كان «توزون» من أكابر أُمراء بغداد المتحكّمين في الدولة، ولكنّه كان رافضيّاً خبيثاً متعصّباً للروافض، وكانوا في خفارته وجاهه حتّى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجّة منها، ودفن بداره، ثمّ نقل إلى مقابر قريش فللّه الحمد والمنّة .. وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً وأظهروا الشكر للّه، فلا تجد أحداً منهم إلّا يحمد الله، فغضب الشيعة من ذلك ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك.

الأمير سبكتكين الحاجب

من أُمراء الخليفة ببغداد وكان شيعيّاً راسخ الاعتقاد.

ذكر ابن كثير قال: ثمّ دخلت سنة سبع وخمسين وثلثمائة وفيها شاع الخبر ببغداد وغيرها أنّ رجلاً ظهر يقال له محمّد بن عبد الله ويُلقّب بالمهدي وزعم أنّه الموعود به وأنّه يدعو إلى الخير وينهىٰ عن الشرّ، ودعا إليه ناس من الشيعة

---

(١) البداية والنهاية ج١٢ ص١٨٦.

(٢) ج١٢ ص٣٢٨ الذي ظهر لي أنّه لم يرد «توزون» ولكنّه أراد قائداً آخر سمّاه ملك الرافضة والنُّحاة بزدن التركي.

وقالوا: هذا علويّ من شيعتنا، وكان هذا الرجل إذ ذاك مقيماً بمصر (وكان يزعم أنّه المهدي الموعود ويدعو الناس إلى الخير وينهاهم عن الشرّ وبايعه كثير من أهل بغداد وكان يقول للسني: أنا من أولاد العبّاس، ويقول للشيعة: أنا علوي) وكان من جملة المستحسنين له سبكتكين الحاجب، وكان شيعيّاً فطناً، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد فترحّل إلى بغداد عن مصر قاصداً العراق فتلقّاه سبكتكين الحاجب إلى قريب الأنبار فلمّا رآه عرفه وإذا هو محمّد بن المكتفي باللّه العبّاسي، فلمّا تحقّق أنّه عبّاسيّ وليس بعلويّ انثنى رأيه فيه فتفرّق شمله وتمزّق أمره وذهب أصحابه كلّ مذهب، وحمل إلى معزّ الدولة فأمنه وسلّمه إلى المطيع للّه فجدع أنفه واختفى أمره فلم يظهر له خبر بالكليّة بعد ذلك[1].

الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدي

قال ابن كثير الشامي: الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدي أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان، كان شيخاً خيّراً حسن السيرة كثير العبادة[2] غالياً في التشيّع، توفّي بتستر ثاني جمادى الآخرة وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد عليّ لوصيّته بذلك... وكان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام، يمضي عليه الأُسبوع لا يتكلّم فيه بكلمة، كان فيه حلم واحتمال، استغاث به رجل على بعض نوّابه فلم يردّ عليه، فقال له الرجل المستغيث: أحمار أنت؟ فقال: لا (أجمادٌ أنت ـ المؤلّف، وهي أقرب لمقتضى الحال) وفيه يقول ابن التعاويذي (عن طول سكوته):

وأمــير عــلى البـلاد مـوليّ لا يُجيب الشاكي بغير السكوت

(١) البداية والنهاية ج١١ ص٣٠٠ بتصرّف من المؤلّف.
(٢) جواداً شجاعاً (المؤلّف)

كـلّما زاد رفـعة حـطّنا الله بـتفضيله عـلى البـهموت

وقد سرق فرّاشه حياجبة له فأرادوا أن يستقرّوه عليها وكان قد رآه الأمير طاشتكين حين أخذها، فقال: لا تعاقبوا أحداً، قد أخذها من لا يردّها، ورآه حين أخذها من لا ينمّ عليه(١). توفّي سنة اثنتين وستّمائة.

الأمير أبو علي عميد الجيوش الحسين بن جعفر الديلمي

جاء في تاريخ مصر والقاهرة: كان أبوه من حجّاب عضد الدولة ابن بويه، وجعل ابنه هذا برسم صمصام الدولة فخدم المذكور صمصام الدولة وبهاء الدولة، فولّاه بهاء الدولة العراق، فقدمها والفتن قائمة، فقتل وصلب وغرّق حتّى بلغ من هيبته أنّه أعطى غلاماً صينيّة فضّة فيها دنانير فقال: خذها على رأسك وسِر من النجمى إلى الماصر الأعلى فإن اعترضك معترض فأعطه إيّاها واعرف المكان، فجاء الغلام وقد انتصف الليل فقال: مشيت الحدّ جميعه فلم يلقني أحد(٢). أدركته الوفاة في سنة الثامنة والتسعين بعد الثلثمائة.

الأمير أُصيفر الأعرابي

جاء في تاريخ مصر والقاهرة: وفيها ـ سنة أربع وتسعين وأربعمائة ـ حجّ بالناس من العراق أبو الحارث محمّد العلوي، فاعترض الركب الأُصيفر الشيعي الأعرابي، وعوّل على نهبهم، فقالوا: من يكلّمه ويقرّر له ما يأخذه من الحاجّ؟ فقدّموا أبا الحسين بن الرفاء وأبا عبدالله بن الدجاجي وكانا من أحسن الناس قراءة، فدخلا عليه وقرءا بين يديه، فقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ قالا: نعم

---

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص٥٤.

(٢) النجوم الزاهرة ج١ ص٤٦٥ آلي.

العيش، تصلنا الخلع والصلات. فقال: هل وهبوا لكما ألف ألف دينار مرّة واحدة؟ قالا: لا ولا ألف دينار؟ فقال: قد وهبت لكما الحاج وأموالهم، فدعوا له وانصرفوا وفرح الناس[١] وسلمت القافلة كلّها ببركة هذين الشيعيّين.

الأمير الجمالي

جاء في تاريخ مصر والقاهرة: كان أمير الجيوش وكان فاتكاً جبّاراً، قتل جماعة كثيرة من علماء أهل السنة، وأذّن بـ«حيّ على خير العمل»، وصلّى على الميّت بخمس تكبيرات وأعلن ذلك وأشاعه، وأمر بلعن الصحابة الثلاثة وأمثالهم، وكتب لعنهم على الجُدُر والأبواب، وكان جُلّ أهل مصر على مذهب ولاتهم روافض، وليس فيهم من أهل السنة إلّا جماعة قليلة.

الأمير عبدالله النجاشي

وردت عنه حكاية في كتاب الكشّيّ تدلّ على أنّه كان زيديّاً في بداية أمره ثمّ وصل إلى خدمة الإمام الهمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وتحوّل من ذلك المذهب إلى المذهب الجعفري[٢].

وفي كتاب الرجال للشيخ الأجل أحمد بن عليّ النجاشي أنّ من أولاد عبدالله المذكور عبدالله الذي ولّاه المنصور على الأهواز وكتب أيّام ولايته على الأهواز كتاباً إلى الإمام يستأذنه ويستمدّ منه العون وطريقة العمل التي توجب له النجاة، فكتب إليه الإمام عليه السلام كتاباً يُعرَف برسالة النجاشي، وأرسله إليه[٣].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١ ص٤٥٩ آلي.

(٢) اختيار معرفة الرجال ص٣٣٤.

(٣) رجال النجاشي ج٢ ص٧.

الأمير أبو محمّد جعفر بن ورقاء الشيباني

جاء في بعض الكتب أنّه من أُمراء سيف الدولة، هكذا يظهر من سياق القول.

وذكر في كتاب رجال النجاشي: أمير بني شيبان بالعراق ووجههم، وكان عظيماً عند السلطان، وكان صحيح المذهب، له كتاب في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام وتفضيله على أهل البيت عليهم السلام وسمّاه كتاب: «حقائق التفضيل في تأويل التنزيل»[1].

وجاء في رجال الكشّي: إنّ الأمير حسام الدولة فارس بن عنان من أكابر أُمراء الشيعة الإماميّة، ومن خدّام العتبة العلويّة المرتضويّة، فارس ميادين العدالة والدين، وممارس الإخلاص لأهل البيت الحيدري.

وجاء في كتاب «دمية القصر»: إنّه لمّا حالت موانع الدهر ومزاحمة الغير عن شرف زيارة النجف الأشرف، وحرم من تنسّم تلك الأرواح واستنشاق تلك الرياح، وبلغ بنا الشوق للاكتحال بذلك التراب المسكي لتلك الأعتاب المحروسة بالملائك الأطياب، وزاد الشوق وطغت اللهفة إلى بلوغ تلك السدّة الرفيعة والحوزة المنيعة، وأراد عرض حاله مكتوباً ويرسله مصحوباً مع أحد أصحابه بحيث يتلوه أمام الضريح المقدّس، أشار إلى أبي طالب القمّي وهو من الفصحاء والندمان الأذكياء أن يكتب أبياتاً عزاء ويبعث بها إلى تلك العتبات البالغة عرش السماوات، وسوف تذكر هذه الأبيات في ترجمة أبي طالب المذكور في مجلس الشعراء.

الأمير طرمطاء الايلخاني

صقر الفضائل والكمال وأحد الشوّاهين المحلّقة في هواء محبّة عليّ والآل،

---

(١) رجال النجاشي ج ١ ص٣٠٦ وص٣٠٧.

من عظماء الأُمراء في عهد السلطان غازان والسلطان محمّد خدابنده ﷺ كما نقل ذلك في ترجمة السلطان محمّد من تاريخ «حافظ ابرو» من أنّ الأمير المذكور حامي أهل الإيمان وماحي الكفر والطغيان، كانت نشأته ونموّه بين الشيعة من أهل الريّ، وشعّت أنوار الهداية من أنوار الخاطر منهم الذي هو إلى الحقيقة ناظر على غرّة أحواله، وكان ذلك باعثاً على تشيّع السلطان المذكور، وحمله على طلب علماء الشيعة من الجهات البعيدة والقريبة من أجل تحقيق الحقّ المنصور، ومناظرته مع علماء الجمهور كثّر الله في المؤمنين أمثاله وأحسن عاقبته ومآله.

الأمير الأعظم محمّد بيرم

الملقّب بـ«خان الخوانين» ابن سيف علي بيك بن بيرك بيك بن علي شكر بيك بن بيرم قرابيك، ثمرة ناضجة من روض دولة بهارلو، وفرع ملوكي من الأُسرة العليّة لمير علي شكر، موافق للجذر لا يحيد عنه قيد فتر.

وقبيلة «البهارلو» من قبائل التركمان القراقوينلو وقد سبق ذكر نبذة مذيّلة على الجند الثاني عشر من المجلس الثامن السالف، والخان المغفور له من أنساب «شاهجهان» وكان ملكاً، ولمّا قتل ميرزا جهانشاه بيد حسن بيك كما هو مذكور في التواريخ ومسطور في الأسفار، وحسن بيك هذا بايندري هو أمير آلوس «تركان آق قوينلو» ووقعت أكثر الولايات بيد حسن بيك تابعته قبيلة «قراقوينلو» ورحل آباء الخان المذكور إلى محمود بيك تركمان صاحب ولاية كرمان والتحقوا به، وعلى الوجه المذكور في تذكرة «شاه سمرقندي» ضمن ذكر أحوال السلطان الميرزا والي خراسان، يظهر أنّ الميرزا أبابكر ابن السلطان أبي سعيد قد فرّ من خدمة السلطان «حسين ميرزا» إلى كابل ومنها إلى السند ومنها

إلى گيج[١] ومكران وكرمان، والتحق به «خير علي بخيله ورجله» وحرّضه على فتح العراق فلم يصنعوا شيئاً لاستقلال «السلطان يعقوب بايندري» وكان والياً على العراق وأذربيجان فيمّموا شطر خراسان.

ولمّا قتل «پير علي» بيك في الحرب التي وقعت بين الميرزا أبي بكر والسلطان حسين ميرزا في نواحي «استرآباد» هاجر أولاده وأصحابه إلى بدخشان...[٢] وولد الخان المذكور في ولاية بدخشان، ومثُل في خدمة السلطان المبرور غازي همايون پادشاه في سنّ السادسة عشرة وانتظم في سلك المقرّبين لديه.

ولمّا حصل للسلطان المذكور ضعف وفتور من استيلاء الأعداء على أركان السلطنة وطلب المدد من الدولة الصفويّة العليّة، وخرج من ولاية الهند متوجّهاً إلى ايران والتقى في دار السلطنة تبريز بأعيان الشاه طهماسب أنار الله برهانه، كان الخان المغفور له بصحبته، ولمّا رأى السلطان ذو القدر العلي والشأن الرفيع الخان مارّ الذكر وعرف من خلاله وسجاياه وشمائله وصفاياه النجابة والاستعداد وأصالة الجذر وأُصول دوحة الآباء والأجداد، أراد أن يستخدمه «للهمايون السلطان» ويجعله أمير أُمراء قبائل التركمان المنضوين يومئذٍ تحت ظلال رحمته وراية رأفته وعاطفته، وشملتهم الدولة بالرعاية وسكنوا إلى حمايتها، ولكن الخان سالف الذكر حملته الحقيقة والوفاء على الاعتذار وطلب العفو والاستغفار، ولكنّه أبىٰ أن يفارق صاحبه أو ينفرد عنه. شعر:

---

(١) اسم إحدى القرى وإحدى القبائل، ومكران اسم مدينة في ايران واسم إقليمها وتقع بين كرمان وسيستان.

(٢) ولاية تقع شرقي افغانستان وتتصل بتركستان الشرقيّة وقاعدتها اليوم مدينة فيض آباد اشتهرت بحجارتها الكريمة وكان للؤلؤها شهرة عريضة في العالم الإسلامي كلّه في القرون الوسطى ويُسمّى اللؤلؤ البدخشي، وفيها مع ذلك الياقوت واللّازورد والبلّور.

وفا خجسته متاعی است در دیار نکوئی

چرا تو از همه کس بیشتر نداشته باشی

إنّ الوفاء متاع يرىٰ بدار الهناء

سعادة لأُناس لهم كريم الثناء

لم لا تنال عظيماً منه بدار البقاء

فازداد من أجل ذلك حسن اعتقاد الشاه عالي الجاه به، وأوصى به السلطان، ونال الشرف الملوكي بتلقيبه بلقب «الخان»، وأمر بالطبل أن يضرب، والأعلام أن ترفع خافقة له، كما ذكر ذلك الخان المغفور له في بعض أشعاره.

وتمام الحكاية: ولمّا اقتضت العناية الربّانيّة والألطاف الإلهيّة للملك العلّام الذي اذا قال للشيء كن كان، أو أعلم قضاء المرام فإنّة يقضي حالاً، وهو الذي يصيّر المحال ممكناً والممكن محالاً، أن يطوي أعلام العودة بعد أن خلص ملك الهند من أيدي الأعداء، فوّض أُمور الملك إلى الخان المغفور له، وأمر أن لا يتخلّف أحد عن مقتضى رأيه، وهذه خلاصة مجملة من بيان رفعته وعلوّ شأن أُسرته، وبعضٌ من مناقب الخان الصوريّة وشجرته الطيّبة المرضيّة.

أمّا فضائله النفسانيّة وشمائله الروحانيّة فقد كانت بمثابة اللوح المحفوظ للكمالات الإنسانيّة، ونسخة جامعة للكرامات السبحانيّة، وإن كان ظاهر حاله وضع تاج السلطان على رأسه، ويخفق عليه لواء الحياء والعظمة، ولكن في باطن أمره يرتدي ثياب الفقر، ويضع على منكبيه رداء المسكنة، وفي أُذنه حلقة السلوك، وهو رافعٌ لرايات الملّة النبويّة، وناصب ألوية المناهج المرتضويّة، وطبع على خاتم إدراكه أرقام وداد أهل العباء بحكم: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ** ﴾، ونفض غبار التودّد للأغيار طبقاً لـ: «من أحبّ الله وأبغض

عدوّه»[1] عن ذيول فطرته، ونال من العلوم الرسميّة القدر الذي تزدان به أحوال أهل العظمة والإجلال، وأخذ قصب السبق في الشعر ونكاته، ودقائقه وبحوره وحقائقه من أقرانه، إلى أن أشرقت شمس طلعته من مطلع صبح السعادة، وبان كوكب إقباله من أُفق الأُبهّة والسيادة، وما زالت زوايا قلوب العلماء بشمع محبّته مضيئة، ومرايا نفوس الحكماء بخطوط محبّته الآسرة للقلوب مصوّرة ومليئة، وإحسان وجوده من لوازم فيض الوجود، ولم يكن طريقته توافق طرائق أهل هذا الزمان من التكلّف والتقليد، رأيه المنير متّسق مع أحكام القضاء والقدر، وسيفه الفاتح للعالم مروّجٌ لقضايا المحراب والمنبر. شعر:

از تيغ او بجاى صليب و كليسيا
در ملک هند مسجد و محراب و منبر است
آنجا كه بود نعرهٔ فرياد مشركان
اكنون خروش و نعرهٔ الله اكبر است

بسيفه قام للإسلام مسجده ... في الهند بعد مثول للصليب به
لم يبق للشرك في الأكناف ناعقة ... الله أكبر إذ يعلو بمضربه

وكان خلقه الكريم دليلاً على الأخلاق المحمّديّة، وتواضعه مع أهل الفضل من خليقة الخشوع المنطبعة فيه.

تواضع كند باگدائى چنان ... كه افتد بمستىّ او در گمان
متواضع بخلائق الشحّاذ ... كي يأسر الألباب باستحواذ

وكان في عهد الخاقان المغفور له، إذا جاء إلى الهند أحد أرباب الفضل من

---

(١) ورد الحديث في المحاسن للبرقي ج١ ص٢٦٥: من أحبَّ الله وأبغض عدوّه لم يبغضه لوترة وترة في الدنيا ثمّ جاء يوم القيامة بمثل زبد البحر ذنوباً كفّرها الله له.

خراسان أو العراق فإنّه يبذل له الوسائط والدلائل، ويعفيه من التوسّل والوسائل، ويحظى بخير نائل من خوان الفواضل والإحسان، ويحظى بحظّ وافر ونصيب كامل. وفي هذه الفترة الحاملة للهمّ والكدر حيث كسد فيها متاع الفضل وفسد مزاج الزمان إذا ما استبدّ بأحد أرباب الفضل والاستعداد شوق الهند ولعب هواها برأسه وأمّ مغانيها ويمّم مرابعها ومبانيها، فإنّه بناءاً على حداثة عهده بالبلاد، وإنّه ما يزال يرنّ في مسمعه الذكر الجميل لذلك الخان الجليل، فيخال أنّ وجوده يفيض عليه جوداً، وأنّه يتحلّى بفضله وإحسانه، ولا يرىٰ فوته إلّا بُعداً عن الحكمة مع أنّه بعد وصله إلى الهند لم يتجرّع غير أكؤس الإخفاق، ويتناول شراب البُعد مرّ المذاق، ولم ينل سوىٰ تضييع الوقت الثمين، ولكنّه إذا ما رأى ذكر مآثر الخان المغفور له وإحسانه، ما يزال غضّاً جديداً بين عامّة أهل الهند، فإنّه يتصوّر أنّة سوف يقع في معرض الإحسان العميم والفضل الجسيم، فإنّه لا بدع إذ يرى المكوث لازماً وإن كان غاية في الملال وتبلبل الأحوال والحيرة والكلال فلا يميل قلبه عن المثول في عامّة أهل الهند بل يظنّ أنّه حالٌ في مجلس خلاصة أهل الأسرار في عين النعمة والدلال.

شعر

بياد بزم دوشين دارم امروز آنچنان ذوقى

كه پندارم همان بزم و همان يار و همان دوش است

تحلّ في القلب ذكرىٰ ليلة سلفت ... وأنـدكستني شوقاً زان أذواقي

ظننت أنّ التي يأتي يشابهها ... حلاوة فهي لم تبرح بأحداقي

ومجمل القول أنّ الخالق تعالى اختصّ الخان المغفور له بأصناف الألطاف وأنواع المكرمات والأعطاف، وميّزه بنعم ظاهرة وباطنة من خزانة: «وذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء»، ولكن لا يلتبس الأمر على الناس في ما امتاز به من مزايا الفضل والإفضال، واستقبال الكمال بغرّة البدر أو الهلال، ولا تبقى لهم شبهة بذلك، وفاز بحسن الخاتمة في نهاية أمره، وقطع الصلة بالعلائق الصوريّة وذلك أنّه تربّع عرش الشهادة، وبلغ أسمى الدرجات في علّيّين وهو يريد زيارة الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً، وكان السبب في فاتحة هذه السعادات وخاتمتها في نيل الدرجات أنّه لم يختر إلّا الدين المبين والحبل المتين والمنهج القويم والصراط المستقيم، فاتّبع مذهب أهل البيت، واقتفىٰ آثار الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، وصار عبداً مخلصاً لأميرالمؤمنين حيدر عليهم صلوات الملك الأكبر، كما يدلّ على ذلك أشعاره الجميلة، ونقتصر على عدد من الأبيات من قصيدة قالها في منقبه وقعت للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على سبيل الاختصار، وأمر أن تكتب على الصخرة المباركة المبسوطة على قبره، وهذه هي الأبيات:

شهی كه بگذر از نُه سپهر افسر او ... اگر غلام علی نیست خاک بر سر او
علیّ عالی اعلی امیر عرش جناب ... كه هست خسرو خاور كمینه چاكر او
در مدینهٔ علم آنكه از كمال شرف ... فتاده‌اند سران همچو خاک بر در او
زقید خسروی هر دو كون آزاد است ... كسی كه از دل و جان شد غلام قنبر او
محبّت! شه مردان مجو زبی‌پدری ... كه دست غیر گرفته است پای مادر او
شها غلام تو بیرم كه از محبّت تو ... شده است سلطنت ظاهری میسّر او
ولی بخاک درت چون رخ نیاز نسود ... از آن چه سود كه بر چرخ سود افسر او

تقريب المعنى:

مليك سما فوق السماوات تاجه ... إذا لم يكن مولىٰ عليّ فلا كانا
علي علا عرش الجليل مؤمّراً ... وقاد شموس الأُفق قنّاً وعبدانا

هو الباب باب العلم علم محمّد يجيء الورى مثنىً إليه ووحدانا
ومن كان في روض الولاية قد نمت له دوحة طابت جذوراً وأغصانا
فذاك أبوه الطهر لامس أُمّه وما لامست في مخدع العرس شيطاناً
ومن ليس يهواه فسل عنه أُمّه فسوف تقول الشيخ[1] قد كان يغشانا
مليكي، أنا عبد بحبّك مولع وصيّرني حبّيك في الناس سلطانا
ولكنّني مرّغت في الترب جبهتي لكي يعتلي قدري سماكاً وكيوانا

وتمام الحكاية أنّ الخان المغفور له استشهد في نواحي «كجرات»[2] في أحد شهور سنة ٩٦٧ وكان قاصداً زيارة الحرمين الشريفين، والعبارة التالية: «محمّد شهيد شد»[3] موافقة لتاريخ شهادته، ونقلت جنازته سنة واحد وسبعين وتسعمائة إلى المشهد المقدّس بوصيّة منه ودفن في البستان الواقع أسفل روضة الإمام الهمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وألحقوا به صفة الأيوان العالي التي هي اليوم منتزه ذلك المشهد المقدّس، ولنعم ما أرّخ له السيّد محمّد الرضوي، فقد نظم تاريخ بنائه بإتقان وإحسان وأدرج العجز الذي يحمل التاريخ في ذلك النظم البديع وهو قوله: «سال تاريخش قضا ايوان بيرم خان نوش».

الأمير الشجاع الكريم الظريف الفهيم عليقلي خان المشهور بـ«خان الزمان»

السليل النجيب لحيدر سلطان الأُزبك الشيباني الذي انفصل عن قومه حين

---

(١) الشيخ يعني ابليس وكان يصطلح عليه المؤرّخون والكتّاب بالشيخ النجدي.

(٢) كجرات: هي المنطقة الواقعة على ساحل بحر الهند شمال مدينة بومباي وعاصمتها مدينة أحمد آباد.

(٣) ترجمتها: «صار محمّد شهيداً» وأبقيناها بالفارسيّة لأنّها تاريخ وإذا ما ترجمت تغيّرت الحروف فتغيّرت الأعداد.

هداه الله إلى مذهب الحقّ مذهب أهل البيت، والتحق بخدمة السلطان ساكن عليّين الجناب «الشاه طهماسب» أنار الله برهانه، وبأمر الملك تحمّل إليه بأولاده وهم عليقلي خان المشهور وبهادر خان وصاحبوا الملك المبرور، وأنزل هذا السلطان الحكيم الولدين المذكورين منزلة الولد من قلبه وبذل أقصى الجهد في تربيتهما وتنشئتهما، وبالغ في ذلك حتّى بلغ بهما المرتبة العليا للسلطنة والخانيّة، وكان فهرست تلك السعادات وعنوان تلك الدرجات لم يكن سوى الدين المبين والحبل المتين والمنهج القويم والصراط المستقيم الذي هو مذهب الأئمّة الاثنا عشر صلوات الله عليهم، فلم يختارا غيره أو يتلبّسا بما عداه.

ومجمل القول: إنّ الخان المذكور له اسم على مسمّىٰ وكان ما فتئ يرسم على لوح خاطره العاطر أرقام محبّة آل العبا، وكان ناصب لواء عترة سيّد المرسلين وحافظ جناح الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وكان مجلسه الشريف مجمعاً لفضلاء المذهب الحقّ الجعفري، ومحلّ رحال فصحاء الشعراء الاثني عشري، تلازمه جميع الصفات الحميدة إلّا الإحسان فقد اجتازه وتعدّاه، وتصحبه الأخلاق المجيدة المرضيّة وقد اختصّت به إلّا الكرم فقد كان عامّاً فتقت خلائقه الكريمة فأرة المسك وغار من فيضه العميم سكّان عدن قلبه مجمع البحرين، وكأنّ صمصام حمائله يقول: نصرت بالرعب من مسيرة شهرين.

شعر

محيطى چه گويم چه بارنده تيغ ... به يک دست گوهر به يک دست تيغ
بگوهر جهان را بياراسته ... بتيغ از عدو داد و دين خواسته
ماذا أقول هو السحاب الممطر ... بيديه سيف مصلت أو جوهر
بالجوهر ازدان الوجود بغفلة ... والسيف دين الله فيه ينصر

ولمّا كان المطلب العالي في بيان أوصافه والمعالي لا يمكن أن تلتمس تلك الجواهر واللئالي التي كشفت عن صدفها غدير هذا الحقير مِن ثَمّ عهدنا إلى طالبها ببحر المثنوي الذي غاص في أعماقه الملّا غزالي، واستخرج لئالئها الغوالي.

مثنوی

سر نزد از بحر سخن گوهری	کش نه پسندید بلند اختری
گوهر من یافت در این کارگاه	حسن قبول از دو ولایت پناه
هر دو بر اورنگ ولایت مهاند	هر دو ولی هر دو ولایت دهاند
آن بخراسان شده بارنده میغ	وین زپی دین زده در هند تیغ
آن شده در ملک عجم داستان	وین به هنر شهرهٔ هندوستان
آن زمروّت بشهان داده تاج	وین بشکوه از ملکان خورده باج
آن سر شاهان قوی گردنست	وین دل شیران نهنگ افکن است
گفتم از آن کوه شکوه گزین	نوبت آنست که گویم از این
ابر حیا کان کرم بحر جود	تازه گلِ گلشن چرخ کبود
خان زمان ضامن امن و امان	پیش رو مهدی آخر زمان
آنکه خرد یافته منشور از او	چشمهٔ خورشید سخن نور از او
دولت او نوبت شاهی زده	او بسخن کوس الهی زده
گشته لب سکّه از او خندهناک	او بسخن سکّهٔ مردان پاک
تیغ وی اقلیم گشا همچو تیر	او بسخن خسرو اقلیمگیر
بحر خیالش که سخن موج اوست	عرش جنابیست که بر اوج اوست
تا نکنی روی بمینو گهی	بر تو زمعنی نگشاید رهی

آنچه در این غنچهٔ مینوی اوست — عرش دل و کرسی زانوی اوست
کرسی او را همه جادو فنان — عرش صفت آمده زانو زنان
نی بسخن از همه کس بیشتر — در همه فن از همه کس پیشتر
دادگرا عیش تو جاوید باد — ظلّ تو همسایهٔ خورشید باد
بس که شدند از تو ضعیفان دلیر — گشته صف مورچه زنجیر شیر
عقل که او نکتهٔ جاوید گفت — تاج تو را افسر خورشید گفت
بخت که القاب تو بر زر نوشت — تیغ ترا سدّ سکندر نوشت
گشت ز تیغ تو در این بوستان — نور هدی ظلمت هندوستان
گشت ز سعی تو در این عقد وحل — صورت بتخانه بمسجد بدل
بحر گهربخش توئی میغ هم — چرخ تو را داده قلم تیغ هم
زان گهر افشان شدی و نوربخش — کان قلم و تیغ شد ابرو درخش
بنده غزالی که بر آئین تست — در ره اندیشه گهرچین تست
گر گهری ساخت نثار سرت — یافت ز فیض لب جان پرورت
ابر که او برد بدریا نیاز — هرچه به او داد به او ریخت باز
زین همه شاهان فریدون کلاه — بخت بسوی تو مرا داد راه
زین همه جادو سخنان در سخن — طبع تو را یافتم استاد فن
تا قلم تیز و زبان تیز هست — بر تو مرا میل گهرریز هست
دور نخواهم شد ازین خاک در — تا شبه در مدح تو سازم گهر
پیر شوی کز تو مرا هست امید — ورچه شود موی سیاهم سفید
گرچه بخوبی علم آمد سخن — عرض کنم گرچه کم آمد سخن
طبع بفکر دگر آهنگ داشت — عرصهٔ میدان سخن تنگ داشت

گرچه سخن جای دگر می‌گذاشت — آن هم از این فضل و هنر می‌گذاشت
تا سخن آواز ده مردم است — بر سر مردم فلک و انجم است
انجم بختت فلک آوازه باد — نام تو و نامهٔ من تازه باد

تقريب المعنى بالعربيّة:

لا يرتجىٰ من بحر قول درّا — إلّا إذا نال رضاكم ذخرا
عندي تصيب الجوهر اليتيما — كساه شخصان الرضا العميما
هما رضيعا درّة الولايه — طوبىٰ لراجٍ منهما الهدايه
هما لدست العرش بدران سما — علاهما يعلو على بدر السما
كغرّة البدرين للولايه — تجلىٰ بنور منهما العمايه
هذا سحاب في خراسان هما — وذاك في الهند جرت منه الدما
لم تك بالظلم أُطيحت كلّا — بل كي يقام ديننا المعلىٰ
هذا بملك فارس حكايه — وذا بفنّ الهند صار آيه
هذا كسا ملوكها التيجانا — وذا جنى الفضّة والعقيانا
ذا قطف الرؤوس من أصحابها — وذا أذلّ أسداً في غابها
قد قلت قول الحقّ عن ذاك الجبل — ونوبة القول لذا فحيّهل
سحب حياً معدن جود وكرم — روض يرفّ زهره مثل العلم
مؤمّراً يضمن فينا الأُمنا — جاء مقدّماً لنورٍ أسنى
من نال منه حكمة العقل غدا — نور ذكا منه الكمال يجتدىٰ
دولته حكت كمال الملك — لكنّه عن الإله يحكي
أضحك ثغر المال في فعاله — ثروة أهل الفضل من مقاله
قد فتحت سيوفه البلادا — لكن بقول يملك العبادا

بحر خيال موجه الكلام | لكنّما العرش له مقام
إن لم تر الوارف من جنانه | لست تقود الفضل من عنانه
ولا تواتيك المعاني غرّا | حتّى ولو أعملت فكراً دهرا
وإن بدت براعم الحدائق | تكون كشف السرّ للحقائق
وإنّما القلوب عرشه وما | كرسيّه إلّا بها لا بالسما
كرسيّه يسعد من له طلب | تحبو العروش نحوه على الرُّكَب
ريشته بالقول تغلب الأُمم | وفنّه كالنار من فوق عَلَم
قد سبق الناس جميعاً فيه | لا البرّ لا البحار تحتويه
يا أيّها العادل دمت بالهنا | ودام ظلّ الشمس بالخير هنا
قد اغتدى فيك الضعيف ملكا | صفّ النمال للأُسود شركا
تقاد فيه الأُسد كالسلاسل | بالضعيف قاهراً لباسل
والعقل قال قولة الخلود | عن تاجه المحفوف بالسعود
تاج على جبين شمس الجود | لتقهر الظلام في الوجود
إن طبعت بسكّة ألقابه | اسكندر هوت به قبابه
شعّت به في هذه الديار | ظلمة «هندستان» بالأنوار
لولا سيوفه المضاء لم ينل | أيّ امرئٍ في الهند لمعة الأمل
تبدّلت به بيوت الكفر | مساجداً للّه حتّى الحشر ..
أنت سحاب ممطر جواهراً | ما أحسن السحاب درّاً ماطرا
حتّى غدوت البحر يمنح الدرر | وتطبع السيوف تردي من كفر
فالبحر يعطي أنفَس الأعلاق | والسيف واليراع للإشراق
وعبدكم هذا الغزاليّ على | مذهبكم جرىٰ وفي المجد اعتلا

والتقط الجوهر من بحاركم — وصار يشتاق إلى مناركم
إن نثر الجوهر فوق هامكم — فذاك محض القول من غلامكم
وما استقته السحب من بحاركم — فقد أعادته إلى دياركم
والسحب ردّ الفضل للبحار — بما جرىٰ منه من الأمطار
ما أكثر الملوك في الوجود — لكن هداني الحظّ للسعود
حيث غدوت من رجالكم أنا — سعادة العمر أُقضّيها هنا
ولم أجد إلّاك في البيان — سبقت في فصاحة اللسان
فأنت أُستاذ لهذا الفنّ — وغيركم مطرَّح لا يغني
ما دام عندي قلمي ومقولي — فما نثرتم من عقودٍ فهي لي
ولست تاركاً لهذي التربة — من أرضكم وضائعاً في الغربة
حتّى أُحيل المعدن الخسيسا — بالمدح منّي معدناً نفيسا
إن شخت لا أزال أرجو برّكم — وإنّما موتيَ إن لم أركم
أنشر فيكم مدحتي وقولي — وإن بدىٰ نزراً قليلاً مثلي
والطبع سائح بوادٍ ثاني — فضاق في مدحكم ميداني
وإن نحى الحديث منحىً آخرا — في بحر فنكم يكون ماخرا[1]
وأنت والحديث فيك قد سلك — كالنجم عندما يدور في الفلك
نجوم حظّك السعيد قد بدت — فأشرقت وأنورت وأسعدت
دُمتَ لنا ودام مدحنا لكم — تعطي الجليل قبل أن أسألكم

إنّ فئة من الناس هم اليوم لهم هذه المراتب العالية والمناصب الرفيعة يرون العظمة منحصرة في شرف الآباء والأجداد، ويشبهون في مروّتهم ورجولتهم

(١) ماخر: اسم فاعل من مخرت السفينة إذا جرت تشقّ الماء مع صوت «اليم» البحر أو الماء.

الجواري، وإن كانت لهم جلبة الخيل ومعمعة الجيش وهيبة الخدم والحشم وجلال المضارب والخيام، وهم بهذا يشبهون أسلافهم الكرام، ويتطبّعون على البذل والسخاء والشجاعة والإباء وإن لم يكن من طباعهم، وكانوا في أقصىٰ البُعد عن خواصّهم ومزاياهم، ويعتبرون عراة من ثيابهم أجانب عن ابتسامهم.

شعر

أمّـا الخـيام فـإنّها كـخيامكم   وأرى نساء الحيّ غير نسائها[1]

وذكر مولانا قطب الدين الأنصاري الشيرازي في أحد مكاتيبه: إنّ الذي يكلّف نفسه بالجوهر المباين إن كان يجد في نفسه الشجاعة فهو الشجاع على الحقيقة لأنّه ليس للشجاعة معنى إلّا لمن قامت به الشجاعة ولكنّه ـ أي المتكلّف بالجوهر المباين ـ ليس كذلك بل هو متخلّف بالشجاعة، وليس شجاعاً بمثابة اللؤلؤ المصنوع فليس هو لؤلؤاً ولا جوهراً وليس جوهره جوهر اللؤلؤ بل هو حقيقة أُخرى وجوهر آخر يتشبّه باللؤلؤ، وصورة النخل على الورق ليست نخلاً، وكذلك النخل إذا صنع من الشمع لا يُعَدّ نخلاً، ومثله العنب والنارنج لا يعدّان عنباً ولا نارنجاً في جوهرهما الأصيل، وطلسم الحيوان لا يُسمّىٰ حيواناً.

أقول: هذا لِما حمّل الخاطر حتّى امتلأ من أحوال المتكلّفين في زماننا فرشحت تلك الكلمات من القلم دون قصد واختيار، وأملي أن أُعذر على هذا القول وإن نحى به القلم وجهة أُخرى، والله أعلم.

---

(١) الشعر لأبي الحسن الفالي وهو عدّة أبيات أوّلها:

لمّـا تـبدّلت المـنازل أوجـهاً   غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها مـحفوفة بسـوى الأُلىٰ   كـانوا ولاة صـدورها وفـنائها
أنشـدت بـيتاً سـائراً مـتقدّماً   والعين قد شرقت بجاري مائها
أمّـا الخـيام فـإنّها كـخيامكم   وأرى نساء الحيّ غـير نسـائها

المجلس العاشر
في ذكر الوزراء العظام

مقدّمة

لا يخفى أنّه من بدء خلافة العبّاسيّين إلى انقراض دولتهم ليس من خليفة إلّا وله وزيرٌ أو وكيل أو حاجب أو نائب أو نديم أو ساقٍ يدين بدين الحقّ ويعترف بإمامة أهل الصدق، ومثل ذلك يقال في سلاطين خوارزم وفي السلاجقة الذين أكثر وزرائهم من أهل قم وكاشان وخاجات خراسان، أكثرهم مؤمنون شيعة كما سوف يأتي بيان ذلك مفصّلاً إن شاء الله.

ومجمل القول أنّه لا توجد بقعة من بلاد الإسلام إلّا وفيها مؤمن ذو قدر رفيع وشرف منيع مكرَّم بين الناس، وله احترام وتقدير، يعمل على دعم المؤمنين وتقويتهم إمّا بإظهار الاعتقاد أو بالتقيّة كما هي الحال مع أبي طالب عمّ النبيّ الأكرم ﷺ فقد كان يكتم إيمانه ليلائم معتقد قريش تنسجم حاله مع حالهم، وبذلك يدعم النبيّ وأصحابه ويمدّهم بالعون والنصرة، وحمىٰ النبيّ من أذى قريش بذلك مادام على قيد الحياة. ولمّا اخترمه الموت جاء الأمين جبرئيل إلى النبيّ وقال له: أُخرج فقد مات ناصرك، حتّى هاجر النبيّ كما هو مسطور معروف من مكّة إلى المدينة.

ويؤيّد هذه المقدّمة ما نقل سابقاً من المختار من كتاب «الكشّي» أنّ الإمام

موسى بن جعفر عليه السلام لمّا قدم إلى العراق جاءه عليّ بن يقطين وهو من أهل المحبّة والولاء، وكان مقرّباً إلى العبّاسيّين ومعدوداً من جملة وزرائهم، فجاء إلى الإمام الكاظم ذات يوم وأظهر المال وعدم رضاه عن عمله، فأجابه الإمام: يا عليّ بن يقطين، «إنّ للّه أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، وأنت منهم يا علي ...».

وجاء في الأخبار أيضاً: إنّ أحد الموالين لأهل البيت جاء إلى الإمام الهمام ومهبط الوحي والإلهام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وقال له: يابن رسول الله، إنّ لي حاجة مهمّة عند هذا السلطان الجائر وليس لي من وسيلة إليه، وجئت إليك لتُعينني على قضاء حاجتي وتدبير أمري. فقال له الإمام: قُم الساعة واقصد قصر هذا الظالم وقف على بابه حتّى ترىٰ رجلاً من صفته كيت وكيت وهو حاجب من حجّاب السلطان الخاصّين، وابذل جهدك حتّى تجتمع به على انفراد، وعندئذٍ قل له: إنّ الإمام جعفراً أرسلني إليك وبعث إليك بعلامة وهو يقول لك: اقض حاجة شيعتنا عند هؤلاء الطغاة.

ولمّا فعل الرجل ما أوصاه به الإمام وأبلغه رسالة الإمام إليه، امتثل ذلك الرجل أوامر الإمام العليّة واهتمّ لقضاء حاجته اهتماماً زائداً، ولمّا قضى ذلك الرجل حاجته عاد إلى الإمام وقال له: يا ابن رسول الله، إنّ الحاجب الذي أرسلتني إليه كاد يغمى عليه لمّا سمع باسمك من السرور والفرح، وقصد فوراً ذلك الجبّار وقضى حاجتي وقضى مطلبي، ماذا يصنع مثل هذا المحبّ بين هؤلاء الأعداء؟

فقال الإمام عليه السلام: إنّ الله تعالى أكرمنا بهذه الكرامة؛ فما من حاكم إلّا ولنا واحد من موالينا مقرَّب إليه، محبوب لديه، مرابط على بابه، حتّى يقضي حاجة من تعرض له حاجة من شيعتنا.

أبو سلمة بن سليمان الخلال الهمداني

من قبيلة همدان، كان رجلاً منهم لا نظير له، ووزير لآل محمّد مشرق الضمير، بل كان مولىً يحمل غاشيتهم، وعبداً يقاد بحلقة من أُذنه[1]. وما زال في حبّهم كأنّه الطبيعة تضطرب بالحياة، وتعجّ بالأحداث، ولقّب بالخلّال لا لكونه يبيع الخلّ بل لأنّ نزول هذا النبع النمير كان في محلّة الخلّالين، وكيف يبيع الخلّ وهو شراب يداوي أصحاب الذكاء، وعسل في أفواه أهل الحرمان والبلاء، الذين يحملون كلّ الحياة على كواهلهم، إن كان البلاء يأتون بالخلّ عند نزول الضيف بهم فإنّه يملأ القصاع بأفخر الطعام وأعلاه، وأجلّه وأحلاه، وتلك العقدة التي تصل بين حاجبي السفّاحين عند سؤال السائلين إنّه يضعها في جبين الدرهم وغرّة الدينار، ليرفع بذلك الصفراء عمّن في ريقهم المرارة، وفي حلوقهم الشجى من الفقراء بشهد لطفه، ويطفئ منهم سورة الجوع برشحات جوده.

أجمع العلماء أنّ أخبار أبي سلمة الخلّال انتظمت في أخبار أكابر أهل زمانه، وما زال راسماً على لوح قلبه محبّة أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة، وفي الوقت الذي ظهر أبو مسلم المروزي على بني مروان بتشيّعه الناقص، وجعل ذلك ذريعة للخروج عليهم، ندب بعض أهل خراسان من الأُمراء للاستيلاء على بلاد العراق، كتب إلى أبي مسلم كتاباً ولقّبه فيه بـ«وزير آل محمّد». ولمّا غلب قادته وأُمراء جيشه على ولاية العراقين، وتصرّفوا بها تصرّف المالك بملكه، وصلوا إلى الكوفة والتقى الحسن بن قحطبة، وكان يومها أميراً على عسكر أبي مسلم

(١) الغاشية قال أبو زيد: يقال للحديدة التي فوق مؤخّرة الرجل، والغاشية غاشية السرج وغطائه، والغاشية ما ألبس جفن السيف من الجلود.

بأبي سلمة أعطاه كتاب أبي مسلم إليه، فجمع أبو سلمة أهل الكوفة في المسجد الجامع، وقرأ عليهم كتاب أبي مسلم، وأرسل ولاتـه إلى الأقـاليم وعـمّاله إلى الولايات، وتعهّد بالقيام بشأن الوزارة.

وفي هذه الأثناء وصل أبوالعبّاس السفّاح وأخوه أبو جعفر المنصور اللّذَين ما زال مستخفين من آل مروان خوفاً على حياتهما إلى الكوفة، فوضعهم الخلال في زاوية ولم يعلن للناس عن وصولهما، ولم يخبر أُمراء خراسان بذلك لأنّه مزمع على تسمية واحد من أولاد عليّ بن أبي طالب للخلافة، وبناءاً على هذا كتب ثلاثة كتب إلى ثلاث شخصيّات من أبناء الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، أوّلهم الإمام جعفر بن محمّد الصادق بن عليّ زين العابدين بن الإمام الحسين عليه السلام، الثاني عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، الثالث: عمر بن الإمام زين العابدين عليه السلام، ولكن هؤلاء الثـلاثة بأجـمعهم ردّوا الطلب بل عمد الإمام الصادق عليه السلام إلى إحراقها.

ومن الغرايب أنّ رسول أبي سلمة قبل عودته إليه قصد به أُمراء خـراسـان مخبأ السفّاح والمنصور العبّاسيّين فأخرجوهما من ذلك المخبأ وأجـلسوا أبـا العبّاس السفّاح على سرير الخلافة، ولمّا استلم السفّاح زمام الأُمور ودانت له العباد، وخضعت إليه البلاد، تنكّر لأبي سلمة الخلّال وأراد قتله لما علمه منه من ميله إلى العلويّين وتباطئه في بيعته وعدم رضاه بها، ولكنّه خاف أن يقدم على ذلك دونما استشارة من أبي مسلم، مِن ثَمّ أرسل أخاه أبا جعفر إلى خراسـان لأخذ الإذن من أبي مسلم في قتل أبي سلمة، ولمّا دنى أبو جعفر المنصور من مرو استقبله أبو مسلم استقبالاً حسناً وبالغ في إكرامه، فأقام هناك أيّاماً، واختلى بأبي مسلم وأخبره بما قدم من أجله.

فكان جواب أبي مسلم على النهج التالي: أنا وأبو سلمة الخلّال من عبيد أميرالمؤمنين، فمن وضع منّا رجله بمدىً أطول من خطاه فإنّ قتله لازم حتماً، وعاد أبو جعفر وقد نال مطلبه وقضيت حاجته، ولمّا وصل الكوفة وجد أبا سلمة قد وافته منيّته، وقيل: قتله السفّاح قبل رجوع المنصور إلى الكوفة، والعلم عند الغفور الودود.

يعقوب بن داود بن طهمان

جاء في كتاب حبيب السير وغيره: كان من رجال نصر بن سيّار المقدّمين لديه، والمنتظمين في سلك مدرائه وعمّاله، وكان يسلك مع يحيى بن زيد العلوي بل مع أكثر السادات الحسنيّين والحسينيّين سلوكاً طيّباً محموداً، ولمّا نال الإمام[١] يحيى الشهادة على يد نصر بن سيّار خرج أبو مسلم عليهم وقبض على قاتله وانتقم منهم وحضر عنده داود ويعتبر أبو مسلم يومئذاك صاحب الدعوة ولكنّه لم يجد بحضرته البرّ المرتجىٰ.

ولمّا توفّي داود قام أكبر أولاده وأبرزهم واسمه يعقوب في مواصلة خُطّة أبيه ولازم ركاب إبراهيم بن عبدالله بن الحسن عليهما السلام حينما خرج على المنصور الدوانيقي حتّى إذا قتل إبراهيم وقع يعقوب بقبضة أبي جعفر المنصور وحبسه، ولمّا قام بالأمر ولده المهدي ابن المنصور وأُسندت إليه أُمور الخلافة أخرجه من الحبس وأمره بملازمته.

ولمّا كان يعقوب نديماً لائقاً وذا منطق صائب وكلام بليغ وصاحب جدارة في الرجال فما أسرع ما أصبح رئيس الديوان بأدنى زمان، وقرّبه المهدي إليه وحظي عنده حتّى أثار حسد أقرانه وحنقهم، وحدث أثناء ذلك أنّ المهدي

(١) نسبة الإمامة إلى يحيى وقعت من المؤلّف رحمة الله عليه.

سلّمه ذات يوم علوياً ليقتله فلم يتعرّض له بسوء وأطلقه، فلمّا علم المهدي بذلك حبسه في المطبق وبقي في الحبس ستّة عشر عاماً، ولمّا استخلف هارون الرشيد أخرجه من المطبق وكان قد ضعف بصره وأدركه العجز والكلال، فلمّا دنى من هارون قيل له: سلِّم على أميرالمؤمنين، فقال: على أيّهم أُسلِّم، فلمّا سلّم قيل له: على أيّهم سلّمت؟ قال: على المهدي، قالوا: ذهب إلى رحمة الله، قال: على الهادي، قالوا: وهذا ذهب إلى الآخرة، فقال: على هارون الرشيد، قالوا: بلىٰ.

ثمّ قال هارون: سلني حاجتك. قال: حاجتي أن أُقيم بمكّة. قال: قد قضيت، فسل الثانية، فقال: لقد قضي الأمر وتصرّمت أيّامي فلا حاجة لي غيرها، فأرسله إلى مكّة، وبعد أن أقام بها زماناً قصيراً توفّي وذهب إلى ربّه.

وفي تذكرة عبدالله بن المعتزّ: إنّ بشّاراً ابن برد الأعمى وكان من محدِّثي أهل السنّة نظم هذا الشعر المشعر بختام شوكة يعقوب بن داود ونهاية استقلاله حسداً منه له:

بني أُميّة هبّوا طال نومكم ... إنّ الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزقّ والعود[1]

ولمّا بلغ الشعر المهدي عدّه مشتملاً على هجائه فقتله.

أبوالحسن عليّ بن محمّد بن الفرات

ظلّ زماناً يرزخ تحت نير وزارة المقتدر العبّاسي، طبقاً لمقتضى قوله تعالى: ﴿ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[2] وهو من أكابر الوزراء العرب وجامع فنون

(١) طبقات الشعراء ج ١ ص ٣ آلي.

(٢) الفرقان/٥٣.

الفضل والأدب، والبحتري ـ وهو من أفاضل الشعراء ـ مدحه بقصائد عدّة.

وجاء في تاريخ الوزراء أنّ المقتدر العبّاسي استوزر أبا الحسن بن الفرات بعد قتله العبّاس بن الحسين وعزله عن الوزارة في سنة تسع وتسعين ومأتين، واستوزر من بعده أبا عليّ محمّد بن عبدالله بن يحيى ابن خاقان.

وقال صاحب كتاب «فضايح الروافض» وهو ينتقص بعض رجالات الشيعة: لمّا استخلف المقتدر وهو ابن ثلاث سنين كان الأمر لأُمّه السيّدة، وكان أبوالحسن ابن الفرات وزيراً وبقي في الوزارة من سنة خمس وثلثمائة إلى سنة ثلاث وعشرون وثلث مائة مصرع المقتدر، وكان رافضيّاً شريراً حتّى نسبوه إلى الإلحاد وقبضوا منه اثني عشر ألف ألف دينار، سوى ما نهبوه من متاع بيته حتّى قيل: قد كانوا أخرجوا من بيته ألف رطلٍ كافوراً رماحيّاً، وسبعة آلاف سرّة مسك، وعدداً من المفارش المحلّاة بالذهب والفضّة، ولم يكن لنفسه دابّة يرتحل عليها، ونهبوا بيوته كلّها ثمّ أعادوه إلى الوزارة وخلعوا عليه. وكان في عهد وزارته يرسل رسلاً إلى الديلم سرّاً يحرّض صاحب الديلم على الملك وبسبب ذلك ينكب المسلمون.

وقال الشيخ عبدالجيل الرازي ﵀ ردّاً على ذلك: أوّلاً: ما قاله عن استخلاف المقتدر العبّاسي وهو في الثالثة ورجوع الحكم إلى أُمّه إنّما يتوجّه الطعن بذلك على قومه من أهل السنة لأنّ الإجماع حاصل من العقلاء بأنّ خلافة ابن الثالثة لا تصحّ، ومن المحال أن يحصل الإجماع من أهل الحلّ والعقد على طفل في هذه السنّ إذ ليس له عقل وليس له علم ولا رأي أو اجتهاد، ولمّا كان وزيره أبوالحسن بن الفرات وقد رموه بالإلحاد والرفض فليس يصحّ الحلّ والعقد فيهما ولا يُرتضى ولا يقبل، وأجمع المسلمون على بطلان إمامة المرأة لنقصان

عقلها ودينها وعلمها، فكيف تؤمّر أو تستخلف. وبناءاً على قول هذا الطاعن فإنّ الخلافة تكون شاغرة منذ سنّ الثالثة حتّى بلوغ المقتدر وكمال عقله ويكون العالم يومئذٍ بلا خليفة.

وقد اتّفقوا على أنّ الخليفة المقتدر يستخفي أحياناً فلا يظهر للناس، وإذا صحّ هذا الإلزام وجاز أن يخلو العالم من الخليفة ولا يحدث نقص في الدين أو الدنيا فإنّ حكم المائة سنة والمأتين حكم هذه الفترة ولا فرق بين الاثنين.

ونأتي الآن إلى التسائل الذي طالما ردّده هذا الطاعن عن الناصبي والتشنيع الذي شنّع به علينا في مسألة المهدي أين هو الآن، وكيف يبقى العالم بدون إمام أو بدون خليفة، فإنّ هذا القول ساقط ولا أساس له من الصحّة، ويردّه ما عليه وضع خلافتهم في عهد المقتدر.

وأمّا ما نسبه إلى أبي الحسن من الإلحاد فإنّه محض فرية وعناد ولا يخفى ذلك على أهل العالم.

وأمّا ما ذكره عن كثرة المال المصادر منه وما سرده من شرح لثروته فإنّه لا يخلو من أحد أمرين: إمّا كونه مالاً حلالاً أو مالاً حراماً وسحتاً، فإن كان مالاً حلالاً فلا ضير على صاحبه ولا عتب يوجّه إليه (إنّما المعاتب أوّلاً وبالذات من انتهبه منه ـ المترجم) وثبت أنّ المأخوذ منه قهراً هو مؤمن مسلم فإنّه مستحقّ للثواب والعوض. وإن كان المال حراماً وقد استوفاه بالظلم والقهر في هذه الحقبة فإنّ الوبال والنكال في عنق الخليفة السنّي حيث أمّره على رقاب المسلمين ظالماً مستحلّاً للحرام، ومكّنه من ذلك حتّى استلب أموال الناس بالظلم والباطل، أو أنّ ذلك كلّه في عنق أُولئك القوم الذين أجمعوا على خليفة له من القمر ثلاث سنين، لا عقل له ولا تدبير بحيث استوزر وزيراً كهذا ظالماً مغتصباً.

وبناءاً على هذا لا ينبغي لهذا الطاعن الناصب أن يشنّع على من يقول: إنّ الخليفة يجب أن يكون منصوصاً عليه من الله، عادلاً معصوماً من الخطأ والزلل، أعلم الناس وأشجعهم، ولا يمكّن الظالمين والعاصين من رقاب المسلمين، ولا ينبغي لهذا الناصبي أيضاً أن يقول: هذا مذهب الروافض مخالف لإجماع المسلمين وهو مناهض لحكومة الصدر الأوّل والسواد الأعظم من المسلمين، وليس له إلّا الركون إلى واحد من أمرين: إمّا الرضا بما فعله أبوالحسن بن الفرات، أو الأمر الثاني وهو القول بإجرام الخليفة وخطأه وأنّ إمامته باطلة، والإمام يجب أن يكون معصوماً ليزول التناقض.

مضافاً إلى ذلك: لمّا أعاد الخليفة أبا الحسن إلى الوزارة بعد عزله ومصادرته وخلع عليه فهل يعود النقص بذلك على الخليفة والحاكم الذي مكّن الظالم الملحد هذا التمكين أو إنّه عائد على الوزير؟!

ومجمل القول أنّ ما قاله من كون الوزير مبتدعاً فإنّ النقص يعود على جماعته من أهل السنة وعلى خليفتهم قبل أن يلحق بالرافضة من أهل قم وكاشان لأنّه لا يخلو من عدّة أُمور:

أوّلاً: أنّ الخليفة لا يعلم باعتقاد وزيره وهذا المتعصّب العنيد العائب يعلم أنّ الخليفة لم يغب عن المشهد.

ثانياً: أنّ الخليفة عالم باعتقاده ولكنّه كتم ذلك تقيّة وخوفاً، ولا تجوز التقيّة بمذهب الخليفة العامي فكيف اتّقى خليفة الوقت وداهن؟

وأمر ثالث آخر هو أنّ الخليفة إن كان راضياً بوزيره لنبالة أصله وجزالة فضله فإنّ إنكار ذلك لا يكون إلّا من أحمق جاهل.

هبة الله محمّد بن عليّ المعروف بابن المطّلب

خلعت عليه كسوة الوزارة بأمر المستظهر باللّه بعد موت مجد الدولة، ولقّبه الخليفة بوليّ الدولة.

وذكر في جامع التواريخ أنّ وليّ الدولة كان متّهماً بالتشيّع والرفض، وبناءاً على هذا فإنّ محمّد بن ملكشاه عارض وزارته ولم يرتضها، وأكثر من إرسال الرسل وكتابة الكتب إلى دار الخلافة وقال: كيف يصحّ استيزار وزيرٍ للخيفة رافضيّ، لذلك عمد المستظهر إلى عزله وخطّ في صحيفته رقم العزل، وما عتم الوزير أن التحق بالسلطان مسرعاً واستظهر عليه بسعد الملك آوجي وكان وزيراً للسلطان ليذهب عن خاطره ما علق به عليه، والسلطان أسند إليه وزارة الخليفة الثانية واشترط عليه أن يثبت على مذهب أهل السنة والجماعة مطلقاً ولا يعدل عنه ويتجنّب ارتكاب الظلم والتعدّي، ويحترز عن استخدام أهل الذمّة من اليهود والنصارى في ديوانه، فخرج هبة الله من اصفهان إلى بغداد وحافظ على ما اشترط عليه بدقّة متناهية واشتغل بالوزارة أيّاماً ثمّ تغيّر عليه خاطر الخليفة وعلم هبةالله بذلك فهرب إلى اصفهان من بغداد وبقي مائلاً في ديوان السلطان محمّد شاه بقيّة حياته.

شرف الدين أنوشيروان بن خالد بن محمّد القاشاني العيني

قال ابن كثير: هو وزير المسترشد ووزر للسلطان محمود الغزنوي وكان عاقلاً مهيباً عظيم الخلقة [كريماً شيعيّ المذهب] وهو الذي ألزم أبا محمّد الحريري بتكميل المقامات وقد مدحه الحريري بشعر، توفّي سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة[١].

---

(١) راجع ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٣٦٦.

وجاء في كتاب تاريخ الوزراء أنّ شرف الدين المذكور كان وحيد دهره في الفضل والأدب والشعر ومعرفة لغات العرب، وكان يقضي جلّ أوقاته في مطالعة العلوم من المعقول والمنقول والصرف، ورسخت قدمه في جادة الأمانة والتقوى، ولم يتلبّسه العجب والتكبّر والنخوة مع علوّ شأنه أبداً، عمل دهراً في وزارة السلطان والمسترشد العبّاسي وبعد شهادة المسترشد، رحل إلى خدمة السلطان مسعود بن محمّد بن ملكشاه ورفع علم الوزارة خفاقاً لمدّة سبع سنين، ولكن لتواضعه وشدّة تدانيه للعامّة وتنازله لهم لم يكتس روض جاهه ومنصبه برشحات الشوكة والأُبهّة والطراوة والنضارة، وكان لتواضعه وتطامنه للناس مشهد معروف، فقد كان في صدر ديوان وزارته ويقوم لكلّ قادم لا يتحاشىٰ من ذلك، وبناءاً على هذا فقد نظم فيه شاعر هذين البيتين:

مرا پيرى است بى شرم و معاند ... ولى را باز نشناسد زحاسد
براى هر كسى بر پاى خيزد ... تو گوئى هست نوشروان خالد

عندنا شيخ عنيد أحمق ... ليس يدري حامداً من حاقد
ناهضاً إن جائه شخص وإن ... كان ذا قلب مريب حاسد
من رآه قال ذا أعرفه ... إنّه ابن صادر من خالد

حدث ذات يوم أنّ جماعة من أهل الجهل والسفاهة جهلوا عليه جهلاً شديداً فلم يجبهم نظراً لكمال تواضعه وسلامة نفسه كما ينبغي أن يكون الجواب، فقال حاجبه: قد نفذ صبري من هذا التواضع المشين ولا أُطيق تحمّله. فقال له: لقد مرّ عليّ الآن أربعون عاماً وأنا أعيش هذه الحالة.

شعر

چون خاک باش در همه احوال بردبار ... تا چون هوات بر همه کس قادر رسد

چون آب نفع خويش بهر كس همى رسان | تا همچو آتش بجهان برترى رسد
كن كالتراب له احتمال زائد | كي يسبق الريح الخفيف الطائرا
أو كالمياه بنفعها تروي الورىٰ | وبذاك كان لكلّ نار داحرا

ومجمل القول أنّ «أنو شروان» قضىٰ بقيّة حياته عاطلاً وذهب إلى العالم الباقي طاهر الذيل، وله كتاب «نفثة الصدور».

مؤيّد الدين محمّد بن محمّد بن عبدالكريم القمّي

قال ابن كثير الشامي: هو وزير المستنصر وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه فخر الدين أحمد بن محمّد القمّي وأصحابهم وحبسهم واستوزر مكانه (أُستاذ الدار) شمس الدين أبا الأزهر أحمد بن محمّد بن الناقد..[١].

وذكر في تاريخ الوزراء أنّ مؤيّد الدين بن محمّد القمّي تقلّد الوزارة بعد وفاة مؤيّد الدين القصّاب، ولمّا مات الناصر الخليفة ورحل من الوجود الفاني إلى الوجود الباقي وأُسندت الخلافة إلى الظاهر باللّه، أعطى منصب الوزارة بوصيّة من آبائه إلى مؤيّد الدين وظلّ مؤيّد الدين في الوزارة أيّاماً في عهد المستنصر باللّه.

مؤيّد الدين أبوطالب محمّد بن عليّ بن محمّد العلقمي

من أكابر الوزراء وأعاظم الفضلاء والأسخياً، وكتب علماء الإسلام من أجله الكتب النفيسة، وأجاد الشعراء في مدحه، ونظموا قصائد لطيفة فيه. وكتب ابن أبي الحديد المعتزلي «شرح نهج البلاغة» في عشرة مجلّدات باسمه فأعطاه ألف دينار عيناً، وخلع عليه خلعة تليق به، وأركبه سابقاً من الخيل بسرجه الفاخر.

---

(١) البداية والنهاية ج١٣ ص١٥٥.

وكتب الشيخ أبوالحسن الصاغاني ـ وهو من علماء أهل السنة ـ كتابه «العباب الزاخر واللباب الفاخر» باسمه، وأورد فصلاً في خطبة الكتاب يتضمّن شطراً من كبر قدره وفضله، وأشار بفضيلته وأخبر عنه بأنّه مربّي الفضيلة، وأبلغ في الإشادة بالوزير النحرير، وقال: لمّا كان مولانا المالك الوزير الأعظم الصاحب الكبير المعظّم العالم العادل المؤيّد المظفّر المنصور المجاهد، سيّد صدور العالم، مؤيّد الدنيا والدين، عماد الإسلام المسلمين، عضد الدولة، تاج الملّة، ركن الملك، ظهير الخلافة المعظّمة، صفيّ الإمامة المكرّمة، ملك وزراء الشرق والغرب، غياث الورى، أبوطالب محمّد بن السعيد المرحوم كمال الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد ابن عليّ العلقمي نصير أميرالمؤمنين ذوالفضائل المشهورة والفواضل المشكورة والمنائح المبرورة والمآثر المأثورة، الواقف على مصالح العباد همّه ولهاه، الباذل في حراسة نفايسهم ونفوسهم أقصىٰ جهده ومنتهاه، الذي منحت الوزارة منه قطب الأُمّة وحبرها وأسده، وزهيت وسادتها علماً بأنّه أعلم من وطئها وأكرم من توسّدها.

شعر

إنّ الوزارة لم يكن كفواً لها   إلّا الوزير محمّد بن العلقمي

الذي أخصب به ربع الفضائل وكان دارسا، ووضح بسعيه معالم العلوم بعد أن كان عابساً، وجمعت بسياسته المرهوبة ثغور الإسلام، وأصبحت بقوايض مكارمه جوامع الآمال، وأضحت نوافرها آلفة مألوفة، وأفاض على حفدة الأدب سجال مواهبه الغامرة، وحيه (كذا) إليهم بما أنالهم من منحه السابغة فاصبحت رباعه بعد الدروس عامرة فتنبّهت همم أُولي العلوم وكانت راقدة، وفاضت شعاب الفوائد فيض أياديه الغزار وكانت تلك الشعاب جامدة.

شعر

كلّما قيل قد تناهى أرانا كرماً اهتدت إليه الكرام

لا زال الإسلام محروساً بعوالي هممه، والإيمان محمي الجناب بماضي سيفه وقلمه، والرعايا في ظلّ رعايته وادعين، وملوك الممالك تظلّ أعناقهم له خاضعين، نفق بضاعتي من العلم بعد أن كانت كاسدة، وأصلح بحسن نظره إلى طويّة الدهر وكنت أعهدها فاسدة، شرّفني بمطالعة مصنّفاتي وارتضى مؤلّفاتي، ولقد أسفت على كلّ قضيتها في غير ظلّة، وكّل كلمة عرضتها على غير فضيلة، وددت أنّ تلك الساعة لم تسعني، وعلمت أنّ تلك الكلمة كانت تقول: دعني، ولمنافستي في هذا الشرف أن ينقرض فيه ذكري بعد انقضاء عمري، لم أزل أُفكّر فيما يخلد لي مزيّة الانتماء إلى مكرم جنابه، ويجعل لوجودي خلقاً يقوم في الخدمة بإحسان منابه، إلى أن أوعز إليّ ـ أنفذ الله تعالى في الآفاق عالي أمره، وعضّد الإسلام وأهله بإفاضة البركة على عمره ـ بأن أُؤلّف في لغةالعرب كتاباً يكون ـ إن شاء الله تعالى ـ بيُمن نقيبته وفق الإرب، جامعاً لشتاتها وشواردها، حاوياً مشاهير لغاتها وآدابها، يشتمل على أدنى التراكيب وأقاصيها، ولا يغادر سوى المهملة صغيرة وكبيرة إلّا وهو يحصيها، فنبّهني مرسومه الشريف على ما كنت أرتاده، وجريت في طاعته، وتوخّى كريم رضاه على ما أنا معتاده، وزففت هذه الجريدة المبداء والفريدة العذراء إلى أكرم كفو وخطب، وأعلم كلّ ذي نُهية ولُبّ، فإنّه في استحقاق زفاف عقائل نتائج العقول إليه طبقه، وفي المثل السائر وافق شنّ طبقه...[1]. وهذه نبذة ممّا قاله الصاغاني في إظهار شطر من فضائل

(١) فتّشت كلّ نسخة قدرت على الحصول عليها فوجدت هذه الخطبة قد حذفت منها والسبب معلوم لأنّها في ابن العلقمي عدوّهم المفترىٰ عليه.

ذلك الوزير رفيع المباني.

ومجمل القول أنّه لا يخفى على أيّ ناقل للآثار ومتعلّم للأخبار أنّ مؤيّد الدين حائز لأنواع الفضائل الفطريّة والكمالات الكسبيّة، وما فتئ يرقم على لوح ضميره وصفحة خاطره محبّة أهل البيت وولاءهم، وانظر إلى المستعصم وهو الذي يدّعي الخلافة والإمامة ما كان ليصبر عن ارتكاب الملاهي وتناول المناهي وقدجعل ذلك ورد ليله وعبادة نهاره، ولم يفرط بساعة واحدة من عمل الضلالة وارتكاب البدعة وكان ذلك يؤذي مؤيّد الدين ويملأ خاطره بالكدر من مشاهدة ذلك، وكان يبذل أقصى غاية الجهد في إصلاحه، وترميم أمره وترقيع حاله، حتّى جاءت سنة خمس وستّمائة فوقعت فتنة عمياء بين الشيعه وأهل السنة على أثر تعصّب كلّ فريق منهما على الآخر، وارتفعت نار النزاع بينهما إلى أقسى حدّ، وقام ابن المستعصم أبوبكر بمعونة كوكبة من الحرس يحميهم أهل السنة والجماعة فنهبوا الكرخ، وأهله كلّهم من الشيعة، وأسروا جماعة من السادة الأشراف وأودعوهم السجن بمذلة ومهانة لا توصف.

ولمّا كان الوزير من أهل قم كان محبّاً للأهل البيت متشيّعاً لهم، مبالغاً في تشيّعه، ولمّا شاهد هذه المناظر المروعة من القتل والسلب والتدمير نفض يده من شئون الوزارة وما يراد من الوزير من حيث الإصلاح والتعمير، أفلت زمام الإرادة من يده وسعىٰ مجتهداً في قلع أساس الدولة العبّاسيّة.

وكان هلاكوخان في سنة أربع وخمسين وستّمائة قد تمّ له ما أراد من احتلال الممالك الشرقيّة من بلاد الإسلام فعزم على إخضاع الولايات الغربيّة، فنهض بذلك وقد فرغ خاطره من تصفية الملاحدة مِن ثَمّ رفع الراية وحمله العزم إلى جهة دار السلام بغداد، وكان الخواجه نصيرالدين محمّد الطوسي قد تخلّص

في تلك الأثناء من اعتقال الملاحدة ونجىٰ من شرّهم ورأى من هلاكوخان إلزاماً وتعظيماً ووداً وتبجيلاً، وكان قد اصطحبه، ورأىٰ ابن العلقمي الفرصة قد سنحت فأرسل قاصداً نحوه يرغّبه في احتلال بغداد ويحمله على قصد ذلك القصد، وقال: إنّي قد أبعدت أهل العقل الراجح وذوي السياسة الصالحة وجميع الأُمراء من الجيش عن الخليفة بحسن تدبيري؛ فالعجل العجل، وهلمّوا إلى هذا الجناب الخصيب لتظفروا به فسوف تنالون الرضا عاجلاً وتملكونه بأيديكم.. واطّلع هلاكوخان على جليّة الحال بالتفصيل والإجمال فأقبل بجيشه اللجب وعسكره المجرّ يؤمّ بغداد دارالسلام وبعد اللُّتيّا والتي أقنعوا الخليفة المستعصم في يوم الأربعاء الرابع من صفر سنة ٦٥٥ وهو مضطرب الحال، آيس من الملك، مع ولديه أبي بكر وعبدالرحمن وجماعة من العلويّين والعلماء بملاقاة هلاكو خان، فخرجوا من باب دار السلام وأقبلوا على معسكر الخان، حتّى إذا بلغوا مقرّ هلاكوخان ويُسمّى بلغتهم «كرياس»[1] فأذنوا للخليفة وولديه مع بعض مرافقيه واستوقفوا الباقين، واستشار هلاكو الخواجه نصيرالين محمّد وغيره من خاصّته في قتل الخليفة، فاتفقوا على ذلك، فأمر هلاكو بوضعه في «لبّاد» وطووه به وجرّوه على الأرض بشدّة حتّى تفكّكت أعضائه وفرح شيعة أميرالمؤمنين لأنّ الله انتقم لدماء الأئمّة المعصومين.

وجاء في كتاب تحفة الأبرار أنّ سبب انقراض دولة العبّاسيّين وقتل

---

(١) كرياس: مقرّ السلاطين والأُمراء والأعيان ويُسمّى بالعربيّة الجناب والسدّة والفناء والعتبة والصيد.

وكرياس السلطان: هو الري، الفرقة الخاصّة بالملك التي لا يلجها أحد، والمكان الذي يختلي به السلاطين والشاهات والأُمراء، ويقال للبناء المقام على البناء أيضاً ولمحلّ الطهارة والوضوء إذا كان مشرفاً على البناء.

المستعصم وأولاده هو أنّ أبابكر بن المستعصم اجتاز ذات ليلة بمحلّةالكرخ وهو مجمع الشيعة ولا يوجد فيه سنّيٌّ واحد، فسمع داعياً يدعو في السحر في صلاة الوتر بدعاء ثارت من أجله أعصابه وتعكّر مزاجه، مِن ثَمّ استدعى الجيش وأغار على الكرخ، ونهبوا نحواً من ألف فتاة بين علويّة وغيرها وأسروهنّ، ولمّا شاهد الوزير ابن العلقمي هذه الحال تألّم ألماً شديداً لا يوصف، وأقسم باللّه أن لا يقرّ له قرار حتّى يعطي العبّاسيّين بأيدي المغول، واستدعى بقطع أربع من القرطاس ووصل واحدة بالأُخرى ثمّ رسم عليها خارطة بغداد وأعطاها إلى رسول أمين وأرسله إلى هلاكوخان الأعظم ابن چنكيز خان، ووصلت الخارطة إلى يده وهو يعبر «جيحون»[1].

وأخذ الوزير بتفكيك العسكر العربي ودعم الجيش المغولي حتّى سلّم الخليفة وأولاده إلى السلطان فاتح العالم فقتلهم وقبض على مائة وخمسين فقيهاً من فقهاء أهل السنة الذين أفتوا بإباحة دماء أهل الكرخ ونهب أموالهم إلى «الياسا»[2]، حتّى صنعوا بهم الذي استحقّوه ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

أبوالقاسم الحسين بن عليّ بن الحسين بن محمّد بن يوسف الوزير المغربي

قال الشيخ النجاشي: من ولد بلاس بن بهرام جور، وأُمّه فاطمة بنت أبي

---

(١) نهر ببلخ وينتهي بخوارزم، ويمكن أن تضبط حدوده بين خراسان وماوراء النهر على مقربة من بلخ وهو نهر كبير في تركستان ينبع من ربوع فلامير ويصبّ في بحيرة آرال بعد أن يروي أراضي خيوق.

(٢) هو القانون الأساسي الذي وضعه جنكيزخان وحكم به المغول العباد والبلاد.

(٣) الأنعام/٤٥.

عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعماني، شيخنا صاحب كتاب الغيبة، وله كتب عدّة منها كتاب «خصائص علم القرآن» وكتاب «اختصار إصلاح المنطق» وكتاب «اختصار غريب المصنّف» ورسالة في معرفة القاضي [في القاضي والحاكم] وكتاب «الإلحاق بالاشتقاق» وكتاب «اختيار شعر أبي تمّام» و«اختيار شعر البحتري» و«اختيار شعر المتنبّي والطعن عليه». توفّي ﵀ يوم النصف من شهر رمضان سنة عشرة وأربعمائة[١].

وذكر القاضي ابن خلّكان نسبه من جهة الأب والأُم على النحو التالي[٢]: إنّ خاله هارون بن عبدالعزيز الأوراجي الذي مدحه المتنبّي وهو صاحب الديوان: الشعر والنثر، وله مختصر إصلاح المنطق وكتاب «الإيناس» وكتاب «أدب الخواص» وكان حسن الخطّ جدّاً. وكلّ هذه الفضائل التي حصّلها والكتب التي ألّفها وهو لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد.

وجاء في تاريخ مصر والقاهرة وتاريخ ابن خلّكان: إنّ الحسين هذا، كان فاضلاً عاقلاً شاعراً شهماً شجاعاً كافياً في فنّه حتّى قيل أنّه لم يلِ الوزارة لخليفة أو ملك أكفىٰ منه[٣]. وهذان البيتان لمهيار بن مرزويه الديلمي وهو أحد شعراء الشيعة في مدحه:

---

(١) رجال النجاشي ج١ ص١٩١ و ص١٩٢.

(٢) أبوالقاسم الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن يوسف بن بحر بن بهرام ابن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور المعروف بالوزير المغربي، ورأي جماعة من أهل الأدب يقولون أنّ أبا عليّ هارون ابن عبدالعزيز الأوراجي الذي مدحه المتنبّي بقصيدة: أمن ازديارك في الدجى الرقباء.. الخ ج٢ ص١٩١.

(٣) النجوم الزاهرة ج١ ص٤٧٨ آلي.

جـــاء بك الله عــلى فــترة بآيـــة مــن يــرها يــعجب
لن تألف الأبـصار مـن قـبلها أن تطلع الشمس من المغرب

ومذكور كذلك في التواريخ: لمّا قتل الحاكم صاحب مصر أباه وعمّه وأخويه وهرب الوزير وصل إلى الرملة واجتمع بصاحبها المتغلّب عليها ثمّ توجّه إلى الحجاز ومن الحجاز إلى العراق وقضى فترة مـن عـمره فـي خـدمة آل بـويه واستوزر في دياربكر لأميرها أحمد بن مروان وأقام فيها إلى أن وافاه الأجـل المحتوم في الثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع عشرة وأربعمائة ودفن عند مشهد أميرالمؤمنين في النجف الأشرف بوصيّةٍ منه.

أبوالفضل محمّد بن الحسين بن المعروف بالأُستاذ ابن العميد القمّي

كان وزيراً نحريراً وجواداً، وله رأي وإشارة في كلّ فنّ، وكان الصاحب بن عبّاد من أصحابه و«عبيده» (كذا)[1] وعبدالحميد الكاتب مكاتب عنده وعتيق ذهبه وعقيانه. كان ماهراً في العلوم الغريبة وحقائقها، والحكم والفنون العقليّة ودقائقها، ويغلب على طبعه الظاهر العلم.

جاء في تاريخ اليافعي: كان وزير ركن الدولة ابن بويه، وكان متوسّعاً في علوم الفلسفة والأجرام، وإمام الأدب والترسّل، فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان كامل الرياسة، جليل المقدار، ومن بعض أتباعه الصاحب ابن عبّاد، ولأجل صحبته قيل له الصاحب، وكانت له في الرئاسة اليد البيضاء، وفي براعته في الكتابة قيل: «بدأت الكتابة بعبدالحميد وختمت بابن العميد..» وقصده

(١) لو لم يكتب هذه الكلمة مولاي لما جرأت على تحريرها فالصاحب أجلّ وأعلى وأكرم وأغلى من ذلك.

جماعة من مشاهير الشعراء بالمدائح منهم المتنبّي (قصده بأرّجان) ومدحه بقصيدته التي أوّلها:

بادٍ هواك صبرت أو لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرىٰ

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار[1].

وذكر مؤلّف تاريخ مصر والقاهرة قال: وقيل إنّ الصاحب بن عبّاد اجتاز بدار ابن العميد بعد وفاته فلم ير هناك أحداً بعد أن كان الدهليز يغصّ من زحام الناس، فقال:

أيّها الربع لم علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجّاب

أين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب

وقال عليّ بن سليمان: رأيت بالري دار قوم لم يبق منها سوى بابها ـ يعني دار ابن العميد ـ وعليها مكتوب:

أعجب لصرف الدذهر معتبراً[2] فهذه الدار من عجائبها

عهدي بها بالملوك زاهية قد سطع النور في جوانبها

تبدّلت وحشة بساكنها ما أوحش الدار بعد صاحبها

وجاء في بعض التواريخ: إنّ أبا الفضل بن العميد وصل إلى الوزارة في عهد ركن الدولة وبلغ غاية الرقي يومئذٍ ونهاية الاعتبار، فمرض ركن الدولة في هذه الأيّام فاهتمّ عضد الدولة اهتماماً بالغاً ووقف في فناء العجز خشية أن يرحل أبوه إلى روضة رضوان وهوناءٍ عنه ولم يجرء على القدوم على أبيه دونما طلب منه، فطفق يجيل فكره إلى أن رأى أن يرسل مبعوثاً إلى أبي الفضل وطلب منه أن

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ٣٦٥ آلي.

(٢) ينبغي أن يكون الشطر هكذا: «أعجب لصرف الزمان معتبراً» ليستقيم الوزن.

يمحو ما علق بخاطر أبيه عليه من الكدر، واعمل عملاً يحمل أبي على استدعائي، فامتثل الطلب ممتنًاً وسعىٰ في هذا الأمر سعياً حثيثاً حتّى أرسل قاصداً إلى شيراز من أجل استدعاء عضد الدولة بأقصى سرعة ممكنة.

ولمّا وصل عضد الدولة إلى اصفهان للمثول بين يدي أبيه، أحضر ركن الدولة باقي أولاده أيضاً فأقام أبوالفضل مجلس فرح مهيب فحضر ركن الدولة وأولاده في بيت الوزير، وفي هذا المجلس قسّم ركن الدولة ملكه بين أولاده وأمر فخرالدولة ومؤيّد الدولة بالطاعة لعضد الدولة، والله أعلم.

أبوالفتح عليّ بن محمّد بن العميد

استوزر بعد أبيه ولُقِّب بذي الكفايتين.

وجاء في «تاريخ گزيده»: إنّ أبا الفتح عليّاً بن محمّد بن الحسن كان وزير ركن الدولة الحسن بن بويه، وبلغ درجة من علوّ القدر أنّ الصاحب ابن عبّاد مع ما هو عليه من الجلال قد مدحه وأنشده مدحه بين يديه وهو واقف.

وقال الثعالبي في حقّه: عين الشرف ولسانه، وسيف الملك وسنانه، له أشعار جيّدة ورسائل ليس لها نظير.

وقال ابن خلّكان: أبوالفتح كان جليلاً نبيلاً سريّاً، صاحب فضائل وفواضل، وهو الذي كتب إليه المتنبّي الأبيات الخمسة الموجودة في ديوانه أثناء مدائح والده(١).

ولم يزل أبوالفتح المذكور في وزارة ركن الدولة إلى أن توفّي مؤيّد الدولة فاستوزر أيضاً وأقام على ذلك مدّة مديدة، وكانت بينه وبين الصاحب ابن عبّاد

(١) وفيات الأعيان، ج٥ ص١١١.

منافسة، ويقال: إنّه أغرىٰ قلب مؤيّد الدولة عليه، فظهر له من التنكير والإعراض، وقبض عليه في بعض شهور سنة ستّ وستّين وثلثمائة، وله في اعتقاله أبيات شرح فيها حاله، فصادره وعذّبه[١] في الحبس، فلمّا أيس من نفسه وعلم أنّه لا مخلص له ممّا هو فيه ولو بذل جميع ما تحتوي عليه يده فتق جيب جبّة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكّره بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن وألقاها في النار، فلمّا علم أنّها احترقت قال للموكّل به: افعل ما أُمرت به، فوالله لا يصل إلى صاحبك من أموالنا درهم واحد، فما زال يعرضه على أنواع العذاب حتّى تلف، وفي زوال نعمتهم وخراب بيوتهم قال بعض الشعراء من أصحابه:

آل العميد وآل برمك مالكم قلّ المعين لكم وزال[٢] الناصر
كان الزمان يحبّكم فبدا له إنّ الزمان هو الخؤون الغادر

وكان أبوالفتح قبل أن يقتل بمدّة قد لهج بإنشاد هذين البيتين:

دخل الدنيا أُناس قبلنا رحلوا عنها وخلّوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخلّيها لقوم بعدنا..[٣]

الصاحب الجليل كافي الكفاة أبوالقاسم إسماعيل ابن أبي الحسن عبّاد بن أحمد بن إدريس الطالقاني

صاحب الدولة الذي طرّز بطراز الفضائل والمعالي خلعة نسبه العالي، وملأ

---

(١) قال الثعالبي: اجتاح ماله وقطع في العقوبة أنفه وجزّ لحيته، وقال غيره: وقطع يديه.. / وفيات الأعيان ج٥ ص١١١.

(٢) ذلّ.

(٣) وفيات الأعيان ج٥ ص ١١١ وما بعدها بتصرّف من المؤلّف.

طبعه الوقّاد في رياض العلوم وأزهار الأُصول والفروع حضن الفضل وجيوبه، ونال قصب السبق على أقرانه ونظائره في حلّ المشاكل وتدبير الأُمور، وله اليد البيضاء في فكره المعجز لمصالح الجمهور، لا بدع أن يسلّمه الزمان عظائم الأُمور، ويحوّلها إلى كفّ كفايته، ويضع في قبضته اختيار أعنّه الحلّ والعقد وأزمّة القبض والبسط لمصالح العباد.

جاء في تاريخ اليافعي: الصاحب المعروف بابن عبّاد كان نادرة الدهر وأُعجوبة العصر في فضائله ومكارمه، أخذ الأدب من أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب «المجمل في اللغة»، وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرهما.

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقّه: ليست بحضرتي عبارة أرضاها للإفصاح عن علوّ محلّه في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرّده بالغايات في المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر لأنّ همّة قوّتي تنخفض عن بلوغ أدنى فواضله ومعاليه، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فضائله ومساعيه. ثمّ شرع في شرح بعض محاسنه وطُرَف من أحواله.

وقال أبوبكر الخوارزمي في حقّه: الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودبّ ودرج من وكرها، ورضع أفاويق درّها ودرّتها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقّه:

ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الإسناد بالإسناد

وقال بعضهم: رأيت في أخباره أنّه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب فإنّه لمّا توفّي أغلقت مدينة الري، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدومه وسائر القوّاد وقد غيّروا لباسهم،

ولمّا خرج نعشه صاح الناس بأجمعهم وقبّلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعدوا للعزاء أيّاماً..[١]

للصاحب منشآت ورسائل كثيرة، طافحة بآثار الفصاحة والبلاغة، من ذلك أنّ أحد فضلاء الزمان كتب إليه كتاباً غاية في العذوبة واللطف، وقد بلغ النهاية في الفصاحة والبلاغة، ولمّا قرأها الصاحب ابن عبّاد ﷺ علم أنّ أكثر جملها المتزاوجة وفواصلها المتعاطفة منه وإليه أدرجها ذلك الفاضل في كتابه، فكتب إليه هذه الآية: ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[٢].

وذكر في تاريخ الوزراء: إنّ الصاحب الكافي إسماعيل ابن عبّاد كان في العلم والفضيلة والفهم والفطانة وحيد عصره وفريد زمانه، وكان في إصابة الرأي والتدبير وإضائة الخاطر وصفاء الضمير حازعلى الرتبة القصوى والدرجة الممتازة بين الوزراء ذوي الكفاية والعلم والدراية.

خجسته رأى او بر ملک راه فتنه بربستی
مبارک روى او بر خلق راه فتح بگشودى
سعادت چشم بگشادى كه تا رايش كجا بيند
زمانه گوش بنهادى كه تا رايش چه فرمودى

مبارك الرأي لم يبق على فتن … وآية الفتح قد لاحت بغرّته
تطلّع السعد يرعىٰ نور فكرته … وأرهف الدهر سمعاً عند نبرته

ورفع حضرته علم الوزارة في عهد مؤيّد الدولة وكان يحكم جانباً من أرض العراق، ولمّا أدركت مؤيّد الدولة الوفاة اجتمع أركان الدولة وائتمروا فيمن

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ٣٨٤ حوادث سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

(٢) يوسف/٦٥.

يولّونه بعده من بني بويه، فقال الصاحب كافي الكفاة: لا أرى في ملوك الديلم من هو كفؤ للملك إلّا فخر الدولة وعلينا أن نستقدمه من خراسان لينظم أوضاع المملكة، واستقرّ رأيهم على هذا الأمر فأسرعوا بإيفاد رسول إلى نيشابور وساقوا البشرىٰ بالملك إلى فخر الدولة وكان يعيش تحت ظلّ حسام الدولة وأبي العبّاس بن تاش، فاستعار فخر الدولة من البرق والريح سرعتهما وقصد العراق، وفي شهر رمضان من سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وصل إلى الري وتربّع على عرش الملك وأحكم سلطانه عليه، واستوزر الصاحب ابن عبّاد وفوّض إليه أمره، واستطاع الصاحب أن ينال من قلبه المكانة العظمى بواسطة خصاله الحميدة وأفعاله المجيدة، ووفور درايته وكثرة كفايته في زمان قصير، وصار اختيار الأُمور إليه والملك والمال بين يديه.

وخرج الصاحب بأمر فخر الدولة إلى طبرستان في سنة سبع وسبعين وثلثمائة فضبط أموالها كما ينبغي وجبى خراجها على الوجه الصحيح، وتغلّب على الخارجين عليه وقهرهم، وفتح عدداً من القلاع الممتازة هناك، وعاد في السنة نفسها.

وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة أمر هذا الوزير صاحب التدبير بطبع عدد من القطع الذهبيّة في گركان وكلّ قطعة تزن ألف مثقال ذهباً وأن يكتب على جانب منها سبعة أبيات منها هذا البيت:

وأحمر يحكي الشمس شكلاً وصورة　　فأوصافه مشتقّة من صفاته

وعلى الجانب الآخر منها سورة الإخلاص، ولقب فخر الدولة، ولفظ «جرجان».

وفي سنة خمس وثمانين وثلثمائة مرض الصاحب مرضه الذي مات فيه ولازم الفراش وارتاح جنبه عليه، فجاء فخر الدولة لعيادته، فقال له الصاحب:

إنّي اجتهدت أيّام وزارتي وبذلت جهدي وطاقتي في رواج دولتكم، وسيّرت اسم الملك السعيد في الآفاق مشتهراً بالعدالة «وقد خدمتك أيّها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرت في دولتك سيرة جلبت لك حسن الذكر بها، فإن أجريت الأُمور بعدي على نظامها وقرّرت القواعد على أحكامها نسب ذلك الجميل السابق إليك ونسيت أنا في أثناء ما يثنى به عليك إلّا حدوثة الطيّبة لك، وإن غيّرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشهور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة، وقدح في دولتك ما يشيع في المستقبل عنك، فأظهر فخر الدولة قبول رأيه..»(١).

ولكنّه بعد وفاته صادره وأخذ أمواله ومملتكاته، وحرم أولاده منها، وصادر كلّ ما يختصّ بالوزير، وحصل له من ذلك أموال طائلة يطول شرحها ويتعسّر عدّها.

وجاء في روضة الصفا أنّ جنازة الصاحب لمّا حُمِلت لإقامة الصلاة عليها ترجّل أعيان الديلم عن دوابّهم وقبّلوا الأرض إجلالاً للصاحب، وعلّق النعش بسلاسل في السقف ثمّ حمل إلى اصفهان بعد مضي مدّة عليه ودفن هناك.

تولّى الصاحب أُمور الوزارة الخطيرة ثمانية عشر عاماً ولم يجمع ما جمعه من نفائس الكتب وزير ولا صاحب تاج خطير حتّى بلغت به الحال أن يحتاج إلى أربعمائة بعير لحمل كتبه، وكتب بنفسه وصنّف كتباً كثيرة منها كتاب «المحيط في اللغة» وهو سبعة مجلّدات، وكتاب «أسماء الله وصفاته» وكتاب في علم الكلام في الإمامة، وهذه الفقرات المذكورة أدناه أوردها الصاحب في مدح الإمام عليه السلام:

(١) راجع أعيان الشيعة ج٣ ص٣٦٤، ومقارنة هذا النصّ بنصّ الكتاب تظهر منه زيادة بعض الألفاظ التي اقتضتها الترجمة عند المؤلّف أعرضنا عنها.

صنوه الذي آخاه، وأجابه حين دعاه، وصدّقه قبل الناس ولبّاه، وساعده وواساه، وشيّد الدين وبناه، وهزم الشرك وأخزاه، وبنفسه على الفراش فدّاه، ومانع عنه وحماه، وأرغم من عانده وغلاه، وغسّله وواراه، وأدّىٰ دينه وقضاه، وقام بجميع ما أوصاه، ذلك أميرالمؤمنين لا سواه.

قال الشيخ أبوالفتوح الرازي: كان نقش خاتم الصاحب الكلمات التالية: «على الله توكّلت، وبالخمس توسّلت»، ونقشها الآخر كان كذلك: «شفيع إسماعيل في الآخره.. محمّد والعترة الطاهرة».

وقال الفاضل الطبرسي كما ورد في كتاب كامل البهائي أنّ صاحب الكافي قال: له عشرة آلاف بيت في مناقبهم والبرائة من أعدائهم، ومن شعر في مدح أميرالمؤمنين هذه الأبيات:

كان النبيّ مدينة العلم الذي ... حوت الكمال وكنت أفضل باب

ردّت عليك الشمس وهي فضيلة ... ظهرت فلم تستر بلفّ نقاب

لم أحك إلّا ما روته نواصب ... عادتك وهي مباحة الأسباب

ومن لطائف نظمه في بيان خلوص محبّته للإمام هذان البيتان اللذان نسبهما الشيخ أبوالفتوح الرازي في تفسيره له وهما:

أبا حسن لو كان حُبُّك مدخلي ... جهنّم كان الفوز عندي جحيمها

وكيف يخاف النار من كان موقناً ... بأنّ أميرالمؤمنين قسيمها

وله:

بحبّ عليّ تزول الشكوك ... وتزكو النفوس ويصفو النجار

ومهما رأيت محبّاً لهم.. ... فثَمّ الذكاء وثَمّ الفخار

ومهما رأيت عدوّاً له ... ففي أصله نسب مستعار

فـــلا تـــعذلوه عـــلى فـعله فـــحيطان دار أبـــيه قـصار

وله أيضاً:

أنا وجميع من فوق التراب فداء تراب نعل أبـي تـراب

من و هركس كه بر بالاى خاكست فـداى خـاک نـعل بـو تـرابـيم[١]

وله أيضاً:

يـا أمـيرالمؤمنين المـرتضىٰ إنّ قـلبي عـندكم قـد وقـفا

كلّما جـدّدت مـدحي فـيكم قال ذوالنصب نسيت السَّلَفا

مـــن كـمولاي عــليٌّ زاهـدٌ طـلّق الدنـيا ثـلاثاً ووفـىٰ

مـــن دعـىٰ للـطير إذ يأكـله ولنا فـي بـعض هـذا مكـتفىٰ

من وصـيّ المـصطفى عـندكم ووصيّ المصطفى من يصطفىٰ

ومن مدائحه الفريدة هذه القصيدة التي قالها في موضوع شوقه لزيارة الإمام وقد ذكرها الشيخ الأجل ابن بابويه في صدر كتاب «عيون أخبار الرضا» الذي كتبه من أجل الصاحب، قال:

شعر

يـــا ســـائراً زائـراً إلى طـوس مشـــهد طـهر وأرض تـقديس

أبلغ سـلامي الرضـا وحـطّ عـلىٰ أكـــرم رمسٍ لخـير مـرموس

والله والله حـــــلفة صـــدرت مـــن مـخلص فـي الولا مـغموس

إنّـــي لو كـــنت مـالكاً إرَبـي كـان بـطوس الفـناء تـعريسي

وكـنت أمضي الغـريم مـرتحلاً مـــنتسفاً فـــيه قـوّة العـيس

لمشـــهد بـــالزكاء مـــلتحف وبـــالسنا والثـــناء مأنـــوس

(١) بيت الشعر الفارسي هذا ترجمة للبيت أعلاه.

يا سيّدي وابن سادة ضحكت ... وجوه دهري بغير تعبيس
لمّا رايت النواصب انتكست ... راياتها في ضمان تنكيس ..
صدعت بالحقّ في ولايتكم ... والحقّ مذ كان غير منحوس
يا ابن النبيّ الذي به قمع ... الله ظهور الجبابر الشوس
وابن الوصيّ الذي تقدّم في ... الفضل على البزل القناعيس(١)
وجائز الفخر غير منتقص ... ولابس المجد غير تلبيس
إنّ بني النصب كاليهود وقد ... يخلط تهويدهم بتمجيس
كم دفنوا في القبور من نجس ... أولى به الطرح في النواويس(٢)
عالمهم عندما أُباحثه ... في جلد ثور ومسك جاموس
إذا تأمّلت شؤم جبهته ... عرفت فيها اشتراك إبليس
لم يعلموا والأذان يرفعكم ... صوت أذان أم قرع ناقوس
أنتم جبال اليقين أعلقها ... ما وصل العمر حبل تنفيس
كم فرقة فيكم تكفّرني ... ذلّلتُ هاماتها بفطّيس(٣)
قمعتها بالحجاج فانخذلت ... تجعل منّي بطير منحوس
إنّ ابن عبّاد استجار بكم ... فما يخاف الليوث في الحيس(٤)

(١) الوزن مختصلّ ولو وضعوا «البازل» مكان «البزل» لاستقام ولكن يتلف معناه ووجدت المصادر كلّها أقرّت البيت على اختلاله. «البزل» جمع بازل وهو البعير الذي انشقّ نابه. و«القناعيس» جمع «قنعاس»: العظيم.
(٢) مقبرة النصارىٰ والمجوس.
(٣) الفطّيس مثل الفسّيق: المطرقة العظيمة والكلمة روميّة أو سريانيّة / هامش عيون أخبار الرضا عليه السلام ص١٣.
(٤) منزل الأسد.

كونوا أيا سادتي وسائله يفسح له الله في الفراديس
كم مدحة فيكم تجبّرها كأنّها حلّة الطواويس
وهذه كم يقول قارئها قد نثر الدرّ في القراطيس
يملك رقّ القريض قائلها ملك سليمان عرش بلقيس
بلّغهُ الله ما يؤمّله حتّى يزور الإمام في طوس[(١)]

وهذه القطعة منه أيضاً في المعنى نفسه:

يا زائراً قد نهضا مبتدراً قد ركضا
وقد مضى كأنّه الـ ـبرق إذا ما أومضا..
أبلغ سلامي زاكياً بطوس مولاي الرضا
سبط النبيّ المصطفى وابن الوصيّ المرتضى
من حاز غرّاً أقعساً وساد مجداً أبيضا
وقل له من مخلص يرى الولا مفترضا
في الصدر لفح حرقة يترك قلبي حرضا[(٢)]
من ناصبين غادروا قلب الموالي ممرضا
صرحت عنهم معرضاً ولم أكن معرّضا
نابذتهم ولم أبل إن قيل قد ترفّضا
يا حبّذا رفضي لمن نابذكم وأبغضا
ولو قدرت زرته ولو على جمر الغضا
لكنّني معتقل بقيد خطب عرضا

---

(١) راجع سيّدنا الصدوق. عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص١٣ و ص١٤.

(٢) المريض.

جعلت مدحي بدلاً من قصده وعوضا
أمانة موردة على الرضيّ المرتضى
رام ابن عبّاد بها شفاعة لن تدحضا

ومن أشعاره التي تدلّ على براءته من عدوّ أهل البيت عليهم السلام هذه الأبيات:

قالت تحبّ معاويه قلت اسكتي يا زانيه
قالت أسأت جوابنا فأعدت قولي ثانيه
يا زانيه يا زانيه.. يا بنت ألفي زانيه
أأُحبّ من شتم الوصيّ علانيه[1]
فعلى يزيد لعنة وعلى أبيه ثمانيه

ومجمل القول: إنّ تشيّع الصاحب واهتمامه في نشر مذهب أهل البيت ودعوته لذلك، غاية في الشهره حتّى نسب إليه أهل اصفهان المذهب، كما روي أنّه في عهد الصاحب وأيّام حكمه رأى شيخ من أهل اصفهان رجلاً يزني بامرأته في داره فأخذ سوطه وأقبل على المرأة يجلدها، ولمّا كانت المزني بها سنيّة كانت تقول والسوط يأخذها: (القضاء والقدر) أي إنّ الزنا ليس ذنبي أنا بل ساقه إليّ قضاء الله وقدره. فقال لها الشيخ مؤنّباً: يا عدوّة الله أتزنين ثمّ تعتذرين بهذا العذر الباطل؟! فلمّا سمعت كلام الشيخ، أخذتها الغيرة على الدين فصاحت به: آه أيّها الشيخ! إنّك تركت السنّة واخترت مذهب ابن عبّاد! فتنبّة الشيخ لضلاله وخطأه فرمى السوط من يده واعتذر إليها وقال: أنت سنيّة حقّاً[2].

---

(١) أأُحبّ من شتم الوصيّ أخا النبيّ علانيه

(٢) ورأى شيخ بإصبهان رجلاً يفجر بأهله، فجعل يضرب امرأته وهي تقول: القضاء والقدر، فقال: يا عدوّة الله، أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوّه، تركت السنّة وأخذت مذهب ابن عبّاد ←

وجاء في تاريخ اليافعي: وكانت وفاة (الصاحب) ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالري ثمّ نقل إلى اصفهان ودفن بمحلّة بباب دريه...

وقال أبوالقاسم بن أبي العلاء الشاعر الاصبهاني: رأيت في المنام قائلاً يقول: لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك؟ فقلت: ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بما أبدأ منها وخفت أن أُقصّر وقد ظنّ فيّ الاستيفاء لها. فقال: احفظ واسمع ما أقوله. فقلت: قل. فقال:

ثوى الجود والكافي معاً تحت حفرة ... ليأنس كلّ منهما بأخيه

فقال هما اصطحبا هما ثمّ تعانقا ... فقلت ضجيعين في لحد بباب دريه

فقال: إذا ارتحل الثاوون من مستقرّهم ... فقلت: أقاما إلى يوم القيامة فيه

وممّا رثاه الشعراء قول أبي سعيد الرستمي:

أبعد ابن عبّاد يهشّ إلى السرىٰ ... أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله إلّا أن يموتا بموته ... فما لهما حتّى المعاد معاد..[1]

أبو محمّد الحسن بن محمّد بن هارون بن إبراهيم ابن عبدالله بن يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلّب ابن أبي صفرة الأزدي المهلّبي

وزير معزّ الدولة بن بويه.

قال ابن خلّكان: وكان من ارتفاع القدر واتّساع الصدر وعلوّ الهمّة وفيض

⊃ الرافضي، فتنبّه وألقى السوط وقبّل ما بين عينيها واعتذر إليها وقال: أنت سنيّة حقّاً/ المازندراني: شرح أُصول الكافي ج ٥ ص٨.

(١) مرآة الجنان ج ١ ص٣٨٥.

الكفّ على ما هو مشهور به، وكان غاية في العلم والأدب والمحبّة لأهله (وكان يطمح بهمّته العالية دائماً لإحراز الجميل) وكان قبل اتصاله بمعزّ الدولة في شدّة عظيمة من الضرورة والضائقة، وكان قد سافر مرّة ولقي في سفره مشقّة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه، فقال ارتجالاً:

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيدٍ وددت لو أنّني ممّا يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرّ تصدّق بالوفاة على أخيه

وبعد ذلك تقلّبت به الأحوال حتّى نال وزارة معزّ الدولة باقتدار واختيار تامّين، وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لأربع بقين من المحرّم سنة إحدىٰ وتسعين ومأتين بالبصرة. وتوفّي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في واسط وحمل إلى بغداد ودفن في مقابر قريش في مقبرة (النوريخشيّة) النوبختيّة[1] وهم أُسرة صالحة من أهل الشيعة الإماميّة. وابن أبي الحجّاج البغدادي[2] ـ وهو واحد من الشعراء الإماميّين وسوف يأتي ذكره في مجلس شعراء العرب ـ رثاه بهذه الأبيات فقال:

يا معشر الشعراء دعوة موجع لا يرتجىٰ فرج السلوّ لديه
عزّوا القوافي بالوزير فإنّها تبكي دماً بعد الدموع عليه
مات الذي أمسى الثناء وراثه والعفو عفو الله بين يديه

(١) الكلمة بين القوسين للمؤلّف والصحيح ما قاله ابن خلّكان لأنّ آل نوبخت من الأُسر العلميّة المعروفة / وفيات الأعيان ج٢ ص١٢٤ بتصرّف من المؤلّف.

(٢) هو الحسين ابن الحجّاج الشاعر الشيعي المشهور، ولا أعلم أن كان يكنى بالكنية التي ذكرها المؤلّف أم لا.

هدم الزمان بموته الحصن الذي كـنّا نـفرّ مـن الزمـان إليـه
فـليعلمنّ بـنو بـويه أنّـه فـجعت بـه أيّام آل بـويه..[١]

أبو طاهر محمّد بن محمّد بن بقيّة

ورد في تاريخ ابن كثير الشامي عن ابن بقيّة: ذلك أنّ هذا الرجل كان وضيعاً عند الناس لا حرمة له، كان أبوه فلّاحاً بقرية كوثا، وكان هو ممّن يخدم عزّ الدولة، كان يقدّم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه إلى أن ولي الوزارة، ومع هذا كان أشدّ ظلماً للرعيّة من الذي كان قبله[٢].

وكان أوّل منصب ناله في أيّام معزّ الدولة جعل له الأشراف على مطبخ عزّالدولة ثمّ ترقّت به المناصب، ولمّا هلك معزّالدولة واستقلّ عزّ الدولة حدب على رعايته وتربيته فاستولى على عزّ الدولة حتّى بلغ به الأمر أن عزل وزيره أباالفضل الشيرازي صاحب المذهب السنّي الذي تعصّب لأهل السنة في الحوادث الدامية التي دارت رحاها بينهم وبين شيعة بغداد في دارالسلام وأقام ابن بقيّة مقامه وبلغ من علوّ جاهه واتّساع سلطانه أن كان يحرق في مجلس عمله ألف طُنّ من الشمع ناهيك بما سواه وتنعّمه وتكاليف حياته، وقس على هذا سائر نفقاته ونفقات أعوانه في كلّ مورد من موارد الحياة.

وعندما وقع النزاع بين عزّ الدولة وبين عضد الدولة على منصب أمير أُمراء بغداد كتب عضد الدولة إلى ابن بقيّة كتاباً أراد فيه أن يقلبه على وليّ نعمته ولكن ابن بقيّة لم يعر الكتاب اهتماماص وكتب في جوابه أنّ الخيانة والغدر ليستا من شيم الرجال، ومع هذا لقد كان يسبّ عضد الدولة ليرضي وليّ نعمته، ولا بدع

---

(١) وفيات الأعيان ج٢ ص١٢٧.

(٢) ج١١ ص٣١٥.

أن يقصد عضد الدولة بغداد ويقتل عزّ الدولة في الحرب التي دارت بينهما ويدخل بغداد منتصراً، وعندئذٍ جدّ في طلب ابن بقيّة حتّى قبض عليه وألقاه تحت أرجل الفيلة حتّى هلك، ثمّ صلبه في «المارستان». ورثا أبوالحسن محمّد بن عمر بن يعقوب الأنباري وكان مصاحباً له ونديماً بهذه الأبيات «لطيفة السمات»[1] البديعة، فقال:

علوّ في الحياة وفي الممات ... لحقّ[2] أنت إحدى المعجزات
كأنّ الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيّام الصلاة
كأنّك قائم فيهم خطيباً ... وكلّهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالاً ... كمدّهما إليهم بالهبات
ولمّا ضاق بطن الأرض عن أن ... يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجوّ قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعىٰ ... بحفّاظ وحرّاس ثقات
وتشمل عندك النيران ليلاً ... كذلك كنت أيّام الحياة
ركبت مطيّة من قبل زيد ... علاها في السنين الماضيات
وتلك قضيّة فيها تأسٍّ ... تباعد عنك تعيير العداة[3]
ولم أر قبل جذعك قطّ جذعاً ... تمكّن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات

(١) السجع من سيّدنا المؤلّف.
(٢) عند المؤلّف: بحقّ أنت الخ.
(٣) وعند المؤلّف هكذا:
وتلك فضيلة فيها أناس ... تباعد عندك تغيير العداة
والصحيح ما أثبتناه.

وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات
وصيّر دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيّئات
وكنت لمعشر سعداً فلمّا مضيت تفرّقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي حقيق[1] بالدموع الجاريات
ولو أنّي قدرت على قيام[2] لفرضك[3] والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ولكنّي أُصبّر عنك نفسي مخافة أن أعدّ من الجناة
ومالك تربة فأقول تسقىٰ لأنّك نصب هطل الهاطلات
عليك تحيّة الرحمن تترىٰ برحمات غواد رائحات[4]

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: لمّا صنع أبوالحسن المرثية التالية، كتبها ورماها في شوارع بغداد، فتداولتها الأُدباء إلى أن وصل الخبر إلى عضدالدولة فلمّا أُنشدت بين يديه تمنّى أن يكون هو المصلوب دونه، فقال: علَيّ بهذا الرجل، فطُلب سنة كاملة، واتصل الخبر بالصاحب ابن عبّاد وهو بالري، فكتب له الأمان، فلمّا سمع أبوالحسن ابن الأنباري بذكر الأمان قصد حضرته، فقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: نعم، قال: أنشدنيها من فيك، فلمّا أنشد:

ولم أر قبل جذعك قطّ جذعاً تمكّن من عناق المكرمات

قام إليه الصاحب وعانقه وقبّل فاه وأنفذه إلى عضد الدولة، فلمّا مثل بين يديه قال له: ما الذي حملك على مرثية عدوّي؟ فقال: حقوق سلفت، وأيادٍ

---

(١) تخفّف ـ المؤلّف.

(٢) قيامي.

(٣) بفرضك.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر ج ٢ ص ٤٤٠.

مضت، فجاش الحزن في قلبي... فلمّا سمعها خلع عليه وأعطاه فرساً وبدرة.

قال ابن خلّكان: وهذه القصيدة اتفق العلماء على أنّه لم يعمل في بابها مثلها..[1]

أبو العلاء بن بطّة

قال الشيخ عبدالجليل الرازي: هو وزير عضد الدولة وكان شيعيّاً صحيح الاعتقاد وله قصيدة في مدح أهل البيت عليهم السلام وآخرها هذا البيت:

سيشفع لابن بطّة يوم تبلي … محاسنه الترابُ أبو تراب[2]

أبو غالب فخر الملك ابن عليّ بن خلف الواسطي

قال ابن كثيّر الشامي: كان أبوه صيرفيّاً فتنقّلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاءالدولة ابن عضد الدولة، وقد اقتنى أموالاً جزيلة وبنى داراً عظيمة(ببغداد) تعرف بالفخريّة... وكان جواداً كثير الصدقة (كثير الصلات والصدقة ـ المؤلّف) كسىٰ في يوم واحد ألف فقير[3] (وكان كثير الصلاة أيضاً) وهو أوّل من فرّق الحلاوة ليلة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيّع.

وقد صادره سلطان الدولة بالأهواز وأخذ منه شيئاً أزيد من ستّمائة ألف دينار خارجاً عن الأملاك والجواهر والمتاع، قتله سلطان الدولة، وكان عمره يوم قُتِل

---

(١) وفيات الأعيان ج٥ ص١٢٢ والظاهر أنّ المؤلّف أخذها من ابن خلّكان لأنّي بحثت عنها ولم أستقص في تاريخ ابن عساكر فلم أجدها.

(٢) أخذ من السيّد الشهيد صاحب مجالس المؤمنين صاحب أعيان الشيعة والكنى والألقاب، والشيعة وفنون الإسلام، واكتفوا بما قاله سيّدنا الشهيد فلم يضيفوا عليه شيئاً ولم يذكر إلّا البيت الواحد الذي أورده سيّدنا.

(٣) عند سيّدنا أنّه يكسو في كلّ يوم ألف فقير، لاحظ الفرق بين القولين.

ثنتين وخمسين سنة وأشهر[١].

وجاء في كتاب تاريخ الوزراء..: كان أبو غالب وزيراً لمشرف الدولة، ولمّا خطب مشرف الدولة في بغداد باسمه طلب جماعة من الديلم من مشرف الدولة الإذن لهم بالذهاب إلى الأهواز لجمع أعوانهم هناك، وكانوا يميلون بالهوى إلى سلطان الدولة، فأمر مشرف الدولة أبا غالب بمرافقتهم لئلّا يخلفوا وعدهم، ولمّا وصلوا إلى الأهواز أعلنوا الخلاف على مشرف الدولة وقتلوا أبا غالب وقضوا عليه.

أبوالحسن ابن المفضّل بن سهلان أبو محمّد الرامهرمزي

جاء في تاريخ ابن كثير: وزير سلطان الدولة وهو الذي بنى سور الحائر عند مشهد الحسين عليه السلام، استشهد في سنة عشر وأربعمائة[٢].

وجاء في تاريخ الوزراء: إنّ ابن سهلان انتظم في سلك وزراء الديلم ولم يتوقّف عن المكر والتزوير دقيقة واحدة، وطالما وقع النزاع المسلّح بين سلطان الدولة ابن بهاء الدولة وأخيه مشرف الدولة بسببه إلى أن اصطلحوا على عدم استيزاره لأيٍّ منهما، وتأمّر مشرف الدولة نيابة عن أخيه وتعطى مملكة فارس والأهواز إلى سلطان الدولة. مِن ثَمّ توجّه سلطان الدولة عن عراق العرب إلى الأهواز، ولمّا بلغ تستر نقض العهد واستوزر ابن سهلان وأمّره على عسكر جرّار وأرسله إلى حرب مشرف الدولة، واستقبله هذا على عزم الحرب والقتال، فحلّت الهزيمة بابن سهلان وارتفع إلى واسط فحاصره شرف الدولة فأصاب الناس قحط عظيم حتّى أكلوا الكلاب والقطط، فلم يبق منهما أثر لذلك خرج

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٢٠.

ابن سهلان من القلعة، وذهب خاضعاً منكسراً لمشرف الدولة، وألغىٰ مشرف الدولة في سنة أحد عشر وأربعمائة اسم سلطان الدولة من الخطبة واستقلّ بالملك، وفي سنة اثني عشر اتّفق معه أخوه الآخر جلال الدولة وكان حاكماً على البصرة على مناوئة سلطان الدولة ثمّ اتّفق الأخوان على اعتقال ابن سهلان وكحّلوه.

عميد الملك أبو نصر الكندري

قال ابن كثير الشامي: عميد الملك وزير طغرل بك، وكان رافضيّ المذهب، ودفع شرّ رئيس الرؤساء ـ وكان وزيراً للخليفة وسنّيّاً متعصّباً ـ عن شيعة بغداد ودفع أذاه.

وذكر في تاريخ الوزراء: إنّ عميد الملك اشتهر بوفور العقل والفراسة وصنوف الفضل والكياسة، وعرف بذلك ووصف به، وكانت له اليد البيضاء في صنعة الإنشاء والفصاحة، وفنّ الاستيفاء والسياقة، وكان يبذل في إحياء مراسم الجود والسخاء سعياً موفوراً، وجهداً غير محصور، وفي أيّام اختياره وصعود نجمه واعتباره رفع رايات العدل والإنصاف، وكان في عهد السلطان «طغرل بك» شغل نفسه بتنظيم مهامّ الوزارة مع الاستقلال التامّ، ولمّا وقع زمام الملك إلى ألب ارسلان عمد إلى هذا الوزير المصيب فقيّده وآخذه، واتفق نظام الملك الطوسي ـ الذي كان خائفاً من كمال كياسة عميد الملك وبُعد نظره ـ مع بعض الأُمراء على قتله واهتمّوا الذلك ولفّقوا تُهَماً وأقوالاً عليه حتّى حصلوا على الإذن بقتله.

ونقل عنه أنّ أبا نصر لمّا استسلم لتقدير الله خاطب السيّاف فقال: إذا فرغت من مهمّتك قل لأرب أرسلان عن لساني: أنّي بلغت هذا المقام ووصلت إلى

هذه المنزلة ونلت دولة هذا العالم وحكومته الغاية بفضل عناية عمّه طغرل بك، ووصلت إلى درجة الشهادة ونعمة السعادة في الحياة الأبديّة والدولة السرمديّة بفضل قسوتك وعدم رحمتك؛ إذاً بلغت أنا السعادة الدنيويّة والأُخرويّة والمرادات والمتطلّبات الصوريّة والمعنويّة بكم، وقل للوزير صائب التدبير إنّك وضعت سنّة في أُسرة السلاجقة بل بدعة شانئة فيهم؛ فالعجل العجل فإنّ كلّ ما فكّرته فيّ سوف تراه في عقبك ويحلّ بخلفك. وأخيراً كلّ ما قاله عميدالملك وجرى على لسانه وقع في أولاد الخواجه نظام الملك وأحفاده.

شعر

ای دوست بر جنازهٔ دشمن چو بگذری　　شادی مکن بر تو همين ماجرا رود

حبيبي إن مررت على عدوّ　　له نعش يشال إلى القبور

فلا تفرح فسوف ترى شبيهاً　　لما لاقىٰ من الأمر الخطير

سعد الملك الرازي

أصله من آبه لذلك أطلق عليه بعضهم فسمّاه «الآبي» وهذا أمر سهل فإنّ آبه لا تبعد عن الري إلّا مسافة جدٌّ قليلة.

كان كاتباً ونائباً ومديراً للسلطان محمّد السلجوي قبل أن يصل السلطان إلى قيادة العالم، ولمّا لبس السلطان تاج الملك فوّض إلى سعد الملك مقام الوزارة، وكان متواضعاً ذا أخلاق عالية، وكان يُدير أُمور الوزارة بشرف وحياء وعزّة وتمكين.

وقال الشيخ عبدالجليل الرازي ﵀ في كتابه «النقض» ردّاً على بعض الطاعنين في «سعد الملك» أنّه كان شيعيّاً إماميّاً صحيح الاعتقاد، ولمّا حسده «خواجات»

دولة السلطان محمّد السلجوقي ألزموه بالاعتراف بأُمور باطلة وغيّروا السلطان محمّد عليه، فأمر بصلبه ولكنّه ندم من ذلك في اليوم الأوّل واحتجب ثلاثة أيّام، ولمّا جلس في اليوم الرابع على عرش الملك خافه الذين تقصّدوا سعد الملك بالوقيعة، فقام «شمس الرازي» الشاعر بين يديه ورفع عقيرته وقال:

شعر

تو را سعد و بوسعد بودند يار	**چو تاج از بر سر در آويختى**
در آويخت بايست بدخواهشان	**تو آن هر دوان را برآويختى**
قد كان سعد وزيراً بعد صاحبه	**وعاضداك على عسرٍ وميسور**
حتّى اعتصبت بتاج الملك مبتهجاً	**فضاء وجهك مثل البدر فى النور**
فلم رضيت بما قال العدوّ ولم	**تشدد يداك بغاو أو بمغرور**
فأمسك عدوّاً لحاه الله عابهما	**وامنع حماك بنحر منه منحور**

فبكى السلطان وخلع على الشاعر وأمر بدفن سعد الملك بحرمة تامّة. إذن يعلم كلّ عاقل أنّ السعدين لو كانا ملحدين كما توهّمه بعض أهل العناد لما نظم هذا الشاعر المعروف بين يدي ملك مهيب ذي سياسة جبّارة مثل هذا الشعر ولم يتقبّله السلطان بقبول حسن ويخلع على الشاعر ويخبره.

ويتجلّى لنا من حديث الشيخ عبدالجليل المذكور الذي تقدّم أنّ ما قاله صاحب جامع التواريخ من إلحاد سعد الملك وعذره موضوع منه، ونقله صاحب تاريخ الوزراء أيضاً لمحض العناد والإلحاد، ولا عبرة بحديث صاحب جامع التواريخ الذي هو من غلاة الشافعيّة في حقّ الشيعة، وصاحب تاريخ الوزراء وإن كان محتاجاً إلى التقيّة المقلوبة وبناءاً على هذا فإنّه يخفي تعصّبه في التسنّن ولكنّه لم يلبث أن ينثّ منه أحياناً كما سوف نبيّنه في أحوال الوزير معين الدين أبي نصر أحمد الكاشاني.

والتحقيق هو: أنّ صدر الدين الخجندي قاضي اصفهان وأبو سعيد الهندي وشمس الدين عثمان بن نظام الملك فقد قال صاحب جامع التواريخ أنّهم اجتمعوا على خلاف سعد الملك ونسبوا الإلحاد إلى ذلك الوزير صحيح الاعتقاد من شدّة العداوة له، ومع هذا كانوا يطمعون بمنصبه وما فتئوا يخطّطون لعزله ويرسمون الأحابيل والخفط من أجل ذلك.

مجد الملك أبوالفضل أسعد بن محمّد بن موسى البراوستاني القمّي

قال صاحب معجم البلدان: براوستان: من قُرى قم، منها الوزير مجد الملك أبوالفضل أسعد بن محمّد البراوستاني وزير السلطان بركيارق بن ملكشاه، كان غالباً عليه، واتّهمه عسكره بفساد حاله وشغبوا عليه وسلّمه إليهم بشرط أن يحفظوا مهجته فلم يطيعوه وقتلوه[1]، وتفصيل هذه القصّة على الوجه الذي ذكره حبيب السير كما يلي:

إنّ السلطان ملكشاه عزل الخواجه نظام الملك في آخر أيّام السلطان وأسند منصب الوزارة إلى التاج أبيالغنائم القمّي، واستبدل مجد الملك أبا الفضل القمّي بشرف الملك أبا سعيد الكاتب، وكان بركيارق يقيم في خراسان، ولمّا عزل مؤيّد الملك عن الوزارة صار سبباً في إثارة غبار الفتنة، وذهب بأخره إلى «گنجه» واعتنى بالسلطان محمّد الذي كان والياً على تلك الديار، وشجّع مؤيّد الملك السلطان محمّد ملكشاه على إعلان الخلاف على أخيه حتّى جمع جيشاً عرمرماً.

---

(١) ج ١ ص ٣٦١ آلي.

وخرج في شوّال سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من گنجه بعزم القتال، وأقبل بركيارق أيضاً يريد أخاه، وفي أثناء الطريق عزم كبار الأُمراء على قصد مجد الملك الذي احتلّ المنصب، والسبب في ذلك أنّ مجد الملك استطاع أن يملأ الخزانة ويرفع عوزها ويوفّر المال على الديوان ممّا أوصد باب المنافع في وجوه المقرّبين. ولمّا رأى مجد الملك أنّ البلاء قد انحدر عليه كالسيل لاذ بعطف بركيارق وهرب من الأُمراء وألقى بنفسه في محيط دولته فتعقّبه الأُمراء حتّى اصطفت جنودهم قريباً من حمى السلطان وأرسلوا وافداً إلى بركيارق يطلبون مجد الملك ولكنّه ردّهم ولم يقبل رجاءهم والتماسهم، فأساء الأُمراء الأدب ودخلوا قصر الملك وقطّعوا مجد الملك إرباً إرباً، فخاف بركيارق من ذلك خوفاً شديداً، وقوّض مضاربه ونحّىٰ دار ملكه بالري من طريق قهستان.

وذكر الشيخ عبد الجليل أنّ «حضرة الخواجه» كان شيعيَّ المعتقد، مستبصراً عالماً عادلاً، وله آثار خيرة ظاهرة في الحرمين مكّة والمدينة، وتواتر إحسانه في مشاهد الأئمّة الطاهرين والسادات الفاطميّين، وبلغ من إحسانه أنّه أعطى على قصيدة بائيّة قرأها عليه الأمير المعزّي ألف دينار ذهباً أحمر.

وروى عن السيّد السعيد فخرالدين شمس الإسلام الحسني أنّه قال: كنت يوماً في خدمة مجد الملك إذ أقبل تاجران غريبان أحدهما من بلاد حلب شيعيّ واسمه علي، والآخر من بلاد ماوراء النهر حنفيّ واسمه عمر، وكلاهما لهما في ذمّة السلطان مبلغ من المال، فأمر من اسمه عمر أن يُعطى من الخزانة ذهباً نقداً، وأعطى عليّاً الحلبي «حوالة» «سفتجة» على أحد البلاد، وكان أحد الفرّاشين حاضراً، فقال: يا للعجب! أتعطي عمر نقداً وتعطي عليّاً نسيئة؟! قال: أنا أعلم لماذا صنعت هذا بهما وإنّما فعلته ليدرك العالم بأنّ التعصّب لا وجه له في

الحكم وفي المعاملات ولذلك شملت الرعاية أهل السنّة أيضاً، فأنعم عليهم وراعاهم ومكّنهم.

والحقّ أنّ طائفة الشيعة العليّة والسادات المرضيّة ينبغي أن يكون حقّهم أكبر وفوائدهم أكثر ونصيبهم أغزر من الأمّة كافّة، ولكن لا ينبغي أن يفرق بينهم وبين الآخرين في المرحمة والشفقة، بل يعطي الجميع عطاءاً واحداً بقدر الطاقة والاستطاعة. وقد عرف بهذه الطريقة المرضيّة على مرّ الدهور والأعصار، وكرّ الشهور والأعوام، واقتدىٰ به بعد ذلك من عرف بهذه الطريقة.

وبهذا ظهر فساد ما قاله صاحب كتاب «فضائح الروافض» فإنّه قال: لمّا آلت الوزارة إلى أبي الفضل البراوستاني في عهد بركيارق والسلطان محمّد، قبضوا ذات يوم على «قصّار» بدين أو جرم في بلاد الري واسم القصّار أبوبكر ولكنّه رافضيّ، ولمّا حملوه إلى مجد الملك قال: خذوه وعلّقوه، فقال الحاضرون: يا للّه! إنّه مؤمن. قال: أنتم قلتم اسمه أبوبكر ولابدّ من قتل من تسمّىٰ بهذا الاسم. وفساد القول أنّه من المستحيل أن يصدّق الإنسان أن يكون ملك في المشرق أو المغرب يعهد إلى جاهل غبي أن يقتل بريئاً لمجرّد كونه سمّي باسم أبي بكر، وما قيمة هذا القول بإزاء الحقيقة الواضحة من وجود آلاف الناس في حاشيته وخدمه، أسمائهم أبوبكر وعمر وعثمان، بين سنّة وشيعة، وله سبعمائة مولى تركي مذهبهم الحنفي وهم سنّة.

ومن آثار مجد الملك القبّة التي بناها على مشهد الإمام الحسن في البقيع وفيها يرقد معه عليّ زين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق والعبّاس بن عبدالمطّلب عليهم السلام، وبنى رواق عثمان بن مظعون، ويعتقد أهل السنة أنّه مقام عثمان بن عفّان الذي بناه، وبنى مشهد الإمام موسى الكاظم والإمام محمّد التقي

في مقابر قريش ببغداد، ومشهد السيّد عبدالعظيم الحسني في بلاد الري، وغيرها من مشاهد السادة العلويّين والأشراف الفاطميّين عليهم السلام، كلّ ذلك من آثاره. ومن جملة آثاره الحسنة نومه بعد شهادته بجوار فائض الأنوار الإمام الحسين عليه السلام، رحمه الله تعالى.

الأُستاذ أبو منصور الآوي

قال الشيخ عبدالجليل الرازي: كان الأُستاذ أبو منصور وأخوه أبو سعيد وزيرين محترمين صاحبَي جاه وتمكّن ورفعة، مقامهما أوضح من الشمس في رائعة النهار، ولا يعتقد أهل آبه بغير التشيّع، ولبندار الرازي له سبعة وعشرون قصيدة غرّاء في مدح هذين الأخوين.

قال صاحب «جامع الحكايات»: إنّ الأُستاذ أبا منصور انتظم في سلك وزراء طغرل وما فتئ يقوم بأداء الوظائف والطاعات والرواتب والعبادات، ويجلس في كلّ صباح على مصلّاه بعد الفريضة يتهجّد بالأوراد منذ الفجر إلى مطلع الشمس، ثمّ يركب إلى السلطان.

حدث ذات يوم أن عرض للسلطان أمر مهمّ فأقبل على غلام له يدعىٰ «گاه تركس»[1] وأرسله لإحضار الوزير، فوجده كما جرت على ذلك عادته مشغولاً بقرائة الأذكار فلم يجب المبعوث إليه من جهة السلطان، ولمّا طال انتظار المليك وهو صاحب الأمر والنهي وخرج عن الحدّ المسموح به، وجد جماعة من ذوي الغمز والسعاية الفرصة سانحة فأطلقوا ألسنتهم بثلبه وغيبة الوزير، وقالوا: إنّ أبا منصور لما يتحلّى به من عدم التوجّه والعجب بالنفس لا يلتفت إلى أوامر فاتح العالم ويرميها جانباً، ويسوّف في تنفيذها ويحضر إلى الديوان متأخّراً.

---

(١) لست على ثقة من ترجمة هذا الاسم فأرجو من القارئ أن يكون على بيّنة منه.

فغضب السلطان من سماع حديثهم، ولمّا حضر الوزير عنده وبلغ حافة السرير لمن هو للسلطنة مسير، زجره صائحاً به: لماذا تأخّرت عن الحضور إلى ملجأ العالم؟ فأجابه: أنا العبد مخلوق لإله العالم، وعبد لسلطان الوجود، وقد نذرت على نفسي إن لم أعرض عبوديّتي في كلّ صباح ولم أتضرّع بين يدي الكريم البارئ المصوّر، لا أقف في نظام خدّام السلطان.

فخمدت نار غضب السلطان وهدأت نائرته من سماع هذه الكلمات الحيّة وغشّا أبا منصور بنور عنايته.

شعر

اى خوش آن داناكه پيش شاه دم — گاه قهر از نكتهٔ خوش مى‌زند
نكته‌اى چون آب مى‌آرد لطيف — شاه را آبى بر آتش مى‌زند
حبّذا ذلك العليم الذي يحكي — لسلطانه النكات الظريفه
إنّها في الصفاء كالماء تروّي — ثمّ تطفي نار الملوك العنيفه

تاج الملك أبو الغنائم القمّي

جاء في تاريخ الوزراء: إنّ مزاج السلطان ملكشاه كان قد تغيّر في أُخريات أيّامه على الخواجه نظام الملك، ولمّا ك ان سبب هذا التغيير هو تغيّر مزاج زوجته «تركان خاتون» مِن ثَمّ خرج الأمر بتولّي تاج الملك القمّي - صاحب ديوان الخاتون المذكورة وهو وزير صاحب تدبير، ولم تبرح العداوة بينه وبين نظام الملك متّقدة - المهمّات الديوانيّة، وبعد مضي أيّام قليلة طعن أبو طاهر الأواني وهو من فدائي حسن الصبّاح نظام الملك بإيعاز من تاج الملك بمدية حادّة فقضى عليه، واستبدّ التاج (تاج الدولة) بالوزارة على الاستقلال.

شرف الدين أبو طاهر بن سعد القمّي

اختار في أوائل أيّام شبابه الخروج من بلدة قم التي كان فيها مولده إلى بغداد، وانتظم في سلك جيش السلطان ملكشاه. وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة حين شكى رعايا مرو من عاملهم إلى حضرة ملجأ العالم الخواجه نظام الملك فعهد بولاية مرو إلى شرف الدين وأمر أن يكتب في المنشور الذي يقرّ فيه عمل العامل على مرو اسم «وجيه الملك» له، واشتغل بهذه الولاية أربعين عاماً عاملاً على مرو، ثمّ أوكل إليه رعاية ديوان والده سنجر، فكان صاحب الديوان، ولمّا توفّي شهاب الدين ارتفع نجم سعده وكوكب إقباله إلى أوج الشرف والدولة فانتقل إلى منصب الوزارة وكان غاية في التديّن والتقوىٰ والالتزام بأُمور الشرع، فاشتغل بالوزارة في أسمىٰ مراتب الحلم والوقار، وبعد أن قضى في الوزارة ثلاثة أشهر لبّى النداء: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[1] بسمع روحه، وانتقل إلى رياض الجنان، واختار فيها منزله.

شعر

همين خو دارد اين چرخ جفا كوش ... كه بى نيشى نبخشد شربت نوش

نماند تشنگان را شربت جام ... ولى در خاك ريزدگاه آشام

يقول صاحب جامع التواريخ: إنّ مرقد شرف الدين ومثواه الأخير في حمى الروضة الطيّبة للإمام الثامن وجوارها، فهو جار الإمام الرضا عليه السلام.

وهناك قرية واقعة في ناحية من نواحي المشهد المقدّس وقف على ذلك الرجل العظيم.

(١) الفجر/٢٧ و٢٨.

أبوالحسن جعفر بن محمّد بن فطير

قال ابن كثير: جعفر بن محمّد بن فطير أبوالحسن، أحد الكتّاب بالعراق، كان ينسب إلى التشيّع، وهذا كثير في أهل تلك البلاد لا أكثر الله منهم، جاءه رجل ذات يوم فقال له: رأيت البارحة أميرالمؤمنين عليّاً في المنام فقال لي: اذهب إلى ابن فطير فقل له: يعطيك عشرة دنانير.

فقال له ابن فطير: متى رأيته؟

فقال: أوّل الليل.

فقال ابن فطير: وأنا رأيته آخر الليل، فقال: إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئاً فلا تعطه.

فأدبر الرجل مولّياً، فاستدعاه ووهبه شيئاً.

ومن شعره هذه الأبيات:

ولمّا سبرتُ الناس أطلب منهم أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
وفكّرت في يومي سروري وشدّتي وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرّني غير حاسد[1]

معين الدين أبو نصر أحمد الكاشاني

الشيخ عبدالجليل الرازي في كتاب «نقض الفضائح» عدّه من وزراء الشيعة وقال: لا يحتمل هذا الكتاب ما شاده وأخواه بهاء الدين ومجد الدين من المدارس والمساجد والقناطر والربط والمشاهد، وردّ المظالم والصلاة، واستشهد معين الدين بآخرة بمدية الملاحدة.

(١) البداية والنهاية ج١٢ ص١٠.

وفي كتاب تاريخ الوزراء وغيره جاء مسطوراً: إنّ معين الدين أبا نصر الكاشاني يتحلّى بأنواع الفضائل النفسانيّة وأصناف الكمالات الإنسانيّة، ويتخلّى عن الأفعال الرديئة والأوصاف الدنيئة مثل العجب والنخوة والكبر والخسّة.

خاله: ناصح الملوك عزيز الحضرة أبو طاهر إسماعيل الذي انتظم في سلك أكابر كاشان ومشاهيرها، زرع مودّته في قلوب أصحاب الدولة لما طبع عليه من وفور الجود والسخاء وكثرة العطاء والمروّة، وفوّض إليه السلطان ملكشاه نيابة «أمير قماج»[1] وكان يُعَدّ من أعيان المملكة، وأخذ عزيز الحضرة يترقّىٰ يوماً فيوماً من رتبة إلى رتبة حتّى آل به الأمر أن تكون ولاية كاشان طعمة له، فوهب للرعيّة خراج أربع سنين، ووصل ذوي البيوتات القديمة بالصلات الضخمة، وقضى عن الغرماء ديونهم، وبنى داراً للشفاء ومدرسة في كاشان وأبهروزنجان وگنجه، ولمّا أصبح سلطان ملك شاه كالهشيم تذروه الرياح، ولبس السلطان بركيارق السلطانة، طمع «أمير أياز» وكان يحظى بمزيد القرب من جميع أركان الدولة بأموال كاشان المنسوبة إلى عزيز الحضرة، وكان قد جاور ربّه، ولمّا كان والد معين الدين أبي نصر يقضي جلّ أوقاته العزيزة بالذكر والدعاء والعبادات والطاعات، ومافتئ يصرف أولاده عن حمل أعباء الديوان ولزوم حضرة السلطان.

ولكن معين الدين نزولاً على مقتضىٰ القاعدة القائلة: «الولد الحلال يشبه الخال» شغل نفسه بملازمة السلطان وصار في عهد السلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه منشي الممالك ومستوفيها، ويوماً فيوماً يرتفع نجمه فيزداد قرباً

(١) أمير قماج: حاجب السلطان ملكشاه ألب ارسلان. راجع تاريخ گزيده ط لندن ج١ ص٤٤٤ عن «لغتنامه دهخدا».

وعلوّاً، وكانت الري عند عوده السلطان سنجر من ممالك العراق إلى جهة خراسان تعود إلى معين الدين، ولمّا كان قد استوفر أموالاً جزيلة للديوان واعتمد طريق الكفاية في تناولها من الناس ولم يقسُ على أحد من الرعيّة أو يغتصب منه مالاً وله على ذلك صكوك جمّة قد تناولها تشهد له بحسن التصرّف وما برح يتابع النقود غير المعدودة والأموال المتواترة والأجناس التي لا تقاس، ويبعث بها إلى خزانة السلطان، ويرسل التحف والهدايا لجذب قلوب «الخوانين»، ولمّا عزل السلطان محمّد بن سليمان وخطّ في صحيفته حروف العزل، أمر «فخر الدين طغيان بيك» باستحضار معين الديين فاستدعاه وقرّبه من موفور المراحم السلطانيّة وصنوف العواطف الخاقانيّة، وأركبه مطيّة الأمل، وأمّر معين الدين بأمر السلطان وحكمه على خراسان، وكان لا يبلغ الولاية أيّ ولاية حتّى يغمر أهلها بالفضل والإحسان والعواطف النبيلة، وبعد أن بلغ «مرو شاهجان» اختلىٰ به السلطان فاستشاره في باب بعض المهمّات والمصالح الخاصّة بالمملكة فأرشده معين الدين إلى الصواب بمنتهى الكياسة وحسن السياسة، فازدادت ثقة السلطان به وحسنت فيه عقيدته:

شعر

جانا چو زدى خنده و لب بگشودى　　مهر دگرم بر سر مهر افزودى

إن ابتسمت حبيبي　　وافترّ ثغر منضّد

قد زدتني ألف حبّ　　به أتيه وأسعد

وفي اليوم الثالث صدر حكم السلطان يتولّي معين الدين الوزارة، فاستعفاه من هذا الأمر الخطير، فأوفد إليه السلطان نظام الدين محمود بن برانقوش ومقرّب الدين جوهر الخادم وقال له على أيديهما: الظاهر أنّك طلبت الإعفاء

من منصب الوزارة لهذا السبب وهو أنّي غضبت على بعض الوزراء الذين سبقوك، وينبغي أن اشرح لك جليّة الحال لتكون على بصيرة من هذا الأمر:

إنّي في مطلع عهد سلطنتي وأوائل أيّامها فوّضت هذا المنصب إلى فخر الملك ابن نظام الملك ووضعت زمام الملك بكفّه ذات الكفاية والاقتدار، فحكم عليه قضاء الله وقدره أن يموت شهيداً بيد الفدائيّين الذين لا إيمان لهم، والتحق بعالم الخلود، فأسفت لمقتله غاية الأسف، فأقمت ولده صدر الدين محمّداً مقامه، وأبقيته في هذا المنصب على الاستقلال أحد عشر عاماً، ولمّا ظهرت عليه أعراض الخيانة لاسيّما في أموال وكنوز آل سبكتكين فقضت عليه يد الله وحوّلته إلى عالم الغيب وأسكنته دار العقبىٰ، ومن بعده اخترت لهذا المنصب من الخواجه نظام الملك «شهاب الإسلام عبدالرزّاق الطوسي» وأسندت إليه هذا الأمر المهم، ومع كونه رجلاً يتحلّى بأصناف العلم الفضيلة ولكنّه أقدم على أُمور في وزارته ينأى عنها أيّ عاميّ من أجلاف العوام، ويترفّع عن فعلها، ومع ذلك فقد عفوت عنه وتناسيتها إلى أن مات عبدالرزّاق، فأوكلت أمر هذا المهم إلى شرف الدين أبي طاهر الذي عرف واشتهر بصفة الأمانة والدين فقام به خير قيام ولكنّه توفّي واخترم في عنفوان أمره، فاستوزرت «تغار بيك» محمّد بن مسليمان، ولمّا ظهر عدم صلاحيّته للمنصب، وعدم استحقاقه ظهر لجلّ العالمين، صار عزله لازماً في ذمّة الهمّة الملوكيّة[1]، والآن بحمد الله تعالى حيث ثبتت أهليّتك الوافرة وأمانتك وديانتك المشهورة الظاهرة عليك أن

---

(١) تغار بيك محمّد بن سليمان الكاشغري الذي اختير لمنصب الوزارة في المحرّم سنة ٥١٦هـ من السلطان «سنجر» وقام بالأمر سنتين فتعصّب عليه الناس لسوء مسلكه، وعزله السلطان وصودرت أمواله، ثمّ مات على أثر وقوعه من دابّته.

راجع «لغتنامهٔ دهخدا»... نفس المادة.

تقبل هذا المهمّ وتتعهّد به لأنّه ثبت لديّ ديانتك وثبوت كفايتك، وإنّي لأعتمد عليها اعتماداً تامّاً، فما عليك إلّا أن تغتنم العناية التي ليست لها غاية، والمرحمة التي ليس لها نهاية، وكُن على ثقة وإيّاك أن تدع للوساوس إليك سبيلاً.

شعر

نيک اختری که بوسه بر اين آستان دهد

زودش سپهر پير بدولت نشان دهد

إذا كان نجم السعد يطبع قبلة على عتبة المولى ليظهر شأنه

فإنّ السما لم يبرح الدهر مخبراً لدولتنا حتّى تحلّ مكانه

ولمّا سمع معين الدولة أحاديث العدالة هذه، وضع يده على عينيه علامة القبول، وخلع عليه في اليوم التالي، وحباه السلطان ليشرّفه بدواة ذهبيّة وبالطبل والعلم، فافتخر بذلك وباهىٰ، وشرع معين الدين بتنظيم أُمور الملك وجدولة الأموال على سبيل الاستقلال، وقام برفع أعلام العدل والإنصاف، وخفض رايات الظلم والاعتساف بقدر المستطاع، فبنى في الأقطار والأصقاع والأطراف والبقاع من العالم المدارس والخوانق والبقاع الكثيرة النافعة، وعمّر القُرى والأرياف، وأصلح المستقلّات الموفورة واشتراها من خالص ماله وأوقفها، ونادى في أُخريات أيّامه في الناس وفي أكناف الممالك والأمصار: من كان أعطى الوزير معين الدين مالاً على سبيل الرشوة والخدمة من أيّ نوع كان؛ سواءاً كان نقداً أو جنساً فهلمّ إلى وكلائه ليستوفي منهم ما دفعه إليه، وطلب من القضاة والأكابر من أهل الولاية أن يبذلوا وسعهم ويبذلوا مساعيهم الحميدة في هذا السبيل حتّى يؤدّي الحقّ الذي عليه ولا تبقىٰ عليه تبعة.

وبما أنّ هذا الوزير كان صاحب حذف وتدبير، وله قدم راسخة في الدين،

لذلك ما برح يحرّض السلطان على قمع الملحدين واجتثاث أُصولهم واستئصال شأفتهم. وارتابت الإسماعيليّة بصولة السلطان وتدبير الوزير، فأرسلوا فدائيَّين اثنين إلى حضيرة معين الدين ليقوموا بأمر دوابّه فإذا أمكنتهم الفرصة قتلوه، وبقي هذان الفدائيّان يخدمان في الحضيرة واصطبل الوزير مدّة من الزمان حتّى وثق بهم القوم، حتّى كان يوم النوروز وكان من عادة الوزير أن يهدي في هذا اليوم للسلطان هدايا وتحفاً، فاحتاج أن تعرض بين يديه ياده الخاصّة ليختار منها ما يناسب السلطان فيهديه إلى اصطبله، فقدّم ذانك الفدائيّان فرسين جوادين سريعَي العدو، فاعترك الفرسان مع بعضها البعض وفزع إليهما خدّام الوزير لتخليصهما وما هي إلّا حركة خفيفة من الفدائيّين عندما سنحت لهما الفرصة حتّى طعنا الوزير طعنة نجلاء قضت عليه في حرّ الظهيرة.

شعر

فلك کو دیر مهر و زود کین است ... در این حرمان سراکار وی اینست

بهر اختر کزو روشن چراغی است ... نهاده بر دل آزاده داغی است

هزاران داغ هست و مرهمی نیست ... وزین بی‌مرهمی هیچش غمی نیست

زسوزش کس دمی بیغم نیفتاد ... کزین در عمرها ماتم نیفتاد

هو الدهر شاهدت منه العجب ... بطيء الرضا وسريع الغضب

تميّز غيظاً وقد شيّب النوا ... صبي ولكنّه لم يشب

وفي كلّ نجم يضيء الوجود ... تلاعب حتّى دهته النُّوَب

له ألف جرح ولا بلسم ... ولم يكسه الغمّ قلب وجب

وما ناله عند فقد العلاج ... لهذي الجراحات إلّا الطرب

وأيّ امرء لم تصبه الجراح ... وأيّ امرء لم يُذقه النصب

ولا يخفى على النابه الذكي أنّ صاحب «تاريخ الوزراء» اعتبر اهتمام الخواجه «معين الدين» بقمع الملاحدة وقلعهم من الوجود إنّما كان مبنيّاً على رسوخه في مذهب أهل السنة والجماعة، وقال: لمّا كان هذا الوزير المصيب في التدبير راسخ القدم في مذهب أهل السنة ما فتئ السلطان يحرّضه على الملاحدة ليستأصل شأفتهم ويجتثّ أُصولهم.

قال المؤلّف: إنّ قوله هذا في حقّ الخواجه الكاشي مردّه إلى أنّ أهل هراة وصاحب «تاريخ الوزراء» داخل في حزبهم يعبّرون عن أهل السنة من أصحابهم بالمسلمين، ولمّا استقرّ هذا التعبير في ذهنه بكثرة الاستعمال على جماعة بعينهم فصار يخال غير أهل السنة من أُمّة محمّد ليسوا بمسلمين إلّا أن يكونوا سنيّين، وبناء على خدعة الطبع هذه فقد التبس عليه الأمر وظنّ أنّ الخواجه من أهل السنة ولم يدر أنّ كلّ كاشي عن التعرّف على الأغيار متحاشي بل في مقام البرائة ناشي، والله كاشف الغواشي.

فخر الدين طاهر بن الوزير معين الكاشي

أُسند إليه منصب الوزارة في أيّام سلطنة ألب ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه، وسارع في تولّي المهام الملقاة على عاتق الأنام، وأقدم على حلّها وتسييرها، فاستقامت أُمور المملكة وانتظم أوضاعها، وبذل أقصى اهتمامه في بسط بساط العدل، وفي هذه الأثناء وصل حاكم ولاية الري الأمير علي يار ومعين الدين الساووجي المستوفي إلى حضرة السلطان، فاتفقوا مع «أتابك»[1]

(١) الكلمة تركيّة لقب ان يُلقّب به مربّي ومراقب أبناء ملوك السلاجقة ومن معانيه جدّ مربّ، محافظ، وكان لقباً لملوك شيراز وهي مركّبة من (أتا: أب) و(بيك: كبير). عن المعجم الذهبي لمحمّد التونجي. مادة «أتابك».

شمس الدين ايلدكن وهو مربّي السلطان ومحافظه، ونووا الغدر بفخر الدين طاهر فاطّلع فخر الدين على نواياهم وما يضمرون له، فاختلى بالسلطان وأطلعه على تدبير معانديه وحقيقة حسدهم وشرّهم، فأصغى السلطان إلى حديث الوزير المصيب في التدبير بسمع الرضا ثمّ أصدر حكماً باعتقال الأمير علي في قلعة جيحون، وعاقب معين الدين الساووجي وعاتبه، وصادر أمواله وجميع ما يعود إليه ملكه، وبهذا السبب علت رتبة الوزير وارتفعت، وقضى أيّاماً مستقلّاً بأعلى درجات الاستقلال، الدولة مقبلة على أعظم اقبال، ولكنّه في غرّة الشباب وعلوّ القدر ونفوذ الأمر بسبب إصابة عين الكمال ودّع الوجود الفاني والتحق بالروض الروحاني.

شعر

درين بستان كه جاى بى‌غمى نيست گياهى بى‌بقاتر زآدمى نيست

ليس في ذا الكون إنسان خلى «طال هذا العمر أو لم يطل»[1]

ما نبات في الثرىٰ أسرع من بشر فوق الثرىٰ مرتحل

معين الدين بن الوزير فخر الدين

كان معروفاً بصفة الجدّ والمهارة، وموصوفاً بسرعة إتمام المهام الديوانيّة، وفي مطلع وزارته انقرضت دولة آل سلجوق، واستولى السلطان «تكش» «خوارزم شاه» على العراق، واستشهد السلطان طغرل في المعركة ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[2].

---

(١) العجز مطلع قصيدة لأبي ماضي إيليا «طال هذا الليل أو لم يطل».

(٢) آل عمران/١٤٠.

المحتويات

المجلس الثامن
في بيان الملوك ذوي الشهرة والسلاطين السعداء
من الفرقة الناجية أُولي البصائر والأبصار
٢٤٦ ـ ٥١٠

المقدّمة

الجند الخامس

الجند السادس

المجلس التاسع

في ذكر الأُمراء المشهورين والقادة ذوي الرتب العالية الأُصول السامية سمحاء الدهر وأبطال ميادين القتال

٥١١ ـ ٥٦١

المجلس العاشر
في ذكر الوزراء العظام